

رفع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المؤسسات الإدارية في الدولة العباسية



حسانة البرقي السامري



رَفَعُ

عبد الرحمن البخاري

أسكنها الفردوس

www.moswarat.com

المؤسسات الإدارية

في الدولة العباسية
خلال الفترة

٢٤٧ - ٥٣٣٤ هـ / ١٦١ - ٩٤٥ م

الدكتور حسام الدين السامرائي

رئيس قسم التاريخ بطلية الآداب - جامعة بغداد سابقا
وأستاذ النظم الإسلامية بجامعة أم القرى - مكة المكرمة

قدم له

الدكتور عبد العزيز الدوري

دار الفكر العربي

رَفْعُ
جِدَارِ الرَّحْمَةِ الْجَدِّيِّ
السُّلْتَانِ الْبَيْتِ الْفَرُوقِيِّ
www.moswarat.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسوله الأمين ، وعلى آله وصحبه والتابعين ومن دعى بدعوته واهتدى بهديه الى يوم الدين .
وبعد

تبدأ دراسة الادارة والفكر الادارى فى مؤسساتنا التعليمية المعاصرة بالقرن التاسع عشر الميلادى ، باعتباره البداية لنشأة ونمو وتطور الفكر الادارى ، فيما عدا اشارات عابرة الى ممارسات ادارية فى بعض الحضارات القديمة . ويتجاهل كتاب الادارة الفكر الادارى الاسلامى والمؤسسات الادارية الاسلامية ، فلا يشيرون الى ذلك أصلا . والحق ، فان الادارة العربية الاسلامية لم تدرس بصورة شاملة . كما أن هناك جوانب منها لم تبحث حتى الآن ، وأن كثيرا مما جرت دراسته يفتقر الى الالتزام بأساليب البحث العلمى ومقتضياته .

ان هذا الكتاب يمثل بدايات متواضعة فى اطار دراسة الادارة العربية الاسلامية ، يهدف الى لفت الانتباه الى ضرورة الاعتناء بتراثنا ، وبخاصة ماله اتصال بالفكر الادارى والمؤسسات الادارية التى نشأت وتطورت خلال عصور تاريخنا وبيان أهميته وضرورة بحثه وتقويمه والافادة منه .

ان بناء مجتمع حديث يتطلب الاهتمام بالقيم والخبرات المتمثلة فى التراث الحى ، كما يتطلب الاهتمام بالأفكار والنظم الحديثة . وذلك يبرز أهمية دراسة الادارة الاسلامية فكرا وممارسة .

ان الفكر الاسلامى الادارى يشكل مصدرا أساسيا ترفد منه

النظريات والمفاهيم الادارية التي تستهدف استيعاب واقع مجتمعاتنا
الاسلامية واستشراف آمالها ، وسبيلا في اغناء الفكر العالمى بأفكار
ادارية رائدة وفريدة •

ولقد كان لنفاذ الطبعة الأولى من الكتاب وما لقيته من تشجيع
الزملاء المتخصصين واصرارهم على ضرورة اعادة طبعه ، وإحساسى
بحاجة أبنائنا الطلبة اليه أثر فى اعادة طبعه ثانية •

والله الموفق وهو حسبنا ونعم النصير ...

حسام الدين السامرائى

مكة المكرمة غرة ربيع الأول ١٤٠٣ هـ

مُقَدِّمَةٌ

لا تزال بعض فترات تاريخنا مهمة ، لم تلق ما تستحقه من عناية أو بحث وقد تكون بعض هذه الفترات مهمة في تطوراتها وفي أثرها . ومن هذه الفترات ، الفترة التي تناولتها هذه الدراسة القيمة . مع أنها فترة انتقلت فيها الخلافة العباسية من كونها القوة الأولى فيما يسمى بالعصور الوسطية إلى مجموعة دويلات وامارات تتمتع بكيانات واضحة أو قلقة ، وإلى خضوع ما بقي من أرض الخلافة للسيطرة البويهية .

ولا يقتصر هذا التحول على الاطار السياسي ، بل حصلت تحولات في الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية وفي المؤسسات الرسمية والشعبية ، إضافة إلى التطور في وعي الشعوب والجماعات المختلفة في بلاد الخلافة . فجوانب الحياة العامة متشابكة تؤثر ببعضها وتتأثر وتقضي بحصيلها إلى الظواهر العامة من نمو وازدهار إلى تراجع وانحلال .

لندكر أن الدولة العباسية استندت إلى قاعدة من دعوة قوية واسعة لم تنته بانتصار العباسيين بل استمرت بعد استلامهم السلطة ، وعلى التفاوت بين العرب والفرس ، وعلى اقامة جيش نظامي مدرب ، هذا مع انشاء عاصمة جديدة تمثل السلطان الجديد .

وحين نظر للوقائع نرى أن العباسيين اعتمدوا على أنصارهم في الدعوة من الأشراف الفرس - خاصة في الوزارة والادارة - وعلى الخراسانيين (أنصار الدعوة) من فرس وعرب خاصة في الجيش ، دون أن يميلوا القبائل العربية التي استمر بعضها يستلم العطاء خلال العصر الأول . ولكن

نشاط أصحاب الديانات الفارسية المغلفة بغلاف الاسلام ، كالزردكية الجديدة (الحرمية) والزردشتية الجديدة ألهب إيران بثورات متصلة طيلة العصر العباسي الأول ، ووراء هذا النشاط وعي اجتماعي سيامي ، في حين أن نشاط المانوية الجديدة (الزندقة) تحدى الأساس الفكري للمجتمع .

ثم إن الخلفاء لم يرتاحوا لطموح الأشراف الفرس ، مما أدى إلى التكتيل ببعضهم وإلى حصول تكتلات وجدت مجالاً في الظروف العامة وبلغت حداً خطيراً أحياناً كما في فترة الفتنة الأولى (الصراع بين الأمين والمأمون) . وفي اتخاذ المأمون مرو مركزاً لفترة تلت مقتل الأمين . وكانت عودة المأمون إلى بغداد تخلياً عن خطته في مرو في وقت كان انتصاره على أخيه بالقادة والجند الخراساني بالدرجة الأولى ، وقد تمثل ما في خراسان من وعي وخيبة لعودته إلى بغداد في قيام أول إمارة إيرانية ذات كيان منذ الفتح الإسلامي وهي الإمارة الطاهرية .

وكان تمزق الجند العباسي في بغداد خلال الفتنة ، وردود الفعل العربية لتسلط الفرس في أول فترة المأمون إضافة إلى نشاط الدعوة العلوية بين العرب ، وتهديد الخلافة بالثورات وخاصة ثورة بابك الحرمي التي أعجزت المأمون ، وما عرف عن الترك من شجاعة في القتال - وراء الانتقالات إلى تكوين جند جديد من الأتراك ، وهو اتجاه بدأ به المأمون بنفسه بنطاق محدود ثم تبناه المعتصم سياسة ثابتة ، ورافق ذلك إيقاف العطاء والمساعدات للقبائل العربية .

ولا نستطيع اغفال الصلة بين انفصال خراسان وبين التجوء إلى العناصر البشرية فيها وراء النهر وآسية الوسطى من الترك وجيرانهم ، ولكن الخطوة لم تكن مجرد إضافة عنصر جديد إلى الجيش بل عنت تحولاً رئيسياً ، هو الانتقال من جند نظامي من المواطنين (عربي - خراساني)

يعتل أسس الخلافة إلى جند من المرتقة - جلة رقيق - لا يرتبط بها فكرباً أو حضرباً ، حتى أن جماعات منه لم تكن تفهم العربية بعد فترة من الخدمة . وأطلقت على الجند الجديد صفة « الموالى » ، وإن كان هذا يشدم إلى المعتصم كما نفهم من بعض صيحاتهم ، فانه لم يكن كذلك بالنسبة لمن بعده ، بل لم يكن يربطهم بالخلافة إلا المنافع المادية والطمّوح . وكان الاعتماد عليهم مثار خلاف مع الجند القدماء من جهة ومع أهل بغداد من جهة أخرى . بما فرض اتخاذ عاصمة جديدة (سامراء) التي هي في حقيقتها مركز الجند التركي .

بدأ الجند التركي في فترة الواثق يتولى الولايات ويتدخل في أمور الخلافة ، وحين قتل المتوكل ، تلت فترة فوضى مطلقة ، خربت فيها مفاهيم الخلافة وأسسا النظرية ، وتحكم الجند في تعيين الخلفاء وعزلهم حسب أهوائهم ، وشغل المركز بدوامه من القلق والاضطراب ، د فيها تنافس القادة الأتراك على السلطة والخلاف بين مصالح المتنفذين . هم وبين عامة الجند ، والاحتكاك بين الأتراك وبين الفصائل الأخرى من مغاربة وفرغانية ، واصيبت الخلافة بشلل شجع الاتجاهات الانفصالية ، فكان من آثار هذه الفترة قيام الإمارة الطولونية في مصر والشام ، والإمارة الصفارية في سجستان وجنوب إيران وحتى خراسان ، والإمارة السامانية فيما وراء النهر وخراسان ، والإمارة الزيدية في طبرستان والديلم ، ولم تنته هذه الفوضى التي كانت مردها إلى التمزق الشديد بين الجند ، وفشلهم أمام الأخطار الجسيمة التي هددت الخلافة وبخاصة ثورة الزنج ، إلا في فترة المعتمد وبفضل جهود الموفق (المنصور الثاني والمعتمد) . فعاد للخلافة بعض كيانها وسلطانها ودام هذا إلى أن كانت خلافة المقتدر حيث عاد الجند التركي إلى التدخل مستغلاً ظروف الفتنة التي رافقت ثورة ابن المعتز ، والأزمة المالية ، وتنافس رجال الإدارة

المركزية وانقسامهم ، وضعف الخليفة ، وتدخّل الحرم ، وانتهى ذلك إلى قتل
المقتدر وفرض الجند سيطرته الكلية بقيادة أمير الأمراء (٣٢٤-٣٣٤) هـ .

وفي هذه الفترة تمثل فوزى الجند في التنافس بين القادة على منصب
أمير الأمراء ، وفي طمس الإدارة المدنية ، وفي المشكلة المالية الخائفة ،
وفي انكماش ظل الخلافة ليقصر على القسم الشمالي من السواد ، وانتهت
الفترة بالغزو البوحي .

ورافق هذه الفترات تكرار الأزمة المالية للخلافة ، نتيجة أوضاعها ،
وتلمح بوادرها في لجوء الواثق ثم المتوكل إلى المصادرة كوسيلة لتوفير مورد
لبت المال . وربما ارتبطت بدايات الأزمة باصطناع الجند الجديد ، وبالنفقات
الطارئة الباهظة كبناء سامرا والمتوكلية . وحين تحمّ الجند التركي كانت
طلباته من الأرزاق والمخصصات لا تقف عند حد ، في حين أصبح بيت
المال طعمة للمستنفذين من القادة وأعوانهم ، ولم يكتفوا بذلك بل كانوا
يطلبون الاقطاعات التي لم تعد تقتصر على أرض الصوافي بل تعدتها أحياناً
إلى أرض الخراج ، بما أدى إلى تقلص ملحوظ في موارد بيت المال . وتجاوز
القادة الأتراك ذلك إلى الضياع والملكيات الخاصة فاستحوذوا على الكثير
منها عن طريق الاجراء واستأثروا بنخباتها ، فلا عجب أن هاج الجند زمن
المهتدي وطالبوا بإبطال الاقطاعات والتلاجيء . وأدى تسلط القادة الأتراك
على الإدارة والولايات إلى التلاعب بالموارد وإلى ضعف الرقابة على العمال
والجباة وإلى ظهور سلسلة من الرسوم والضرائب الاضافية فرضها العمال
وأعوانهم على الفلاحين والزراع ، وذلك إضافة إلى الزيادات في
الضرائب المعروفة بما فيها العشر ، هذا إضافة إلى افتتاح الجباة قبل
موعددها أو جمع الضرائب لسنة تالية مما كان يدفع الفلاحين إلى الاستدانة
بفوائد مالية عالية أو الجلاء . ويقابل ذلك تخفيف الضرائب أو الاعفاء
منها بالنسبة للمستنفذين والرؤساء تحت أسماء مختلفة من ايغار ، إلى قبالة ممتازة ،

الى تسوية ، إلى حطيطة إلى تركة . فأدى ذلك إلى ارهاق الفلاحين والزراع ، وأدى الظلم الى شيوع الالغاء (الاحتماء بالمتنفذين) والمواقف (الرشوات) بصورة مملوسة ، كما أدى الى تخلي الكثير من الفلاحين والزراع عن أراضيهم . وزاد الحالة سوءاً إهمال نظام الري في العراق خاصة ، ثم الاضطرابات والثورات التي كثيراً ما خربت السدود والجسور وكسرت القنوات ودمرت المزارع فأكثر حركة الهجرة من الريف وزادت إهمال الأراضي الزراعية . وكان لتدهور نظام الري صلة بمحدوث الفيضانات المدمرة وتكرارها ، وما كان يعقبها من غلاء ومجاعة . وحين انتعشت الخلافة بجهود الموفق والمعتضد والمكتفي ، حاولت أن تعالج المشاكل المالية . ولكننا لن ننسى ابتداءً أنه كان انتعاشاً مقيداً ، إذ أن أجزاء مهمة من أراضيها السابقة كانت قد خرجت عن سيطرتها أو إشرافها المباشر . ومع ذلك فقد بذلت جهود جديده لمعالجة الوضع ، منها الاهتمام ببيت مال الخاصة وتعيين موارد له ليكون سنداً للخلافة واحتياطاً لبيت المال عند الضرورة . وحاولت الخلافة أن تضمن موارد لبيت المال في الوقت المناسب ، فأكثر من اللجوء الى الضمان وبموجبها كان يحدد مايلزم دفعه عن الولاية أو المقاطعة ووقت دفعه ويتوكأ للضامن جمع الضرائب بأشراف فعلي أو اسمي للادارة . وحاولت أن تعنى من جديد بالري ، مع مساعدة الفلاحين والزراع أحياناً بالبدور والسلف ، وأصدرت بعض المناشير توصي بالرفق والعدل في الجباية ، وأعدت النظر في موعد افتتاح الجباية (النيروز المعتضدي) ليوافق موسم نضج الغلات ، فلا يضطر الفلاح إلى الاستدانة أو لدفع تخمينات ضريبية قد تتجاوز الواقع الذي يظهر في الموسم . وتجنبت الخلافة - وحتى عند حاجتها الملحة إلى المال - أسلوب جباية بعض الضرائب قبل موعدها ، ولجأت إلى عقد القروض من التجار لهذا الطلب ، ثم نظمت ذلك باقامة مصرف رسمي للدولة (في مطلع القرن الرابع) يدها بالقروض والسلف المستعجلة ويتمتع

بأسنادها الأدبي ، كما حاولت تنظيم الدخل والصرف بشيء من العناية ، مع اشراف دقيق على الشؤون المالية . ولكن تدهور الأوضاع وتقلص أراضي الخلافة إضافة الى التبذير وجشع الجند أوقع الخلافة في النصف الثاني من فترة المقتدر في أزمة مالية بلغت حداً عجزت معه عن مواجهة نفقاتها ، واضطرت أخيراً إلى اقامة أمير الأمراء ليتولى الأمر ، ففقدت سلطتها وانحدرت بسرعة .

وترتبط الأزمة المالية بوضع الادارة المركزية ، ذلك أن الوزارة اصبحت بانتكاس جدي في فترة الفوضى التركية ، فقالت صلاحياتها ونضاءت وكثير تغيير الوزراء نتيجة تغيير الخليفة وعبث الأتراك ، وهذا أضعف اشراف الادارة في الولايات فأضر بالموارد وبوضع الفلاحين على السواء ، وحين انتعشت الوزارة بانتعاش الخلافة أصبحت للادارة أهمية ملحوظة وعاد اليها اشرافها فأعدت تنظيم الدواوين لتلائم الظروف الجديدة . ولكن التكتلات بين الكتاب وما رافقها من تنافس وتدخل الجند والحرم بالشؤون العامة ، وضعف الخلفاء أدى إلى تدهور الوزارة ، وإلى طمسها عملياً في فترة أمير الأمراء .

هذه التطورات كان لها أثرها على الحياة الاجتماعية فقد ظهرت « العامة » قوة جديدة ، وان لم تكن منظمة ، منذ فتنة الأمين والمأمون وتكرر نشاطها في فترة الفوضى التركية وخاصة أثناء فتنة المستعين والمعتز . وصارت قوة بحسب حسابها ، وتتكرر الاشارة اليها زمن المعتضد وفي أوائل أيام المقتدر وفي أواخرها ، وفي فترة أمير الأمراء ، وتميز العيارون والشطار كحركة بين العامة لها تنظيماتها وشعارها .

وقفت العامة مع الأمين أثناء حصار بغداد ، وبعد عودة المأمون من مرو اتخذ الاعتزال ، وهو مذهب فئات من المثقفين ، واضطهد من لا يقول بخلق القرآن وهذا مثل أهل الحديث وجمهير العامة ، وهكذا أكد الفجوة بين الخلافة وبين العامة واستمرت هذه السياسة في زمن خليفته ، واتسعت

الشقة وكانت فتنة ابن حنبل ، وحركة أحمد بن نصر الحزاعي مظاهر لهذه الأزمة . ولكن المتوكل في صراعه مع الأتراك وجد نفسه في شبه عزلة فتخلى عن الاعتزال وعاد إلى السنة والعمامة ، فوفقت العمامة في بعض أوقات الأزمات جنب الخلفاء .

وتكاثر العمامة لنا هو مظهر لنمو المدن السريع وتطور الحياة فيها . وكان جل العامة من أهل المهن والصناعات والبيوعات البسيطة ، وظهرت بينهم روابط مهنية وتكتلات في الأسواق تحب أشراف المحتسب وعرفائهم . وكانت هواردهم المعاشية بسيطة ومجال الكسب محدوداً وخاصة لعامة أهل الحرفة من المبتدئين والصناع ، ومما زاد وضعهم صعوبة ارتفاع الاسعار وزيادة تكاليف المعيشة ، في وقت لم يطرأ ارتفاع يذكر على الأجور خلال القرن الثالث الهجري . ولا بد وان وضعهم كان يتأزم خاصة في أوقات الفتن أو عند حصول الغلاء . وزاد من عدد العامة وكثرة عدد المعدمين بينهم ازدياد الهجرة من الريف نتيجة الحروب والثورات والارهاق والظلم في الجباية . وهنا ظهر العيارون حركة تنهم بالصوصية وقطع الطرق ، في حين أنها كانت حركة اجتماعية تتجه ضد السلطة وأصحاب المال لها قيمها واعتزازها بمفاهيم الفتوة . وانضم بعض العامة إلى الحركات الثورية الأخرى مثل حركة الاسماعيلية والقرامطة التي تظاهرت بالمناداة بالعدالة الاجتماعية ، وبوضع أفضل للصناع والفلاحين .

وهذا يأخذنا إلى ظاهرة أخرى وهي قيام دعوات تنادي بالثورة على الوضع القائم وتعمل على تغييره . وليس هذا مجال الحديث عنها ، ويكفي أن نذكر ثورة الزنج وحركة الاسماعيلية والقرامطة . ويعيننا هنا أن نلاحظ أن ثورة الزنج ، وإن كانت محدودة بتحرير السود دون أن تنادي بالغاء الرق ، فان ما وجدته من

عطف من بعض سكان القرى والقبائل المجاورة يدل على سوء وضع أهل الريف بسبب ما تعرضوا له من استغلال من الجباة أو أصحاب الاقطاع أو كليهما ، وهي بدورها ألحقت أمدح الأضرار بنظام الري وبالزراعة ، في المنطقة الحصبة بين واسط والبصرة والأهواز ، ودفعت جموعاً من الفلاحين إلى ترك قرام وأراضيهم والهرب إلى المدن ، وكان هجرتها تمهيداً لحركة القرامطة .

واني ليسرني أن أقدم لهذه الدراسة . فأهمية موضوعها وما انتهت إليه يكشف عن جهد يستحق التقدير ، وقد قدمت لنا مادة مفيدة في موضوع جم الصعوبة والتعقيد ، وكشفت عن اتجاهات أساسية تحكمت في تليخ فترات حافلة بالأحداث . واني إذ أعرف أن الكاتب تابع دراساته الجادة للقرن الثالث الهجري ، لأرجو له كل توفيق في جهوده العلمية . عبد العزيز الدوري

عمان - السادس من ذي الحجة ١٣٩٠ هـ

الأول من شباط ١٩٧١ م



بسم الله الرحمن الرحيم

أشكر الله سبحانه وتعالى على ما تفضل به ، إنه نعم الموفق ، وأقدم
جزيل شكري وتقديري إلى استاذي الفاضل الدكتور عبدالعزيز الدوري
الذي أسهم في بناء هذا البحث بما أبداه من ملاحظات قيمة وتوجيهات
سديدة ، والذي لم يأل جهداً في رعايتي والأخذ بيدي وتوجيهي ، فكان
خير عون لي في إخراج هذه الرسالة إلى حيز الوجود .

كما أتقدم بالشكر والعرفان إلى استاذي الدكتور صالح أحمد العلي ،
الذي كان لمناقشاته المستمرة معي أثر كبير في استكمال جوانب البحث .

وأخيراً أرى لزاماً علي أن أشكر الاستاذ الدكتور حسن إبراهيم
حسن لملاحظاته القيمة ، والدكتور عبد الرحمن أيوب لما بذله من جهد في
قراءة مسودات الرسالة ، وابداء بعض الملاحظات عليها ، والمسؤولين في
مكتبة معهد الدراسات الإسلامية العليا ، والظاهرية بدمشق ، والسليمانية
وكوبرلي وأحمد الثالث والمتحف الوطني في استانبول ، لما قدموه من جهد
في تسهيل مهمتي

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنم الله الفردوس
www.moswarat.com

المبَّحَثُ الأوَّلُ

الْمُخْلَافَةُ

الخليفة العباسية خلال الفترة

٢٤٧ - ٥٣٣٤ / ٨٦١ - ٩٣٥ م

مقدمة :

لا بد لنا قبل أن ندخل في دراسة مؤسسة الخلافة في هذه الفترة أن نستعرض التطورات وبعض النقاط الحيوية التي حصلت خلال العصر العباسي الأول ، لربط ذلك بفترة بحثنا .^(١)

يتساوى في حكومة الدولة الاسلامية الحاكم والمحكوم ، ويتولى الحاكم مسؤوليته بكفاءته وقابلياته على الحكم . كما إن هناك حقوقاً وواجبات متبادلة بين الحاكم والمحكوم .^(٢)

قامت الدولة العباسية على إثر دعاية سرية اتخذت من حق بني هاشم الشرعي في الخلافة صيحتها السياسية ، ومن الوعد بتحسين أوضاع الموالي اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً ومساواتهم بالعرب برنامجها الاجتماعي ، ووعدت باتخاذ الكتاب والسنة أساساً للحكم .^(٣)

لقد استند العباسيون في حكمهم إلى ثلاث مجموعات : الدين ، الجيش ،

(١) Gibb, H. Government of Islam Under The Early Abb. , P. 10

(٢) الدوري - دراسات ص / ١٠

(٣) Gibb, op. Cit. , P. 10

البيروقراطية ، إلا أنهم أدخلوا في كل منها بعض التعديلات . كما إنهم اهتموا بالشريعة بدلاً من التقاليد ، ووثقوا علاقتهم مع العلماء فضمنوا السيطرة على القاعدة التي تقدم لهم الجند ، فكونوا جيشاً إمبراطورياً . واستهدفوا إحلال التفاهم وخلق جو من التعاون بين العرب والموالي - وبخاصة الفرس - بدافع إيمانهم بأن الاستقرار لا يمكن أن يحصل إلا بتعاون مختلف العناصر التي تتألف منها الأمة الإسلامية .^(١)

وعند دراسة مدى النجاح الذي حققه العباسيون في وعودهم وآمالهم نجد أنهم قد أصيبوا بالفشل الناجم عن خطأ تقديرهم لحقيقة الأوضاع ، وعدم استقامة سياستهم^(٢) ، والتيارات التي أثاروها . وكان الجيش والإدارة سبباً أساسياً من أسباب ذلك الفشل^(٣) .

لقد أكد العباسيون على الجانب الديني واعتمده أساساً لتقوية الخلافة وحاولوا تنظيم المؤسسة الدينية . غير أنهم لم ينجحوا إلا في تنظيم القضاء ، ولذلك بقيت المنظمات الدينية خارج نطاق سيطرتهم فلم تقف في إسنادهم ، بل كان بإمكانها تهديدهم . ولعل من أسباب تقريب المأمون للعلماء أنه كان يرغب في إسناد المؤسسة الدينية للخلافة ، وعودة هيئة الخلافة ، غير أنه أخطأ في تقديره الأوضاع الدينية ، فأثار العلماء على الخلافة ، وبذلك أضعفها . وكانت هزة عنيفة لها عندما انتقلت العاصمة بعد ذلك من بغداد إلى سامراء ، فلما أعاد الموفق العاصمة إلى بغداد لم ينجح في إرجاع العلاقة بين الخليفة والرعية^(٤) وهكذا أصبحت المؤسسة الدينية تنمو مستقلة عن الخلافة .

(١) الدوري - دراسات ص/١٠ (٢) ن ٢٠٠ ص/١٠

(٣) Gibb, op. Cit., p. 40 (٤) ن ٢٠٠ ص/١١

ولم ينجح العباسيون في تكوين جو من التفاهم والتعاون بين العرب والفرس ، فقد صعب على العرب تقريب الحلفاء للفرس ، وطمح الفرس في إحياء مجدهم متأثرين بما أثارته الدعوة العباسية من قواهم المكبوتة الكامنة ، وقوي ميلهم في الوصول إلى الحكم ، فقد ظهرت بينهم حركة الزندقة التي أرادت نقض سلطان العرب وكيانهم بضرب الدين الإسلامي الذي هو سر مجدهم وقوتهم ، كما عبروا عن حقدهم على العرب ، ورغبتهم في تصغير شأنهم ، ووصمهم بكل رذيلة بجملة الحركة الشعبية^(١) ، التي حاولت السيطرة على ثقافة غروب آسيا ، مما أدى إلى توسيع الشقة بين عقلية الموظفين (البيروقراطية) والعقلية الإسلامية^(٢) .

إن ازدهار التجارة وما استتبع ذلك من توسع المدن التجارية في المشرق الإسلامي كان يتطلب من الحكومة العباسية إعادة تنظيم نفسها الانسجام مع الوضع الجديد^(٣) ، غير أن العباسيين لم يدركوا هذا التطور الكبير لينظموا أنفسهم على أساسه . فباستثناء الحسبة لم تكن في المدن تنظيمات وخدمات عامة تشمل كل الدولة . ولذلك فقد اعتمدت تلك المدن على رؤسائها وترتيباتهم الخاصة . وقد تعززت البيروقراطية مع الاتجاه الجديد ، فلم تربط مصالح المدن بمصالح الدولة العامة ، بل توثقت علاقاتها مع الاقاليم ، واستتبع ذلك زيادة قوة الحكومات الاقليمية وشجعها على

(١) الدوري - دراسات ص/١٢ . وانظر الجذور التاريخية للشعبوية .

(٢) Gibb, op. Cit. , p. 41

(٣) فقد كانت الدولة في ظل الحكم الساساني ، وحكومة الاسلام الاولي تعتمد على

الزراعة . وقد بدأ التطور الجديد خلال العصر الأموي واستمر بعد ذلك .

الانفصال . وهكذا أسهمت البيروقراطية في إضعاف الخلافة العباسية (١) .

وقد أشرك العباسيون أرستقراطية الفرس في الحكم ، فأدى ذلك إلى إبقاء الوضع الطبقي في إيران على ما كان عليه مما سبب في التذمر الذي استغلته المبادئ الخثرانية ، حتى صارت رمز وعي العنصر الفارسي في صراعه للتخلص من الحكم العباسي . ولما فشلت الأرستقراطية الفارسية في الحصول على مكاسبها عن طريق التعاون مع العباسيين ، اندفعت بالتعاون مع الجماهير الفارسية ضد الحكم العباسي ، فنشأت الإمارات الإيرانية الأولى (٢) .

يمثل الجيش الأساس الثالث الذي اعتمد عليه العباسيون في حكمهم ، وهو خليطاً من عناصر خراسانية وعربية . وبذلك ظهر بشكل ينسجم مع مدلول « الجيش الإسلامي » مقابل « جيش الشام » الذي سيطر على الدولة في أواخر العصر الأموي . غير أن الصفة الامبراطورية للجيش بدأت تضعف ابتداءً من عصر المأمون ، حيث أنشأ الخليفة فرقة جديدة اعتمد عليها (٣) فضيب أهل الخراسانيين . فهو بنكبته لبني سهل ، وبتركه لمرو ورجوعه إلى بغداد ، قد هدم صرح التعاون العباسي الإيراني (٤) والتف العرب بعد مقتل الأمين حول العباس ابن المأمون ضد المعتصم الذي نكل بزعمائهم بعد اعتلائه الخلافة . وقد تخرج وضع المعتصم بعد ذلك . فالدولة مهددة بشكل مباشر نتيجة استفحال ثورة بابك الخرمي ، وبخطر البيزنطيين على الحدود في نفس الوقت الذي عم فيه التذمر أهل الشام ومصر . هكذا فقد أصبح المعتصم بحاجة - بعد أن فقد الثقة بالعرب والفرس -

(١) Gibb, op. Cit. , p. 11

(٢) الدوري - دراسات ص/ ١١

(٣) Gibb, op. Cit. , p. 11

(٤) الدوري - دراسات ص/ ١٢ .

إلى عنصر عسكري جديد تعتمد عليه الدولة للقضاء على الأخطار التي تجاهاها ، فالتجأ إلى الترك الذي أنشأ منهم جيشاً . وكان لهذا العمل نتائج الوخيمة على الدولة ، إذ لم يكن هذا العنصر الجديد قادراً على فهم الأسس المعنوية التي قامت عليها الدولة العباسية ، ولا خبرة له بالإدارة ، فلا غرابة أن يكون ظهوره عاملاً مهماً من عوامل ضعف الدولة وزعزعة قواعدهم الخلافة (١) . وهكذا أصبح الأساس الثالث الذي أقام العباسيون دولتهم عليه ، عامل ضعف وانحلال لها .

إن الظروف التي مرت بها الدولة ، ونقل العاصمة إلى سامراء ، وتولي الولاة الخلافة وإثارته العامة ضد سياسته الدينية . قد أدت إلى أن يشعر الترك بأهميتهم وأن يستفحل أمرهم فتدخلوا في سياسة الدولة ، واستلموا المناصب الإدارية ، وتلاعبوا بمقدرات الخلافة . ولعل ضعف الولاة وقلة إدراكه مسؤولان عن خطأ خطير وقع فيه ، وهو عدم تعيينه ولي عهد بعده ، مما فتح المجال للترك في التدخل في أعلى مراحل السلطة ؛ وهو اختيار الخليفة . فلم يترددوا عن استغلال الفرصة ، بل كانت لهم اليد الطولى في المجيء بالمتوكل إلى الخلافة ، وهذه سنة سيئة ، جرت الولايات على الحكم العباسي (٢) .

لقد توفي الولاة دون أن يعهد بالخلافة (٣) ، وكاد القاضي والوزير وزعماء الأتراك أن يبايعوا ابنه ، لولا تدخل وليف الذي اعترض عليهم بقوله : « ألا تتقون الله ؟ أتولون مثل هذا الخلافة وهو لا تجوز معه الصلاة ؟ ! » (٤) . ثم لعب مع بقية قواد الأتراك دوراً مهماً في اختيار

(١) ن . م . ص / ١٣ . (٢) الدوري - دراسات ص / ١٣ .

(٣) البعقوبي - تاريخ ٥٩٦/٢ .

(٤) الطبري - تاريخ ٢٧/١١ (ط . الحسينية) .

المتوكل ومبايعته^(١) . غير أن اشتراك رجال الإدارة في هذا الاختيار قلل من خطر هذه التجربة^(٢) . ويرى بوون بأن نفوذهم قد استفحل إلى درجة كبيرة ؛ ابتداء من هذا الوقت في كل مؤسسات الدولة^(٣) . فبات اصطدامهم بخليفة قوي كالمتوكل أمراً منتظراً^(٤) . والواقع أن فترة خلافة المتوكل تمثل سلسلة من نزاع صامت بينه وبين الأتراك انتهت بفشله ومقتله^(٥) ، بيد جماعة منهم . ويبدو أن ذلك قد حصل باتفاقهم مع المنتصر^(٦) .

ويمكن أن نقسم بحثنا عن أوضاع الخلافة منذ مقتل المتوكل حتى دخول البويهيين بغداد إلى أربع فترات وهي كما يلي :

١ - فترة فوضى الأتراك .

٢ - فترة الاستقرار والهدوء النسبي .

٣ - فترة حكم المقتدر .

٤ - فترة أمراء الأمراء .

(١) الدوري - دراسات ص/٤١ . (٢) بوون - علي بن عيسى ص/٣ .

(٣) ن . م . ص/٣ . (٤) الدوري - دراسات ص/٤١ .

(٥) اليعقوبي - تاريخ ٦٠٢/٢ ، الخطيب - تاريخ بغداد ١٢٠/٢ ،

وانظر المقدسي - البدء ١٢٣/٦ ، وقد قتل في ٤ شوال / ٢٤٧ هـ .

(٦) الطبري ١٤٥٢/٢ - ١٤٦٥ (طبعة لايدن) ٦٠/١١ وما بعدهما

(ط . الحسينية) اختصره ابن الأثير في الكامل ٦٠/٧ - ٦٤ ، وانظر المقدسي -

البدء ١٢٣/٦ ، ابن العبري - مختصر ص/١٤٦ .

١ - فترة فوضى الأتراك :

ابتدأت هذه الفترة بمقتل المتوكل ، واستمرت تسع سنوات (٢٤٧ - ٢٥٦ هـ . ٨٦١ - ٨٦٩ م) حكم فيها أربعة خلفاء هم : المنتصر والمستعين والمعز والمهتدي . وهي فترة لها أهميتها في توضيح التطورات التي تلتها .^(١) لقد انحطت هيبة الخلافة نتيجة مقتل المتوكل ، وافتقر الأتراك شتى الفصائح ، واستضعفوا الخلفاء « فكان الخليفة في أيديهم كالأسير إن شاءوا أبقوه ، وإن شاءوا خلعوه ، وإن شاءوا قتلوه »^(٢) مما شجع أمراء الأطراف على الانفصال ولا سيما في إيران ومصر . ومع أن المنتصر قد جاء إلى الحكم بموجب عهد سابق من والده ، فقد تسلط الأتراك في عهده ، حتى إنه انقاد إلى إلحاح زعمائهم^(٣) ، ووافق على خلع أخويه المعز والمؤيد ، اللذين كان من المفروض أن يليا العهد بعده ، وإن كنا نحس بأنه كان يكره أخاه المعز كثيراً . وقد ثبت لنا الطبري نص كتاب تنازل كل من المعز والمؤيد الذي جاء فيه : « إن أمير المؤمنين المتوكل على الله قلدني هذا الأمر وأنا

(١) ابن الطقطقي - الفخري ص/٢٢٠ .

(٢) الدوري - دراسات ص/٥٩ .

(٣) وصيف وبغا ومقدم الأتراك أوتامش : انظر اليعقوبي - تاريخ ٦٠٣/٢ .

(٤) اليعقوبي - تاريخ ٦٠٣/١ : ابن الاثير - الكامل ٣٨/٧ .

ابن تغري بردي - النجوم ٣٢٦/٢ : ابن العبري - مختصر ص/١٤٦ .
ابن خلدون - المقدمة ٢٩٧/٣ .

(٥) يشير المسعودي الى أن الفتح بن خاقان نديم المتوكل ، وعبيد الله بن يحيى وزيره ، كانا يشجعانه على تفريب المعز وابعاد المنتصر (مروج ٦٩/٣) ويذكر الطبري في تاريخه ٦٢/١١ بأنها أشارا عليه بأن يفوض اليه إمامة الصلاة . وقد بلغ من كره المتوكل لابنه أنه خلعه في آخر أيامه عن العهد ، وانظر الاصفهاني الاغانى ١٠٨/٢١ .

صغير من غير إرادتي ومحبتي ، فلما فهمت أمري وعلمت أني لا أقوم بما قلدني ولا أصلح خلافة المسلمين ، فمن كانت بيعتي في عنقه فهو من نقضها في حيل ، وقد حالتمكم منها وأبرأتكم من أيانكم^(١) . . . ومع ما عرف عن المنتصر من القسوة وسفك الدماء^(٢) ، فإنه بذل جهده في إشاعة العدل في الأحكام ، مما حببه إلى قلوب العامة^(٣) ، ويبدو أن علاقته بالأتراك كانت حسنة ، إذ لم يحاول أن يصطدم بهم ، فكانت السيطرة الإدارية والتصرف المالي بيد وزيره أحمد بن الحصب أحد صنائعهم^(٤) .

لم تطل مدة حكم المنتصر ، فقد توفي وهو شاب بعد أن حكم قرابة ستة أشهر^(٥) ، ومن المحتمل أن تكون وفاته ناجمة عن دس السم له من قبل أعدائه^(٦) .

لقد وقع المنتصر في نفس الخطأ الذي وقع فيه الواثق من قبل ،

(١) الطبري - تاريخ ٧٧/١١ ط الحسينية .

(٢) ابن الطقطقي - الفخري ص/٢٣٩ .

(٣) السيوطي - تاريخ ص/٣٥٧ : ومن الطبيعي أن يكون لمنصب الخلافة

أثر في ذلك .

(٤) انظر الفصل الأول من المبحث الثاني من هذه الرسالة ، وقائمة الوزراء الملحقه .

(٥) توفي وعمره خمس وعشرون سنة ، وكانت وفاته في الخامس من ربيع

الأخرة سنة ٤٤٨ هـ / ١٠٦٢ م انظر عنه الطبري - تاريخ ١١/٦٤ - ٦٦ :

اليقوني - تاريخ ٢/٦٠٣ : ابن الاثير - الكامل ٧/٦٩ : ابن تغري بردي -

النجوم ٢/٣٢٧ : ابن العماد - شذرات ٢/١١٩ : ابن العبري - مختصر ص/١٤٦ :

السيوطي - تاريخ ص/٣٥٧

(٦) المسمودي - مروج ٤/٩١ : وانظر بون - علي بن عيسى ص/٤

فإنه لم يعين أحداً لولاية العهد بعد أن خلع منه المعتز والمؤيد . وهكذا ترك المجال أمام زعماء الأتراك للتلاعب مجدداً في اختيار الخليفة .

وقد وصف لنا الطبري ذلك بقوله : إن زعماء الأتراك قد استحلّفوا قواد الأتراك والمغاربة والأشروسنية ، على أن يرضوا بمن رضي به بغا الصغير وبغا الكبير وأوتامش ، وذلك بتدبير أحمد بن الحُصيب فحلّف القوم (١) . وقد وقع اختيار هؤلاء على أحمد بن محمد بن المعتصم ، ولقبوه بـ (المستعين بالله) . ولم يكن اختيار المستعين للخلافة بسبب كفاءته أو مقدرته ، فمن الطبيعي ألا يفكر الأتراك في ذلك ، وإنما وقع اختيارهم عليه لكي يضمنوا إبقاء أولاد المتوكل عن الخلافة ؛ خوفاً من أن يدرك هؤلاء نار أبيهم الذي قتل غيلة منهم (٢) .

ولم يكن اختيار المستعين مرضياً للجميع فقد أنكر بعض القواد البيعة ، ووقع نزاع بين الأتراك والأبناء استمر ثلاثة أيام ، كانت نتيجته تغلب الأتراك ونجاحهم في إبقاء المستعين في الخلافة (٣) .

ومع أن أثر الأتراك كان كبيراً في الجيء بالمستعين إلى الخلافة ، فإن الخليفة قد بذل جهداً كبيراً في محاولاته لاسترداد سلطته ، غير أن ضعف

(١) الطبري - تاريخ ٨٢/١١ (ط . الحسينية) وقد نقل ابن الأثير عنه هذا الخبر في الكامل ٤٠/٧ .

(٢) بوون - علي بن عيسى ص/٤ .

(٣) اليعقوبي - تاريخ ٦٠٤/٢ ، الخطيب - تاريخ بغداد ٨٤/٥ ، ابن قتيبة - المعارف ص/١٧٢ ، ابن كثير - البداية ٢/١١ ، ابن الطقطقي - الفخري ص/٢٤٠ ، ابن العماد - شذرات ١١٩/٢ ، ابن العبري - مختصر ص/١٤٦ ، وانظر بوون - علي بن عيسى ص/٤ .

شخصيته قد حال دون نجاحه ، فقد أطلق يد أوتامش وشاهك الخادم في بيوت الأموال ، وشاركهم أم المستعين في ذلك ، فكانت معظم الأموال تنقل إلى هؤلاء الثلاثة ، غير أن السلطة الحقيقية انتقلت إلى أوتامش الذي فرض نفسه وزيراً للخليفة ، واستبد بالأمور وأقطع لنفسه أموالاً جليلة ، « وعمد إلى ما في بيوت الأموال فاكتمسحه »^(١) . فأخذ وصيف وبغا يتآمران مع من معها من الأتراك ضده^(٢) . وفي الوقت نفسه نجحت محاولات المستعين بالله في الاستعانة بالجند الشاكرية^(٣) الذين كانوا متذمرين من استيلاء الأتراك على إدارة الدولة ، وتحكمهم في الخلفاء بقتل من أرادوا واستخلاف من أحبوا من غير ديانة ولا نظر في مصالح الأمة ، وإغرائه لهم بقتل أوتامش^(٤) . فكان ذلك إضافة إلى دسائس وصيف وبغا سبباً في ثورة الشاكرية والفراغنة وقسم كبير من الأتراك على أوتامش ومحاصرته . وقد لجأ أوتامش إلى الخليفة المستعين واستجار به ، فلم يجره ، فقتله الجند^(٥) ، وقتلوا معه كاتبه شجاع بن القاسم^(٦) ، كما نهب دورهما

(١) الطبري - تاريخ ٨٦/١١ (ط . الحسينية) .

(٢) ن . م . ٨٦/١١ ، اليعقوبي - تاريخ ٦٠٦/٢ .

(٣) لم أعثر في المصادر المتوفرة لدي على تفسير لهذه التسمية ، ولعلم إحدى الفرق العسكرية المنسوبة إلى أحد القواد كاليانسيه والموفقيه وغيرها ، ويبدو أنهم لم يكونوا من الأتراك .

(٤) ابن العبري - مختصر ص/١٤٦ .

(٥) كان ذلك في آخر ربيع الآخرة سنة ٩٠٩ هـ / ٨٦٣ م .

(٦) انظر تفصيل ذلك في الطبري - تاريخ ٨٢/١١ ، نقله ابن الأثير -

الكامل ٤٠/٧ وانظر ديوان البحري ٧٧/١ .

بموافقة المستعين الذي عم منشوراً إلى الأطراف بلعنه (١) .

ولم يحصل المستعين على ما كان يطمح إليه من استرجاع لسلطانه ، فقد حاول أن يستوزر برأيه عبد الله بن محمد بن يزيد ، فلم يرض الأتراك بذلك ، وعندما أصر الخليفة على استيزاره ، تعرض الوزير لغضب بغيا الصغير والأمراء الأتراك متذرعين بأنه ضيق عليهم الأموال ، فهرب إلى بغداد بعد أن هددوه بالقتل (٢) . « واستوزروا له أحد صنائعهم الذي بقي في الوزارة حتى خلع الخليفة (٣) . وبالإضافة إلى ذلك فقد حل (باغر) محل أوتامش ، وكان هذا قوياً شريفاً كما كان حذراً (٤) . ولما أحس بمكانه وصيف وبغا ضده ، وبتعاون المستعين معها للتخلص منه ، قام بتهيئة جماعته - وبخاصة أولئك الذين كانوا قد بايعوه على قتل المتوكل في الماضي - واستعد لقتل المستعين ووصيف وبغا ، والجميء بعلي بن المعتصم أو بابن الوائق إلى الخلافة . وقد وافق أنصاره على خطته ، وبايعوه على تنفيذها كما يذكر الطبري (٥) . وتخاذل الخليفة لدى سماعه الخبر ، وقال لوصيف وبغا : « ما طلبت إليكما أن تجعلاني خليفة ، وإنما جعلتاني وأصحابكما ،

(١) اليعقوبي - تاريخ ٦٠٦/٢ .

(٢) الطبري - تاريخ ٨٦/١١ ، ابن الطقطقي - الفخري ص/٢٤٢ .

(٣) وهو الجرجرائي ، انظر الطبري - تاريخ ١٠٢/١١ - ١٠٣ ، أما

ابن الطقطقي فيذكر في الفخري ص/٢٤٢ بأن المستعين لم يستوزر أحداً بعد ابن يزيد وإنما استكتب له كتاباً .

(٤) الطبري - تاريخ ٩٢/١١ - ٩٥ (ط . الحسينية) .

(٥) ن . م . ص / ٩٣ .

ثم تريدان أن تقتلاني^(١) ؟ » . غير أن الكتلة المؤيدة لوصيف وبغا قد نجحت في قتل باغر .

وعندما ثار أصحاب باغر وتآزم الوضع في سامراء ، اضطرت الخليفة ووصيف وبغا على الانحدار في دجلة^(٢) إلى بغداد ومعهم « جلّة العمال والكتاب وبني هاشم^(٣) » . ومع أن المسعودي يذكر بأن المستعين قد بقي « لا أمر له ، الأمر لبغا ووصيف^(٤) » ، فإن المرجح لديّ أن السبب الحقيقي الذي يكمن وراء انتقال الخليفة إلى بغداد هو رغبته في الابتعاد عن مركز تجمع الأتراك استمراراً لمحاولاته في التخلص من تسلطهم على الخلافة ، واستبدادهم في أمور الدولة الإدارية والمالية . ولا يعني اصطحاب المستعين لبعض زعماء الأتراك اعتماده عليهم بقدر ما يعني رغبته في سلب قوتهم عن طريق عزلهم عن مصدر هذه القوة^(٥) ، والاحتفاظ بهم إلى جانبه في البيئة الجديدة التي لم يكن للأتراك فيها أثر كبير^(٦) .

وقد أحس الأتراك بمرحج موقفهم بعد انتقال المستعين إلى بغداد ،

(١) ن . م . ص . ٩٤ - ٩٥ .

(٢) ابن الأثير - الكامل ٤٧/٧ ، ابن كثير - البداية ٧/١١ .

(٣) الطبري - تاريخ ٩٧/١١ .

(٤) المسعودي - مروج ٩٠/٤ .

(٥) يذكر ابن الأثير - الكامل ٤٧/٧ بأن الأتراك قد منعوا من الانحدار

إلى بغداد .

(٦) الخطيب - تاريخ ١٢٢/٢ ، ابن تغري بردي - النجوم ٣٣٢/٢ ،

ابن كثير - البداية ٧/١١ ، ابن العماد - شذرات ١٢٥/٢ ، أبو الوليد -

روضة ص ٧٥ .

إذ أن ذلك يعني خروج الخليفة عن نطاق تأثيرهم المباشر ، ويفقدون كثيراً من الإمكانيات والامتيازات التي كانت لهم ببقائه في سامراء ، فحاولوا استرجاع ما فقدوا بحكمة ، وأوفد زعماءهم إلى الخليفة وفداً من وجوه الموالي ومعهم البرد والقضيب وبعض الخزائن ومائتا ألف دينار... واعترفوا بذنوبهم وأقروا بخطأهم ، وضمنوا له أن لا يعودوا ولا غيرهم من نظرائهم إلى شيء من ذلك بما أنكره عليهم^(١) . وقد أظهر الخليفة الرضى عنهم وقبول اعتذارهم ، إلا أنه امتنع عن إجابتهم إلى العودة إلى سامراء ، ووعدهم بإرسال أرزاقهم بانتظام من بغداد^(٢) .

اضطرب الأتراك والفراغنة وغيرهم من الموالي بسامراء بعد وصول خبر رفض المستعين العودة إلى سامراء ، لأن معنى ذلك فقدانهم الدور الرئيسي في الحكم واستعادة الخلافة إلى أهالي بغداد^(٣) . وقرر زعماء الأتراك في سامراء خلع المستعين من الخلافة ، فبادروا إلى السجن وكسروه وأخرجوا المعتز والمؤيد ومن معها^(٤) ، وبايعوا المعتز بالخلافة ، بعد أن أعلنوا خلع المستعين . وركب المعتز بالله إلى دار العامة فبايعه الناس وعقد لنفسه اللواء^(٥) . وهكذا أدى تنازع الأتراك على السلطة إلى تعريض

(١) المسعودي - مروج ٩٦/٤ .

(٢) الطبري - تاريخ ٩٧/١١ - ٩٨ ، الخطيب - تاريخ بغداد ١٢٢/٢ -

١٢٣ ، ابن الأثير - الكامل ٤٩/٧ .

(٣) الدوري - دراسات ص/٦٣ .

(٤) حصل ذلك في ١٣ محرم سنة ٢٥١ هـ / ١٥ تشرين أول ٨٦٥ م .

(٥) الخطيب - تاريخ بغداد ١٢٢/٢ - ١٢٣ ، ابن الأثير - الكامل

٤٩/٧ - ٥٠ ، السيوطي - تاريخ ص/٣٥٨ ، وكان ذلك في اليوم التالي

للهجوم على السجن أي في ١٤ محرم سنة ٢٥١ هـ / ١٦ تشرين أول ٨٦٥ م .

الدولة إلى حرب أهلية مرة ثانية ، فقد تطورت الأزمة وبدأ البيت العباسي الحاكم منقسماً على نفسه ، وأصبح للعالم الإسلامي خليفتان في وقت واحد . وقد التف أهالي بغداد حول المستعين ، وأخلصوا له البيعة مدفوعين بعوامل شتى من وفاء ، ونظرة إلى قدسية الخلافة ، ورغبة في التخلص من أذى الأتراك الذين كانت لهم معهم تجربة قاسية في الماضي ، وقد يكون لنقل العاصمة إلى بغداد أثر في بلورة موقفهم .

أما المعتز ، فإنه عقد لأخيه أبي أحمد بن المتوكل على إمارة الجيش وفوض إليه أمر حرب المستعين ومن معه ، وحاصر بغداد ومطالبة أهلها بالبيعة التي كانت له في أعناقهم^(١) .

استعد أهل بغداد للحصار ، وحصنت بغداد بتقوية أسوارها وحفر الخنادق حولها ، وبثقت المياه بطسوجي الأنبار وبادوريا لعرقلة تقدم الأتراك ، وعززت الحراسة على الأبواب بالرجال والعُدَد ، وأوكل المستعين أمر الدفاع عن بغداد إلى محمد بن عبد الله بن طاهر الذي جند كثيراً من أهالي بغداد واستعان ببعض الخراسانيين الذين صادف مرورهم ببغداد في طريقهم لأداء فريضة الحج ، كما استعان بقسم من العيارين بقيادة عرفائهم ، وهياً لهم السلاح^(٢) . وأمر المستعين بقطع الميرة عن سامراء من جهتي الموصل وبغداد ، وكتب إلى ولاية الحراج في الأمصار أن يوجهوا الواردات إلى بغداد .

(١) اليعقوبي - تاريخ ٦١٠/٢ ، وقد سبق أن أشرنا إلى أن المنتصر قد خضع لتأثيرات الأتراك في إبعاد المعتز والمؤيد عن ولاية العهد ، وأن الأخيرين قد وافقا على كتابة وثيقة التنازل خوفاً على حياتهما ، انظر الطبري - تاريخ ٧٧/١١ .

(٢) الطبري - تاريخ ٩٧/١١ - ٩٨

إن هذه التطورات أدت إلى إرباك الإدارة إلى درجة كبيرة وعرضت الدولة للتفكك والانقسام وإساعة الفوضى : وساهمت إلى حد ما في إظهار الخلافة بظهور العاجز ، وأكدت أن للجيش زمام التحكم والمبادأة . فقد كتب كل من الخليفين إلى أمراء الأقاليم بدعوه لنفسه ويطلب مؤازرته بالفرق العسكرية المتوفرة لديه^(١) . وقد انحاز موسى بن بغا إلى المعتز ، وكذلك فعل عبد الله بن بغا الصغير ، بعد أن كان قد انضم إلى المستعين في بداية الأمر ، وهذا أمر يشعر الباحث بأن الأتراك في الغالب بجانب المعتز أو مستعدين للانضمام إليه ، وبدل على شعورهم بأن سيادتهم متعلقة بنتيجة هذه الحرب^(٢) . أما الحسن بن الأفشين فقد توجه إلى بغداد وانضم إلى جانب المستعين^(٣) .

تحركت قوات المعتز ، بعد أن تجمعت في سامراء^(٤) ، باتجاه بغداد حيث أحاطت بها من الجانبين وباشرت بحاصرتها^(٥) .

(١) ابن الأثير - الكامل ٤٩/٧ - ٥٠ : ابن خلدون - مقدمة ٦٠٨/٣

(٢) الدوري - دراسات ص/٦٤ (٣) ابن الأثير - الكامل ٥٠/٧

(٤) ابتدأت قوات المعتز بالحركة من سامراء يوم السبت ٢٢ محرم ٢٥١ هـ

٢٤ تشرين أول ٨٦٥ م ، وبدأ وصولها بغداد في الثامن من صفر (٩ تشرين الثاني) واستمرت حتى ربيع الأول .

(٥) تتضارب الروايات حول عدد قوات المعتز التي حاصرت بغداد . ففي

الوقت الذي يقدر الطبري قوات الجانب الشرقي بسبعة آلاف جندي ، والجانب الغربي بأثني عشر ألفاً (الطبري - تاريخ ١١٧/١١) : يورد اليعقوبي رواية مخالفة فيقدر عدد المشاركين في حصار بغداد من الأتراك والغراغنة فقط بثمانين ألفاً باستثناء المغاربة (اليعقوبي - تاريخ ٦١٠/٢) .

وقد تحملت بغداد عبء الحصار وويلاته ، وأبدى المدافعون شجاعة ومقدرة كبيرتين ، بما حقق لهم النصر في بداية الأمر . ولكن طول فترة الحصار التي استمرت أكثر من عشرة أشهر ، وما صاحبها من انقطاع الموارد الاقتصادية ، وقلة في مواد التغذية التي نجم عنها ارتفاع فاحش في الاسعار ، كل ذلك أدى إلى إضعاف معنويات جيش المستعين فارتفعت الأصوات مطالبة بالعمل على رفع الحصار وتوفير الطعام (١) .

وقد أحس محمد بن عبد الله بن طاهر بعدم جدوى الحرب ، وتقدم بطلب لإجراء المفاوضات لتقرير شروط الصلح مع قائد جيش المعتز أبي أحمد بن المتوكل . وبعد مدة قصيرة توصل الطرفان إلى اتفاق يقضي : « بأن يخلع المستعين نفسه من الخلافة على أن يبذل له خمسين الف دينار ، ويقطع له إقطاعاً بثلاثين الف دينار على أن يكون مقامه بالمدينة ، ويتردد منها إلى مكة . وأن يعطى بغا ولاية الحجاز جميعه . وبولي وصيف الجبل وما والاها (٢) » . كما تضمن الاتفاق إبقاء محمد بن عبد الله بن طاهر أميراً على بغداد ، ووضعت أسس توزيع واردات الدولة (٣) .

امتنع المستعين أول الأمر عن إقرار الاتفاق أو الإجابة إلى خلع نفسه من الخلافة ، اعتقاداً منه بأن وصيف وبغا سيقفان إلى جانبه . إلا أن الأخيرين وافقا على شروط الاتفاق ، خاصة وأنها قد خلاصا على أكثر مما كانا يتوقعان . وبذلك وُضع المستعين أمام الأمر الواقع ، وقد

(١) بلغ سعر القفيز الواحد من الحنطة (١٠٠ درم) : البيهقي - تاريخ ٦١٠/٢

(٢) الطبري - تاريخ ١١/١٣٣-١٣٤ : المسعودي - مروج ١٠٧/٤ ،

ابن الأثير - الكامل ٥٥/٧ - ٥٦

(٣) انظر عن ذلك ابن الأثير - الكامل ٥٥/٧ - ٥٧

خاطبه ابن طاهر بقوله : « لا بد لك من خلعها طائعا أو مكرها » . وقد أجاب في نهاية الأمر مضطراً^(١) .

ومع ما تحمل الناس في بغداد من ضيق وجوع الحصار ، فإنهم لم يكونوا على استعداد للموافقة على تنازل المستعين عن الخلافة . وعلى ذلك فقد أخبرهم ابن طاهر في أول الأمر ببقاء الخليفة في منصبه ، على أن يكون المعتز ولي عهده ، غير أنهم سرعان ما اكتشفوا الحقيقة ، فهجموا على داراً ابن طاهر وأحاطوا به ، وكادوا أن يقتلوه لولا تدخل المستعين^(٢) .

بعد أن كتبت شروط الاتفاق الآنف الذكر ، أمر ابن طاهر قواده بالخروج إلى المعتز بمصاحبة أبي أحمد بن المتوكل ، لكي يوقع على نسخة منه تؤكد له وإقراراً بلزوم تنفيذ ما جاء فيه . وقد وافق المعتز على بنود الاتفاق ، ووقع عليه بخطه وأشهد القواد على إقراره . ووجه معهم من يأخذ له البيعة من المستعين^(٣) . وعندما أخذت البيعة منه أمر المعتز بإبعاده إلى واسط حسب شروط الاتفاق على أن يستبرئ منها إلى مكة^(٤) . ثم صدر الأمر باستقدمه إلى سامراء^(٥) حيث كانت نهايته .

(١) الطبري - تاريخ ١٣٤/١١ - ١٣٦ ، ابن الأثير - الكامل ٥٦/٧ .

(٢) الطبري - تاريخ ١٣٦/١١ - ١٣٧ .

(٣) اليعقوبي - تاريخ ٦١٠/٢ ، ابن الأثير - الكامل ٥٥/٧ - ٥٦ ،

ابن العماد - شذرات ١٢٥/٢ ، السيوطي - تاريخ ص/٣٥٨ - ٣٥٩ .

(٤) المسعودي - مروج ١٠٧/٤ . (٥) اليعقوبي - تاريخ ٦١٠/٢ .

فقد قتل في القادسية قرب سامراء في الثالث من شوال سنة ٨٢٥٢/٨٢٦٦^(١).
 بذل المعتز بالله^(٢) جهداً كبيراً في محاولة منه للحد من استبداد
 الأتراك في شؤون الدولة^(٣). غير أن طبيعة الظروف التي أحاطت به
 عند توليه الخلافة ، وما كان للأتراك من أثر بارز في إسناده في حربه ضد
 المستعين ، وفي بيعته ، كل ذلك قد أعطى الأتراك زمام الأمر ، وحال دون
 وصول المعتز إلى غايته .

حاول المعتز أن يدعم المغاربة والفرغانيين ، الذين كانوا يكرهون
 الأتراك لاستئثارهم بالسلطة دونهم ، وأن يوجد منهم قوة مقابلة للأتراك .
 غير أن الأتراك أحسوا بالأمر واختلفوا مع الخليفة بسبب ذلك .
 والواقع أن المعتز لم يتمكن رغم محاولاته ، من التخلص من استبداد

-
- (١) الخطيب - تاريخ بغداد ٨٤/٥ - ٨٥ ، ابن قتيبة - المعارف
 ص/١٧٢ ، ابن خلدون - المقدمة ٦١٥/٣ ، ابن تغري بردي - النجوم ٣٣٤/٢ ،
 ابن الطقطقي - الفخري ص/٢٤٠ - ٢٤١ ، ابن العبري - مختصر ص ١٤٦ -
 ١٤٧ ، ابن العاد - شذرات ١٢٥/٢ ، السيوطي - تاريخ ص/٣٥٨ - ٣٥٩ .
 (٢) وهو محمد بن جعفر المتوكل (وقيل الزبير) . توحدت الدولة تحت
 خلافته بعد توقيع المستعين على التنازل ، انظر عنه ابن قتيبة - المعارف
 ص/١٧٢ ، المقدمي - البدء ١٢٣/٦ ، وكذلك الخطيب - تاريخ بغداد ١٢١/٢
 ، ابن كثير - البداية ١٠/١١ .

(٣) انصهت هذه المحاولة على نظرة الخليفة إلى نفسه إذ كان يردد :

توحدني الرحمن بالعز والملا وأصبحت فوق العالمين أميراً

أنظر الاصفهاني - الأغاني ٣٢٢/٩ (ط دار الكتب) .

الأتراك (١) فقد كان بايكباك (زعيم الأتراك) هو الغالب على الأمور ، يساعده في ذلك الحسن بن مخلد بن الجراح وأبونوح عيسى بن إبراهيم (٢) .

أما وصيف وبغا فقد استبدا برأيها مستندين إلى قوة أتباعها من الأتراك وقد ضيق الأون على الخليفة (٣) حتى إنه قبض على حاشية المعتز بحضوره ، ورفض إطلاق سراهم عندما سأله الخليفة ذلك . أما الثاني فقد كان طاغية متمردا ، غالباً ما يتجاوز في سلوكه مع الخليفة حدود اللياقة والأدب ، وكان الخليفة يتوجس منه خيفة ، حتى إنه كان يردد لمن يتق بهم من حاشيته قوله : « والله لا أستلذ بحياة ما بقي بغا » . كما إنه وهب من قتله بعد ذلك عشرة آلاف دينار (٤) . وقد انعكس حقد المعتز على الأتراك في أمره بجرق جمثة بغا ومصادرة أمواله وإدراوات أملاكه (٥) .

لقد أحس الأتراك بالخطر نتيجة إقدام المعتز على قتل رؤسائهم ، وبذله المحاولات للتخلص منهم ، واعتماده على المغاربة والفراغنة دونهم . وبما زاد الأمر تعقيداً ، خلوت الخزينة من المال ، حتى إن الخليفة لم

(١) أورد صاحب الفخري (ص/٢٤٣) قصة عن أحد المنجمين ، ادعى معرفته بالزمن الذي سيحكمه المعتز بالله . و - ما سئل عن ذلك أجاب ساخراً بأنه سيبقى طالما أراد الأتراك ، مما أثار ضحك الحاشية ، وكانت قصته مادة للاستهزاء والتندر ، وهي تعكس مدى ما وصلت إليه الخلافة من الانحطاط بسبب سيطرة الأتراك .

(٢) اليعقوبي - تاريخ ٦١٦/٢ .

(٣) ابن قفري بردي - النجوم ٢٢/٣ .

(٤) الذهبي - العبر ٦-٥/٢ .

(٥) ابن كثير - البداية ١٤/١١ ، أبو الوليد - روضة ص/٧٦ .

يتمكن من دفع الرواتب بصورة منظمة . ولذلك فقد استقر رأيهم على خلعه (١) . وقبل ذلك ، فإن المعتز كان يقدر أن علاقته بالأتراك ستوتر ولهذا فإنه أقدم على خلع أخيه المؤيد من ولاية العهد وسجنه ، وبعد أن بلغته بعض الوشائات عن احتمال إخراج الأتراك له من السجن وتولية الخلافة ، أمر بقتله (٢) ، كما حبس أخاه أبا أحمد ، ثم نفاه إلى البصرة ، وكذلك نفى علي بن المعتصم إلى واسط (٣) ومحمد بن الواثق إلى بغداد (٤) . ومن المحتمل أن يكون لتصرفه هذا علاقة برغبته في تولية ابنه عبد الله ، وقد ورد ما يؤيد ذلك ، إذ أن المعتز أمر بضرب اسم ابنه على الدنانير ، كما نظم البحري قصيدة في مدح المعتز طلب فيها منه تولية ابنه العهد بعده (٥) . ويبدو أن الفرصة لم تسنح للمعتز لتنفيذ هذه الرغبة ، فقد استغل الأتراك الظروف واتفقوا مع المغاربة والفراغنة على الشغب مطالبين بأرزاقهم المتأخرة ، فاستعان المعتز بأمه - وكانت تملك أموالاً كثيرة - فأنكرت وجود الأموال عندها . وعندما عجز عن توفير الأموال ، دخل عليه جماعة من الأتراك وهو في مجلسه ، فسحبوه من رجله إلى باب المجلس ودهضوه بالدبابيس وخرقوا قميصه ، وأقاموه في الشمس ، فكان يرفع رجلاً ويضع أخرى لشدة الحر ، وكان بعضهم يلمطه وهو يتقي يده ، ثم

(١) ابن كثير - البداية ١١/١١ ، ابن العبري - مختصر ١٤٦/١ ، وكذلك ابن الأثير - الكامل ٦٠٧-٦٤ ، ابن تغري بردي - النجوم ٣٣٥/٢ .

(٢) المسعودي - مروج ١١٨/٤ ، ١٢٠ .

(٣) وكان ذلك في نهاية سنة ٢٥٣ ٨/٨٦٧ م .

(٤) المسعودي - مروج ١٢٥/٤ .

(٥) الصولي - أخبار البحري ص/١٠٧ .

أدخلوه حجرة ، وأحضروا القاضي وجماعة شهدوا على تنازله عن الخلافة بعد أن آمنوه على نفسه وماله وولده ، غير أنهم لم يفوا بذلك ، فقد سجنوه إلى أن مات (١) .

أحضر الأتراك محمد بن الواثق (المهتدي بالله) من بغداد (٢) لمبايعته على الخلافة . وقد وردتنا روايتان متضاربتان عن ذلك أولاهما : ما أورده المسعودي ، والتي ذكر فيها أن محمد بن الواثق رفض قبول البيعة ، أو الجلوس على سرير الملك حتى يرى المعتز ، ويسمع بنفسه تنازله عن الخلافة بعد إقراره بالعجز (٣) . أما الرواية الثانية فهي : ما أورده ابن الأثير والتي قال فيها : « ولم يقبل بيعته أحده فآتي بالمعتز ، وخلع نفسه ، وأقر بالعجز عما أسند إليه ، وبالرغبة في تسليمها إلى ابن الواثق ، فبايعه الخاصة والعامة (٤) » ، وربما يعكس إصرار المهتدي على سماع تنازل عمه المعتز ، ورغبته في عدم اختراق حدود الشرع الاسلامي في قبول البيعة على الخلافة مع وجود خليفة شرعي ، له في رقاب الناس بيعة تلزمهم بطاعته ، ومن المحتمل أن يشير ذلك إلى رغبة الخليفة في الابتداء بالعمل من بداية صحيحة ،

(١) المسعودي - مروج ١٧٨/٤ . الطبري - تاريخ ١٦٠/١١ - ١٦٢
المقدسي - البدء ١٢٣/٦ . ابن قتيبة - المعارف ص/١٧٢ . ابن الأثير - الكامل
٦٨/٧ . ابن كثير - البداية ١٦/١١ . ابن الطقطقي - الفخري ص/٢٤٣ .
ابن قفري بردي - النجوم ٣٢/٣ . ابن العماد - شذرات ١٣٠/٢ . ابن العبري -
مختصر ص/١٤٧ . السيوطي - تاريخ ص/٣٦٠

(٢) وكان المعتز قد نفاه إليها كما ذكرنا ، انظر المسعودي - مروج ١٢٥/٤

(٣) المسعودي - مروج ١٨٧/٤ (٤) ابن الأثير - الكامل ٧٠/٧

في محاولة منه كما حاول المنتصر والمستعين والمعتر قبله - للحد من سيطرة الأتراك وتسلطهم على الخلافة ، فلم يرد أن يجعل الأتراك فضلاً في الوصول به إلى الخلافة . ولعل ذلك ما دفع موسى بن بغا ، الذي كان في خراسان ، لمحاربة مساور الشاري ، إلى عدم الاعتراف بخلافة المهدي (١) . ولعل في إلقاء نظرة سريعة إلى ما قام به المهدي من أعمال - على قصر الفترة التي حكم فيها - كاف لتوضيح سلوكه في هذا الاتجاه .

كان المهدي حازماً ، حسن السيرة ، شديداً في الحق ، بدأ عهده بغفائة طيبة ؛ إذ أمر بإخراج القيان والمغنين من دار الخلافة ونفيم (٣) ، وأمر بقتل السباع التي كانت ملحقة بالدار ، وبطرد كلاب الصيد . وهذا يعني رغبته في إبعاد كل ما يشغله عن التفرغ لمباشرة اختصاصاته ، والارتقاء إلى مستوى الأحداث التي تمر بها الدولة . وقد ألزم نفسه بالجلوس للعامة ، وسماع ظلمات المظلومين والإجابة عنها ، كما كان شديد الإشراف على أمر الدواوين حيث كان يجلس للنظر في تصريف أمورها .

لم يشغل المهدي انصرافه لتمشية شؤون الدولة ، عن خطر الأتراك ،

(١) المسعودي - مروج ١٧٨/٤ ، ١٧٩ .

(٢) الخطيب - تاريخ بغداد ٣/٣٤٧ - ٣٤٨ . ابن الطقطقي - الفخري ص/٢٤٦ ، ٢٤٧ .

(٣) الطبري - تاريخ ١١/١٧١ . المسعودي - مروج ٤/١٢٤ ، ١٣٠ ، ١٣١ . ابن الأثير - الكامل ٧/٧١ ، ولا شك أن هذه الاجراءات قد أرضت العامة وزادت من حماستهم له .

وقد سلك معهم سياسة ذات حدين ، فهو من جهة بدأ بتقوية (الأبناء^(١)) للاعتماد عليهم كقوة مقابلة للأتراك يحفظ عن طريقها التوازن معهم ، وتقرب من العامة والعلماء من رجال الدين وجمعهم حوله^(٢) . وهو من جهة أخرى حاول توسيع شقة الخلاف بين الأتراك وضرب بعضهم ببعض . فقد كاتب بايكباج ، وهو من قواد الأتراك الطموحين ، وأغراه بقتل موسى بن بغا ومفلح وغيرهما من زعماء الأتراك ، وأن يكون هو الأمير عليهم ، غير أن هذا القائد أحس بما ينطوي عليه ذلك من إضعاف لقوة الأتراك ، وشعر بضرورة الوقوف مع جماعته متحدين بوجه الخليفة . وبذلك أخذت علاقتهم بالخليفة تتخذ طابع العداء العلني ، فأظهروا الطعن عليه . وقد قابل الخليفة تصرفهم هذا بكل شدة وحزم ؛ إذ أحضر جماعة منهم وفيهم بايكباج فضرب أعناقهم ، وبلغ الخليفة أن الأتراك قد تشاوروا على خلعه وقتله^(٣) ، فخرج إلى الناس واستدعى موسى بن بغا وأصحابه وخاطبهم بقوله : « قد بلغني ما تم لأتم عليه من أمري ، وإني والله ما خرجت إليكم إلا وأنا متحفظ ، وقد أوصيت أخي بولدي ، وهذا سيفي ، والله لأضربن به ما استمسك قائمه في يدي ، والله لئن سقط من شعري شعرة ليهلكن

(١) الأبناء : اطلق هذا الاسم على الجيل الثاني من أبناء الفرس الذين امتزجوا بالعرب في اليمن قبيل ظهور الاسلام . ولم أجد ما يوضح هذه التسمية في هذه الفترة . ولعلمهم احدى فرق الجيش العباسي الذين يرجعون إلى أصل فارسي . بدليل انهم استخدموا كقوة مقابلة للأتراك . انظر الدوري - بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ص/١٠٤

(٢) المسعودي - مروج - ١٢٠/٤ (٣) اليعقوبي - تاريخ ٦١٩/٢ .

بدلها منكم ، أو ليذهب بها أكثركم . أما دين ؟ أما حياء ؟ أما تستحيون ؟
 كم هذا الإقدام على الخلفاء والجرأة على الله عز وجل وأنتم لا تبصرون (١) .
 ورغم اعتذار الأتراك وإنكارهم ، فإنهم استمروا في تأمرهم على حياته ،
 فوأي ضرورة وضع نهاية لتأديهم ، فاستنفر العامة ، وخرج من دار الخلافة
 معلّقاً المصحف في عنقه شاهراً سيفه ، فأباح دماء الأتراك وأموالهم ، ونادى
 في تلك الساعة الحرجة « أنا أمير المؤمنين ! قاتلوا عن خليفتم » ،
 و« يا معشر الناس أنصروا خليفتم (٢) » . غير أن عدم انتظام العامة
 وخوفهم من قوة الأتراك الذين تجمعوا لدرء الخطر عن أنفسهم ، أدى
 إلى تفرقهم عن الخليفة الذي سقط مشخناً بجراحه ، حيث حمله الأتراك
 وحاولوا أن يجبروه على خلع نفسه من الخلافة فأبى ، ومع ذلك فإنهم
 أعلنوا خاعه (٣) ، واجتمعت كلمتهم على مبايعة أحمد بن المتوكل على الله
 (المعتمد على الله) . وهكذا ذهب المهتدي بالله ضحية محاولته لإبعاد
 الأتراك عن مجال التحكم والسيطرة على الخلافة (٤) ، بعد أن بذل ما أمكنه
 من جهد في سبيل ذلك الهدف .

إن محاولات الخلفاء المتكررة هذه ، والتي أودت بحياتهم بالتتابع ،

(١) ابن كثير - البداية ٢١/١١ .

(٢) الطبري - تاريخ ٢٠٤/١١ - ٢٠٦ (ط . الحسينية) .

(٣) الطبري - تاريخ ٢٠٣/١١ - ٢٠٤ ، وكان خلعها في يوم ١٤

رجب ٢٥٦ هـ / ٨٧٠ م . وكانت وفاته بعد أربعة أيام أي في ١٨ رجب ،
 أما اليعقوبي فيذكر أن وفاته قد وقعت في ١٦ رجب - انظر اليعقوبي -
 تاريخ ٧١٩/٢ - ٦٢٠ .

(٤) الطبري - تاريخ ٢٠٤/١١ (ط . الحسينية) .

تدل دلالة قاطعة على أن اليأس لم يتطرق إلى همم الخلفاء ، وأن هناك تمسكاً واقعياً لطبيعة الظروف الحرجة والخطرة التي تمر بها الدولة في هذه الفترة التي يمكن أن نصفها بأنها فترة امتحان عنيف لمدى رسوخ الدولة العباسية وصلابتها ، ومدى تمكنها من نفوس الناس وتعلقهم بها .

لقد اجتازت الدولة هذا الامتحان العسير ، وعلى الرغم مما قدمت من ضحايا في الخلفاء ، فإنها أثبتت حيوية ومقدرة في توقي الصدمات ، وخرجت من فترة فوضى الأتراك هذه وهي أشد صلابة وأقوى مُعوذاً بفضل رسوخ دعوتها بين الناس ، فتمكنت من المحافظة على كيائها وشق طريقها رغم كل الصعوبات التي جابهتها .

٢ - فترة الاستقرار والهدوء النسبي :

كادت فترة الفوضى تنتهي بانتصار الأتراك . وأوشكت سلطة الخلفاء على الانهيار النهائي وسط تلك الفوضى ، غير أن قادة الأتراك توقفوا عن إثارة الاضطرابات بعد تولي المعتمد الخلافة . ويرى بوون (Bowen) أن السبب في ذلك يرجع إلى أن اختيار المعتمد للخلافة قد جرى حسب رأي موسى بن بقاء ، الذي لم يكن بين قادة الأتراك من يساويه في القوة ، ولما كان الخليفة صنيعته فلم تعد بعد ذلك أية مناسبة للصراع في البلاط (١) ، وبالإضافة إلى ذلك ، فقد أثرت على الأتراك جملة عوامل منها الانقسام الداخلي في صفوفهم ، كما أنهم شغلوا مع بقية الجند بمحركات العصيان التي حدثت في جهات متعددة من الدولة ، وهي حركات قامت تحت رايات علوية (٢) . كما إن قيام صاحب الزنج بالثورة في القسم الجنوبي

(١) بوون - علي بن عيسى ص/٥ . (٢) بوون - علي بن عيسى ص/٥

من العراق^(١)، وتعاون بعض أهل قرى البصرة معه^(٢)، وانضمام الجنود السود إليه^(٣)، والانتصارات المتوالية التي أحرزها، كل ذلك قد جعل الأتراك يحسون بخطورة الموقف، وأدى إلى انقيادهم إلى أبي أحمد الموفق القائد القدير والسياسي الحنك^(٤)، الذي تمكن من توجيه الجند إلى ما فيه مصلحة الخلافة، بعد أن كانوا عامل ضعف وإرباك لها.

تشمل هذه الفترة عهود ثلاثة من الخلفاء هم المعتمد والمعتضد والمكتفي (٢٥٦ - ٢٩٥ / ٨٦٩ - ٩٠٧ م). وهي تمثل فترة انتعاش واستقرار لمؤسسة الخلافة، تمكن فيها الخلفاء من إقصاء تدخل الجند في إدارة الدولة إلى حد كبير، مع أن جزءاً كبيراً من هذه الفترة قد أمضوها في جهاد مستمر بوجه خطر ثورة الزنج التي هددت كيان الدولة بالزوال.

لقد حصر نشاط الجيش في نطاق درء الخطر الذي استشرى في جنوب العراق بالدرجة الأولى، وبصفة خاصة منذ تولي المعتمد^(٥) الخلافة حتى مقتل صاحب الزنج^(٦).

-
- (١) يعتبر يوم الاثنين ٢٦ رمضان ٨٢٥٥ / ٦ ايلول ٨٦٩ م، تاريخ ابتداء تمرد صاحب الزنج. انظر الطبري - تاريخ ١٧٦/١١، ١٧٧.
- (٢) الطبري - تاريخ ١٨٠/١١، ١٨١ (ط. الحسينية).
- (٣) الدوري - دراسات ص/ ٧٣ (٤) ن ٢٠٠ ص/ ١٨٧.
- (٥) بوبع بالخلافة في اليوم الذي خلع فيه المهدي^١: الثلاثاء ١٦ رجب ٢٥٦ / ٨٧٠ م، انظر المسعودي - مروج ١٩٨/٤ : يعقوبي - تاريخ ٦١٩/٢.
- الخطيب - تاريخ بغداد ٦٢/٤ : ابن قتيبة - المعارف ص/ ١٧٢.
- (٦) المسعودي - مروج ٣، ٤٦٠ / ١٩٥ : القرماني - أخبار ٨٣/٢، ٨٤.

وبالامكان تقسيم حرب الزنج إلى فترتين ؛ حقق الزنج في الفترة الأولى انتصارات متوالية على جيوش الخلافة ، وساعدهم في ذلك اضطراب شؤون الخلافة العباسية وقلة خبرة جيوشها وضعف قيادتها . وتبدأ الفترة الثانية سنة ٢٦١هـ / ٨٧٤م أي : بعد تعيين أبي أحمد الموفق للمرة الثانية لضرب تلك الحركة^(١) . والواقع أن السلطة الحقيقية في الدولة قد انتقلت الى الموفق الذي أظهر من المقدرة والكفاءة والمثابرة ما مكنه من استرجاع هبة الخلافة وسلطتها في المقاطعات المركزية على الأقل^(٢) . وفي السنة التالية لاستلام الموفق قيادة الجيش ، انشغل بمخطر جديد إضافة إلى ثورة الزنج ؛ وهو خطر الصفاريين . فقد وطد يعقوب بن الليث نفوذه في سجستان ، وأخضع الخوارج ، ونشر الأمن والسلام في البلاد لضمان المواصلات والاستقرار ، وفي سنة ٢٥٣هـ / ٨٦٧م فتح هيراة وبوشنج ، وفي سنة ٢٥٦هـ / ٨٦٩م استولى على كرمان ، وفي سنة ٢٥٧هـ / ٨٧١م أرسل وفداً إلى الخليفة مع بعض الهدايا للمفاوضة على بعض الولايات . وكان الموفق يود تشجيع يعقوب للتوسع إلى ناحية الشرق مستهدفاً إبعاده عن جواره ؛ غير أن نوابا يعقوب بن الليث التوسعية لم تقتصر على ذلك ، فعندما لاحظ ضعف الطاهريين فتح خراسان سنة ٢٦٠هـ / ٨٧٣م وأمر محمد بن طاهر . كما حاول فتح طبرستان^(٣) .

(١) الدوري - دراسات ص/ ٨٤

(٢) ن . م . ص / ٨٨ : بوون - علي بن عيسى ص / ٩ ، ١٠

(٣) الدوري - دراسات ص / ١١٣ ، ١١٥

(٤) الطبري - تاريخ ٢٣٦/١١

في سنة ٨٢٦٠ / ٨٧٤ م تازمت علاقة الخلافة بالصفاريين ، تحت تأثير نوابهم التوسعية من جهة وقوة نفوذ الطاهريين في بغداد من جهة ثانية . وقد أصدر الخليفة في هذه السنة منشوراً أعلن فيه بأن يعقوب بن الليث مغتصب وخارج على الدولة (١) .

وقد قابل يعقوب ذلك المنشور بالاستيلاء على فارس سنة ٨٢٦١ / ٨٧٥ م ثم تقدم الى الأهواز متجهاً إلى بغداد في الوقت الذي كانت أكثر جيوش الخلافة مشغولة في حربها ضد الزنج (٢) .

حاول الموفق تهدئة العلاقات المتأزمة بأن دعا تجار الولايات الشرقية وتلا عليهم عهد تولية يعقوب بن الليث على خراسان وطبرستان وجرجان والري وفارس وشرطة بغداد . وأرسل إليه سفارة (٣) . غير أن يعقوب ركب رأسه بعد أن فقد كل احترام للخليفة ، وأجاب بغطرسة بأنه سيقدر في بغداد نفسها ما يريد (٤) .

تعلق مصير الخلافة العباسية بقابليتها على اجتياز هذه الفترة الحرجة واضطر الموفق ، أمام الخطر الداهم الجديد إلى أن يسرع بالعودة إلى بغداد ، بعد أن أستد قيادة الجيش الواقف بوجه الزنج إلى أبي مسرور البلخي . وتقدم يعقوب في منطقة ميسان ، حيث التقى بجيش الخلافة بقيادة أبي أحمد الموفق عند دير العاقول (٥) ، وعندما تازمت الحالة أصرع

(١) الطبري تاريخ ٢٣٦/١١ . (٢) بوون - علي بن عيسى ص/٩ .

(٣) الطبري - تاريخ ٢٢٧/١١ .

(٤) ن . . . ٢٣٨/١١ ، وانظر الدوري - دراسات ص/٩١، ١١٥ .

(٥) علي بعد خمسين ميل من بغداد بين واسط وبغداد ، وقد حصل

التصادم يوم الأحد ٢١ رجب سنة ٢٠٢ ٨/٥ نيسان سنة ٨٧٦ م .

أبو مسرور البلخي لنجدة جيش الخليفة . أخيراً تم النصر للموفق وجيشه ، ومني يعقوب بن الليث بالفشل (١) . وقد حاول الموفق بعد ذلك التفاهم معه للتعاون في القضاء على خطر الزنج ، ولكن يعقوب رفض ذلك ، وانسحب إلى جنديسابور حيث ثبت سلطانه في جنوب إيران فقط (٢) .

تحسن وضع الموفق بعد سنة ٢٦٥ هـ / ٨٧٩ م ، إذ توفي يعقوب بن الليث وجنح خلفه عمرو إلى السلم مراعاة للظروف ، وتم الصلح بعد أن بذل الموفق في سبيل ذلك جهوداً كبيرة (٣) . وعند ذلك تفرغ للقضاء على ثورة الزنج التي استفحلت نتيجة انشغال جيش الخلافة في حربه ضد يعقوب ، فتوسعوا حتى دخلوا واسط وأحرقوها (٤) ، وتقدموا بعد ذلك حتى أصبحوا على مسافة قريبة من بغداد (٥) .

تفرغ الموفق لحرب الزنج ، فحشد جيوشه ، وركز قواه لضربهم الضربة القاضية ، كما أن خبرته بحرب الزنج ، والتجارب التي استفادها من فشل الجيوش العباسية المتكررة جعلته أكثر خبرة من تقدمه مجرمهم (٦) . فأدرك ضرورة التأييد والترويح . فبنى المعسكرات ، وأمن طرق المواصلات ، ونجح في ضمان استمرار التموين (٧) ، وأحكم الحصار الاقتصادي على الزنج (٨) .

(١) الطبري - تاريخ ٢٣٦/١١ - ٢٣٨ ، ابن الجوزي - المنتظم ج ٥ ق ٣٣/٢ .

(٢) الدوري - دراسات ص/ ١١٥ . (٣) ابن الجوزي - المنتظم ٤٥/٥ .

(٤) الطبري - تاريخ ٢٥٤/١١ . (٥) الطبري ٢٥٣/١١ - ٢٥٤ .

(٦) الدوري - دراسات ص/ ٩٢ . (٧) الطبري - تاريخ ٢٧٨/١١ - ٢٧٩ .

(٨) ن . ٢ . ٢٨٠/١١ - ٢٩١ .

وبعد جهاد عنيف مستمر تمكن الموفق في (٢ صفر ٢٧٠ ١١/هـ آب ٨٨٣ م) من تحطيم قوة آخر فلول الزنج (١) . وأصدر منشوراً عاماً إلى العالم الإسلامي أعلن فيه القضاء على الزنج ، وطلب إلى أهل السواد والأهواز العودة إلى أراضيهم (٢) .

إن الفضل في اندحار هاتين الحركتين العارمتين (٣) ، والقضاء على المخاطر التي هددت الخلافة العباسية يرجع بصورة رئيسية إلى شخصية الموفق القائد المحنك والسياسي القدير ، الذي أشركه المعتمد معه في الحكم في أول الأمر . والذي تمكن بعد ذلك من استقطاب مقاليد السلطة بيده ، فسيطر على تعيينات الموظفين ، ووجه سياسة الدولة حسب رأيه (٤) . وقد تمكن من أن يزيح أخاه المعتمد تدريجياً عن أغلب المسؤوليات . والواقع أن المعتمد كان ضعيف الشخصية شغل نفسه بالترف واللهو . وقد وصفه صاحب الفخري بقوله : « ولقد كان مستضعفاً ، وكان وأخوه الموفق طلحة كالثريكين في الخلافة ، المعتمد الخطبة والسكة والتسمي بإمرة المؤمنين ، ولأخيه طلحة الأمر والنهي ، وقود العساكر ، ومحاربة الأعداء ، ومرابطة الثغور ، وترتيب الأمراء والوزراء ... وكان المعتمد مشغولاً عن ذلك بلذاته (٥) » .

ويبدو أن الموفق قد أشرك في الدعاء مع المعتمد بعد خطبة الجمعة

(١) ن . م . ١١ / ٣٢٢ - ٣٢٦ .

(٢) ثبت الطبري هذا المنشور في تاريخه ١١ / ٣٢٦ .

(٣) ثورة الزنج ، وخطر يعقوب بن الليث الصفار .

(٤) بوون - علي بن عيسى ص / ٩ - ١٠ .

(٥) ابن الحلقطي - الفخري ص / ٢٥٠ .

والعبدن في المساجد الجامعة ، إذ كان الخطباء يقولون بعد الانتهاء من الدعاء للمعتمد : « اللهم أصلح الأمير الناصر لدين الله أبا أحمد الموفق ولي عهد المسلمين ، أخا أمير المؤمنين ^(١) » .

إن أهم فشل تعرض له الموفق ، هو في سياسته مع ابن طولون الذي عين منذ سنة ٢٥٢ هـ / ٨٦٦ م والياً على مصر بالنيابة ، والذي تمكن من تقوية مركزه بمساعدة في البيعة الجديدة ^(٢) . وقد فشل الموفق في إخضاعه بالقوة ^(٣) . بل كانت النتيجة أن ضم ابن طولون سوريا إلى مصر بعد وفاة أميرها سنة ٢٦٤ هـ / ٨٧٧ م .

وأخيراً اكتشف الموفق أن ابن طولون قد اتفق مع المعتمد ، بعد أن أحس بتدمره من سيطرة أخيه ^(٤) ، على أن يغادر الخليفة العراق وينضم إلى ابن طولون في دمشق ^(٥) . ومنذ ذلك الوقت انسلخت مصر وسورية عن جسم الدولة العباسية . واستمرت كذلك حتى سنة ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م ، حين قدم خاروبه ولاءه للخليفة المعتضد بالله ^(٦) .

(١) الخطيب - تاريخ بغداد ١٢٧/٢ .

(٢) بوون - علي بن عيسى ص/١٠ .

(٣) الكندي - الولاة ص/٢١٨ .

(٤) ابن الأثير - الكامل ١٦٣/٧ ، ابن العبري - مختصر ص/١٤٨ - ١٤٩ .

(٥) وقد رحل المعتمد عن سامراء متجهاً إلى سورية ، فلما وصل حديثه

رده إسحاق بن كنداج وكتب إلى الموفق بذلك . انظر المسعودي - روج ٢١١/٤ .

(٦) الكندي - الولاة ص/٢٣٨ ، ابن قفري بردي - النجوم ٢٧/٣ ،

٥١ ، وانظر بوون - علي بن عيسى ص/١٠ وستعرض هذا الموضوع بالتفصيل

عند حديثنا عن المعتضد بالله .

ومن دلائل حنكة الموفق ، أنه لم يتوان عن تأديب ابنه أحمد عندما بدرت منه ملامح التمرد على أوامره . فقد أمره أن يسير إلى بعض المناطق ، غير أن الأخير رفض تنفيذ أمر والده ، وأصر على التوجه إلى الشام ، مبرراً ذلك بأنها : « الولاية التي ولاه فيها أمير المؤمنين » . والواقع أنه كان يعتمد على قوة الجند والقادة الذين كانوا تحت إمرته . وكان رد فعل الموفق أن فرض عليه الإقامة الإيجابية في مسكنه ، وعندما أظهر القواد والجند من أصحاب ابنه التذمر ، وتجمعوا في الميدان بسلاحهم اضطرب أهل بغداد لرؤية الجند والسلاح ، وأظهر الموفق حكمة وسياسة في مجابهة الموقف . فقد ركب بنفسه إلى الميدان ، وعاتبهم بقوله : « أترون أنكم أسفق مني على ولدي وقد احتجت إلى تقويته (١) ؟ ! » . وبذلك هدأت العاصفة وسكن الجند وابتعد شبح الانقسام والتصادم . والواقع أن إدارة الدولة قد جرت وفق مشيئة الموفق ، ودون تأثير بارز للأتراك ، كما لاحظنا في فترة الفوضى ، فلم يكن باستطاعة أحد من القواد أن ينافسه سوى موسى بن بغا الذي لم يعترض على تسلط الموفق كما يبدو ، بل قام بخدمته طول حياته بولاء وإخلاص (٢) .

أما عن ولاية العهد ، فقد عهد المعتد بالخلافة بعده إلى ابنه جعفر المفض ، ثم إلى أخيه أبي أحمد الموفق (٣) . وبعد أن توفي الموفق (٤)

(١) الطبري - تاريخ ٣ ق ٢١١٥/٤ (ط . لايدن) ابن الأثير - الكامل ١٥٦/٧

(٢) بوون - علي بن عيسى ص/١٠ : الدوري - دراسات ص/١٨٧

(٣) المسعودي - مروج ٤/٢١١ : ابن الجوزي - المنتظم ٥ ق ٢٦/٢

(٤) وكانت وفاته يوم الأربعاء ٢٢ صفر ٢٧٨ هـ / ٨٩١ م ، انظر الطبري ٣ ق

٤/٢١٢٣ ، الخطيب - تاريخ بغداد ٢/١٢٧ : ابن الأثير - الكامل ٧/١٥٨ : ابن كثير -

البداية ١١/٦٣ . ابن تغري بردي - النجوم ٣/٧٩ : الكندي - الولاة ص/٢٤٠ .

وانتقل المعتمد الى بغداد ، أحس بأثر لتدخل الجيش في مسألة ولاية العهد ؛ فقد اجتمع القواد وأمراء الجيش على أخذ البيعة لأبي العباس أحمد ابن الموفق ، فبايع الخليفة المعتمد له بولاية العهد بعد ولده المفوض ، كما كان أبوه ، وأمر بأن يلقب بالمعتضد بالله^(١) ، وأن يخاطب له على المنابر ، وجعل له ما كان لأبيه من الولاية والعزل والتصرف^(٢) ، غير أن ذلك لم يرض طموح أحمد بن الموفق ، الذي كان يطمع في إزاحة جعفر المفوض عن طريقه من ولاية العهد ، لكي يتولى الخلافة بعد المعتمد مباشرة . وقد عمل في الأشهر التالية لوفاة والده على تحقيق هذا الهدف ، وساعده في ذلك قادة الجيش الذين أخلصوا له ، حتى أصبح صاحب الكلمة العليا في الدولة ، فأجبر عمه المعتمد على خلع ولده جعفر من ولاية العهد^(٣) . وأشهد القواد والقضاة ووجوه الناس على أن المفوض قد تبرأ من العهد . وأسقط اسمه من السكة والحطبة والطرارز وغير ذلك من شارات الخلافة^(٤) وهكذا تحقق لأبي العباس بن الموفق ما يصبوا إليه . ففي ٢١ محرم ٢٧٩ هـ ٢٥ نيسان ٨٩٢ م بوبع بولاية العهد بعد عمه المعتمد ، إذ ه أنفذت الكتب إلى العمال بأن أمير المؤمنين قد ولاه العهد ، وجعل إليه ما كان

(١) الطبري - تاريخ ٣ ق ٤ / ٢١٢٣ (ط . لايدن) .

(٢) الطبري - تاريخ ٣ ق ٤ / ٢١٢٣ : المسعودي - مروج ٤ / ٢١١ : المقدمي -

البده ٦ / ١٢٥ . الكندي - الولاة ص / ٢٤٠ . ابن قفري بردي - النجوم ٣ / ٧٩

ابن العبري - مختصر ص / ١٤٨ : ابن كثير - البداية ١ / ٦٣ : الذهبي ٢ / ٥٩

(٣) الطبري - تاريخ ٣ ق ٤ / ٢١٢٣ (لايدن) ابن الأثير - الكامل ٧ / ١٦٢ :

الذهبي - العبر ٢ / ٦٠ : ابن العماد - شذرات ٢ / ١٢٧

(٤) الطبري - تاريخ ٣ ق ٤ / ٢١٣١ : ابن الأثير - الكامل ٧ / ١٦٢ ، ١٦٣

الموفق يليه من الأمر والنهي والعزل والولاية^(١) ، . والواقع أن السلطان
الفعلي في الدولة قد انتقل بعد وفاة الموفق إلى ابنه أبي العباس^(٢) ، وان
كان المعتمد لم يستمر طويلاً ، فقد توفي بعد ذلك بستة أشهر تقريباً^(٣) .

أتم المعتضد ما بدأ به والده في تقوية كيان الدولة العباسية^(٤) ،
ففضى على الاضطرابات الداخلية ، إذ كانت أيامه « أيام فتوق وخوارج
كثيرين^(٥) » . ففي سنة ٢٨٠هـ / ٨٩٣م قاد المعتضد جيشاً لقمع عصيان
بني شيبان ، وقد نجح في إرهابهم ، « فالتسوا منه الصفع ، وبدلوا له

(١) ابن الجوزي - المنتظم ٥ ق ١٢٢/٢ : وانظر ابن كثير - البداية ١١/٦٤ .

(٢) الدوري - دراسات ص/١٨٨ .

(٣) توفي المعتمد على الله يوم الاحد ١٩ رجب ٢٧٩هـ / ٨٩٢م : انظر

الطبري - تاريخ ٣ ق ٤/٢١٣٣ : المقدسي - البدء ٦/١٢٥ ، ابن الجوزي - المنتظم

٥ ق ٢/١٣٩٩ : ابن الأثير - الكامل ٧/١٦٣ . ابن الطقطقي - الفخري ص/٢٥٠

ابن كثير - البداية ١١/٦٥ : الذهبي - العبر ٢/٦١ . وخوفاً من حدوث أية شكوك فقد

احضر المعتضد القضاة وأعيان الناس ليتأكدوا من أن وفاة عمه كانت طبيعية . ثم أمر

بجمله إلى سامراء حيث دفن هناك انظر ابن الأثير - الكامل ٧/١٦٣ .

(٤) المسعودي - مروج ٤/٢٣١ ، ابن تغري بردي - النجوم ٣/٨٠ ،

ابن الطقطقي - الفخري ص/٢٥٦ . وقد وصف السيوطي (تاريخ ص/٣٦٨-٣٦٩)

أيامه بأنها « كثيرة الأمن والرخاء . وكان يسمى بالسفاح الثاني لأنه جدد ملك بني العباس

وكان قد كاد يزول » . ولعل ذلك ما عناء ابن الرومي بقوله :

هنيئاً بني العباس إن إمامكم إمام الهدى والباس والجود أجد

كما بأبي العباس أنشئ ملككم كذا بأبي العباس أيضاً يجدد

انظر ديوان ابن الرومي ١/١٩٧ .

(٥) ابن الطقطقي الفخري ص/١٥٦ .

الرهائن^(١) . وفي السنة التالية سار إلى ناحية الجبل ، ومر في طريقه إلى الموصل ، حيث عمل على تهدئة الحالة فيها ، بعد أن هزم حمدان بن حمدون ، الذي كان قد اتفق مع زعيم الخوارج في الجزيرة ، وخرج على الخلافة^(٢) .
وفي سنة ٢٨٣ هـ / ٨٩٦ م تمكن المعتضد من القضاء على ثورة الخوارج في الجزيرة بزعامة هارون الشاري^(٣) .

وعندما استفحل أمر القرامطة في سواد الكوفة ، وانضم إليهم الأعراب والموالي والأنباط^(٤) ، أنزل بهم المعتضد ضربات قوية حتى أخذ حر كنهم^(٥) في نفس الوقت الذي حاول فيه القضاء على حر كنهم في اليمامة والبحرين^(٦) .
اتبع المعتضد مع الأمراء المنفصلين عن الدولة سياسة المساومة واللين . واستفاد من الفرصة السانحة لإخضاعهم . فقد نجح في تحسين صلاته بالطولونيين ، إذ تصالح سنة ٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م مع خمارويه بن أحمد بن طولون وتزوج ابنته^(٧) . وجاءت الخطوة التالية من خمارويه الذي بدأ يفاوض

-
- (١) الطبري - تاريخ ٣ ق ٢١٣٧/٤ ، وكان الأعراب قد دخلوا سامراء على ما يذكر ابن الأثير في الكامل ١٦٧/٧ فقتلوا ابن سينا .
(٢) ابن الأثير - الكامل ١٦٦/٧ - ١٦٧ .
(٣) الطبري - تاريخ ٣ ق ٢١٤٩/٤ (ط . لايدن) . ابن الأثير - الكامل ١٧٠/٧ .
(٤) الطبري - تاريخ ٣٩٧/١١ (ط . حسينية) .
(٥) المقدسي - البدء ١٢٦/٦ . ابن الأثير - الكامل ١٥٩/٧ ، ١٧٤ ، ١٨٢ .
(٦) ابن الجوزي - المنتظم ٢٤/٦ . ابن الأثير - الكامل ١٧٥/٧ .
(٧) ابن العباد - شذرات ١٧٧/٢ . وانظر مخطوطة (ترويح الأرواح ومفتاح السرور والأفراح) لجراب الدولة أبي العباس أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن منصور عن نسخة الخزانة الوطنية في باريس برقم (٣٥٢٧ عريبات) والمخطوطة صورتها في خزانة مخطوطات معهد الدراسات الاسلامية ببغداد برقم (٥٧٣) مخطوطات .

المعتضد على الاعتراف بشرعية ولايته على مصر والشام مقابل اعترافه بسيادة الخليفة ، وأرسل لهذا الغرض وفداً الى بغداد سنة ٢٨٥ / ٨٩٨ م^(١) . وفي السنة التالية وافق المعتضد على الاعتراف بشرعية حكم خمارويه على الشام ومصر بعد أن تنازل عن أعمال قنشرين والعوامم (منطقة شمال سوريا) والتزم بإرسال جزية سنوية مقدارها (٤٥٠) الف دينار^(٢) .

واستغل المعتضد ، الخصومة القائمة بين آل أبي دلف الذين كانوا شبه مستقلين عن الدولة العباسية في منطقة الجبال ، فضم تلك المنطقة ثانية إلى الدولة العباسية^(٣) . كما أنه استغل الخصومة بين الصفاريين والسامانيين^(٤) ، فتخلص من الصفاريين وجعل علاقته بالسامانيين ودية ، واعترف لهم بشرعية حكمهم مقابل اعترافهم بسيادته عليهم^(٥) .

واهتم المعتضد بإصلاح الوضع المالي ، فاعتنى بتحسين نظام الري وبجفر القنوات^(٦) كما اعتنى بالمزارعين ، فمثلاً عندما تظلم أهل السارية (من منطقة بادوريا) إليه من تواطؤ العمال والمهندسين في قنطرة دما مع أصحاب الضياع التي تروى من الفرات ، أرسل الخليفة بدرًا المعتضدي والوزير القاسم

(١) الطبري - تاريخ ٣ ق ٤ / ٢١٨٥ ، ٢١٨٦ (ط . لايدن) . ابن الأثير -

الكامل ١٧٥ / ٧ .

(٢) الطبري - تاريخ ٣ ق ٤ / ٢١٨٦ ، ٢١٨٧

(٣) ابن الأثير - الكامل ١٧١ / ٧ . وانظر الدوري - دراسات ص / ١٨٨

(٤) الطبري - تاريخ ٣ ق ٤ / ٢١٣٣ . ابن الأثير - الكامل ١٧٨ / ٧ ، ١٨١

(٥) الطبري - تاريخ ٣ ق ٤ / ٢١٣٣ . ابن الجوزي - المنتظم ٥ ق ٢ / ١٣٨ .

ابن الأثير - الكامل ١٨٤ / ٧ . الأصفهاني - مقاتل الطالبين ص / ٦٩٣ ، ٦٩٤

(٦) الطبري - تاريخ ٣ ق ٤ / ١٢٥٣ (ط . لايدن) .

ابن عبيد الله « ومن استنصحه من أصحاب الدواوين ومشايخ العمال والمهندسين وقضاة الحضرة » للقيام بدراسة موضعية للشكوى ، حيث قرر هؤلاء زيادة ذراعين إلى الباب الوسطي للقنطرة وإبقاء بقية الأبواب على رسمها (١) . كما حاول مساعدة الزراع بتسليفهم الأموال لشراء البذور والحيوانات (٢) . وفي بداية سنة ٨٢٨٢ / ٨٩٥ م أمر المعتضد بتعميم منشور الى جميع عمال الحراج في الدولة « بتبرك افتتاح الحراج في ١ نيروز الذي هو نيروز العجم ، وتأخير ذلك الى اليوم الحادي عشر من حزيران (٣) ، ليتفق ذلك مع موعد نضج الزروع ، واهم بحماية الزراع من عبث الجبابه وغيرهم من عمال الحراج (٤) ، و لضمان استقرار بيت المال على أسس ثابتة ، فقد ضمن منطقة السواد (٥) لأحمد بن محمد الطائي مقابل (٢٠٥٢٠٠٠٠) دينار سنوياً تدفع بمعدل سبعة آلاف دينار يومياً ، وهي تكفي نفقاته اليومية (٦) .

(١) الصابي - الوزراء / ص ٢٧٩ - ٢٨٠

(٢) التنوخي - نشوار المحاضرة ٦٦/٨ . الصابي - الوزراء / ص ٣٤٩

(٣) الطبري - تاريخ ٣ ق ٤ / ٢١٤٣ (ط . لايدن) ابن الجوزي - المنتظم ٥

ق ٢ ص ١٤٩ . ابن الأثير - الكامل ١٦٧/٧

(٤) مسكويه - تجارب ٢٧/٥ - ٢٨

(٥) وتشتمل هذه المنطقة على أعمال سقي الفرات ودجلة ، وجوخي ، وواسط ،

وكسكر وطسا سيح نهر بوق ، والذيين ، وكلوادي ، ونهر بين ، والاذانيين ،

وطريق خراسان . انظر الصابي - الوزراء / ص ١٥

(٦) الصابي - الوزراء / ص ١٥ . الأنصاري - المسجد المسبوك (مخطوطة الجمع

العلمي العراقي) ورقة رقم (١) و .

ويبدو أن للوثام بين القوة الإدارية والجيش أثراً يذكر في استرجاع الخلافة عزها (١). غير أننا نحس بتوسع نفوذ بدر غلام المعتضد، إذ أخذ يصرف «أمور الخاصة والعامة من الناس والحراج والضياح والمعاون» (٢) بل إن المسعودي (٣) يصفه بأنه «صاحب المملكة والقيم بأمر الخلافة...» وإليه سائر المعاون (٤) في جميع الآفاق وإليه أمر الجيوش وسائر القوادح، غير أن بدرأ المعتضدي هذا كان مخلص لسيدته ولا يزوج نفسه في مشاكل السياسة (٥)، كما أن المعتضد كان يتعلى بالحزم والكفاية والعدل (٦)، مما منع احتمال تدخل الجيش أو سيطرته.

(١) الدوري - دراسات ص/١٨٩ .

(٢) الطبري - تاريخ ٣ ق ٤/٢١٩٢ (ط . لايدن)

(٣) المسعودي - مروج ٤/٢٣٢ . وانظر فليب حقي - تاريخ ٢/٥٦٢ .

(٤) المعاون : جمع معونة . وصاحب المعونة هو الأمير دون الحاكم (المارودي -

الأحكام السلطانية ص/٢٠٦) فكأنه معين المظلوم على الظالم (مقامات الحريري ص/٢٢٧ فهو يخلص العوام من الخن والبلايا (الجرجاني - التعريفات ص/٣٣٤) وكان منصب صاحب المعونة يضم عادة إلى صاحب الجند والحرب ، وكثيراً ما كان يطلب إلى أصحاب المعاون مساعدة القضاة والحكام معونتهم بما يقضي بلم شمل الأمة وتحقيق الصلاح في تنفيذ القضايا (القلقشندي - ضريح الأعشى ١٠/١٥٠) وقد أصبح للمعاون في القرن الخامس الهجري وما بعده ديوان يضم الأمير وجملة من كتاب المعونة يسمى « دار المعونة » (ابن الوردي - تاريخ : حوادث سنة ٥٦٦ هـ : ج ٢/٧٩) . ولهم « حبس المعونة » (دوزي - تكملة المعجمات العربية ٢/١٩٢) وانظر الصافي - أقسام ضائعة - الدليل السابع ص/٧٨ .

(٥) الدوري - دراسات ص/١٨٩ .

(٦) والدلالة على ذلك ما أشار إليه ابن الرومي في قصيدته التي قال فيها : -

أما عن ولاية العهد ، فلم يجابه الخليفة أية مشكلة في العهد لابنه علي
ابن المعتضد^(١) ، الذي لقب بالمكتفي بالله^(٢) .

تولى المكتفي الخلافة بعد وفاة والده^(٣) . ويبدو أنه اتبع سياسة
أكثر ليناً من والده ، فأمر بهدم السجون والمطامير التي أنشأها والده ،
فاجتذب قلوب الناس^(٤) . ولكنه من جهة أخرى لم يكن له حزم والده ،
فوقع تحت تأثير وزرائه والمقربين إليه ، وخاصة مولاه فاتك^(٥) .

— يا طالباً عند الإمام هوادة مهلاً وحسبك منذراً شهداء
حكم الإمام عليه بالحكم الذي قسم السواء فليس فيه عداء

وكان شهداء هذا قائداً من قواد الأتراك قتل أحد غلمانه ، فأمر المعتضد أن يقاد به
ومع أن الأتراك قد تشفعوا له ، فإن الخليفة أصر على تنفيذ الحكم . انظر ديوان
ابن الرومي ٣٠٣/٢ .

(١) المسعودي - مروج ٢٣١/٤ . ابن تغري بردي - النجوم ١٢٧/٣ .
ابن الطقطقي - الفخري ص/٢٥٦ . الذهبي - العبر ٨٢/٢ . ابن العباد - شذرات ٢٠٥/٢ .
(٢) وهو علي بن احمد بن الموفق ، اختار له هذا اللقب عبد الله بن عبد الله
ابن طاهر في زمن والده المعتضد بالله حيث خاطبه بقصيدة قال فيها :

المكتفي بالله صاحب عهدنا فاجعله نحلته من الأسماء

فلما ولي علي الخلافة ، قال قد سماي عبد الله بهذا الاسم ولا أريد غيره . انظر
الصولي - أدب الكاتب ٤١/١

(٣) توفي المعتضد بالله في ٢٣ ربيع الآخر ٢٨٩ هـ / ٩٠١ م ، وكان
المكتفي حينئذ بالرقعة . فكتب إليه الوزير بالأمر بعد أن أخذ له البيعة ببغداد .
وقد بادر المكتفي إلى أخذ البيعة لنفسه على من معه ، ثم انحدر إلى بغداد .
ابن الجوزي - المنتظم ٣٢/٦ ، الكندي - الولاة ص/٢٤٣ .

(٤) الطبري - تاريخ ٣ ق ٤/٢٢٨٠ .

(٥) الدوري - دراسات ص/١٨٩ .

لقد جابه المكتفي في السنة الأولى من خلافته مجموعة ثورات قام بها القرامطة في بادية الشام وسورية (١). وبما زاد في خطورتها التعاقب إسحاق الفرغاني أحد قادة الجيش بهم وإعلانه الخروج على طاعة الخلافة (٢). وقد عجز حاكم سورية التابع لهرون بن خمارويه عن القضاء عليهم (٣)، ووصلت إلى المكتفي رسائل كثيرة من أهل الشام يشكون ما يلقون من القرمطي من القتل والسبي وتخريب البلاد، مما اضطره إلى تجهيز الجيوش وقيادتها بنفسه، حيث اتخذ من الرقة قاعدة له، سير منها الجيوش، فتمكن من القضاء على خطر القرامطة وأعاد سورية إلى جسم الدولة العباسية (٤).

وفي سنة ٢٩٢ هـ / ٩٠٤ م، خرج هرون بن خمارويه صاحب مصر على الاتفاق (٥) الذي سبق أن عقده والده مع المعتضد (٦). غير أن المكتفي استطاع أن يقضي على حكم الطولونيين في مصر، فقد جهز جيشاً برياً أسنده بقطع من القوات البحرية، وساعده ظروف اختلاف أمراء جيش هارون بن خمارويه، واقتتلهم فيما بينهم، وقد قتل هارون خطأ خلال ذلك، وتمكن جيش الخلافة من إرجاع مصر إلى سلطة الدولة (٧).

-
- (١) المسعودي - مروج ٢٨٠/٤، ابن كثير - البداية ٨٥/١١ .
 (٢) ابن الأثير - الكامل ١٨٧/٧ .
 (٣) ابن كثير - البداية ٨٥/١١ - ٨٦ .
 (٤) ابن الأثير - الكامل ١٨٧/٧ .
 (٥) الطبري - تاريخ ٣ ق ٢١٨٦/٤ - ٢١٨٧ .
 (٦) المسعودي - مروج ٢٨٦/٤، ابن العبري - تاريخ ص / ٤٤٤ .
 ابن العباد - شذرات ٢٠٩/٢ .
 (٧) ابن العبري - مختصر ص / ١٥٤، ابن العباد - شذرات ٢٠٩/٢، وكان ذلك في سنة ٢٩٤ هـ / ٩٠٦ م .

وخلال نفس الفترة وثق المكتفي علاقته بأمراء الأطراف ، وأكد سلطة الخلافة عليهم . ففي سنة ٢٩٠ هـ / ٩٠٢ م وجه إلى إسماعيل بن أحمد « بخلع وعقد له على الري ^(١) » . كما أنه « خلع على أبي العشائر أحمد ابن نصر ، وولاه طرسوس ، بعد أن عزل عنها مظفر بن حاج لشكاية أهل الثغور إياه ^(٢) » ، غير أنه عين الأخير في السنة التالية والياً على اليمن حيث استمر في ولايته حتى وفاته ^(٣) . كما عقد المكتفي لظاهر ابن محمد بن عمرو بن الليث على أعمال فارس بعد أن قوطع على أموالها ^(٤) . أدت هذه الإجراءات إلى استعادة الخلافة لأجنادها ، واسترجاعها عزها ، كما وفرت كثيراً من الأموال للدولة . ويذكر أن مجموع ما أضيف إلى خزينة الدولة على عهد المكتفي قد بلغ أكثر من أربعة ملايين دينار ، إضافة إلى ما كان وفره المعتضد في السابق .

وأخيراً يمكن الإشارة إلى أن العلاقة بين المكتفي ووزرائه كانت تعبر عن ثقة متبادلة ^(٥) ، وهي تشير إلى ارتفاع شأن الوزارة وتدل على استقرار جدي لها .

كان المكتفي بالله يرغب في حفظ الخلافة في إخوانه لأبيه ، وأكبرهم

(١) الطبري - تاريخ ٣ ق ٤ / ٢٢٢١ .

(٢) ن . م . ٣ ق ٤ / ٢٢٢٢ .

(٣) ن . م . ٣ ق ٤ / ٢٢٦٧ .

(٤) ن . م . ٣ ق ٤ / ٢٢٢٣ .

(٥) انظر مثلاً : الطبري - تاريخ ١١ / ٣٨٠ ، ٣٩٠ (ط . حسينية) ،

الصافي - الوزراء ص / ١٦٢ .

جعفر (المقتدر بالله) ، إلا أن الوزير العباس بن الحسن (١) لم يكن يستحسن تولية المقتدر لصغر سنه (٢) . فعمل على أن يرشح للخلافة محمد ابن المعتمد على الله أو أبا الحسين بن المتوكل (٣) . وقد أثار الوزير بعمله هذا شكوك الخليفة ، ودفعه إلى أن يدعو القضاة وأن يسأل بحضورهم عن أخيه جعفر ، فلما صح عنده أنه بالغ لسن الرشد ، أشهدهم على نفسه بأنه قد فرض أمر الخلافة إليه من بعده ، ولقبه المقتدر بالله (٤) .

ثم مرض المكتفي مرضه الذي مات فيه ، دون عهد صريح مدون فحصلت مشكلة العهد للوزير العباس بن الحسن الذي أخذ يستشير رؤسائه الكتاب في الأمر (٥) بعد أن عجز عن الاستقرار على مرشح معين ، فوجدهم مختلفين في الرأي (٦) ؛ فمحمد بن داود ومحمد بن عبدون (٧) كانا يرشحان عبد الله بن المعتز ، إذ بالإضافة إلى المنافع الشخصية ، فإنها كانا

(١) انظر عنه : الذهبي ، العبر : ٨٩/٢ ، ابن الأبار ، إعتاب : ص / ١٨٧ ، وكذلك الفصل الأول من المبحث الثاني وقائمة الوزراء الملحقه من هذا الكتاب .
(٢) مسكويه - تجارب ٣/٥ .

(٣) ن . م . ٤/٥ ، عريب القرطبي - صلة ص / ٢١ .

(٤) مسكويه - تجارب ٤/٥ ، عريب القرطبي - صلة ص / ٢١ ،

ابن الجوزي - المنتظم ٦٨/٥ ، ابن كثير - البداية ١١/١٠٥ .

(٥) مسكويه - تجارب ٢/٥ - ٣ ، وانظر الدوري - دراسات ص ١٩٤ .

(٦) سيرد تفصيل هذه المسألة عند البحث في علاقة الوزير بإخيه في سيرته .

الوزير) في المبحث الثاني من هذا الكتاب .

(٧) وردت ترجمته في ياقوت الحموي - الإرشاد ٧٧/٥ .

يعهده رجلاً قديراً مجرباً ، ويتوسمان فيه النجاح في السياسة والحرب^(١) ،
 أما ابن الفرات ، فقد حذره منه لأنه « لقي الناس وعرف الأمور :
 وتحنك ، وحسب حساب نعم الناس^(٢) » ، وذكره بسوء معاملتهم
 لابن المعتز ، وإن أقل ما يتوقعونه منه متى أصبح خليفة هو الإهمال .
 وأشار بتولية جعفر بن المعتض بسبب صغره لأن همه أن يعفى من دروسه ،
 فإذا كبر كان الوزير قد حجب إليه نفسه ، وسيطر على الأمور بحيث
 لا يستغني عنه^(٣) ، أما علي بن عيسى ، فإنه امتنع أول الأمر عن ترشيح
 شخص معين وقال : « ينبغي أن يتقي الله وينظر للدين^(٤) » .

وفي ليلة وفاة المكتفي جمع الوزير رؤساء الكتاب ليمتق معهم على
 من يولونه الخلافة ، وقد ضم علي بن عيسى في الأخير صوته إلى جانب
 ترشيح ابن المعتز الأكبر سنة وتجربته . ومنع أن الوزير استحسن رأي
 آل الجراح من قبل^(٥) ، إلا أنه مال إلى رأي ابن الفرات لأنه كان
 بكره ابن المعتز ويخافه خوفاً شديداً^(٦) . ولجاجة احتمال ثورة الناس

(١) مسكويه - تجارب - ٢/٥ ، الصاني - الوزراء ص / ١٣٠ ، الدوري -
 دراسات ص / ١٩٥ .

(٢) الصاني - الوزراء ص / ١٣٠ - ١٣١ ، وكذلك مسكويه - تجارب ٣/٥ .

(٣) الصاني - الوزراء ص / ١٣١ ، مسكويه - تجارب ٣/٥ ، وانظر
 الدوري - دراسات ص / ١٩٦ .

(٤) الصاني - الوزراء ص / ١٣١ ، مسكويه - تجارب ٣/٥ .

(٥) الصاني - الوزراء ص / ١٣١ ، عريب القرطبي - صلة ص / ٢١ .

(٦) عريب القرطبي - صلة ص / ٢١ - ٢٢ .

بسبب صغر سن المقتدر (١) ، فقد أقدم الوزير - بناء على اقتراح ابن الفرات - على توزيع أرزاق إضافية للجند ، بعد أن أخذ عليهم البيعة للمقتدر (٢) .

انتهت بوفاة المكتفي بالله فترة الاستقرار والهدوء النسبي ، تلك الفترة التي عادت فيها إلى الدولة هبة الخلافة ، واسترجعت فيها البيروقراطية الإدارية أهميتها وفعاليتها ، وتوقف الجيش عن التلاعب بسياستها العامة ، وحصل نوع من الوئام والتوازن بين مختلف العناصر ، وتحسن وضع بيت المال إلى حد كبير حتى بلغ مجموع ما في بيت مال الخاصة وحده أكثر من (١٤) مليون دينار (٣) .

٣ - فترة حكم المقتدر :

لقد شهد حكم المقتدر رجوع التصادم بين العناصر المتنفذة وتضعف سلطان الخلافة ، حتى انتهى بخضوعها لحكم أجنبي .

وهناك ظروف متعددة قامت بدورها في تصديع كيان الدولة العباسية منها ضعف المقتدر نفسه ، ووقوعه تحت تأثير الحرم ، وانقسام البيروقراطية على نفسها ، وعودة الجيش إلى التدخل في السياسة ، وأخيراً فعاليات

(١) وكان عمره حينئذ ثلاث عشرة سنة .

(٢) الصائي - الوزراء / ص ١٣١ ، مسكويه - تجارب ٣/٥ - ٤ .

الهمداني - فلكة ٨/١ ، عريب القرطبي - صلة ص / ٢٥ - ٢٧ ، ابن الأثير -

الكامل ٣/٨ - ٤ ، ابن العبري - مختصر ص / ١٥٥ ، ابن كثير - البداية ١١/١٠٧ .

(٣) مسكويه - تجارب ٢٣٨/٥ .

القوامطة^(١) . ولهذا فإن عصر المقتدر جدير بالبحث بدقّة وتفصيل ، لأنه يمثل المرحلة الأخيرة من مراحل انهيار أسس الخلافة العباسية^(٢) .

بويج المقتدر بالله^(٣) بعد وفاة أخيه المكتفي . وكان المقتدر أصغر من تولى منصب الخلافة إذ « لم بل الأمر قبله أصغر منه »^(٤) . وقد استسحب الوزير العباس بن الحسن^(٥) المقتدر بعد مبايعته ، وبعد أن كثّر كلام الناس عنه ، ورغب في خلعه وتقليد محمد بن المعتمد الخلافة الذي كان معروفاً بحسن السيرة ، وقد راسله في ذلك فوافق^(٦) . ولما كان الوزير

(١) الدوري - دراسات ص / ١٩٣ .

(٢) بحث الأستاذ بوون هذا الموضوع في كتابه :

The Tife And Times of Ali Ibn Isa , The Good Vizier

معتمداً على كثير من المخطوطات والمطبوعات . كما قدم الدكتور عبد العزيز الدوري بحثاً وافياً عن عصر المقتدر في كتابه (دراسات في العصور العباسية المتأخرة) ص / ١٨٦ - ٢٣٦ .

(٣) أبو الفضل جعفر بن المعتضد بالله ، ولد سنة ٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م ،

أنظر ابن الأثير - الكامل ١٦٥/٧ ، ٤/٨ وكذلك عريب القرطبي - ص / ٢٢ .

(٤) الطبري - تاريخ ٣ ق ٢٢٨١/٤ (ط . لادن) ، ابن الجوزي -

المنتظم ٦٧/٦ ، ابن كثير - البداية ١٠٥/١١ ، الذهبي - العبر ١٠٢/٢ ،

ابن العباد - شذرات ٢١٩/٢ وأنظر بوون - علي بن عيسى ص / ١٠٠ .

(٥) آخر وزراء المكتفي وأول وزراء المقتدر بالله قتل في فتنة ابن المعتز ،

وسيرد الكلام عنه في مبحث الوزارة ، وأنظر قائمة الوزراء الملحقه بالمبحث الثاني .

(٦) الطبري - تاريخ ٤٠٤/١١ (ط . الحسينية) ، ابن الجوزي -

المنتظم ٦٩/٦ .

يتوقع معارضة غلمان المعتضد لهذا الإجراء ، فقد أجل تنفيذه حتى يصل بارس الحاجب ورجاله^(١) إلى بغداد ، فيستعين بهم على ذلك . غير أن تأخر وصول بارس ورجاله من جهة ، ووفاء المرشح للخلافة (ابن المعتمد) من جهة ثانية^(٢) ، قد حال بين الوزير وبين ما اعتزم على تنفيذه .

لم يقطع الوزير عن فكرة استبدال المقتدر ، نتيجة وفاة ابن المعتضد ، بل إنه فكر في توجيه الخلافة إلى أحد أولاد المتوكل^(٣) . غير أن الأخير توفي أيضاً ، وعند ذلك قرر الوزير العدول عن فكرته ، وبخاصة بعد أن لمس علو منزلته لدى المقتدر وحبوبته الواسعة في التصرف بالأموال^(٤) . ولكن جماعة آل الجراح^(٥) لم يرضوا بذلك ، وقرروا خلع المقتدر ومبايعة عبد الله بن المعتز ، وحاولوا اغتيال المقتدر ووزيره ، غير أنهم لم يتمكنوا إلا من الوزير وفاتك مولى المعتضد^(٦) . واجتمع كثير

(١) غلام إسماعيل بن أحمد الساماني ، صاحب خراسان ، وكان قد أذن له في القدوم لهذا الغرض ، انظر ابن الأثير - الكامل ٤/٨ .

(٢) حصان بن محمد بن المعتمد وبين ابن عمرويه صاحب شرطة بغداد منازعة على ضبعة مشتركة بينها ، فأغلظ له ابن عمرويه كثيراً في القول ، حتى أغمي عليه ، وأصيب بالفالج ، ثم مات في اليوم التالي . انظر ابن الأثير - الكامل ٤/٨ .

(٣) أبو الحسين بن المتوكل ، انظر مسكويه - تجارب ٥/٥ .

(٤) الطبري - تاريخ ٤٠٤/١١ (ط . حسينية) مسكويه - تجارب ٥/٥ .

(٥) كان الكتاب منقسمين لأسباب شخصية ولاختلاف الآراء السياسية إلى كتلتين : جماعة آل الفرات وعلى رأسها علي بن الفرات ، وجماعة آل الجراح وعلى رأسها محمد بن داود . انظر الدوري - دراسات ص / ١٩٥ .

(٦) ابن الجوزي - المنتظم ٦٩/٦ .

من الناس في بغداد على مبايعة ابن المعتز ، وكانت حجة التأميرين في خلع المقتدر صغر سنه وقصره عن بلوغ الحكم^(١) .

وافق ابن المعتز على تولي الخلافة بعد أن أبلغ بأن جميع القواد والجنود قد رضوا به ، وأنهم على استعداد للبيعة ، واشترط أن لا يجري بسبب ذلك سفك دماء . وقد تمت البيعة على القواد وأصحاب الدواوين وكثير من العامة^(٢) .

وقد وجه ابن المعتز ، بعد ذلك ، كتاباً إلى المقتدر يأمره فيه بالانتقال الى دار ابن طاهر - حيث كان يقيم ابن المعتز - وإخلاء دار الخلافة لكي ينتقل إليها ، فأجاب المقتدر بالسمع والطاعة ، وطلب أن يهمل إلى الليل . والواقع أن المقتدر كان ينوي الانتقال فعلاً ، والتنازل عن الخلافة ، اعترافاً منه بالأمر الواقع . إلا أن حرسه الخاص وعلى رأسهم مؤنس الخادم ثبتوه وقبضوا عزمته^(٣) ، وصدوا أمام جماعة ابن المعتز ، وأجمعوا على أن يقاتلوا دفاعاً عن حق المقتدر والتزاماً بأيمان البيعة له ، إضافة إلى المصالح الشخصية لهم ، والتي هددت بالخطر^(٤) .

قام أفراد حرس المقتدر وحاشيته بهجوم مفاجيء على مقر ابن المعتز ،

(١) ابن الأثير - الكامل ٥/٨ .

(٢) لم يمتنع عن حضور البيعة إلا علي بن عيسى وخواص المقتدر وغلطائه انظر المصدر السابق ٥/٨ ، وكذلك ابن الجوزي - المنتظم ٨٠/٦ .

(٣) الدوري - دراسات ص / ١٩٧ .

(٤) قال بعضهم لبعض : « لانسلم الخلافة من غير أن نبلي عذراً ونجتهد في منع ما أصابنا ، وأجمع رأيهم على أن يصدروا في الماء إلى الدار (التي فيها ابن المعتز بالمخرم) ليقاتلوه ، وقد قوي عزمهم بعد أن هرب الحسين بن حمدان بأهله وماله إلى الموصل » . انظر ابن الأثير - الكامل ٦/٨ .

فانهم أصحابه عنه . وركب ابن المعتز مع وزيره وصاحبه ، قاصدين التوجه إلى سامراء لاتخاذها قاعدة يوجهون منها القوات للقضاء على مقاومة أصحاب المقتدر ، ولكن لم يتبعهم أحد من الجند الذين تفرقوا بسبب الاضطراب ، واضطر ابن المعتز إلى الاستتار في دار ابن الجصاص ، وقد أعقب ذلك حصول هياج عام في بغداد وانتشرت الفوضى ، وبذل أصحاب المقتدر جهداً كبيراً قبل استتباب الأمور (١) وعودة المقتدر إلى منصب الخلافة ، حيث بويح للمرة الثانية (٢) . وقبض على ابن المعتز ، ومن سعى في أمره من الأمراء والفقهاء والقضاة وسلموا إلى مؤنس الخازن ، فقتلوا إلا أربعة أشخاص ، منهم علي بن الفرات (٣) .

كان المقتدر مبذراً متلافاً ، أنفق في سنين قليلة ، ما جمعه المعتضد والمكتفي ، وبذّر كنوز الدولة . وكان طوال حكمه يشكو من قلة المال (٤) . والواقع أن أثر المقتدر في إدارة الدولة كان ضئيلاً خلال السنوات

(١) الخطيب - تاريخ بغداد ٩٨/١٠ .

(٢) ابن الجوزي - المنتظم ٦٩/٦ ، وكان ذلك في يوم الاثنين ٢٢ ربيع الأول ٢٩٦ هـ / ٨ ٢٩٠٨ م .

(٣) الخطيب - تاريخ بغداد ٩٨/١٠ ، مسكويه - تجارب ٧/٥ - ٨ ، ابن الجوزي - المنتظم ٦٩/٦ - ٧٠ ، ابن الأثير - الكامل ٥/٨ - ٦ ، ابن العبري - مختصر ص / ١٥٥ ابن تغري بردي - النجوم ٣/١٦٤ ، الذهبي - العبر ٢/١٠٤ - ١٠٥ .

(٤) المسعودي - التنبيه ٤/٣٢٨ ، ابن الطقطقي - الفخري ص ٢٦٢ بوون - علي بن عيسى ص / ١٠٠ ، ويذكر أنه أئلف خاتم هارون الرشيد الذي اشترى به ٣٠٠ ألف دينار ، والدرة البقيمة التي أهداها إلى إحدى الجوارى .

الأولى من حكمه ، وعلى الرغم من اتزانه ونضج عقله (١) ، فإنه كان كثير الانهك في الشرب حتى صار ذلك من الأمور الاعتيادية في البلاط العباسي (٢) . ولعل تربية المقتدر وصغر سنه ، قد أوقعا تماماً تحت تأثير الحرم ، وبالتحديد والدته شغب التي أصبحت تسمى «السيدة» ، وقهرماناتها وبخاصة أم موسى الهاشمية (٣) . وكان تأثير السيدة بصورة عامة مضرأ ، إذ أنها أفسدت ابنها بتشجيعه على الانهك في الملاذ وعلى التبذير ، حتى أصبح يؤثر اللعب والانشغال بلذاته وشهواته ، وكثيراً ما شغل نفسه بالجلوس في مجالس الطرب إلى المغنين الذين كانوا يحضرون دار الخلافة باستمرار ، بدعوى أن الجواري يطالبن الخليفة بإحضارهم ليأخذن عنهم ألواناً مبتكرة من الغناء (٤) . وينبغي ألا يهمل الباحث أثر الحجاب في زيادة الإرباك والتأثير على المقتدر (٥) .

إن التيار الرئيسي في عصر المقتدر ، هو دور الوزراء والكتاب الذين تمكنوا من أن يلعبوا دوراً أساسياً في توجيه الدولة . ومع أن توليتهم

(١) يرى علي بن عيسى ، أن المقتدر كان عاقلاً متزناً ، أنظر بوون

- علي بن عيسى ص/٩٨ وانظر الدوري - دراسات ص/١٩٧ .

(٢) التنوخي - نشوار المحاضرة ١/١٤٤ .

(٣) بوون - علي بن عيسى ص/١٠٠ وقد حاول إعطاء بعض مدلولات

كلمة «القرمان» في حاشية هذه الصفحة . وانظر الدوري - دراسات ص ١٩٧ .

(٤) الأصبهاني - الأغاني ٥/٣٠ .

(٥) ذكر صاحب الأغاني (٥/٢٠) بأن المقتدر جعل علي حججته سته

سوسن مولى المكتفي ثم مضر القشوري ، وأحمد بن نصر ، ثم ياقوت ، ثم محمد

ولإبراهيم ولداراتق .

وعزلهم كان بيد الخليفة من الناحية النظرية على الأقل ، فإنهم قد غطوا على شخصيته الضعيفة . وإن نحن استثنينا الأمر الذي أصدره المقتدر سنة ٩٢٩٥/٥٠٧ م الخاص بمنع تشغيل أهل الذمة في الوظائف الادارية أو المرافق العامة^(١) ، فإننا لا نحس بأثر بارز له حتى سنة ٩١٣/٣٠١ م حين ظهر لأول مرة بموكب رسمي^(٢) . وأصدر بعد ذلك أمره بأن يجلع على ولده أبي العباس ، وأن يضرب اسمه على النقود^(٣) . وفيما عدا ذلك فقد كان الوزراء هم الذين يصرفون أمور الدولة مستمدين إرشاداتهم وتوجيهاتهم من السيدة الوالدة^(٤) وخالة الخليفة وخاطف وبقية أفراد الحاشية والحرس^(٥) ومع ذلك فقد كان الوزراء عرضة للتبدل والمصادرة لأسباب مختلفة سنستعرضها فيما بعد^(٦) . كان من أهمها دسائسهم ، وحسد بعضهم لبعض

(١) ابن تغري بردي - النجوم ١٦٥/٣ ، وقد سمح لهم بالاستغفال بالطب والجهيزة انظر مادة جهيزة في دائرة المعارف الإسلامية .

(٢) ابن كثير - البداية ١٢١/١١ وهي أول مرة يظهر فيها للعامة .

(٣) لقل لنا يون في كتابه (علي بن عيسى م/٩٩-١٠٠) صورا للدرام والدنانير التي ضربت بعد هذا الحدث ، نقلها عن المتحف البريطاني .

(٤) ومما يشعر بأهميتها ومدى نفوذها ، أنها كانت تجلس للنظر في المظالم العامة والخاصة وبحضرتها الوزير والكتاب والقضاة وأهل العلم ، أنظر المسعودي - التنبيه والإشراف م/٣٢٩ .

(٥) مسكويه - تجارب ٩٠/٥ ، الذهبي - العبر ١٣١/٢ ، ابن العباد - شذرات ٢٤٧/٢ .

(٦) ناقشنا ذلك في موضوع علاقة الوزير بالخليفة ، واختيار الوزراء . انظر الفصلين الأول والثاني من المبحث الثاني في هذا الكتاب .

الآخر ، فكان ذلك عاملاً هاماً في تدمير قوتهم وفسح المجال للجيش بالتدخل ثانية في إدارة الدولة . وهكذا وقعت الخلافة العباسية مرة أخرى في براثن فوضى الجيش (١) .

كان وجود مؤنس ، والأزمة المالية التي عاشتها الدولة - ولعل بذخ المقتدر من الأسباب الأساسية لها - العاملين الرئيسيين في عودة الجيش إلى التدخل في سياسة الدولة العباسية . ولقد كان أثر مؤنس كبيراً في توجيه الإدارة إذ أخذ يفرض إرادته على الخليفة ، وقد وضع ذلك إلى حد كبير في اختيار الوزراء وعزلهم (٢) .

أما الجيش فقد بدأ اعتباراً من بداية القرن الرابع الهجري بالمطالبة بالرواتب المتأخرة ، أو بأرزاق إضافية ، ففي سنة ٩٣٠/٩١٢ م مثلاً طالب القواد الوزير الخاقاني باستحقاقاتهم (٣) ، وفي سنة ٩٣٠/٩١٥ م شغب الفلماني والرجالة على الوزير مطالبين بأرزاق إضافية ، فأحرقوا دار الوزير وذبحوا الدواب في إصطبله (٤) . غير أن المتانة النسبية للإدارة ، واستلام أشخاص أقوياء منصب الوزارة في النصف الأول من خلافة المقتدر قلل من خطر الجيش آنئذ (٥) .

(١) بوون - علي بن عيسى ص/٢٤٢-٢٤٩ .

(٢) انظر مثلاً : مسكويه - تجارب ص/٢٦٥ ، ١٢٧ ، ١٣٧ ، ٢٠٣ ،

عريب القرطبي - صلة ص/٧٢ ، الهمداني - تكملة ص/١٩ ، ٥٦ ، ابن الأثير - الكامل ص/٢٤٨ ، ٥١ وكذلك الصاني - الوزراء ص/٤٠ ، ٦٩ ، ٧٠ .

(٣) الهمداني - تكملة ص/١٩ ، ابن الأثير - الكامل ص/٢٤٨ .

(٤) القرطبي - صلة ص/٥٨ . (٥) الدوري - دراسات ص/٢٠٧ .

إن أول اصطدام علي بين الجيش والإدارة في عصر المقتدر قد عجل في نهاية وزارة ابن الفرات الثالثة ، حيث عزل هذا الوزير نتيجة السخط العام الناجم عن قسوة ولده وجماعته ، إضافة إلى أن مؤنس كان يبغضه كثيراً ، ويكن له كل سوء^(١) ، وقد أشار الوزير الجديد (الحاقاني) على مؤنس ونصر باستخدام الجيش في القضاء على ابن الفرات ، الخصم المشترك ، فشغب الجند ، وتطرفوا ، إذ أنهم طالبوا الخليفة بقتل ابن الفرات وولده^(٢) ، وهددوه بخلع الطاعة إن لم يأمر بذلك واضطروه إلى الأمر بقتلها^(٣) . وهكذا فسح المجال مجدداً لتمرد الجيش وتدخله في إدارة الدولة وتحكمه في الوزارة^(٤) ، فقد تضاءلت هبة الوزراء اعتباراً من هذا التاريخ ، وتسلط مؤنس - معتمداً على قوة الجيش - على الأمور فأخذ يصرفها حسب رأيه .

لم يقتصر تدخل الجيش على أمور الوزارة ، بل شمل الخلافة ، فكان الأمراء يطالبون بتنفيذ رغباتهم ، مهدين يائسة الفتنة عن طريق الجيش . فعند استيثار المقتدر لعلي بن عيسى وزارته الثانية شغب عليه الحياالة طوال

(١) الصابي - الوزراء ص/٦٠-٦١ ، مسكويه - تجارب ١٢١/٥ ، ١٣٥ :
الهمداني - تكله ٥٧/١ ابن الأثير - الكامل ٥٠/٨ - ٥١ ، ابن كبر - البداية
١٥٠/١١ .

(٢) الصابي - الوزراء ص/٦٩-٧١ ، مسكويه - تجارب ١٣٨/٥ ،
ابن الأثير ٥٢/٨ .

(٣) الهمداني - تكله ص/٥٧-٥٨ ، ابن الأثير - الكامل ٥٢/٨ .

(٤) الصابي - الوزراء ص/٦٠-٦١ ، مسكويه - تجارب ١٣٥/٥ .

أسبوع مطالبين بالأرزاق^(١) . بل لقد هجموا على دار الخلافة ونهبوا قصر الثريا^(٢) ، ولم تبدأ الحالة إلا بعد أن نفذت مطالبهم .

وفي سنة ٣١٦هـ / ٩٢٨م طالب الجند بزيادة أرزاقهم ، مكافأة لهم على صدمهم لتقدم القرامطة في السواد ، ودفعهم الحظر عن العاصمة ، واضطروا المقتدر إلى الاستجابة لهم ، فوافق على زيادة دينار لكل جندي ، مما أدى إلى فشل خطة الوزير علي بن عيسى المالية المعتمدة على الاقتصاد في النفقات واضطره إلى تقديم الاستقالة^(٣) .

وفي نفس السنة ازداد وضع الخليفة تازماً بعد أن ساءت علاقته بمؤنس فقد أراد المقتدر إرسال مؤنس على رأس الجيش لرد عدوان قوات الدولة البيزنطية على حديد الدولة الاسلامية ، وهدمها المساجد في سيمساط ، غير أن مؤنساً استشعر خوفاً من الخليفة ، بعد أن دس له أن الأخير قد أمر بجفر بئر في دار الخلافة ليؤميه عند توديعه . فامتنع عن السفر ، كما رفض دخول دار الخلافة وحده ، بل اصطحب معه عدداً كبيراً من قواده وجنوده ، حيث « حلف له المقتدر على صفاء النية^(٤) » . وأكد له إعزازه وتكريمه له . وهكذا تبدلت الأحوال ، فعوضاً عن أن يقسم القواد للخليفة بين الطاعة والولاء ، أصبح الخليفة هو الذي يحلف لهم بصفاء النية ، مما يشعر

-
- (١) مسكويه - تجارب ١٤٩/٥ ، القرطبي - صلة : ص/١٢٩ ، الهمداني - تكله ٦٤/١ ابن الأثير - الكامل ٥٥/٨ ، ابن الجوزي - المنتظم ٢٠٢/٦ .
(٢) مسكويه - تجارب ١٥٩/٥ ، ١٦١ .
(٣) ن . ٢ . ١٨٥/٥ .
(٤) ابن العبري - مختصر ص/١٥٧ .

الباحث بأن زمام الأمور قد خرج من يد الخليفة ، وأصبح في يد الجيش (١) .
وفي وزارة ابن مقلة سنة ٨٣١٧ / ٩٢٩ م ، توترت العلاقة مجدداً بين
الخليفة ومؤنس ، بعد أن أشيع بأن الخليفة يريد إقصاء مؤنس عن قيادة
الجيش لكي يعهد بها إلى هرون بن غريب الحال . وقد غضب مؤنس
لذلك ، وأظهر تنكراً للخليفة ، وأقدم على الانسحاب بالجيش إلى الشامية ،
بعد حصول بعض الاضطرابات ، وبعد أن حاول الجند الحجرية قتل
الوزير ابن مقلة (٢) .

اضطرب المقتدر نتيجة انسحاب مؤنس بالجيش إلى الشامية ، وأظهر
استعداداً لإجابة مطالب المتذمرين . وقد طلب هؤلاء طرد السيدة الوالدة ،
وأختها وكل المحظيات من البلاط ، وأن يقلل الخليفة من تبذيره للأموال (٣)
وقد أجاب الخليفة عن هذه المطالب بوسالة وجهها إلى مؤنس ، استعرض
فيها أحوال الدولة وعلاقته بقيادة الجيش ، وبخاصة نازوك وعبد الله بن حمدان
ثم طلب فيها منهم الرجوع إلى الهدوء والسكينة والمصالحة ، ووعد بتنفيذ
مطالبهم ، وختم رسالته بقوله :

« وإن أبيت إلا مكاشفة ومخالفة وإثارة فتنة وتجميد محنة ، فقد وليتكم
ما توليت ، سيفي منكم ... ولا أخرج من منزلي ، ولن أسلم الحلق الذي

(١) مسكويه - تجارب ١٥٩/٥ - ١٦٠ ، ١٦١ ، عريب القرطي -
صلة ص / ١٣٢ .

(٢) مسكويه - تجارب ١٨٨/٥ - ٢٠٠ ، الهمداني - تكملة ٧٨ / ١ - ٨٠ ،
ابن الجوزي - المنتظم ٢٢٢/٦ ، ابن الأثير - الكامل ٧٠/٨ . حزة الأصفهاني -
تاريخ مني ص ١٥٥ - ١٥٦ : السيوطي - تاريخ ص / ٣٨٣ .

(٣) مسكويه - تجارب ١٨٩/٥ - ١٩٢ .

جعلله الله لي إلا كما خرج عثمان بن عفان من داره ... وحسي الله ونعم
الوكيل^(١) . وبعد أن اطلع مؤنس ونازوك وأبو الهيجاء على رسالة
المقتدر ، كتبوا إليه يطلبون إبعاد هرون بن غريب ، فأجابهم إلى ذلك ،
وقلد هرون الثغور الشامية والجزرية ، حيث خرج في نفس اليوم متوجهاً
إلى مقر عمله الجديد^(٢) .

دخل مؤنس بالجيش إلى بغداد ، وكادت الأزمة تهدأ ، غير أن
نازوك وأبا الهيجاء لم يقتنعا بذلك ، وأشيع بأنها اتفقا مع مؤنس على
استبدال المقتدر ، وعاد الشعب بعد يومين ، ثم خرج مؤنس مجدداً إلى
باب الشامية مع القواد والجنود حيث زحفوا من هناك على دار الخلافة^(٣)
فاحتلوها^(٤) ونقل المقتدر ووالدته وخدامه وجواريه منها إلى دار مؤنس .
ونهب دار الخلافة^(٥) .

وفي يوم السبت ١٥ محرم ٣١٧ هـ / ٢٨ شباط ٩٢٩ م اجتمع القواد
والجند مع مؤنس وقرروا خلع المقتدر ، وطالبوه بأن يكتب رقعة
بخطه ، يخلع فيها نفسه ويعترف بعجزه ، ففعل وأشهد على نفسه بذلك ،
وسلم الكتاب إلى القاضي أبي عمر محمد بن يوسف^(٦) . ويبدو أن الكلمة

-
- (١) مسكويه - تجارب : ١٨٩/٥ ، ١٩٢ . وقد نقل مسكويه نص الرسالة
كاملاً . وانظر عريب القرطبي - صلة ١٣٩ ، ١٤٠ .
- (٢) ن . م . ١٩٢/٥ .
- (٣) مسكويه - تجارب ١٩٢/٥ ، ١٩٣ .
- (٤) كان ذلك في يوم الجمعة ١٤ محرم ٣١٧ هـ / ٢٧ شباط ٩٢٩ م .
- (٥) مسكويه - تجارب ١٩٣/٥ : عريب القرطبي - صلة ص / ١٤٠ ، ١٤١ .
- (٦) مسكويه - تجارب ١٩٤/٥ : ابن الجوزي - المنتظم ٦/٦٩ : ابن الأثير
الكامل ٨/٦٨ ، ٦٩ : ابن العبري - مختصر ص / ١٥٧ .

الأخيرة كانت لمؤنس قائد الجيش ، فهو الذي رشح القاهر وبإبعه (١) ، كما أنه أخرج علي بن عيسى من الحبس في دار الخلافة ، وأطلعه إلى منزله ، وأحضر أنا علي ابن مقلة فقلده وزارة القاهر ، وقلد نازوك الحجابة بالإضافة إلى رئاسة الشرطة في العاصمة ، وأصاف إلى ما كان إلى أبي الهيجاء من أعمال (٢) المعاون في بعض المناطق الشرقية من الدولة (٣) .

لم يقدر لهذا العمل أن يستمر طويلاً ، فإن عدم ثقة نازوك بفرقة المصافية (٤) ، أدى به إلى استبدالهم بثقاته لحراسة دار الخلافة . وفي يوم الاثنين ١٧ محرم ٣١٧ هـ / ٢٠ مارس ٩٢٩ حضر المصافية والحجيرة إلى دار الخلافة « بالسلاح بطالبون بالبيعة ورزق سنة (٥) » وضجوا بالصياح ، فأرسل القاهر نازوك لتهديتهم (٦) ، « وكان نازوك مثلاً كالسكران ، قد شرب طول ليلته » ، فلما رآهم بالسلاح خاف وهرب فأطمع الجند بنفسه ،

(١) بوون - علي بن عيسى ص/٢٨٤ .

(٢) كان ينولى طريق خراسان وحلوان والدينور ، وطريق سمر من رأى ، وبزرج سابور ، والراذانيين ، ودقوقا ، والموصل . انظر مسكويه - تجارب ١٩٣/٥ .

(٣) أصيف إليه أعمال المعاون بهمدان ، ونهاوند ، والصبيرة ، والسيروان وماسبذان ، ومهرجانقذق ، وارزن . انظر مسكويه - تجارب ١٩٣/٥ .

(٤) فرقة من الحرس ، ولعلمهم « المختارون » انظر عنهم ديوان الجيش - الملحق الثالث من هذا الكتاب .

(٥) مسكويه - تجارب ١٩٥/٥ . وانظر بوون - علي بن عيسى ص/٢٨٤ ، ٢٨٥ .

(٦) بوون - علي بن عيسى ص/٢٨٥ .

إذ أدركوه وقتلوه ، كما قتلوا أبا الهيجاء ، واختفى القاهر ، ولم يكن له في رقاب الناس بيعة ^(١) . وضح الجند خارج دار مؤنس بإرجاع المقتدر ، وقد طلب مؤنس من المقتدر الذهاب مع الجند ، غير أن المقتدر خاف أن يكون في الأمر حيلة عليه ، فامتنع ، « فحمل حملاً على رقاب الناس من دار مؤنس إلى الطيار ، ومن الطيار إلى الحصن التسعيني ^(٢) ، حيث جدت له البيعة . وقد أعفى القاهر ، وتمكن من تهدئة الأمور سلمياً .

لقد أدرك المقتدر بالله بعد هذا الحادث ، أنه لا يمكن التهاون بمطالب الجيش ، وحاول جدياً جمع المال لهم ^(٣) . وقد أحس الجيش بذلك ، ورأى بأن جميع مطالبه قد نفذت ، فأصبح يتصرف بشكل لا يطاق ، ويتدخل في أغلب مؤسسات الدولة ، فلقد نصب المصافية أنفسهم حماة للخليفة ، وخيموا في دار الخلافة ، وازداد عددهم كثيراً ، إذ رحبوا بالمنحرفين معهم ، وأضافوا عوائلهم ومعارفهم إلى الديوان ^(٤) . وقد اتضح للمقتدر بأن الفوضى ستعم مجدداً إن استمرت الحالة على ما هي عليه ، وأن العواقب ستكون وخيمة . ولذلك فإنه عمل على إثارة بعض فرق الجيش ضد بعضها الآخر ، في محاولة منه لإضعاف قوة الطرفين ،

(١) مسكويه - تجارب ٥ / ١٩٦ ، ١٩٩ . عريب القرطي - صلة ص / ١٤١ . ابن الجوزي - المنتظم ٦ / ٦٩ . ابن الأثير - الكامل ٨ / ٦٩ . ابن العبري - مختصر ص / ١٥٧ . وانظر بوون - علي بن عيسى ص / ٢٨٤ ، ٢٨٥ . الدوري - دراسات ص / ٢١٠ .

(٢) مسكويه - تجارب ٥ / ١٩٨ .

(٣) الدوري - دراسات ص / ٢١١ .

(٤) مسكويه - تجارب ٥ / ٢٠٢ .

فَعِنْدَمَا شَغِبَ الْفَرَسَانُ فِي أَوَاخِرِ سَنَةِ ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م ، وَطَالَبُوا بِأَرْزَاقِهِمْ
أَخْبِرَهُمُ الْمُقْتَدِرُ بِأَنَّ الْمَالَ مَنْصَرَفٌ إِلَى الرَّجَالَةِ (١) ، فَحَارَبُوهُمُ حَتَّى طَرَدُوهُمْ ،
وَهَدَمُوا دُورَ عَرَفَاتِهِمْ ، وَقَبِضَتْ أَمْلَاكُ الْمُصَافِيَةِ ، وَهَدَمَتْ دُورَهُمْ (٢) .
وَعِنْدَمَا شَغِبَ السُّودَانُ بِيَابِ عِمَارِ ضَرْبِهِمُ الْحَجْرِيَّةِ (٣) .

وَقَدْ أَصْبَحَ شَغِبُ الْجَنْدِ وَهِيَاجُهُمْ وَإِحْدَائِهِمُ الْفِتْنِ أَمْرًا مَأْلُوفًا بَعْدَ ذَلِكَ ،
حَتَّى بَلَغَتْ ذُورَتَهَا فِي هَذِهِ الْفِتْرَةِ سَنَةَ ٣١٩ هـ / ٩٣١ م ، حِينَ سَيَطُرُ مُؤَنَسُ
قَائِدُ الْجَيْشِ عَلَى الْأُمُورِ وَتَحْكُمُ فِي الْإِدَارَةِ وَفِي اخْتِيَارِ الْوُزَرَاءِ (٤) ، وَكَانَ
يَنْتَظَرُ مِنَ الْخَلِيفَةِ أَنْ يَسْتَشِيرَهُ فِي كُلِّ الْمَسَائِلِ . وَكَانَ يَر_اقِبُ الْخَلِيفَةَ
بِاسْتِمْرَارٍ ، فَبَاتَ مِنَ الضَّرُورِيِّ أَنْ يَجِدَ الْخَلِيفَةَ مِنْ يَتَّقِي بِهِ وَيَعْتَمِدُ عَلَيْهِ
خِذْ مُؤَنَسُ . وَعِنْدَ ذَلِكَ اعْتَمَدَ عَلَى حَاجِبِهِ الْجَدِيدِ يَاقُوتَ وَابْنِهِ مُحَمَّدَ بْنِ
يَاقُوتَ (٥) ، وَأَصْبَحَ التَّرَازُعُ بَيْنَ الْخَلِيفَةِ وَمُؤَنَسِ أَمْرًا لَامْفُورًا مِنْهُ ، وَكَانَ
أَوَّلُ صَدَامٍ بَيْنَهُمَا عِنْدَمَا عَزَلَ الْخَلِيفَةُ ابْنَ رَاقِ ، الَّذِينَ عَيْنَهُمَا مُؤَنَسُ عَلَى
الشَّرْطَةِ فِي الْعَاصِمَةِ ، وَعَيْنَ مُحَمَّدَ بْنَ يَاقُوتَ عَلَى الشَّرْطَةِ وَضَمَّ إِلَيْهِ الْحِسْبَةَ (٦) .

(١) مَسْكُوبِيَّةٌ - تِجَارِبُ ٢٠٢/٥ ، ٢٠٣ . الْقُرْطُبِيُّ - صِلَةُ ص/١٤٨ .

(٢) مَسْكُوبِيَّةٌ - تِجَارِبُ ٢٠٣/٥ . ابْنُ الْأَثِيرِ - ٦٥/٨ ، ٧٠ .

(٣) ن . م . ٢٠٣/٥ . حِزَّةُ الْأَصْفَهَانِيِّ - تَارِيخُ ص/١٣٣ .

(٤) عَرِيبُ الْقُرْطُبِيِّ - صِلَةُ ص/١٥٦ . حِزَّةُ الْأَصْفَهَانِيِّ - تَارِيخُ

ص/١٣٥ ، ١٣٦ .

(٥) مَسْكُوبِيَّةٌ - تِجَارِبُ ص ٢٠٩/٥ ، ٢١٠ . عَرِيبُ الْقُرْطُبِيِّ - صِلَةُ ص/١٣٣

(٦) مَسْكُوبِيَّةٌ - تِجَارِبُ ٢٠٩/٥ . عَرِيبُ الْقُرْطُبِيِّ - صِلَةُ ص/١٤٥ .

ابْنُ الْأَثِيرِ - الْكَامِلُ ٧٦/٨ ، ٧٨ . الذَّهَبِيُّ - الْعَبْرُ ١٧٤/٢ . ابْنُ الْعِمَادِ -
شُدْرَاتُ ٢٨٠/٢ .

غير أن مؤسناً قابل هذه التصرفات من جانب الخليفة بالاستنكار ، وانسحب بالجيش من العاصمة ، مغاضباً للخليفة ^(١) ، وثار الفرسان في أول جمادى الآخرة سنة ٣١٩ / تموز ٩٣١ م في بغداد لمدة اسبوعين . وعسكر مؤنس في باب الشامية ، وقدم إلى الخليفة مطالبه التي تضمنت عزل محمد ابن ياقوت عن الحسبة والشرطة ، وعزل ياقوت عن الحجبة . وقد وافق المقتدر على تنفيذ هذه المطالب فهدأت الحالة ^(٢) .

على أن الأمور تأزمت من جديد في وزارة سليمان بن الحسن ، عندما بلغ مؤسناً أن الوزير قد اجتمع « مع جماعة من القواد على التدبير عليه » ^(٣) . فقد طلب مؤنس إقصاء الوزير ومصادرته ، إلا أن الخليفة وافق على عزله دون مصادرته ، فطالب مؤنس « بالقبض عليه ونفيه إلى عمان » فامتنع المقتدر عن تنفيذ رغبته ، وزاد الشعب والديانس ^(٤) الأمر تعقيداً ، حتى خرج مؤنس عن طاعة الخليفة ، وسار بجيشه إلى الموصل في محرم سنة ٢٢٠ هـ / نهاية كانون الثاني ٩٣١ م ^(٥) . وقد ظهر موقفه بعد ذلك ضعيفاً ، غير أنه تمكن ببراعته وقوة أتباعه والظروف التي كانت موالية له ، من تقوية مركزه والاستقرار بالموصل حيث التحق به أنصاره وبعض فرق جيش الخلافة من الثغور ^(٦) .

(١) مسكويه - تجارب ٢٠٩/٥ ، ٢١١ . الهمداني - تكملة ٨٣/١ .

(٢) مسكويه - تجارب ٢١٠/٥ ، ٢١١ . بوون - علي بن عيسى

ص/٢٩٧ ، ٢٩٨ .

(٣) مسكويه - تجارب ١٢٢/٥ . (٤) ن . م . ٢٢١/٥ ، ٢٢٢ .

(٥) ن . م . ٢٣٣/٥ ، ٢٣٥ . عرب القرطي - صلة ص/١٦٥ ، ١٦٧ .

(٦) بوون - علي بن عيسى ص/٣١٤ ، ٣١٦ .

إن فوز الجيش ، والاعتداءات المتكررة على مقاطعات الدولة المختلفة قد عملت على انقطاع الموارد المالية لبيت المال (١) ، مما تسبب عنه ، وعن كثرة اللاجئين ، ارتفاع الأسعار ، والوباء المريع الذي هب بغداد (٢) . ولعل هذه الأسباب هي التي دعت الوزير الفضل بن جعفر إلى مراسلة مؤنس لاسترضائه . وقد تبين فيما بعد أن الوزير قد تصرف دون علم المقتدر ، إذ بادر الخليفة إلى حشد قواته ونهيتها بعد أن بلغه انحدار مؤنس من الموصل . وقد فشلت المحاولات التي بذلها الوزير لمنع التصادم بين الجيشين ، إذ أن العاطفة طغت على المقتدر ، فأمر مباشرة الحرب التي كانت حصيبتها مقلته (٣) في ٢٦ شوال ٣٢٠ هـ / ٣٠ كانون أول ٩٣٢ م ، حيث طعنت الخلافة العباسية في الصميم ولم يلتئم جرحها بعد ذلك (٤)

(١) خروج مردابويع على الخلافة في إيران ، واعتداء قوات البيزنطيين على حدود الدولة واحتلت بعض الثغور ، دون أن يصددها أحد ، لانشغال الخلافة بمشاكلها الداخلية ، كما أن القرامطة من جهة ومؤنس من جهة أخرى قطعوا التموين عن بغداد .

(٢) عريب القرطبي - صلة ص/١٧٣ ، ١٧٤ . حمزة الأصفهانى - تاريخ ١٣٦ ، ١٣٧ . وانظر الدوري - دراسات ص/٢١٧ .

(٣) المسعودي - مروج ٢٩٢/٤ - ٣٠٦ . التنبيه ص/٣٢٧ . مسكويه - تجارب ٢٤١/٥ . ابن الجوزي - المنتظم ٢٤١/٦ - ٢٤٣ . عريب القرطبي - صلة ص/١٧٤ ، ١٨٠ .

(٤) الدوري - دراسات ص/٢١٨ .

٤ - فترة أمراء الأمراء :

كان مؤنس يشعر بأن سلطانه مرتبط ببقاء المقتدر ، ولذلك فقد شعر بالخطر الذي يواجهه نتيجة مقتل المقتدر^(١) وعبر عن ذلك بقوله : « قتلتموه ، وانه لنتقلن كلنا^(٢) » .

أصبح مؤنس مسؤولاً عن حفظ النظام في العاصمة . وعن اختيار من يخلف المقتدر في منصب الخلافة . وارتأى تولية أبي العباس بن المقتدر لورعه وتقواه ونضج أفكاره ، ولأن علاقته به حسنة ، وقد برز ذلك لأصحابه بقوله : « فإنه تربيتي ، وإذا جلس في الخلافة سمحت نفس جدته والدة المقتدر وإخوته وغلمان أبيه بإخراج المال^(٣) » . ولكن جماعته ثنوه عن هذا الرأي ، وقالوا : « بعد الكد استرحنا بمن له والدة وخالة وخدم ، فتعود إلى تلك الحالة^(٤) ؟ » . وعندما عرض مؤنس الخلافة على محمد بن المكتفي ، رفض الأخير قبولها لإيمانه بأن عمه محمد ابن المعتضد أحق بها منه^(٥) . وأخيراً وقع الاختيار على القاهر الذي استجاب للأمر ، فبايعه مؤنس وجماعته ، بعد أن توثقوا منه بالأيمان والعهود^(٦) ، غير أن مؤنساً المظفر لم يكن مرتاحاً لهذا الاختيار ،

(١) بوون - علي بن عيسى ص/٣٢١ .

(٢) مسكويه - تجارب ٢٤١/٥ . ابن الجوزي - المنتظم ٢٤١/٦ .

(٣) مسكويه - تجارب ٢٤١/٥ - ٢٤٢ وانظر بوون - علي بن

عيسى ص/٣٢١ .

(٤) مسكويه - تجارب ٢٤٢/٥ . (٥) ن . م . ٢٤٢/٥ .

(٦) المسعودي - مروج ٣١٢/٤ . الخطيب - تاريخ بغداد ٣٤٠/١ .

مسكويه - تجارب ٢٤٢/٥ . ابن الجوزي - المنتظم ٢٤١/٦ . ابن الطقطقي

الفخري ص/٢٧٦ وانظر بوون - علي بن عيسى ص/٣٢٢ .

وبخاصة بعد أن عجز القاهر بسبب ضيق يده من تنفيذ ما اشترط مؤنس عليه بمنح أرزاق البيعة للجنود كما هي العادة^(١) ، ومع أنه كان ثابت الرأي فإن أخلاقه كانت تغاير أخلاق سلفه ، إذ كان شديد الطمع حقوداً ، قاسياً غداراً^(٢) . وكان يحس بسرور عظيم في تضييقه على أطفال المقتدر ، بل إنه تناسى أفضال « السيدة » والدة المقتدر عليه ، كما لم يلتفت إلى مصيبتها في ابنها ومرضاها ، فأقدم على تعذيبها بقسوة متناهية ، لدرجة أنها توفيت بعد بضعة أسابيع^(٣)

أراد مؤنس أن يستوزر للقاهر علي بن عيسى ، آخذاً بنظر الاعتبار استقامته ، وسلامة مذهبه ودينه^(٤) . غير أن يلبق وابنه اعتراضاً على هذا الاختيار خوفاً من سياسة علي بن عيسى المالية المعتمدة على الاقتصاد في النفقات ، واحتجا بأن : « الحال الحاضرة لا تحتمل أخلاق علي بن عيسى ، وأنه يحتاج إلى من هو أسمع منه كفاً وأوسع أخلاقاً^(٥) » . فأسندها إلى أبي علي بن مقله ، وأمر بأن يستخلف له إلى أن يقدم من فارس أبو القاسم الكاوذاني^(٦) . ولعل في هذا دلالة على أن السلطة قد

(١) مسكويه - تجارب ٥/٢٤٣ ، ٢٤٤ . عريب القرطبي - صلة ص/١٨٢ .

(٢) المسعودي - مروج ٤/٣١٢ ، ٣١٣ . ابن الطقطقي - الفخري

ص/٢٨٦ وانظر بوون - علي بن عيسى ص/٣٢٢ ، ٣٢٣ .

(٣) مسكويه - تجارب ٥/٢٤٣ . وانظر عريب القرطبي - صلة ص/١٨٣

ابن الجوزي - المنتظم ٦/٢٥٣ . بوون - علي بن عيسى ص/٣٢٣ . الدوري -

دراسات ص/٢٣٠ .

(٤) مسكويه - تجارب ٥/٢٤٢ .

(٥) ن ٢٠٠ . ٥/٢٤٢ . (٦) ن ٢٠٠ . ٥/٢٤٢ .

أصبحت بيد الجيش الذي غدا يتدخل في كل صغيرة وكبيرة ، وأصبح صاحب الحول والطول (١) ، ويبدو أن مؤنساً كان سيد الموقف ، وأن مركزه كان أحسن حتى من مركز الخليفة ، فعندما شغب الجند بعد البيعة للقاهر مطالبين بالأموال وهجموا على مجلس الخليفة ، التجأ الأخير إلى دار مؤنس ، وشكاه ماجرى عليه من الجند ، وطلب من مؤنس إيماله عشرة أيام لتدبير الأموال ، فوافق مؤنس (٢) . وفي ذلك إشارة إلى أن مركز الخليفة قد تدهور وأنه فقد زمام الأمور بجانب تحكم الجيش ، وإلى أن الوضع يندرج بالشر .

كثرت المصادر في وزارة ابن مقلة للقاهر بالله ، إذ اتبع هذا الوزير سياسة المصادرة على نطاق واسع ، في محاولة منه لجمع الأموال إرضاء للجيش ، وبالتالي المحافظة على مركزه (٣) .

لم يكن القاهر غافلاً عما يجري حوله ، بل كان يشعر بضرورة إعادة هبة الخلافة وهيمنتها ، والعمل على تركيز السلطة في يد الخليفة ، وعلى إبعاد الجيش عن مجال التحكم والسيطرة . وصرعان مأساوات العلاقة بين الخليفة والزمرة المحيطة به . فقد تمكن محمد بن باقوت من توثيق علاقته بالخليفة في محاولة منه لإزاحة مؤنس وأنصاره (٤) . وقد أحس الأخير بالخطر بعد أن سمع إشاعات عن تأمر محتمل ضده من جانب الخليفة وابن

(١) الدوري - دراسات ص/٢٣٠ .

(٢) ابن تغري بردي - النجوم ٢٣٨/٣ .

(٣) مسكويه - تجارب ٢٤٦/٥ ، ٢٥٣ . حريب القرطبي - صلة ص/١٨٥ .

(٤) بوون - علي بن عيسى ص/٣٢٦ .

ياقوت . وقد هرب ابن ياقوت (١) فبقي القاهر سجين قصره ، بعد أن تكاتف مع مؤنس كل من الوزير ابن مقله ، ويلقب وابنه (٢) . وقد استغل هؤلاء تازم علاقة الجند بالقاهر ، فشددوا الحراسة والمراقبة عليه ، وضيقوا عليه كثيراً حتى أخذ الموكل بذلك ، يفتش كل من يدخل ويخرج من الرجال والنساء والخدم (٣) ، بل إنه كان يفتش الطعام الذي يقدم للقاهر ، وبلغ به الأمر أن فتش لبنا حمل إلى القاهر فأدخل يده فيه لئلا يكون فيه رقعة (٤) . وازدادت الإهانات الموجهة إلى القاهر حدة ، فنقل علي بن يلق السجناء السياسيين من قصر الخلافة إلى داره دون موافقة الخليفة (٥) ، وامتنع الوزير عن دفع أرزاق خدم القاهر ، وأنقص كثيراً من مخصصات الخليفة ، وباع أكثر ضياعه وأملكه ، ووزع أمانها على الجند صلة للبيعة (٦) .

ضاق القاهر ذرعاً بهذا الوضع ، وبدأ يخطط للتخلص منه . وحاول الإفادة من الحصومة الداخلية للجيش . فقد كان طريف السكري

(١) مسكويه - تجارب ٢٥٩/٥ .

(٢) ن . م . ٢٥٩/٥ ، ٢٦٠ . ابن نغري بردي - النجوم ٢٣٨/٣ .

(٣) مسكويه - تجارب ٢٥٩/٥ . ابن نغري بردي - النجوم

٢٣٩ ، ٢٣٨/٣ .

(٤) مسكويه - تجارب ٢٦٠/٥ .

(٥) ن . م . ٢٦٠/٥ ، ٢٦١ .

(٦) يذكر مسكويه (٢٦٠/٥) بأ. الوزير ابن مقله قد باع من أملاك

القاهر وضياعه ما بلغ ثمنه (٢٦٤٠٠٠٠٠٠) دينار إضافة إلى ما كان الكلوذاني قد باعه أيام خلافته للوزير قبل وصوله من شيراز حيث كان منفيًا بها .

غاضباً على مؤسس المظفر لتقريبه يلبق وابنه ، كما إن الساجية أضرموا
الهداء لمؤنس بعد أن نكث وعده بزيادة رواتبهم^(١) .

بدأت الخطوة الأولى من جانب جماعة مؤنس ، فقد اكتشف ابن مقله
أن القاهر قد قرر عزله عن الوزارة واستيوار محمد بن القاسم^(٢) . ومقابل ذلك
فقد تمكن ابن مقله من إقناع أصحابه بالعمل على خلع القاهر وتولية محمد
ابن المكتفي بالخلافة^(٣) ، وأقسم يلبق وابنه عين البيعة لهذا المرشح
سراً ، وديرت خطة التنفيذ لإلقاء القبض على القاهر^(٤) ، إلا أن الخليفة
اكتشف المؤامرة ، ودعا الساجية إلى دار الخلافة سراً ، مما أحبط خطة
المتآمرين^(٥) . ثم تمكن القاهر من القبض على مؤنس ويلبق وابنه ،
فأمر بقتلهم ، كما أمر بقتل رؤساء أعوانهم ، وبهذا فقد قضى على كل
رؤساء الفتنة باستثناء ابن مقله الذي اختفى وعجز القاهر عن القبض عليه^(٦) .

استقامت الأمور في بغداد ، وتنفس القاهر الصعداء ، وأزاد أن
تكون سلطته حقيقية ، فاستوزر محمد بن القاسم^(٧) ، وقتل ابن المكتفي

-
- (١) مسكويه - تجارب ٥/٢٦١ . وانظر بوون - علي بن عيسى ٣٢٧
الدوري - دراسات ٢٣١ .
(٢) مسكويه - تجارب ٥/٢٦١ ، بوون - علي بن عيسى ص/٣٢٧ .
(٣) مسكويه - تجارب ٥/٢٦٢ ، ابن الأثير - الكامل ٨/٨٦ - ٨٧ ،
بوون - علي بن عيسى ص/٣٢٧ - ٣٢٨ .
(٤) بوون - علي بن عيسى ص/٣٢٨ .
(٥) مسكويه - تجارب ٥/٢٦٣ - ٢٦٤ ، ابن الأثير - الكامل ٨/٨٧ .
(٦) مسكويه - تجارب ٥/٢٦٤ ، عريب القرطبي - صلة ص/١٨٦ .
(٧) أبو جعفر محمد بن القاسم استوزره القاهر في مستهل شعبان ٣٢١ هـ /

بفظاعة ولقب نفسه « المنتقم من أعداء دين الله » ، وأمر بإطلاق أرزاق الجند ، فبدأت الحالة وعظمت هيبة القاهر في النفوس (١) .

وعلى الرغم من سمات الاستقرار الظاهري ، وتوكل الإدارة بيد الخليفة ، والهيئة والأبهة التي تمتع بها القاهر ، فإن عوامل الهدم بدأت تعمل مرأً للقضاء على حكم القاهر . ويظهر أن نشوة النصر المؤقت الذي حصل عليه القاهر قد أنسته الأخطار الباقية ، فقد كان الوزير السابق ابن مقلة يرأس أمراء وقواد الجند الساجية والحجرية ، وهو في مخبأه يخوفهم من بطشه ، ويسهل عليهم أمر الخلاص منه (٢) . ويبدو أن سلوك القاهر وبطشه الشديد قد أخاف الجند ، إذ عامل طريف السبكي - وهو الذي ساعده على تقوية مركزه - برود ثم سجنه ، كما أهل الساجية وعامل رؤساءهم بقسوة ، لكي يمنع تحكيمهم في الخلافة من جديد (٣) .

أثرت تحريصات ابن مقلة ضد الخليفة القاهر ، وتذمر الساجية والحجرية من تصرفات الخليفة ، واتفقوا على التطويح بحكمه . وفي ٦ جمادى الأولى سنة ٥٣٢٢ / ٢٤ نيسان ٩٣٤ أحاط الجند بدار الخلافة فجأة ، وتمكنوا من أسر القاهر وأعلنوا خلعه . ثم سملت عيناه وأودع السجن (٤) .

-
- (١) مسكويه - تجارب ٢٦٥/٥ ، ابن الأثير - الكامل ٨٧/٨ .
(٢) مسكويه - تجارب ٢٨٦/٥ ، الهمداني - تكملة ١٠٩/١ ، ابن الجوزي المنتظم ٢٦٥/٦ ، ابن العماد - شذرات ٢٩٢/٢ .
(٣) الهمداني - تكملة ١٠٩/١ - ١١٠ ، ابن الجوزي - المنتظم ٢٦٥/٦ ، وانظر - مسكويه ٢٨٨/٥ .
(٤) المسعودي - مروج ٣١٢/٤ ، الخطيب - تاريخ بغداد ٣٤٠/١ ، الصولي - أخبار الرازي والمنفي ص ١ ، الهمداني - تكملة ١٠٥/١ ، -

استدل غلمان الحجرية والساجية على موضع سجن أبي العباس بن المقتدر ، فأطلقوا سراحه ، وسلموا عليه بالخلافة (٢) . واختار لنفسه لقب الراضي بالله (١) . ومع أن الجند هم الذين أتوا بالراضي إلى منصب الخلافة ، فإن الأخبار تشير إلى أن بيعته كانت بيعة اختيار وإجماع دون سابق تدبير وتواطؤ (٣) .

كان الراضي بالله آخر خليفة انفرد بتدبير الجيوش والأموال ، وكانت نفقته وجراياته وخزائنه وجوائزه وعطاياه ، ومجالسه وخدمه وحجابه يجري ترتيبها على ترتيب الخلفاء المتقدمين (٤) . ومع ذلك فإن تحكم الجيش في الأمور قد أصبح أمراً مألوفاً .

بعد اعتذار علي بن عيسى عن قبول الوزارة ، استوزر الراضي ابن مقلة الذي تمكن من إغراء رؤساء الساجية بالأموال ، وتعهد بدفع نصف مليون دينار عطايا للبيعة (٥) .

وفي هذه الفترة استقل البويهيون في فارس ، والبريديون في

— المقدسي - البدء ١٢٦/٦ ابن الأثير - الكامل ٩٧/٨ ، وانظر المسجد المسبوك ورق ٣ آ ، وكذلك ابن كثير - البداية ١٧٨/١١ ابن تفردي بردي - النجوم ٢٤٥/٣ ، ابن الطقطقي - الفخري ص ٢٧٦ ، الذهبي ١٨٩/٢ ، وانظر بوون - علي بن عيسى ص ٣٢٣ - ٣٣٢ .

(١) مسكويه - تجارب ٢٩٠/٥ ، ابن تفردي بردي - النجوم ٢٤٥/٣ .
(٢) الصولي - أخبار الراضي والمتقي ص ١ ، ويذكر ابن الجوزي في المنتظم ٢٦٦/٦ بأن الصولي هو الذي اقترح على الخليفة هذا اللقب .

(٣) مسكويه - تجارب ٢٩٠/٥ .

(٤) الخطيب - تاريخ ١٤٣/٢ ، ابن الأثير - الكامل ١٢٩/٨ .

(٥) مسكويه - تجارب ٢٩٠/٥ - ٢٩١ .

خوزستان^(١) ، كما ارتفعت أهمية ابن رائق فأُسند إليه الوزير قيادة الجيش والشرطة بواسطة^(٢) ، وأقدم الحسين بن أبي الهيثم على قتل عمه سعيد والي الخليفة على الموصل ، وتمكن من إرشاء ابن مقلة الوزير الذي قَاد جيش الخلافة إلى الموصل ، ونجح في الحصول على تولية له من الخليفة^(٣) .

لقد اشتدت الأزمة المالية نتيجة سوء الإدارة والتدبير ، وفشل الوزير ابن مقلة في الحصول على قروض من التجار ، وازدادت الأوضاع سوءاً من جراء تكاليف الحملة العسكرية إلى الموصل ، وقطع أموال البصرة وواسط من قبل ابن رائق الذي كان يطمع في تنحية ابن مقلة ليحل محله .

عزل ابن مقلة^(٤) ، ورفض علي بن عيسى استلام الوزارة ، واقترح أن يستوزر أخوه عبد الرحمن ، على أن يقوم هو بمعاونته^(٥) . غير أن الأزمة المالية أدت إلى انهيار تام في وضعية الخزينة ، إذ أن نفقات الامبراطورية لم تنقص في الوقت الذي انحصرت فيه سلطة الخليفة على بغداد وما جاورها ، وأصبح من المستحيل موازنة الدخل والصراف . وعندما طلب الوزير عبد الرحمن بن عيسى قرضاً من الخليفة في محاولة

(١) مسكويه - تجارب : ٣٠١/٥ ، ٣٠٣ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٣٩ .

(٢) ابن الجوزي - المنتظم ٢٩٦/٦ ، ٣٠٠ .

(٣) مسكويه - تجارب ٣٢٣/٥ - ٣٢٧ ، ٣٤٧ - ٣٤٨ .

(٤) في ١٦ جمادى الأولى سنة ٣٢٤ هـ / ١٩ نيسان سنة ٩٣٦ م .

(٥) مسكويه - تجارب ٣٢٠/٥ ، ٣٢٩ - ٣٣١ ، ٣٣٢ - ٣٣٦ ، ٣٣٧ .

وانظر الدوري - دراسات ص/٢٣٥ .

بأئسة لإصلاح الوضع ، غضب الخليفة ، وأمر بسجنه مع أخيه علي وتمت مصادرتها (١) .

لم يستطع الكرخي - وزير الراضي بعد عبد الرحمن بن عيسى - أن يدبر أمر الوزارة نتيجة اشتداد الأزمة المالية وانقطاع الوارد ، بل إنه عجز عن الاستفادة من الإمكانيات المالية المتيسرة لديه (٢) . وحاول الراضي إصلاح الأوضاع عن طريق تبديل الوزير ، فاستوزر سليمان بن الحسن ، غير أن ذلك لم يؤثر على اتجاه إدارة الدولة وأحوالها المالية نحو الترددي وازدياد احتمال شغب الجند بسبب تأخير أرزاقهم . ولهذا فقد اضطر الراضي إلى أن يرأس ابن رائق ويقوده « الإمارة ورياسة الجيش وجعله أمير الأمراء ، ورد إليه تدبير أعمال الخراج والضياغ وأعمال المعاون في جميع النواحي ، وفوض إليه تدبير المملكة ، وأمر أن يخطب له على جميع المنابر في الممالك ، وأن يكنى ، وأنفذ إليه الخلع واللاواء (٣) ... » . وكان من النتائج المترتبة عن تصرف الراضي هذا أن « بطل أمر الوزارة ، فلم يكن الوزير ينظر في شيء من أمر النواحي ، ولا الدواوين ، ولا الأعمال ، ولا كان له غير اسم الوزارة (٤) » ، وصار بيد ابن رائق رئاسة الجيش وامتدت سلطته بصورة مباشرة إلى جباية الضرائب وإدارة

(١) الصولي - أخبار الراضي والمتفي ص/٨٤ . مسكويه - تجارب
٣٣٨/٥ . الهمداني - تكملة ١١٨/١ . ابن الأثير - الكامل ١٠٩/٨ . ابن كثير
البداية ١١٨٤/١١ ابن تغري بردي - النجوم ٢٥٨/٣ .

(٢) مسكويه - تجارب ٣٥٠/٥ . ابن الأثير - الكامل ١١٢/٨ .

(٣) مسكويه - تجارب ٣٥١/٥ .

(٤) ن . م . ٣٥٢/٥ . ابن الأثير - الكامل ١١٣/٨ .

الحكومة المركزية ، وغدا اسمه يذكر مع الخليفة في خطبة الجمعة على المنابر (١) . ويلاحظ أنه قد استمرت حالة الوزير على هذا الوضع حتى وفاة الرازي (٢) .

وبعد استلام بحكم لمنصب أمير الأمراء ، فإنه تمتع بمنزلة عالية لدى الخليفة ، حتى إن الرازي أخذ يلتزم برأيه في كل كبيرة وصغيرة من أمور الدولة . وقد أحسن الرازي بعدم ارتياح الرأي العام لتسلط بحكم ، إلا أنه برر ذلك بقوله عنه : « فرضيت ضرورة به . . . وكان الأجود أن يكون الأمر كله لي ، كما كان لمن مضى قبلي ، ولكن لم يجر القضاء بهذا لي (٣) » .

ويبدو أن نفوذ أمير الأمراء في آخر عهد الرازي قد ازداد ، بحيث إنه طغى على شخصية الخليفة ، وسلب منه أخطر اختصاصاته ، وحتى ولاية العهد ، فإن الرازي قد اعترف ضمناً بأنها خاضعة لأمير الأمراء ، إذ أنه لما مرض وأحس بقرب نهايته أرسل الى أمير الأمراء بحكم وهو بواسط رسالة يعرفه بشدة علته ، ويسأله أن يعقد ولاية العهد لابنه الأصغر أبا الفضل (٤) .

لقد جرى اختيار المتقي لله للخلافة بطريقة غوية ، فقد أهمل أمير الأمراء طلب الرازي بعقد ولاية العهد لأصغر أبنائه ، وبقي منصب الخلافة

(١) مسكويه ٣٥١/٥ . والنظر الدوري - دراسات ٢٣٦ .

(٢) الصولي - أخبار الرازي - ص/١٨٣ .

(٣) ن ٢٠٠ . ص/١٨٤ . مسكويه - تجارب ٤١٩/٥ .

(٤) ابن الجوزي - المنتظم ٣١٦/٦ .

شاغراً انتظاراً ، لأمر بجكم فيمن ينصب للخلافة ، (١) .

كتب بجكم من واسط إلى كاتبه الكوفي كتاباً أمره فيه بأن « يجتمع مع الوزير الذي كان يزر الراضي بالله ، وهو أبو القاسم سليمان بن الحسن ، وكل من تقلد الوزارة ، مع أصحاب الدواوين والقضاة والعدول والفقهاء والعلويين والعباسيين ووجوه البلد وأن يشاورهم فيمن ينصب للخلافة ممن يرتضى مذهبه وتحمده طرائقه . فمن وجدت فيه هذه الأحوال عقدت له الخلافة (٢) » . وعندما اجتمع هؤلاء وقرئ عليهم كتاب بجكم ، استفسر أحد الهاشميين (٣) عن المرشح للخلافة هل يشترط فيه أن يكون من ولد المقتدر ؟ فأجابه الكوفي كاتب بجكم : « من كانت فيه هذه الأوصاف نصب في الخلافة كائناً من كان (٤) » . وبعد مداولات تم اختيار إبراهيم ابن المقتدر . وبعد مرور أربعة أيام على ذلك حصل اجتماع آخر تقرر فيه مبايعة المرشح . وربما كان سبب هذا التأخير هو الرجوع إلى رأي أمير الأمراء بجكم ثانية بشأن هذا المرشح ، ويبدو أن بجكم قد رجح أن يستشار علي بن عيسى في الأمر حيث حضر الأخير مع المجتمعين وخاطبه الكوفي كاتب بجكم بقوله : « إن الأمير أعزه الله أمر أن يسمع

(١) مسكويه - تجارب ٢/٦ .

(٢) مسكويه - تجارب ٢/٦ .

(٣) وهو محمد بن الحسن بن عبد العزيز الهاشمي .

(٤) مسكويه - تجارب ٢/٦ . ويذكر الصولي (أخبار الراضي والمتقي

ص/١٨٧) بأن بجكم قد أمر بأن يعقد الأمر إلى إبراهيم بن المقتدر ، بعد أن يجمع من ذكرنا « ليقع إجماعهم عليه ، ولا يكون هو المنفرد بهذا الرأي ولا المختار دونهم » .

منك ، وأن يقبل رأيك ، ونحن نعمل على هذا (١) . وأخيراً أحضر إبراهيم بن المقتدر إلى دار بيجم ، حيث عقد له الأمر وحمل من هناك إلى دار الخلافة . ولما عرضت عليه الألقاب اختار لقب « المتقي لله » . وباعه الناس « وأنفذ الخلعة واللواء إلى بيجم (٢) » مع أحد ثقاته حيث أخذ عليه البيعة « على طاعته ، ونصيحته ، وموالاته من والاه ، ومعاداة من عاداه (٣) » .

تمكن بنو حمدان في سنة ٨٣٣٠ / ٩٤١ م من كسب ثقة المتقي ، وتوثيق العلاقات معه حتى خلع على الحسن بن عبد الله ، وطوقه وسوره بسوارين ، وسماه ناصر الدولة ، وخلع على أخيه ولقبه بسيف الدولة (٤) . غير أنه سرعان ما أصبح المتقي لله في وضع حرج ، إذا تأزمت علاقته بالحمدانيين ، فقد ضيق عليه ناصر الدولة في نفقاته ، بل إنه تجاوز ذلك إلى انتزاع ضياعه وضياع والدته (٥) . وقد أدى ذلك إلى الاستهانة بالخليفة ، حتى إن إقبالاً (أحد غلمان ابن شيرزاد الكاتب) أقدم سنة ٨٣٢٢ / ٩٤٣ م على نهب ما تبقى في خزائن الخليفة (٦) .

وأخيراً ظهرت على مسرح سياسة الدولة العباسية شخصية أمير الأمراء

-
- (١) الصولي - أخبار الراضي والمتقي ص/١٨٧ ، ١٨٨ .
 - (٢) الصولي - أخبار الراضي والمتقي ص/١٩١ . مسكويه - تجارب ٢/٦ .
 - (٣) المسعودي - مروج ٣٣٩/٤ . الصولي - أخبار الراضي والمتقي ص/١٨٨ . المقدسي - البدء والتاريخ ١٢٦/٦ . ابن الطقطقي - الفخري ص/٣٨٤ .
 - (٤) أبو الوليد - روضة ص/٢٢٨ .
 - (٥) ابن الجوزي - المنتظم ٣٣٠/٦ .
 - (٦) الهمداني - تمكلة ١٦٦/١ .

توزون ، الذي استطاع أن ينفرد بالسيطرة على مرافق الدولة ، حيث أخذ يصرف الأمور من مقره بواسط (١) ، وأصبح الخليفة ظلًا لوحدة الأمة ، يعتبر من الناحية النظرية رئيساً للدولة .

هرب المتقي لله إلى الموصل على أثر اصطدامه بأمر الأمراء توزون ، بعد محاولة منه لاسترداد بعض اختصاصاته التي يفرضها له احتلاله منصب الخلافة . وقد رحب به الحمدانيون بادية الأمر ، غير أن طول فترة إقامته عندهم ، أدت إلى تناقلهم منه ، فغادروهم إلى الرقة حيث وافاه أمير مصر الذي عرض عليه الانتقال إلى مصر ، وتحويل مقر الخلافة إليها ، وحثه من توزون وغدره ، ولكن الخليفة فضل التوجه إلى بغداد ، بعد أن اتفق مع توزون على شرط الصلح ، إذ حلف له الأخير «بأمان مغلظة بالطاعة وألا يناله مكروه من جهته» . غير أنه قبض عليه (٢) وأعلن خلعه ثم سمل عينيه ، وأحضر عبد الله بن المكتفي ، حيث بويع له بأمر من توزون ، ولقب المستكفي بالله (٣) .

ويبدو أن المستكفي كان ضعيفاً فقد خلع على أمير الأمراء توزون ، وفوض إليه تصريف شؤون الدولة ، وسيطرت القهرمانة علم على شؤونه الخاصة ، وهكذا فلم يكن للمستكفي منذ بداية خلافته حول ولا قوة ، إنما كان رمزاً لوحدة الدولة ، وظلاً يحكم عن طريقه أمير الأمراء .

(١) يذكر ابن الجوزي - المنتظم ٣٣٩/٦ بأنه كان رئيس الجيش وأمير الأمراء وأنه تقلد شرطة بغداد .

(٢) تشير الروايات إلى أن توزون قد استقبل الخليفة المتقي لله ، عند قدومه من السندية ، على نهر عيسى ، وأنه لما رآه قبل الأرض بين يديه ، ثم قبل يديه وقال له : « ما قد وفيت أيمان لك » ن . م . ٣٣٩/٦ .

(٣) السعدي - مروج ٣٣٩/٤ . ابن الجوزي - المنتظم ٣٣٩/٦ . ابن الطقطقي - الفخري ص/٢٨٤ .

بعد وفاة توزون أمير الأمراء تأمر عامل واسط مع أحمد بن بويه
للتقدم إلى العاصمة واحتلالها ، حيث كانت تشكو الفوضى وسوء الإدارة
والأزمة المالية (١) . ودخل البويهيون بغداد في ١١ جمادى الآخرة سنة
٣٣٤ هـ ١٧ كانون الثاني ٩٤٦ م (٢) .

إن وصول البويهيين إلى مقر الخلافة العباسية ، والتبديل الذي نجم عن
ذلك ، يمكن اعتباره استمراراً لعصر أمراء الأمراء في اتجاهاته ، فقد
بقي الخليفة شبحاً للسيادة ، وساد الاتجاه العسكري في مؤسسات الدولة ،
وحل الأمراء الجدد محل القدامى (٣) . غير أن بعض الأوضاع الجديدة
في العهد البويهي عملت على زيادة الترددي في وضع الخلافة ، فقد جاء
البويهيون على رأس جيش أجنبي وأنشأوا إمارة وراثية ، وانحط مركز
الخليفة في عهدهم من سيء إلى أسوأ ، وفقد بعض الحرمة والنفوذ التي
كانت له في تسيير دفة إدارة الدولة . ولعل السبب الرئيسي في ذلك أن
البويهيين كانوا شيعة زيدية (٤) ، وهم لذلك لا يعترفون بحق العباسيين في
الخلافة (٥) ، ولم يوافقوا على إبقاء الخلافة في العائلة العباسية إلا لاعتبارات
سياسية (٦) .

(١) الدوري - دراسات ص/٢٤٧ .

(٢) مسكويه - تجارب ٨٤/٦ ، ٨٥ .

(٣) ن . ٢٠ . ٨٥/٦ . الدوري - دراسات ص/٢٤٧ ، ٢٤٨ .

(٤) ابن حنبل - تفضيل الترك على سائر الأجناد ص/٣٢ . الدوري -

دراسات ص/٢٤٨ .

(٥) ابن الأثير - الكامل ١٤٩/٧ .

(٦) الدوري - دراسات ص/٢٤٨ .

رَفْعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المبحث الثاني الوزارة

الفصل الأول

اختيار الوزراء

لقد تضاءلت أهمية الوزارة منذ مقتل المتوكل ، واستبد الأتراك في إدارة الدولة^(١) ، وأصبح منصب الوزارة تحت تأثيرهم ، واختيار المرشح يجري بحسب إشارتهم ، وهكذا عهدوا بالوزارة إلى أحمد بن الحصيب^(٢) الذي اشترك معهم في تغطية الجريمة التي ارتكبت بمقتل المتوكل ، « إذ أنه (ابن الحصيب) أحضر القواد والكتاب والجند وقرأ عليهم كتاباً من المنتصر يخبرهم فيه بأن الفتح بن خاقان قد قتل المتوكل ، وأنه قد قتله به^(٣) » . وبقي ابن الحصيب وزيراً طيلة حكم المنتصر ، واستمر على تعاونه مع زعماء الأتراك . « وقد تفاوض هؤلاء معه » في شأن المعتز والمؤيد ... وحملوا المنتصر على خلعها^(٤) » من ولاية العهد .

(١) ابن الطقطقي - الفخري ص ٢٢٠ .

(٢) أحمد بن الحصيب وزير للمنتصر طيلة فترة حكمه ، وبالرغم مما اتهم به من تقصير في صناعة الكتابة (الفخري ٢٣٩) فإنه كان يتمتع بأفق واسع (انظر ابن الأثير - الكامل ٤٠/٧ . ابن خلدون - مقدمة ٥٩٩/٣) وقد ذمه أبو العيناء (النظر زهرة الأدب ٢٠٥/٣) ترجم له الضولي في أخبار البحري ص ١٠٣ ، والذهبي - العبر ٢٩/٢ ، ٣٠ . وابن العباد - شذرات ١٤٩/٢ .

(٣) الطبري تاريخ ١٤٥٢/٣ ، ١٤٦٥ . ابن الأثير - الكامل ٣١/٧ ، ٣٥ .

(٤) ابن خلدون - مقدمة ٥٩٧/٣ .

وعند وفاة المنتصر تمكن ابن الخصيب من تنفيذ رغبة قادة الأتراك في الجيـء بالمستعين إلى الخلافة ، إذ « اجتمع الموالي ... وفيهم بغا الصغير وبغا الكبير وأوتامش ومن معهم ، فاستحلفوا قواد الأتراك والمغاربة والأشروسنية على أن يرضوا بمن رضي به بغا الصغير وبغا الكبير وأوتامش وذلك بتدبير أحمد بن الخصيب ، فحلف القوم ^(١) . وقد أدت سيطرة الأتراك ، وضعف المستعين إلى تجاهل شروط الوزارة ، وتوليها من قبل أحدم . وهكذا تولى أوتامش وزارة المستعين ^(٢) ، حيث استبد بالأمور وأقطع لنفسه أموالاً جلية ، وعمد إلى ما في بيوت الأموال فاكتسحه ^(٣) . ولكن استبداد هذا الوزير بالدولة دون بقية رؤساء الأتراك قد عجل بنهايته ^(٤) .

اختار المستعين لوزارته عبد الله بن محمد بن يزداد الذي كان من الكتاب ^(٥) ، فلم يرض عنه الأتراك لأنه لم يكن من صنائعهم ، وغضب

-
- (١) الطبري - تاريخ ٨٢/١١ (ط . الحسينية) . ابن الأثير - الكامل ٤٠/٨ .
(٢) من رؤساء الأتراك ، استوزره المستعين على كره منه ، قتله الجند في آخر ربيع الآخرة سنة ٥٢٤٩ ، بعد أن استجار بالخليفة فلم يجره ، وقتلوا معه كاتبه شجاع بن القاسم . عن تفصيل ذلك انظر الطبري - تاريخ ٨٢/١١ .
ابن الأثير - الكامل ٤٠/٧ . ديوان البحري ٧٧/١ . ومن المحتمل أن يكون قد جرى قتله بموافقة المستعين بالله وتدبيره . انظر اليعقوبي - تاريخ ٦٠٦/٢ .
(٣) الطبري - تاريخ ٨٦/١١ .
(٤) الطبري - تاريخ ٨٦/١١ . اليعقوبي - تاريخ ٦٠٦/٢ .
(٥) ترجم له ابن النديم - المهرست ١٢٤ . وانظر ابن الأبار - إهتاب ص/١٦٥ .

عليه بغا الصغير والأمراء الأتراك لأنه ضيق عليهم الأموال ، فهرب من سامراء إلى بغداد ، بعد أن هددوه بالقتل^(١) . واستوزر المستعين بعد ذلك محمد بن الفضل الجرجاني ، الذي بقي في الوزارة حتى خلع الخليفة^(٢) .

تولى المعتز بالله الخلافة واضطره الأتراك إلى استيزار أبي الفضل جعفر ابن محمود الإسكافي ، الذي كان يكرهه ، لأنه متهم بالتشيع . وقد حصل بسبب هذا الوزير فتنة بين الأتراك أدت إلى عزله . فاختار المعتز لوزارته عيسى بن فرخان شاه الكاتب ، الذي كان يتولى إدارة بعض الدواوين ، ولكن سرعان ما عزل بتأثير الأتراك^(٣) . فاستوزره أبا جعفر أحمد ابن اسرائيل الأنباري الذي كان « أحد الكتاب الحذاق الأذكياء^(٤) » ، وكان يتمتع بمنزلة عالية لدى الخليفة ، فقد كان كاتباً له قبل الخلافة ، وهو الذي أشرف على تربيته . ولكن الأتراك لم يرق لهم ذلك ، فاستغلوا عدم صرف العطاء بسبب فراغ بيت المال ، وأقدم أحد رؤسائهم ، صالح بن وظيف ، على اعتقاله^(٥) . وفرض الأتراك أحد صنائعهم ، إذ توجه قوم من الأتراك إلى إسكاف ليأتوا بجعفر بن محمود الإسكافي ؛ فقال المعتز : أما جعفر فلا أرب لي فيه ، ولا يعمل لي ... وبعث إلى أبي صالح

(١) الطبري - تاريخ ٨٦/١١ - ابن الطقطقي - الفخري ص/٢٤٢ .

(٢) الطبري - تاريخ ١٠٢/١١ ، ١٠٣ . أما صاحب الفخري فيذكر

أنه لم يستوزر المستعين أحداً بعد ابن يزداد وإنما استكتب الجرجاني وشجاع « ولم يتسم أحد منها بالوزارة » الفخري - ٢٤٢ .

(٣) ابن الطقطقي - الفخري ٢٤٤ .

(٤) ابن الطقطقي - الفخري ٢٤٤ .

(٥) الطبري - تاريخ ١٦٠/١١ . المسعودي - مروج ١٦٩/٤ .

عبد الله بن محمد بن يزداد ليصيرَه وزيراً^(١) ، وقد عجز المعتز بالله عن تحقيق رغبته في استيزار ابن يزداد ، وتم الأتراك ما أرادوا ، إذ فرضوا على المعتز استيزار جعفر بن محمود الإسكافي^(٢) الذي اكتفى بحضور المواكب وكتابة رسائل الخليفة ، وترك تصريف أمور الدولة الأخرى بيد صالح ابن وصيف ، حيث كانت الكتب تصدر باسمه وكأنه هو الوزير^(٣) ، وقد استمر الوضع على هذا المنوال حتى نهاية خلافة المعتز بالله^(٤) .

على الرغم من قصر الفترة التي حكم فيها^(٥) المهدي بالله ، فإننا نلاحظ تبديلاً سريعاً للوزراء في عهده^(٦) ، وربما كان من بين الأسباب التي أدت إلى ذلك عدم كفاية البعض منه ، أو اتهامهم بانجهاات سياسية معارضة^(٧) . ولكن السبب الرئيسي هو أن الخليفة لم يكن حراً في تصرفه ، بل كان واقعاً تحت تأثير الأتراك ، ومع ذلك فإن كون الوزراء من طبقة الكتاب هي الصفة التي توحيدهم . فقد كان سليمان بن وهب أحد كتاب الدنيا

(١) الطبري - تاريخ ١٦١/١١ .

(٢) الطبري - تاريخ ١٦١/١١ . ابن كثير البداية ١٦٠/١١ . ابن

الطقطقي ٢٤٥ . (٣) المسعودي - مروج ١٦٩/٤ .

(٤) كان ذلك في رجب سنة ٢٥٥ / ٨٦٩ م .

(٥) حكم المهدي خلال الفترة من رجب سنة ٢٥٥ هـ حتى رجب سنة

٢٥٦ / ٨٦٩ - ٨٧٠ م .

(٦) تتابع على وزارته جعفر بن محمد الإسكافي ، وعيسى بن فرخان شاه ،

وسليمان بن وهب بن سعيد ، وعبد الله بن محمد بن يزداد ، أي أربعة وزراء خلال فترة تقارب السنة الواحدة . انظر الهامش (٧) أعلاه .

(٧) اتهم الإسكافي بالتشيع . انظر الأغاني ٦٧/٢٠ ، الفخوري ٢٢٤ .

ورؤسائها فضلاً وأدباً وكتابة في الدرج والدستور^(١) ، أما عيسى بن فرخان شاه فقد كان كاتباً يتولى الدواوين قبل أن يلي الوزارة^(٢) . وكذلك الأمر بالنسبة لعبد الله بن محمد بن يزداد الذي كان «عنده أدب وفضل وكانت توقيعاته وأجوبته من أحسن التوقيعات والأجوبة^(٣)» .

وفي خلافة المعتمد على الله^(٤) رشح الأتراك لوزارته عبيد الله بن يحيى ابن خاقان^(٥) الذي «كانت له معرفة واسعة بالحساب والاستيفاء^(٦)» ، وعند وفاته^(٧) استوزر الخليفة الحسن بن مخلد^(٨) ويمثل استيزاره جانباً من محاولات الخلافة للتخلص من السيطرة التركية ، إذ لم يكن هذا الوزير على علاقة طيبة معهم^(٩) . غير أن هذه المحاولة لم يقدر لها النجاح ، إذ لم يكد يصل مقدم الأتراك موسى بن بغا من بغداد إلى العاصمة سامراء حتى «عزله واستوزر مكانه سليمان بن وهب^(١٠)» ، ولم يكن ذلك يرضي

(١) ابن الطقطقي - الفخري / ٢٤٧ .

(٢) المسعودي - مروج / ١٨٣/٤ . ابن الطقطقي - الفخري / ٢٤٤ .

ولم يشر إليه زامباور .

(٣) ابن الطقطقي - الفخري / ٢٤٢ . ابن النديم - الفهرست / ١٢٤ .

(٤) بوبع المعتمد على الله بالخلافة في ١٣ رجب سنة ٢٥٦ / ٨٦٩ م

انظر الطبري - تاريخ / ١١ / ١٠٣ - ٢٠٥ . يعقوبي - التاريخ / ٢ / ٦١٩ .

(٥) ابن أخ الفتح بن خاقان وزير المتوكل . انظر بداية هذا الفصل .

(٦) يعقوبي - التاريخ / ٢ / ٦١٩ . ابن الأثير - الكامل / ٧ / ٨٤ . الفخري / ٢٣٨ .

(٧) توفي الوزير في رجب سنة ٢٦٣ / ٨٧٦ م .

(٨) انظر الإشارة إليه في الفخري (٢٥١) حيث كان كاتباً الموفق .

(٩) الطبري - تاريخ / ١١ / ٢٤٦ ، المسعودي - مروج / ٤ / ١٩٩ ، ابن

كثير - البداية / ١١ / ٣٦ ، ابن الجوزي - المنتظم ج ٥ ق ٤٥ / ٢ ، الصولي -

أخبار البحري من ١٠٩ ، الفخري / ٢٥١ .

(١٠) الطبري - تاريخ / ١١ / ٢٤٦ ، ابن كثير - البداية / ١١ / ٣٦ .

الخليفة بطبيعة الحال ، إذ ما إن توفي موسى بن بغا ، حتى أعلن الخليفة غضبه على هذا الوزير ، وحبسه وقيده وانتهب داره وداري ابنه ، وأعاد الحسن بن مخلد إلى الوزارة^(١) . ويبدو أن هذه المحاولة من جانب الخليفة لم يقدر لها النجاح أيضاً ، إذ اصطدمت رغبة المعتمد في استرجاع اختصاصاته وحرية في اختيار الوزير بعنصر جديد ، غير الأتراك ، وهو شخصية الموفق الذي تمكن من تركيز الأمور بيده ، بدافع الرغبة في إعادة القوة والاستقرار للخلافة ، فأصبح الحاكم الفعلي للدولة ، إذ رفض أن ينفرد المعتمد باختيار الوزير ، وتأزمت الأمور بين الطرفين ، إذ سار الموفق على رأس جنده من بغداد إلى سامراء فاضطر المعتمد إلى الصلح معه ، وإعادة سليمان بن وهب إلى الوزارة^(٢) ، بعد إقصاء الحسن بن مخلد عنها^(٣) . وابتداء من هذا التاريخ لم يبق للخليفة المعتمد رأي في اختيار الوزراء ، إذ اختص بذلك الموفق حتى وفاته^(٤) . فقد نهي الموفق سليمان ابن وهب بعد ذلك لعدم انسجامه معه^(٥) ، واختار للوزارة اسماعيل بن ببلد الكاتب الذي جمع له السيف والقلم^(٦) ، ثم عزله بأحمد بن صالح ابن شيرواز القطوبلي الذي « كان كاتباً بليغاً فاضلاً عارفاً بما يلزم مثله معرفته ، مجيداً في النظم والنثر^(٧) » .

-
- (١) الطبري - تاريخ ٢٥١/١١ ، ابن كثير - البداية ٣٦/١١ .
(٢) الطبري - تاريخ ٢٥١/١١ ، ابن كثير - البداية ٣٦/١١ ، ابن الأثير - الكامل ١١٢/٧ .
(٣) هرب الحسن بن مخلد مع بعض القادة الذين أزرروه إلى الموصل خوفاً من الموفق .
(٤) توفي الموفق يوم الأربعاء لثان يمين من صفر سنة ٢٧٨ هـ / ٢٨٩١ .
(٥) ابن الأثير - الكامل ١١٦/٧ .
(٦) الطبري - تاريخ ٢٥٣/١١ ، ابن الطقطقي - الفخري ٢٥٢ .
(٧) ابن الطقطقي - الفخري ٢٥٤ .

لقد تمكن الخليفة المعتمد بعد وفاة أخيه الموفق ، ولأول مرة ، من التصرف بحرية في اختيار الوزير ؛ إذ أنه عهد إلى عبيد الله بن سليمان بن وهب بالوزارة^(١) ، وكان هذا الوزير من مشايخ الكتاب^(٢) . وقد استمر عبيد الله بن سليمان في الوزارة حتى وفاة المعتمد^(٣) . ثم أقره الخليفة الجديد - المعتضد بالله - على وزارته^(٤) . وبقي فيها حتى وفاته^(٥) ، فرغب الخليفة في استيزار أحمد بن محمد بن الفرات « فعدل به بدر صاحب الشرطة عنه ، وأشار عليه بالقاسم بن عبيد الله ، فسفه رأيه ، فألح عليه ، فولاه وبعث إليه يعزبه في أبيه ويهنيه بالوزارة^(٦) » . وكان القاسم هذا من

(١) الطبري - تاريخ ٣٣٧/١١ ، ابن الطقطقي - الفخري ٢٥٤ .

(٢) المسعودي - مروج ١٦٩/٨ ، ٢٥٢ ، ٢٦٤ ، ابن الأبار - إهتاب ١٧٥ ، ابن الطقطقي - الفخري ٢٥٤ وانظر ترجمته في : الزركلي - الأعلام ٣٤٩/٤ .

(٣) توفي المعتمد في ١٨ رجب سنة ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م وتولى الخلافة بعده أبو العباس أحمد بن طلحة الموفق بن المتوكل على الله .

(٤) الطبري - تاريخ ٣٤١/١١ ، المسعودي - مروج ٢٣٣/٤ ، ابن كثير - البداية ٦٦/١١ ، ابن الأثير - الكامل ١٦٣/٧ ، ابن الجوزي - المنتظم ج ٥ ق ١٢٣/٢ .

(٥) ابن الأثير - الكامل ١٨٢/٧ ، ابن الجوزي - المنتظم ج ٥ ق ١٣٤/٢ - ١٣٥ وكانت وفاة عبيد الله بن سليمان في ربيع الآخرة سنة ٢٨٨ هـ / ٩٠٠ م .

(٦) الصولي - أدب ١٥٠/٢ ، المسعودي - مروج ٢٣٣/٤ ، ابن كثير - البداية ٩١/١١ .

« الكتاب الشعراء »^(١) ، وبقي في الوزارة حتى وفاة المعتضد^(٢) ، حيث أخذ البيعة للمكتفي وكتب إليه بذلك لأنه كان بالرقعة^(٣) .

عند وصول المكتفي إلى بغداد واستلامه مقاليد الخلافة ، أقر القاسم ابن عبيد الله على الوزارة^(٤) حيث وليها حتى وفاته^(٥) . ولما أدركته الوفاة أشار على المكتفي بالعباس بن الحسن الجرجرائي^(٦) ، وقد أخذ الخليفة بهذه المشورة ، وكان العباس هذا آخر وزراء المكتفي^(٧) ،

(١) المرزباني - معجم الشعراء ٣٣٧ ، الزركلي - الأعلام ١١/٦ .

(٢) توفي المعتضد في سنة ٢٨٩ هـ / ٩٠١ م .

(٣) الطبري - تاريخ ٣٧٣/١١ ، المسعودي - مروج ٢٧٥/٤ ابن الأثير - الكامل ١٨٣/٧-١٨٤ ، ابن العبري - مختصر ٢٥٣ ، ابن الطقطقي - الفخري ٢٥٨/ السيوطي - تاريخ ٣٧٦ .

(٤) الطبري - تاريخ ٣٧٣/١١ ، ابن الطقطقي - الفخري / ٢٥٨ .

(٥) ابن كثير - البداية ٩٨/١١ ، الذهبي - العبر ٨٩/٢ وقد توفي من نهاية سنة ٢٨٩ هـ / ٩٠١ م ولكن يظهر أنه أيضاً على نقود من سنتي ٢٩٢ - ٢٩٣ هـ / ٩٠٥ - ٩٠٤ م ضربت بعد وفاته (زامباور - معجم ص ٧) .

(٦) الذهبي - العبر ٨٩/٢ ، ابن الأبار - إعتاب ١٨٧ .

(٧) ابن الأثير - الكامل ٤-٣/٨ ومسكويه - تجارب ٤-٣/٥ ، الصان الوزراء ٣٩٠ ، الهمداني - تذكرة ٩-٨/١ ، ابن الطقطقي - الفخري ٢٦٥ وقد انفرد القرطبي برواية خاصة ؛ إذ أورد ما يشير إلى أن محمد بن داود بن الجراح كان يلي الوزارة للمكتفي بعد وفاة القاسم وخلال الحرب مع القرامطة إذ يقول : « وندب السلطان محمد بن داود بن الجراح الوزير للخروج إلى الكوفة والمقام بها ، وإنفاذ الجيوش إلى القرمطي » صلة ص ١٦ .

إذ احتفظ بمنصبه حتى وفاة المكتفي . وقد أقره المقتدر على الوزارة عند خلافته (١) .

وبعد أن انتهت فتنة ابن المعتز (٢) ، استوزر المقتدر بالله أبا الحسن علي بن الفرات بتأثير الحرم فقد كانت السيدة والدة المقتدر تؤكد لابنها فضل ابن الفرات عليه ونصرته له ، وتطلب منه أن يثق به ويستوزره (٣) وكان هذا كاتباً حسن الكتابة ظاهر الكفاية خبيراً بالحساب والأعمال متقدماً على أهل زمانه في هذه الأحوال (٤) ، كما وقع المقتدر تحت تأثير الحرم في استيزاره لمحمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان . وكان هذا وقد ضمن لأُم ولد ثانية للمعتضد بالله مائة الف دينار حتى سعت في ولايته (٥) . وقد شاور المقتدر مؤنساً الخادم في رد أبي علي بن الفرات بعد ذلك إلى الوزارة . وكان مؤنس مستوحشاً منه ، فصرف رأي الخليفة عنه إلى علي بن عيسى بن الجراح ووصفه « بالثقة والأمانة والديانة والنزاهة والصيانة والصناعة » (٦) ، وقد ساءت علاقة هذا الوزير بالحرم والحاشية ،

-
- (١) المسعودي - مروج / ٤ / ٢٩٣ ، القرطبي - صلة ٢٣ ، ابن الطقطقي الفخري ٢٦٥ ، ثولى المقتدر الخلافة ٢٩٥ / ٨ / ٩٠٧ م .
(٢) المسعودي - مروج / ٤ / ٣٠٤ ، مسكويه - تجارب ٥ / ٥ القرطبي صلة ٢٦ ، ابن تغري بردي - النجوم ٣ / ١٦٥ ، ابن الطقطقي - الفخري ٣٦٥ ، وقد بدأت السنة يوم الأربعاء الرابع من ذي الحجة سنة ٣٩٦ / ٨ / ٩٠٨ م .
(٣) الصابي - الوزراء / ١٩٣ ، ٢٨٤ - ٢٨٥ ، ابن الأثير - الكامل ٦ / ٨ ، مسكويه - تجارب ٨ / ٥ - ١٣ ، الذهبي - العبر : ١٠٥ / ٢ .
(٤) الصابي - الوزراء / ١٢ .
(٥) ابن كثير - البداية ١١ / ١١٦ ، ابن الجوزي المنتظم ٦ / ١٠٦ ، وانظر ابن الأثير - الكامل ٨ / ٢٢ .
(٦) مسكويه - تجارب ٥ / ٢٥ - ٢٦ .

وثمكنت أم موسى القهرمانة من إقناع المقتدر والسيدة والدته بعزله بعد أن تجرّصت عليه^(١). واستوزر ابن الفرات للمرة الثانية ، بعد أن تعهد بدفع ألف وخمسمائة دينار يومياً إلى المقتدر ووالدته وأولاده^(٢).

ثم استشير علي بن عيسى فيمن يصلح للوزارة وأرسلت له قائمة بأسماء الكتاب المرشحين ، فكتب أمام كل اسم رأيه فيه « فأجمع رأي المقتدر ومن كان يشاوره على تقليد حامد بن العباس الوزارة^(٣) » . ثم سعى مفلح الأسود^(٤) مع الحسن بن أبي الحسن بن الفرات عند المقتدر ووالدته لإقضاء حامد واستيزار أبي الحسن بن الفرات ، وتعهدا بدفع أموال جلية^(٥) . . ويبدو أن ابن الفرات قد أحس بعد وزارته هذه بأثر الخاشية في إقضاء الوزراء واستيزارهم ، فحاول إبعادهم ، فأبعد مؤنساً إلى الرقة^(٦) وسعى بنصر القشوري وشفيح المقتدري حتى أضعف أمرهما لدى الخليفة^(٧).

واستوزر أبو القاسم عبيد الله بن محمد الخاقاني على كره من الخليفة بعد أن تضمن أموال سلفه ابن الفرات^(٨) ، وكان مؤنس قد أشار على

-
- (١) ابن كثير - البداية ١٢٦/١١ ، مسكويه - تجارب ٤٠/٥ .
 - (٢) مسكويه - تجارب ٤٢/٥ ، وكان منها المقتدر في كل يوم ألف دينار والسيدة في كل يوم ٣٣٣ دينار وثلاث ، والأميرين أبي العباس وهارون ابني المقتدر في كل يوم ١٣٦ دينار وثلاث ، وانظر الهمداني - تكملة ٢٦/١ .
 - (٣) القرطبي - صلة ٧٢ - ٧٣ . (٤) وكان هذا أميراً للشرطة .
 - (٥) ابن الأثير - الكامل ٤٨/٧ ، الهمداني - تكملة ٤٣/١ ، ابن قفري بردي - النجوم ٣٠٧/٣ .
 - (٦) الهمداني - تكملة ٥٦/١ . (٧) ن . م . ص ٥٦/١ .
 - (٨) ابن الأثير - الكامل ٥١/٨ . مسكويه - تجارب ١٣٦،٥ .

الخليفة به ، وساعده في ذلك نصر الحاجب وهارون بن غريب وثل القهرمانه (١) . ثم استوزر أحمد بن عبيد الله الحصي بتأثير القهرمانه التي أشارت به على الخليفة لأنه « كان يكتب لأم المقتدر (٢) » . وساعدتها في ذلك أم المقتدر وخالته ونصر الحاجب (٣) ، ثم أشار مؤنس بعزله ونولية علي بن عيسى فاستجاب الخليفة لذلك (٤) . ولكن الظروف التي كانت تمر بها الدولة من اشتداد أمر القرامطة ، وانقطاع الموارد - مما زاد في اشتداد الأزمة المالية (٥) - وعدم تعاون الحاشية مع الوزير ، كل ذلك جعل علي بن عيسى يطلب الاستعفاء من الوزارة ، فشاور الخليفة كلاً من مؤنس الخادم ونصر الحاجب فيعين يرشحون (٦) له ، وعرض عليهم أسماء ثلاثة من الكتاب وهم محمد بن خلف النيرماني - الذي عرض تحصيل مليون دينار من مال النواحي في مدة أربعة أشهر - والفضل بن جعفر ، وأبو علي بن مقلة . وقد أشار نصر في البداية باستيزار النيرماني . وقال : « أما الفضل فما يدفع عن محل وصناعة ، ولكنك قتلت عمه بالأمس ، وبنو الفرات كلهم يدينون بالرفض ، ويميلون إلى

-
- (١) القرطبي - صلة ١٢٠ ، مسكويه - تجارب ١٢٧/٥ ، ابن الطقطقي الفخري ٢٦٩ .
(٢) القرطبي - صلة ١٢٦ .
(٣) مسكويه - تجارب ١٤٣/٥ ، الهمداني - تكملة ٦١/١-٦٢ .
(٤) ابن الأثير - الكامل ٥٥/٨ ، ابن كثير - البداية ١٥٤/١١ ، مسكويه تجارب ١٤٩/٥ ، القرطبي - صلة ١٢٩ ، ابن الجوزي - المنتظم ٢٠٢/٦ ، الهمداني - تكملة ٦٤/١ .
(٥) انظر الفصل الخامس بمسؤوليات الوزير المالية في هذا البحث .
(٦) الصان - الوزراء ٣٤٣ ، ابن الجوزي - المنتظم ٢١٦/٦ ، مسكويه تجارب ١٨٥/٥ .

القرمطي ، وابن مقلة - فلاهية له (١) . غير أن مؤسساً الخادم وهارون بن غريب نفروا المقتدر منه . وأشار مؤنس باستيزار أبي زنبور المادرائي الكاتب فكروه نصر ، وأشار بتقليد ابن مقلة وقال : « يقد فإن استقل بما ندب إليه ، وإلا صرف واستبدل به (٢) » . واضطر المقتدر إلى استيزاره (٣) .

وكان ابن مقلة من مشاهير الكتاب « وهو صاحب الخط الحسن المشهور وله اليد الطولى في الكتابة والإنشاء . وكان في ابتداء أمره يخدم في بعض الدواوين ، وتوقيعاته غير مدمومة ، كما كان ينظم الشعر (٤) . وبالرغم من أن القاهر قد استبقاه في الوزارة خلال اليوم الذي حكم فيه (٥) ، فإن المقتدر لم يعزله (٦) . ولعل ذلك كان بتأثير من مؤنس الخادم الذي كان واسع النفوذ قوي التأثير على الخليفة (٧) ، إذ ما إن خرج مؤنس

(١) الصابي - الوزراء ٣٤٣ . (٢) ن ٣٤٣ . ٢٠٠

(٣) الصابي - الوزراء ٣٤٣ ، ابن الجوزي - المنتظم ٢١٦/٦ ، مسكويه -

تجارب ١٨٥/٥ .

(٤) ابن العلقمطي - الفخري ٢٧٠ - ٢٧١ .

(٥) تولى القاهر منصب الخلافة ليوم واحد ، ثم أعيد المقتدر إلى الخلافة ،

وكان ذلك في سنة ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م انظر ابن الأثير - الكامل ٦٩/٨ ، ابن

كثير البداية ١٥٩/١١ ، مسكويه - تجارب ١٩٣/٥ ، ابن الجوزي - المنتظم

٢٢٢/٦ ، ابن تغري بردي - النجوم ٢٢٣/٣ .

(٦) ابن الأثير - الكامل ٧٠/٨ ، القرطبي - صلة ١٤٤ ، الهمداني - تكملة ٧٨/١ .

(٧) ابن الأثير - الكامل ٧٤/٨ ، ابن كثير - البداية ١٦٤/١١ ، ابن

الجوزي - المنتظم ٢٣١/٦ ، القرطبي - صلة ١٥٠/ .

من بغداد (١) حتى أمر المقتدر بالقبض على ابن مقلة (٢) ، وكشف عن رغبته في استيزار الحسين بن القاسم . فلما بلغ ذلك مؤنساً أسرع بالعودة وقد غلظ عليه أن يتفرد المقتدر بهذا التدبير (٣) ، وطلب من الخليفة إعادة ابن مقلة فلم يوافق ، فطلب منه ألا يستوزر الحسين ابن القاسم ، فاضطر إلى تركه ، واستوزر سليمان بن الحسن (٤) بمشورة علي بن عيسى (٥) . ثم اصطدمت رغبة المقتدر في استيزار الحسين بن القاسم مرة ثانية بمعارضة مؤنس الذي اضطره إلى استيزار الكلوذاني . ولم تطل أيام وزارته (٦) ، إذ عزله الخليفة ، واستوزر الحسين بن القاسم ، الذي كان من كبار الكتاب (٧) . وقد تعهد هذا بسد نفقات الدولة إضافة إلى مليون دينار يدفعها للخليفة سنوياً (٨) ، ورفض مؤنس قبول هذا التصرف من

-
- (١) مسكويه - تجارب ٢٠٣/٥ وكان خروجه في نزعة إلى منطقة أوانا .
(٢) ابن الأثير - الكامل ٧٤/٨ ، ابن كثير - البداية ١٦٤/١١ ، مسكويه تجارب ٢١٣/٥ ، ابن الجوزي - المنتظم ٢٣١/٦ ، القرطبي - صلة ١٥٠/٠ .
(٣) مسكويه - تجارب ٢٠٤/٥ .
(٤) أبو القاسم سليمان بن الحسن بن غلد من الكتاب تولى هو وأبوه الوزارة كانت وزارته للمقتدر في ٣٠ جمادى الأولى سنة ٣١٨ هـ / ٩٣٠ م .
(٥) المسعودي - مروج ٣٠٥/٤ ، القرطبي - صلة ١٥٠/٠ ، مسكويه - تجارب ٢٠٥/٥ ابن الطقطقي - الفخري ٢٧٣/٠ .
(٦) كانت وزارته هذه لمدة شهرين .
(٧) عميد الدولة الحسين بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب ولي الوزارة في ١٩ رمضان سنة ٣١٩ هـ / ٩٢١ م وكان حريقاً في الوزارة ، انظر ابن الأثير الكامل ٨٧/٨ ، ابن كثير - البداية ١٦٦/١١ ، مسكويه - تجارب ٢١٤/٥ .
(٨) ابن قفري بردي - النجوم ٢٢٩/٣ .

جانب الخليفة المقتدر ، وطلب منه عزل هذا الوزير ومصادرته ، فوافق المقتدر على عزله دون المصادرة ، ولما رفض مؤنس ذلك أبقاه المقتدر في الوزارة (١) ، فحاول مؤنس القبض عليه ، وعندئذ لجأ الوزير إلى دار الخلافة حيث أقام فيه (٢) . وبعد أن ظهر عجزه أقصاه المقتدر (٣) ، واستوزر أبا الفتح الفضل بن جعفر الفرات الذي استمر في وزارته حتى مقتل الخليفة المقتدر بالله (٤) .

عند اعتلاء القاهر الخلافة استوزر أبا علي بن مقلة بمشورة حاجبه الذي حذله ذلك بحجة أن الأوضاع « تحتاج إلى سمح الكف (٥) » . وبعد فشل محاولة إقصاء الناهر وهرب الوزير ، سأل الخليفة عن يصلح للوزارة ، فأشير عليه بأبي جعفر محمد بن القاسم ، وكان من الكتاب فاستوزره (٦) . ومن الطريف أن نذكر بأن القاهر قد استدعى بعد ذلك عدة كتاب ليواليهم الوزارة والدواوين ، لكنه قبض عليهم وسجنهم (٧) . وأخيراً استوزر

-
- (١) ابن الأثير -- الكامل ٧٦/٨ - ٧٩ ، مسكويه - تجارب ٢٢٢/٥ ، الذهبي - العبر ١٧٤/٢ ، الهمداني - تكملة ٨٣/١ .
(٢) القرطبي - صلة ١٦٤ ، مسكويه - تجارب ٢٢١/٥ ، الهمداني - تكملة ٨٣/١ .
(٣) مسكويه - تجارب ٢٢٨/٥ .
(٤) ابن الأثير -- الكامل ٧٤/٨ ، ابن كثير - البداية ١٦٤/١١ ، ابن الجوزي - المنتظم ٢٣١/٦ ، القرطبي صلة / ١٥٠ .
(٥) ابن الأثير - الكامل ٨٣/٨ ، ابن كثير - البداية ١٧٠/١١ ، الهمداني - تكملة ٩٠/١ ، ابن العبري - مختصر : ١٥٨ - ١٥٩ ، وقد تم استيزاره في ٩ شوال سنة ٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م واستخلف له الكاوداني لأنه كان منفيًا في فارس .
(٦) مسكويه - تجارب ٢٦٥/٥ .
(٧) مسكويه - تجارب ٢٧٢/٥ - ٢٧٣ ، الهمداني - تكملة ١٠١/١ .

أحمد بن عبيد الله بن سليمان الحصيبي الذي بقي في الوزارة حتى خلع
القاهر (١) .

وفي خلافة الرازي بالله (٢) ، امتنع علي بن عيسى عن استلام الوزارة
معتذراً ببعجزه وكبر سنه وضعفه ، وأشار باستيزار ابن مقلة (٣) الذي
كان قد بذل خمسمائة ألف دينار حتى استوزره الرازي (٤) ، وكان
للجيش أثر في هذا الاختيار (٥) .

ولقد حصل تطور خطير في اختيار الوزراء خلال هذه الفترة ، إذ
شغب الجند على ابن مقلة ، وقبضوا عليه ، وأقصوه عن الوزارة ، وطلبوا
من الخليفة استيزار غيره (٦) ، فوجه إليهم يستصوب فعلمهم . . . ورد
الخيار إليهم فيمن يستوزره (٨) ، وقد رشح الجند علي بن عيسى الذي
امتنع عن قبول الوزارة رغم إلحاحهم ، وأشار عليهم بأخيه عبد الرحمن

(١) مسكويه - تجارب ٢٧٣/٥ . الهمداني - تكملة ١٠٩/١ .

(٢) خلع القاهر وتولى الرازي الخلافة يوم السبت لست خلون من جمادى

الأولى سنة ٣٢٢ هـ .

(٣) ابن الأثير - الكامل ٩٧/٨ ، مسكويه - تجارب ٢٩٢/٥ ، ابن

الجوزي - المنتظم ٢٦٦/٦ ، ومن الغريب أن الصولي يذكر في أخبار الرازي

ص ، بأن علي بن عيسى قد أقرها لأخيه ، والراجح أن عبد الرحمن قد استوزر

بعد ابن مقلة .

(٤) ابن الطقطقي - الفخري/٣٨٠ . (٥) مسكويه - تجارب ٢٩٢/٥ .

(٦) ابن الأثير - الكامل ١٠٩/٨ ، ابن كثير - البداية ١٨٤/١١ ، ابن

الجوزي - المنتظم ٢٨١/٦ ، الصولي - أخبار ٨١/٨١ ، الذهبي - العبر ٢٠٠/٢ ،

ابن العباد - شذرات ٣٠٠/٢ ، ابن تغري بردي ٢٧٥/٣ .

(٧) مسكويه - تجارب ٣٣٦/٥ .

ابن عيسى فاستوزره^(١). ثم تعاقب على الوزارة بعده أبو جعفر الكرخي ،
وسليمان بن الحسن بن محمد ، وكانا من طبقة الكتاب اختارهما الرازي
برأيه^(٢).

وعندما وجد الرازي بأنه أن أحداً من هؤلاء الوزراء لم يستطع
مجاورة الأزمات التي تعرضت لها الدولة^(٣) ، اضطر إلى مراسلة ابن رائق^(٤)
بتقليده « الإمارة » بشرط أن يقوم بالنفقات وإزاحة علة الجيش
والحشم^(٥) ، فوافق ابن رائق على ذلك ، وعندئذ سلم الخليفة « الأمور
إليه » ورتبه أمير الأمراء وكلفه تدبير المملكة ... ورد الحكم في جميع
الأمور إلى نظره ، ولم يبق للوزير سوى الاسم من غير حكم ولا تدبير^(٦) .
ومع هذا فقد كان لأمير الأمراء رأي في اختيار الوزير ، فحين عزل
الرازي سليمان بن الحسن عن وزارته^(٧) ، أشار عليه ابن رائق باستيزار

(١) الصولي - أخبار / ٨١ ، مسكويه - تجارب / ٥ / ٣٣٦ ، الهمداني /
تكلة / ١١٧ / ١ ، ابن الطقطقي - الفخري / ٢٨١ ، وكالت وزارة عبد الرحمن
ابن عيسى هذه خمسين يوماً .

(٢) الصولي - أخبار الرازي ٨١ - ٨٢ ، ابن الطقطقي - الفخري / ٢٨١ .

(٣) انظر الفصل الخاص بمسؤوليات الوزير المالية في هذا البحث .

(٤) كان ابن رائق هذا هو المنقلب على البصرة وواسط .

(٥) ابن الأثير - الكامل / ٨ / ١١٢ . مسكويه - تجارب / ٥ / ٣٥٠ - ٣٥١ ،

الهمداني - تكلة / ١٢٢ / ١ - ١٢٣ ، ابن العماد - شذرات / ٢ / ٣٠١ ، ابن العبري -

مختصر / ١٦٣ ، أبو الوليد - روضة / ١١٢ - ١١٣ .

(٦) مسكويه - تجارب / ٥ / ٣٥٢ ، ابن الطقطقي - الفخري / ٢٨٢ .

(٧) الهمداني - تكلة / ١٢٧ / ١ .

الفضل بن جعفر بن الفرات ، أملاً في الحصول على الأموال (١) ، فاستوزره (٢) .
 وفي سنة ٣٢٦ هـ / ٩٣٧ م ، اختص « قاضي القضاة » (٣) بالخليفة
 الراضي بالله ، « حتى حل محل الوزراء ، وصار الراضي يشاوره في الأمور
 ويدخله في التدبير ولا ينفذ أمراً إلا بعد مشورته » (٤) ، وهذا أمر
 يختلف كثيراً عن موقف المقتدر في هذا المجال (٥) . ثم استوزر الراضي
 بالله « البريدي » بمشورة أبي جعفر بن شيرزاد ، وتوسط قاضي القضاة ،
 ومن الطريف أن نذكر بأن البريدي هذا قد امتنع في البداية عن قبول
 الوزارة ، ثم وافق بعد أن شرط لنفسه شروطاً على الخليفة (٦) الذي ألباته
 الضرورة إلى قبول تلك الشروط (٧) . وقد تعهد البريدي في مقابل
 ذلك بدفع عطاء الجيش ونفقات الخليفة ، وعندما لم يف بتعهد عزم
 الخليفة على محاربتة ، فأشير عليه بخلعه من الوزارة قبل أن يفعل ذلك (٨) ،
 فعزله بسليمان بن الحسن بن مخلد (٩) ، الذي احتفظ بمنصبه حتى وفاة

-
- (١) ابن الأثير - الكامل ١١٤/٨ ، الصولي - أخبار الراضي / ٢٥١ ،
 الهذلي - فكله ١٣٥/١ ، وكان الفضل يتولى الحراج بمصر والشام .
 (٢) يقول ابن الأثير - الكامل ١١٤/٨ بأنه تولى وزارة الخليفة ووزارة
 ابن رائق « . (٣) وقاضي القضاة هذا هو أبو الحسين عمر بن محمد .
 (٤) مسكويه - تجارب ٤٠٤/٥ . (٥) الصلي - الوزراء / ٣٤٨ .
 (٦) الصولي - أخبار / ١٣٤ ، مسكويه ٤٠٩/٥ ، ابن تغري بردي -
 النجوم ٢٦٤/٣ ، الذهبي - العبر ٢٠٨/٢ ، ابن العباد - شذرات ٣٠٨/٢ .
 (٧) الصولي - أخبار / ١٣٥ .
 (٨) يذكر الصولي في أخبار الراضي / ١٤٤ في هذا الصدد : « فقالوا
 له : كيف تقاقل من له اسم الوزارة ؟ » .
 (٩) ولم يكن لهذا الوزير إلا الاسم ، لأن كتاب أمير الأمراء كانوا
 يتصرفون وكأنهم م الوزراء .

الراضي بالله (١) .

أقر المتقي بالله عند خلافة سليمان بن الحسن على الوزارة (٢) ، ثم عزله بأبي الحسين أحمد بن محمد بن ميمون (٣) . وعند عودة البريدي (٤) خاطبه الوزير بن ميمون بالوزارة (٥) . فكان كل منها يخاطب صاحبه بالوزارة ، ويخاطبه الناس بها ، ثم تنازل ابن ميمون عن التسمية وانفرد بها البريدي (٦) . ومع أن كثيرين قد تابعوا على منصب الوزارة (٧) ، فلم يكن للخليفة في هذه الفترة أثر كبير في اختيارهم ، إنما كان أمير الأمراء (٨) - وهو الحاكم الفعلي للدولة - هو الذي يختارهم ، وإن كان «التقليد» يجري من قبل الخليفة .

(١) كانت وفاة الراضي وخلافة المتقي في سنة ٣٢٩ هـ / ٩٤٠ م .

(٢) الصولي - أخبار الراضي / ١٩١ ، ابن الأثير - الكامل / ٨ / ١٣٠ ،

الذهبي - العبر / ٢ / ٢١٦ ، ابن العباد - شذرات / ٢ / ٣١٨ ، ابن العبري - مختصر / ١٦٤ ، أبو الوليد - روضة / ١١٥ .

(٣) انظر المصادر في الحاشية (٢) أعلاه ، وانظر المسعودي مروج / ٤ / ٣٤٠ ،

وقد ذكر زامباور أن كنيته «أبا الخير» والراجح أنها «أبا الحسين» كما دونت في أغلب المصادر المعتمدة .

(٤) دخل البريدي بغداد للمرة الثانية في ٢ رمضان ٣١٩ هـ / ٩٤٠ م .

(٥) ابن الأثير - الكامل / ٨ / ١٣١ ، مسكويه - تجارب / ٦ / ١٥ ، ابن تغري

بردي - النجوم / ٣ / ٢٧١ .

(٦) كان من دلائل تنازل ابن ميمون عن الوزارة للبريدي أنه ليس الزراعة

بدلاً من السواد ، وهو اللباس الرسمي للوزير ، وقد تم ذلك في السادس من رمضان ٣٢٩ هـ / ٩٤٠ م ولعل ذلك قد حصل بواطأة الخليفة .

(٧) قول الوزارة بعد البريدي كل من الفراريطي ، والأصفهاني ، وابن مقلة .

(٨) قول منصب «أمير الأمراء» ثمانية أشخاص خلال الفترة من سنة

٣١٧ - ٣٣٤ هـ / ٩٢٩ - ٩٤٥ م ، انظر زامباور - معجم ص / ١١ .

الفصل الثاني

مسؤوليات الوزير

١ - علاقة الوزير بالخليفة :

كان الخليفة العباسي مصدر السلطات : إلا أنه كان مقيداً ، ولو من الناحية النظرية ، بأحكام الشريعة الإسلامية ^(١) . وكان يساعد الخليفة في تدبير أمور الدولة وزياره . وكانت سلطة الوزراء تتأثر بمدى قوة الخليفة أو ضعفه ، وبوقف الأتراك منه . وعلى أي حال فإن تعيين الوزير وتفويض السلطة إليه كان من صلاحيات الخليفة ، ولم يحاول أحد أن ينكر ذلك عليه ، ولو من الناحية الشكلية . ومع أن بعض الوزراء قد فرضوا على الخليفة ، فاستوزروهم على كره منه تحت ضغط الأتراك ، أو قيادة الجيش ، وحتى الجند ، فإن مراسم الاستيزار كانت تصدر باسم الخليفة ^(٢) :

وفي فترة تسع السنوات التي أعقبت مقتل المتوكل على الله ، استبد الأتراك ؛ وكان طبعياً أن يستضعفوا الوزراء ؛ وأن يتدخلوا في تعيينهم ، وأن

(١) الدوري - دراسات ١٩٠ . (٢) منز - الحضارة ١٥٠/١ .

تتأثر علاقة الوزير بالخليفة بموقف الأتراك منهم (١) .

لقد أسهم الوزير أحمد بن الحبيب (٢) مع الأتراك في تغطية الجريمة التي ارتكبت بمقتل المتوكل على الله ، ولذلك فقد احتفظ بمنصب الوزارة حتى وفاة المنتصر ، وكانت علاقته به حسنة (٣) . كما كان له دور كبير في الهجاء بالمستعين إلى الخلافة (٤) .

ومع ذلك فإن الخليفة المستعين بالله لم يبقه في وزارته ، إذ أقصاه واستوزر أوتامش (٥) أحد زعماء الأتراك ، الذي استغل ضعف المستعين وعلاقته الوثيقة به (٦) ، فاستبد بالأمور دون الخليفة ، وأقطع لنفسه أموالاً جلية ، وأسرف في تبذير الأموال (٧) . ويبدو أن تصرفاته هذه قد أغاظت الخليفة ، بدليل أنه امتنع عن تقديم أية مساعدة له ، عندما استجار به ليخلصه من الجند المحاصرين له في الجوسق ، حيث كانت نهايته (٨) . بل إن اليعقوبي يعقب على مقتل أوتامش بقوله : « فوقع ذلك بموافقة

(١) ابن الطقطقي - الفخري ٢٢٠ .

(٢) انظر ترجمته في الفصل الأول من هذا البحث .

(٣) الطبري - تاريخ ٣/١٤٥٢ - ١٤٦٥ ، ابن الأثير - الكامل

٣١/٧ - ٣٥ .

(٤) الطبري - تاريخ ١١/٨٢ (ط حسيبية) ابن الأثير - الكامل ٧/٤٠ .

(٥) أحد زعماء الأتراك . ترجمته في الفصل الأول من هذا البحث .

(٦) يذكر ابن كثير - البداية ١١/٣ بأن أوتامش كان أخص من عند الخليفة .

(٧) الطبري - تاريخ ١١/٨٢ .

(٨) الطبري - تاريخ ١١/٨٦ . ابن الأثير - الكامل ٧/٤٠ .

المستعين وكتب إلى الآفاق بلغه (١) .

كانت علاقة المستعين بوزيره عبد الله بن محمد بن يزداد حسنة ، وقد سار هذا الوزير على سياسة التقشف بغية توفير الأموال ، ولذلك فقد ألغى الزيادات التي امتدحت في أرزاق الجنود ، فهدده زعماء الأتراك بالقتل ، مما اضطره إلى ترك العاصمة سامراء والهروب إلى بغداد (٢) ، فاستوزر المستعين عند ذلك محمد بن الفضل الجرجرائي الذي بقي في الوزارة حتى خلع المستعين (٣) . ويبدو أن الخليفة لم يكن يعتمد عليه كثيراً ، ففي حصار بغداد (٤) جعل المستعين تصريف الأمور فيها بيد محمد بن عبد الله ابن طاهر الذي لم يكن يشغل منصب الوزارة ، في الوقت الذي لانحس بأثر الوزير الجرجرائي (٥) .

جاء المعتز إلى الحكم ، ولم يكن على وفاق مع أول وزرائه جعفر ابن محمود الإسكافي ، فقد كان يكرهه ، لأنه متهم بالتشيع للعلويين ،

(١) اليعقوبي - تاريخ ٦٠٦/٢ ، وما يؤيد هذه الرواية ، ما ذكره الصولي في كتابه « أخبار البحري » من أن المستعين قد أبدى ارتياحه لقصيدة البحري التي هنا فيها بالنصر على أوتامش والتي مطلعها :

لقد نصر الإمام على الأعادي وأضحى الملك موطود العادي
وعرفت الليالي في شجاع وتامش كيف عاقبة الفساد

(٢) الطبري تاريخ ٨٦/١١ ، ابن الطقطقي - الفخري / ٢٤٢ .

(٣) الطبري - تاريخ ١٠٢/١١ - ١٠٣ ، وقد خالف ذلك صاحب الفخري

(٢٤٢) إذ أنه ذكر « ولم يتسم أحد (بعد ابن يزداد) بالوزارة » .

(٤) سنة ٥٢٥١ / ٨٦٥ م . في حصار المعتز بالله لمدينة بغداد .

(٥) ابن الأثير - الكامل ٥٥/٧ - ٥٦ .

ولكنه اضطر إلى استيواره بتأثير الأتراك (١) . وقد عزل هذا الوزير ، كما عزل خلفه عيسى بن فرخان شاه بسبب فتنة الأتراك وانقسامهم بسببها (٢) . واختار المعتز لوزارته بعد ذلك أحمد بن إسماعيل الأنباري الذي كان وثيق الصلة به ، وازدادت منزلته عنده ، حتى ألبسه تاجاً (٣) ، ولكن نفوذ صالح بن وصيف وقوته ورغبته في السيطرة التامة أدت إلى سلب الوزير اختصاصاته ، إذ لم يدع يده من الأعمال إلا كتابة بعض الرسائل للخليفة والمشاركة في الاحتفالات (٤) ، بل لقد تجاوز صالح بن وصيف ذلك حتى إنه قبض على الوزير وكتابه ، وعذبهم بغير رضى من الخليفة ، ثم صادر أموالهم وضياعهم (٥) .

لقد ساد الانسجام والوفاق علاقة الخليفة المهتدي بوزرائه ، ولعل ذلك يعود لإشرافه المباشر على أعمال الوزراء وتوجيه لهم ، فالأوامر التي كانت تصدر عن الوزير سليمان بن وهب مثلاً ، كانت تصدر بحضور من الخليفة (٦) . ومن المحتمل أن يكون ذلك قد حصل بسبب قوة شخصية الخليفة من جهة ، ورغبة الوزراء في تجنب أنفسهم ما ينجم عن غضب الخليفة من عزل ومصادرة . ولعل ذلك هو ما عناه المسعودي عند حديثه عن وزراء المهتدي بقوله : « لأنهم سلموا منه من قتل وغيره (٧) » . وفي خلافة المعتضد بالله ، ازدادت مكانة الوزير عبيد الله بن سليمان وقوي تأثيره ، فقد تمكن من صرف الخليفة عن لعن معاوية بن أبي سفيان

(١) ابن الطقطعي - الفخري ٢٢٤ . (٢) ن . م . ص ٢٤٤ .

(٣) ابن الأثير - الكامل ٥٩/٧ . ابن كثير - البداية ١٠/١١ .

(٤) المسعودي - مروج ١٦٩/٤ . (٥) ابن كثير - البداية ١٦/١٩ .

(٦) الأصفهاني - الأغاني ٦٩/٢٠ . (٧) المسعودي - مروج ١٨٣/٤ .

من على منابر المساجد الجامعة سنة ٢٨٤/٥٨٩٧ م ؛ إذ كان الخليفة مصراً على ذلك ، فتمكن من إبطال ما عزم عليه ، وكان قد أمره بإنشاء كتاب رسمي في ذلك^(١) . ولعل ارتفاع منزلة الوزراء في عهد المعتضد كان بسبب قوة الخليفة وحزمه ويقظته ، إذ كان يجلس لسماع شكايات الرعية من الأطراف ضد عمالهم ، أو ضد عمال الدواوين ، بحضور الوزير والكتاب ، حيث يقوم الخليفة بتصريف أمورهم وإجابة شكاوهم^(٢) .

لقد جرت العادة على أن يقر الخليفة الجديد آخر وزراء سلفه في منصب الوزارة . وقد حصل ذلك بعد وفاة المعتضد بالله ، إذ استطاع وزيره القاسم بن عبيد الله أن يصرف أمور الدولة ، ويأخذ البيعة للمكتفي - وكان آنذاك بالرقعة - ثم بعث إليه يعزبه بوفاة أبيه ، ويهينه بالخلافة ، ويعلمه بأنه قد أخذ البيعة له على من عنده من الجند ، وطلب منه التوجه إلى بغداد بعد أخذ البيعة لنفسه على من معه من الجند والقادة^(٣) . وعند وصول المكتفي إلى بغداد أقره في وزارته . ومن الغريب أن هذا الوزير أراد في البداية أن يبعد المكتفي وبقيّة أولاد المعتضد عن الخلافة ، فقد بدأ بمفاوضات حول هذا الموضوع لكنه وجد معارضة شديدة من غلمان المعتضد ، وبخاصة بدر المعتضدي ، وقد أحس الوزير بالخطر الذي يهدد مستقبله نتيجة محاولته هذه ، فأسرع بأخذ البيعة للمكتفي ، في الوقت

(١) الطبري - تاريخ ٣٥٤/١١ - ٣٦٠ ، ابن كثير - البداية ٩١/١١ ، ابن الأثير - الكامل ١٧٣/٧ .

(٢) المسعودي - مروج ٢٣٨/٤ .

(٣) الطبري - تاريخ ٣٧٣/١١ ، المسعودي - مروج ٢٧٥/٤ ، ابن الأثير - الكامل ١٨٣/٧ - ١٨٤ ، ابن العبري - مختصر ١٥٣ ، السبوطي - تاريخ ٣٧٦ .

الذي تمكن من الإيقاع ببدر المعتضدي ، والقضاء عليه ، ليضمن عدم تسرب أخبار محاولته هذه إلى المكتفي^(١) . ثم أخذ يتصرف على أساس الموقف الجديد ، فدفع للجند عطاء البيعة ، وتمكن من تهدئتهم ، لأنهم كانوا قد تحركوا قبل وصول المكتفي^(٢) . كما أمر بالقبض على عبد الله ابن المعتز ، وقصي بن المؤيد ، وعبد العزيز بن المعتمد ، على أساس احتمال منافستهم للمكتفي لكي يثبت له إخلاصه^(٣) . إن عمل الوزير هذا لا يمكن تفسيره إلا بأنه إجراء احتياطي لحفظ الخلافة للمكتفي من خطر المنافسين ، وحفظ الأمن حتى وصول الخليفة^(٤) . كما أن هذا الوزير قد تمكن من التخلص من عمرو بن الليث ، الذي كان سجيناً لديه منذ وزارته للمعتضد ، وكان المعتضد في أواخر أيامه قد أمر صافياً الحرمي بقتله بالإيماء والاشارة ، بعد أن عجز عن الكلام ، « فوضع يده على رقبته وعلى عينه ، أراد ذبح الأعور - وكان عمرو أعور - فلم يفعل ذلك صافي لعلمه بحال المعتضد وقرب وفاته ، وكره قتل عمرو^(٥) » . وقد سر المكتفي عندما علم بسلامة عمرو بن الليث ، لأنه كان على علاقة طيبة معه ، فقد كان « يهدي إليه كثيراً ويبره أيام مقامه بالري^(٦) » ، فأراد مكافأته بالإحسان إليه . وقد كره الوزير ذلك وخشي أن يقع بين

(١) ابن كثير - البداية ٩٥/١١ .

(٢) الطيب - تاريخ ٢١٧/١١ رقم ٦١٢١ .

(٣) ن . م . : ٩٥/١٠ - ٩٨ رقم ٥٢١٧ .

(٤) دخل المكتفي بغداد يوم الثلاثاء الثالث من جمادى الأولى سنة ٢٨٩/١٠١٠ .

(٥) الطبري - تاريخ ٣٧٣/١١ ط الحسينية . (٦) ن . م . : ٣٧٣/١١ .

يديه ، فيكون عرضة لانتقامه ، فدرس له من قتله ، وهو في السجن (١) . ولم يكن من اليسير على المكتفي أن يتبين الحقيقة الكاملة لموقف الوزير القاسم بن عبيد الله من مسألتي توليه الخلافة ، ومقتل عمرو بن الليث ، خاصة بعد تلك الاجراءات الاحتياطية التي اتخذها الوزير ، والتي أظهرته بظهور المخلص للمكتفي ، الحريص على مصلحة الخلافة ، إضافة إلى ما عرف عن هذا الوزير من القسوة المتناهية في معاملة خصومه ، فلا غرابة من أن ترتفع منزلته لدى المكتفي (٢) ، حيث أخذ يتصرف بتوجيه إدارة الدولة حسب رأيه (٣) ، وأصبح الغالب على الأمور ، حتى إنه تمكن من أن يصرف الخليفة عن فكرة الانتقال بالعاصمة من بغداد إلى سامراء (٤) ، بعد أن كان مصراً على ذلك . ومع أن بعض عبارات النقد بحق هذا الوزير كانت تصل مسامع الخليفة أحياناً (٥) ، فإن ذلك لم يؤثر على منزلته عنده ، ولعل في تزويج الخليفة لابنه محمد (٦) من ابنة وزيره القاسم ، وإبقائه في منصب الوزارة حتى وفاته ، خير دليل على ذلك (٧) .

(١) الطبري - تاريخ ٣٧٣/١١ ، الكرديزي ، أبو سعيد عبد الحي بن الضحاك - زين الاخبار ص ١٩ ، (مطبعة إیرانشهر - برلين ١٣٤٧ هـ / ١٩٢٨ م) ، ابن الجوزي - المنتظم ٣٧/٦ ، ابن الأثير - الكامل ١٨٤/٧ ، ابن خلكان - وفيات : ٤٧٣/٥ .

(٢) المسعودي - مروج ٢٧٦/٤ ، ابن كثير - البداية ٩٥/١١ ، ابن تفرج - بردي - النجوم ١٢٨/٣ .

(٣) المسعودي - مروج ٢٧٦/٤ . (٤) الطبري - تاريخ ٣٨٠/١١ .

(٥) أورد الصافي في الوزراء ١٦٢/ أن خديفاً السمرقندي الحاجب قال للمكتفي :

« الخليفة الماضي لم يستغن عن ابني الفرات ووزيره عبد الله بن سليمان ، كيف تستغني أنت عنها ووزيرك القاسم ؟ » .

(٦) هو أحمد محمد بن المكتفي . (٧) الطبري - تاريخ ٣٩٠/١١ .

إن هذه التطورات مهمة في دلالتها ، فهي تشير إلى ارتفاع شأن الوزارة ، كما أن بقاء أغلب وزراء هذه الفترة في مناصبهم حتى وفاتهم ، أو وفاة الخليفة دليل على استقرار جدي لهذه المؤسسة الهامة .

لقد لعب الوزير العباس بن الحسن دوراً كبيراً في اختيار ولي العهد ، بعد أن ثقل مرض المكتفي ، فقد فكر فيمن يتولى الخلافة ، غير أنه لم يستقر على شخص معين ^(١) ، فاستشار الكتاب الأربعة الذين يتولون الدواوين في وزارته ؛ واحداً بعد الآخر ^(٢) ، فأشار محمد بن داود الكاتب بأبي العباس عبد الله بن المعتز ، غير أن علي بن الفرات حذره منه وقال : « اتق الله ولا تنصب في هذا الأمر من قد عرف دار هذا ، ونعمة هذا ، وبستان هذا ، وجارية هذا ، وضبعة هذا ، وفرس هذا ، ومن لقي الناس ، وعرف الأمور ، وتحنك ، وحسب حساب نعم الناس ، فكيف يتم لنا معه أمر ! إن حمل كبيراً على صغير ، وقاس جليلاً على دقيق ^(٣) ؟ ! » وأشار بتولية جعفر بن المعتضد . وعندما أبدى الوزير ملاحظته على صغر سنه ، أجاب ابن الفرات : « إلا أنه ابن المعتضد ، ولم تجيء برجل يأمر وينهى ، ويعرف ما لنا ، وبمن يباشر التدبير بنفسه ، ويرى أنه مستقل ؟ ولم لاتسلم هذا الأمر إلى من يدعك تدبره أنت ^(٤) ؟ ! » .

(١) مسكويه - تجارب ٧/٥ ، إذ يقول عنه : « وترجح رأيه فيمن يقلده الخلافة » .

(٢) ومحمد بن داود بن الجراح ، ومحمد بن عبدون ، وعلي بن الفرات ، وعلي بن

عيسى ، أنظر الصابي - الوزراء / ١٣٠ .

(٣) الصابي - الوزراء ١٣١/١٣٠ ، مسكويه - تجارب ٣/٥ .

(٤) مسكويه - تجارب ٣/٥ .

أما علي بن عيسى فقد امتنع عن ترشيح أحد أو الإشارة إلى أحد وقال :
« لا أشير بأحد ، ولكن ينبغي أن يتقي الله وينظر للدين » (١) .
لقد مالت نفس الوزير إلى رأي ابن الفرات ، وساعد على ذلك عهد
المكتفي لأخيه جعفر بالخلافة ، فلما مات المكتفي أرسل الوزير في طلب
جعفر بن المعتضد ، ونصبه خليفة ، وأطلق للجند أرزاق البيعة ،
بعد أن أخذ البيعة عليهم (٢) . غير أن الوزير استنصبى المقدر (٣) بعد
مبايعته ، وبعد أن كثرت كلام الناس حوله رغب في خلعته وتقليد
محمد بن المعتمد الخلافة ، ولما كان ينتظر معارضة غلمان المعتضد لثل هذا
الإجراء ، فإنه أجل تنفيذ ذلك ، حتى يصل « بارس الحاجب » غلام
إسماعيل بن أحمد الساماني صاحب خراسان مع رجاله ، ليستعين به عليهم .
ولكن وفاة ابن المعتمد أدت إلى أن يفكر الوزير بتوجيه الخلافة إلى
أحد أولاد المتوكل (٤) ، ولكن الأخير مات أيضاً ، وعند ذلك قرر
الوزير العدول عن خلع المقدر ، وبخاصة بعد أن رأى علو منزلته لديه ،
وحرية المطلقة في التصرف بالأمور (٥) . غير أن جماعة آل الجواح لم

(١) الصان - الوزراء / ١٣١ ، مسكويه - تجارب / ٣/٥ .

(٢) الصان - الوزراء / ١٣١ ، مسكويه - تجارب / ٣/٥ - ٤ ، الهمداني - تكملة / ٨/١ -

الفرطبي - صلة / ٢٥ - ٢٧ ، ابن الأثير - الكامل / ٣/٨ - ٤ ، ابن العبري - مختصر / ١٥٥
ابن كثير - البداية / ١١/١٠٧ ، السيوطي - تاريخ / ٣٧٨ .

(٣) الطبري - تاريخ / ١١/٤٠٤ ط الحسينية .

(٤) وهو أبو الحسين بن المتوكل ، انظر مسكويه - تجارب / ٥/٥ .

(٥) الطبري - تاريخ / ١١/٤٠٤ ، مسكويه - تجارب / ٥/٥ .

ترض بذلك ، وقررت مبايعة ابن المعتز الذي قبل البيعة ، واشتراط ألا تسفك الدماء (١) . وقد اعتقد هؤلاء لأن العامة ستؤيدهم ، وبخاصة بعد أن أسخط الوزير أهل بغداد بعدم سماعه مظلهمهم ، والحاشية والقوات بكبيرائه . وقد ذهب الوزير ضحية هذه المؤامرة ، حيث كان قتله بداية التنفيذ ، إذ حوَّصر الخليفة بعد ذلك . وأعلن خلعه ومبايعة ابن المعتز خليفة جديداً (٢) .

إن الدور الكبير الذي قام به الوزير العباس بن الحسن في إيصال المقتدر بالله إلى الخلافة له دلالة في ارتفاع أهمية الوزارة واستقرارها ، كما أن مقتله يعكس العلاقة الوثيقة بينه وبين الخليفة ، ومدى الترابط بين الاثنين .

ولما انتهت فتنة ابن المعتز إلى الفشل ، وعاد المقتدر بالله إلى الخلافة ، استوزر أبا الحسن علي بن الفوات السكاتب الوحيد الذي لم يشترك في الفتنة (٣) ، والذي أظهر اعتدالا في سياسته ، إذ أخفى على الخليفة المقتدر كثيراً من المعلومات المتصلة بالمشاركين في الفتنة وأخبره بأنه : « متى عاقب جميع من دخل في أمر ابن المعتز ، فسدت النيات ، وكثر الحوارج

(١) الطبري - تاريخ ٤٠٤/١١ .

(٢) الطبري - تاريخ ٤٠٤/١١ - ٤٠٥ ، الخطيب - تاريخ ٢١٣/٧ - ٢١٤ ،

ابن الأثير - الكامل ٥/٨ - ٦ ، الذهبي - العبر ١٠٤/٢ ، ابن العماد - شذرات ٢٢١/٢ .

(٣) الصابي - الوزراء ٢٨/ مسكويه - تجارب ٥/٥ ، ابن الأثير - الكامل

ج ٧/٨ .

من يخشى على نفسه ، فيطلبون الحيل للخلاص بإفساد المملكة ^(١) ، وأشار عليه بإحراق جميع القوائم التي وجد فيها أسماء المبايعين لابن المعتز ، فاستجاب الخليفة لذلك ^(٢) . كما أنه استصدر من الخليفة أمراً بالعفو عن خروج عن طاعته ، وإحاقهم بالصلة بمن لم تمكن له جناية ^(٣) ، ثم عمم منشوراً إلى جميع العمال أمر فيه : « بإضافة العدل في الرعية ، وإزالة الرسوم الجائرة عنهم ^(٤) » . ونتيجة لهذه السياسة فقد هدأت الفتنة ، وأخذت الأحوال تتجه نحو الاستقرار .

لقد فوض الخليفة المقتدر بالله تصريف أمور الدولة إلى وزيره ابن الفرات الذي أصبح يتمتع بمنزلة عالية لديه ، ولدى أمه السيدة ، التي كانت تعترف بفضله على ولدها ، وقد خاطبته مرة ، وهي تشير إلى المقتدر ، بقولها : « هذا يا أبا الحسن ولدك وأنت قلدته أولاً وثانياً ^(٥) » ، تشير بذلك إلى مشورته للوزير العباس بن الحسن عند وفاة المكتفي ، ثم مساعدته له في تسيير دفة الحكم ، واستقرار الأحوال في أعقاب فتنة ابن المعتز . وعلى الرغم من عدم احتياج ابن الفرات إلى الأموال ، ومع كونه من الأغنياء ، فقد اتهم بالسعي لجمع الأموال لنفسه ^(٦) على حساب

(١) مسكويه - تجارب ١٣/٥ .

(٢) مسكويه - تجارب ١٣/٥ ، ابن الأثير الكامل ٧/٨ .

(٣) مسكويه - تجارب ١٤/٥ . (٤) ن . م . ١٤/٥ .

(٥) الصابي - الوزراء ٣٣/ - ٣٤ ، ابن تغري بردي - النجوم ٣/ ١٦٥ .

(٦) الصابي - الوزراء ٣٤/٣٥ حيث يقول عند حديثه عن القبض على ابن

الفرات في وزارته هذه : « صح له مامقداره ألف ألف دينار عيناً وستائة ألف دينار ، سوى الأثاث والرحل والحمال » .

مصلحة الخلافة والدولة مستغلاً وظيفته ، وبمنح أقاربه وأصحابه أحسن الوظائف في الدواوين وغيرها في العاصمة والأطراف ، مع أن ذلك قد أصبح عادة ، سار الوزراء عليها بانتظام ^(١) . وكانت أم موسى القهرمانه هي التي تقوم بإيصال رسائل الخليفة وأمه إلى الوزير والرجوع بأجوبته إليهما ^(٢) . لقد كانت الأزمة المالية سبباً في انهيار وزارة ابن الفرات الأولى هذه ، إضافة إلى عداوة مؤنس له ، ودسائس الخاقاني الذي أوهم الخليفة بأن ابن الفرات يسعى لخلعه . فأقضي عن الوزارة ، وقبض عليه ، وهتكت حرمة ووكل بداره ، « وتضرع الجند والعوام إلى دور أولاده وأهله فلهبوا » وصودرت جميع أملاكه ^(٣) .

لم يكن الخاقاني - وقد ولي الوزارة بعد ابن الفرات - قديراً في إدارة الدولة ، بل كان خبيثاً ^(٤) ، وجه اهتمامه إلى رعاية الحاشية على أمل الاحتفاظ بمنصبه ، ولم يقدر الظروف التي تمر بها الدولة . وترك تصريف الأعمال وإدارة الدولة لابنه عبد الله الذي كان سكيراً ، ولم تكن له القدرة على الإدارة ^(٥) . فلم يباشر هذا الاطلاع على ما يرد

(١) الدوري - دراسات ص/١٩٢ .

(٢) مسكويه - تجارب ٢٠/٥ ، ابن الأثير - الكامل ٢٢/٨ .

(٣) الطبري - تاريخ ٤٠٧/١١ ، المسعودي - مروج ٣٠٥/٤ ، الصابي -

الوزراء ٣٤/الهمداني - تكملة ١٧/١ - ١٨ ، القرطبي - صلة ٣٦ - ٣٧ ، ابن الأثير - الكامل ٢٢/٨ ، ابن كثير - البداية ١١٦/١١ ، ابن قفري بردي - النجوم

١٧٧/٣ الذهبي - العبر ١٩٢/٢ ، ابن العباد - شذرات ٢٣١/٢ .

(٤) الدوري - دراسات /٢٠٠ .

(٥) ذكر مسكويه في تجارب الامم ٢٢/٥ بأن أم موسى القهرمانه قد تنكرت

لوزير الخاقاني فخافها ، وأشفق أن تفسد عليه أمره ، أرضاها بأن قلد أخويها أعمال الضياع والحراج بأصهبان والصلح والمبارك فيها .

أو يصدر من الكتب ، بل ترك ذلك للكتاب ، على أن تعرض عليه وعلى آية خلاصات بالأعمال ، وحتى هذه الخلاصات لم يكن يطلع عليها أحد منها ، « إلا بعد فوات الأمر الذي وردت فيه الكتب ، وتبقى الكتب بالمحلول والسفانج (١) في خزانتها لاتفض ، ولا يعرف حال ما فيها (٢) ، وهكذا تكدمت الأشغال وتوقفت آلة الإدارة . وقد استغل الخاقاني وابنه مركزهما في الحصول على منافع مادية خاصة ، فكانت الوظائف تباع إلى الراغبين فيها دون النظر إلى مقدرتهم وكفاءتهم ، وحتى الوظائف المشغولة يمكن الحصول عليها ، إذا تقدم الراغب بكمية إضافية من المال . ومن الطريف أن نذكر بأن هذا الوزير قد عهد إلى سبعة أشخاص بوظيفة واحدة خلال عشرين يوماً ، اجتمعوا كلهم في الطريق إليها ، واتفقوا على أن يشغل الوظيفة آخر من صدر إليه الأمر ، وعاد الباقيون إلى الوزير يطالبونه بوظائف جديدة ، ولعل ذلك يعكس مدى التسبب الذي بلغته الإدارة في عهد هذا الوزير ، كما « توصل الأشرار إلى كتب الرقاع على يد أم موسى القهرمانة إلى المقتدر بالله ، يخطفون الأعمال ، ويتضمنون الأموال ، فخرج الأمر إلى الوزير الخاقاني بتقليدهم ذلك ، فانتشر أمره ، وشاركه الأشرار في النظر ، واستخرجوا الأموال من كل وجه بكل

(١) السفانج : أم أداة المعاملات المستندة إلى الائتان ، وسيلة لتحويل الأموال

— تشبه صكوك المسافرين — ويقصد بها « أن يعطي ما لا لآخر ، والأخذ مال في بلد المعطي ، فيوفيه إياه » انظر لسان العرب ١٢٣/٣ ، تاج العروس ٥٨/٢ القاموس المحيط ١٩٤/١ ، معجم البحرين ، ١٥٥ ، وانظر الدوري - تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري ص ١٧٣ وما بعدها .

(٢) الهمداني - تكملة ١٨/١ ، وانظر ياقوت - معجم ٣٢٢/٥ .

عسف (١) . وقد أدى ذلك إلى ارتباك إداري شديد ، فقد الخليفة معه ثقته بالوزير الحاقاني ، وأحس بالحاجة إلى من يتق به لتمشية إدارة الدولة ، فأحضر ابن الفرات من سجنه وأسكنه في دار الخلافة ، وأحسن إليه ، وأخذ يشاوره في الأمور ويقرئه كتب الوزير والكتاب ، ويصرف الأمور برأيه (٢) . وقد عزم الخليفة على إعادة ابن الفرات إلى الوزارة لولا معارضة مؤنس الذي برز ذلك بقوله : « متى أعدته ظن الناس أنك إنما قبضت عليه شرهاً في ماله ، والمصلحة أن تستدعي علي بن عيسى من مكة وتجعله وزيراً فهو الكافي الثقة الصحيح العمل ، المتين الدين (٣) » . فأمر المقتدر بإحضاره ليستوزره . ورغبة في عدم زيادة الإرباك ، أظهر الخليفة لوزيره الحاقاني بأنه إنما أرسل في طلب علي بن عيسى ، لكي يستخلفه لابنه عبد الله على الدواوين (٤) .

استلم علي بن عيسى الوزارة بعد وصوله في ١٠ محرم سنة ٣٠١ هـ ٩١٣ م ، فوجد الأمور مرتبكة والخزينة خاوية ، فأخذ يشغل بجد من الفجر حتى صلاة العشاء يوماً (٥) . وبالرغم من أنه قد سار على الطريقة

(١) مسكويه - تجارب ٢٥/٥ .

(٢) مسكويه تجارب ٢٣/٥ ، ابن الأثير الكامل ٢٣/٨ .

(٣) وهذا ما ذكره مسكويه في تجاربه ٢٦/٥ أيضاً إذ قال بأن مؤنساً أخبر الخليفة بأنه « يقبح أن يعلم أصحاب الأطراف أن السلطان صرف وزيره ، ثم اضطرب إليه بعد شهر من صرفه .. ثم لا ينسبون ذلك إلا إلى الطمع في ماله . وهو ما ذهب إليه الهمداني في التكملة ١٩/١ ، وانظر ابن الأثير - الكامل ٢٤/٧ .

(٤) الهمداني - تكملة ١٩/١ .

(٥) المسعودي - مروج ٣٠٥/٤ ، القرطبي - صلة ص ٤١/٤ .

المألوفة في تعيين أصحابه ، فإنه اختار الكفوئين منهم ^(١) . وقد جابه الوزير الجديد مشكلة شاذة ؛ إذ كثرت التزويرات على الوزير السابق بعد عزله ، بخطوط عن مساحات وإدارات ، فنظر علي بن عيسى في تلك الخطوط فانكرها وأراد إسقاطها ، فخاف ذم الناس ، ورأى أن ينفذها إلى الخاقاني ليميز الصحيح من المزور ، فيكون الذم له ، فلما عرضت عليه قال : « هذه جميعها خطي وأنا أمرت بها ^(٢) » .

لقد تمكن علي بن عيسى من تسيير دفعة الحكم ومن إصلاح الوضع بشكل واضح . ولكنه لم يستبد في تصريف أمور الدولة برأيه دون استشارة الخليفة وموافقته ، وبخاصة فيما يتعلق بمسؤوليته في تعيين العمال ، أو الأمور الهامة الأخرى ، فعندما نظم أهل البصرة مثلاً من عاملهم محمد ابن إسحاق بن كنداج ، وشكوه إلى الوزير ، عزله عنهم بعد أن استأمر فيه المقتدر ^(٣) . ولقد سار هذا الوزير على نفس الطريقة عندما جابهته مشكلة القرامطة ^(٤) الذين قطعوا طريق الحج ، وعاثوا في الحجاز ، إذ شاوره المقتدر بالله في أمرهم ، فأشار بمكاتبة رئيسهم بن بهرام الجنابي ، فأمره بمكاتبته ، وخوله إرسال الكتاب مع من يشاء ^(٥) .

إن إسقاط علي بن عيسى للزيادات التي أحدثت قبله على رواتب الحاشية

(١) القرطبي - صلة ص/٤٢ ، وانظر الدوري - دراسات ص/٢٠٠-٢٠١ ،

Bowen H. , The Life and Times of Ali Ibn Isa, pp. 474-477

(٢) ابن الأثير - الكامل ٢٤/٨ . (٣) القرطبي - صلة ص/٤٢ .

(٤) مسكويه - تجارب ٣٤/٥ .

(٥) مسكويه - تجارب ٣٤/٥ . ابن كثير - البداية ١٢١/١١ .

والخاصة والعامه ، تلك الزيادات التي أصبحت كالأصول ، وإلغاؤه النفقات التي تؤدي إلى الإضرار والتبذير في بيت المال عند محاولته حل الأزمة المالية (١) . جعله شخصاً مكروهاً من قبل الحاشية التي أضرت تدابيرها المالية ، وثقلت وطأته على الناس ، وكرهوا أبامه ، وبخاصة بعد الدعايات المغرضة التي بدأت الحاشية تطلقها بقصد التشنيع عليه وثلبه . كما تعرض المقتدر لضغط شديد من الحرم والحاشية والقواد من أجل صرفه عن الوزارة (٢) ، لكنه امتنع عن ذلك بعد أن تأكد لديه سلامة التدابير التي اتخذها الوزير ، والتي حققت توفيراً كبيراً في النفقات لصالح بيت المال . غير أن الوزير استعفى عن الوزارة بعد أن ضجر من سوء أدب الحاشية (٣) ، وبعد أن تأكد لديه بأنه قد سعي لابن الفرات في الوزارة ، وامتنع المقتدر عن إعفائه (٤) ، غير أن أم موسى القهرمانه تخرصت على الوزير بعد ذلك عند المقتدر وأمه ، وتقوات عليه ، وأغرت المقتدر به ، فعزله دون أن يأمر بمصادرته ، كما جرت العادة عند عزل الوزراء في هذه الفترة ، بل اكتفى باعتقاله عند زيدان القهرمانه . ولعل في النهج الذي سلكه علي بن عيسى من استشارته للخليفة فيما يعرض له من أمور مهمة ، وفي عفته عن اقتناء الأموال لنفسه في وزارته هذه ما يبرر هذه

(١) انظر المسؤوليات المالية للوزير في هذا البحث .

(٢) مسكويه - تجارب ٣٢/٥ ، وكان ذلك سنة ٣٠١/٨٣١٣ م .

(٣) الصافي - الوزراء ٣١٠/٥ ، ابن الأثير - الكامل ٣٤/٨ ، ابن تغري بردي -

النجوم ١٩١/٣ .

(٤) مسكويه - تجارب ٣٩/٥ .

المعاملة تجاهه (١)

عاد ابن الفرات ثانية إلى الوزارة (٢) ، ولكنه لم يحاول السير على الخطة المالية التي انتهجها سلفه . فأمر في تبذير الأموال وزيادة الرواتب والمخصصات (٣) ، في الوقت الذي استنفذت ثورة ابن أبي الساج ؛ عامل أرمينيا وأذربيجان ؛ كثيراً من الجهد والمال ، بما أدى إلى حصول أزمة مالية جديدة عجز معها عن دفع أرزاق الفرسان (٤) ، كما أن الوزير أوجد له كثيراً من الأعداء بسبب استرجاعه لضياعه وأملاكه التي صودرت بعد وزارته الأولى ، كان جلهم من حاشية الخليفة والقواد الذين وزعت تلك الضياع عليهم (٥) ، وقد انضم إليهم ابن مقله الذي دس على الخليفة بأن الوزير قد أخفى عنه بعض الاموال (٦) ، وصادف أن هزم ابن أبي الساج مؤنساً الخادم ، فأرجف الناس بالوزير ابن الفرات ، وأكثروا الطعن عليه ، ونسبوا كل ما حدث إلى تضييعه ، وانكفا عليه أعداؤه ومن كان إلى جانبه وأغروا الخليفة به (٧) . وكان الوزير قد اقترح إرسال الحسين بن حمدان ضد ابن أبي الساج ، ولكن نصراً الحاجب وشي إلى المقدر بأن معنى ذلك ثورة الحسين واتفاقه مع ابن أبي الساج بتشجيع

(١) الصابي - الوزراء / ٣١٠ ، مسكويه - تجارب / ٥٠ ، المسعودي - مروج

/ ٣٠٥ ، ابن الأثير - الكامل / ٣٤٨ ، ابن تغري بردي - النجوم / ٣١٩١ .

(٢) وكان ذلك في ٨ ذي الحجة سنة ٣٠٤ هـ / ٩١٦ م وانظر المصادر السابقة .

(٣) الصابي - الوزراء / ص ٣٧ . (٤) مسكويه - تجارب / ٥٦ .

(٥) الصابي - الوزراء / ص ٣٦ - ٣٧ .

(٦) ن . م . م / ص ٣٩ . (٧) القرطبي - صلة / ص ٧٢ .

ابن الفرات ، فرعب المقتدر ، وأنفذ نصرأ الحاجب وشقيقاً المقتدري ،
فقبضا عليه وعلى ابنه المحسن وكتابه (١) .

أرسل المقتدر إلى علي بن عيسى ، وهو في السجن ، قائمة بأسماء
الموشجين للوزارة من الكتاب والعمال « ليقول رأيه فيهم ، وليستوزر من
يشير به منهم ، وكان من ضمن القائمة إبراهيم بن عيسى فوقع تحته : شره
لابصلاح ، ووقع تحت اسم ابن بسطام : كاتب سفالك للدماة ، ووقع تحت
اسم ابن أبي البغل : ظالم لادين له ، وتحت اسم الحسين بن أحمد الماذرائي :
لاعلم لي به ، وقد كفي ما في ناحيته ، ووقع تحت اسم أحمد بن خاقان :
أحمق متهور ، وتحت اسم سليمان بن الحسن بن مخلد : كاتب حدث ،
وتحت اسم ابن أبي الحواري : لا إله إلا الله ... ، فأجمع رأي المقتدر
ومن كان يشاوره على تقليد حامد بن العباس الوزارة (٢) ، وأمر بإحضاره
من واسط حيث كان ضامناً لها (٣) . غير أن فترة ثلاثة أيام - وهي
الفترة التي قضاها بعد قدومه في دار الخلافة - كانت كافية لأن تظهر عدم
كفايته ، فقد بان جهله بأمور الوزارة . وأخذ يبذل جهوده في تملق
الناس ومضاحكتهم ومسامرتهم ، كما ظهر كبره وضعفه (٤) . وقد أشير

(١) الصابي - الوزراء ص/٣٩ ، مسكويه - تجارب ٥٨/٥ . القرطبي -

صلة ص/٧٣ .

(٢) القرطبي - صلة ص/٧٣ .

(٣) الصابي - الوزراء ص/٤٠ ، وكان دخوله بغداد في الثاني من جادى الأول

سنة ٢٩١٨/٥٣٠٦ .

(٤) مسكويه - تجارب ٥٨/٥ ، القرطبي - صلة ٧٣ . ابن الأثير -

الكامل ٣٨/٨ .

على الخليفة عند ذلك بإطلاق سراح علي بن عيسى والاستعانة به في تسيير دفعة الحكم مع حامد ، فرفض المقتدر أن يعمل ذلك دون أن يأتي الطلب من جانب الوزير ، وقد حصل هذا ، إذ تقدم حامد بن العباس بطلب إلى الخليفة لإطلاق سراح علي بن عيسى والإذن له في استغلافه على الدواوين والأعمال ، فوافق الخليفة على ذلك بعد أن أبدى شكه في إمكانية رضی علي بن عيسى بذلك وقال : « ما أحسب عليك مجيب إلى ذلك ، ولا يرضى أن يكون تابعاً بعد أن كان متبوعاً رئيساً »^(١) ، غير أن توقعات الخليفة هذه لم تتحقق ؛ إذ وافق علي بن عيسى على ذلك ، وبأشر بتصرف الأعمال والإشراف على الدواوين بمشاوره الوزير ، وكان يحضر إلى دار الوزير مرتين يومياً لهذا الغرض . ثم حصل بينها خلاف أدى إلى انقطاعه عن الوزير ، فكان لا يحضر إلا مرة واحدة في الاسبوع ، مما أربك أعمال الوزير حامد ، وأسقط مكانته عند الخليفة الذي تبين له ألا فائدة ترجى من الاعتماد عليه . وعند ذلك « تفرد علي بن عيسى بتدبير سائر أمور المملكة ، وأبطل حامداً ، فصار لا يأمر في شيء »^(٢) ،

(١) مسكويه - تجارب - ٨٥/٥ ، الهمداني - تكملة ٢٩/١ وهذا خلاف ما أورده القرطبي في الصلة ص/٧٣ ، وابن الأثير - الكامل ٣٨/٨ والذي أشارا فيه بأن الخليفة قد أطلق سراح علي بن عيسى وأنفذ معه إلى الوزير كتاباً ذكر فيه بأنه لم يعزله لخيانة ، وإنما لأنه واصل الاستعلاء . وطلب فيه من الوزير أن « يوليّه على الدواوين ويستخلفه . وأن حامداً قد أجاب بالحمد والقبول والشكر » ولكن ما ذكرته في المتن أقرب إلى القبول .

(٢) مسكويه - تجارب ٥٩/٥ ، وانظر ابن الأثير - الكامل ٣٨/٨ ، ابن كثير -

البدایة ١٢٩/١١ وقد قيل في وصف حال حامد مع علي بن عيسى :

هذا وزير بلا سواد وذا سواد بلا وزير

بل لقد كان خطاب الخليفة كله مع علي بن عيسى بحضور الوزير الذي لم يدخل في شيء من التدبير^(١) ، ولهذا فقد أحس الوزير بعدم جدوى بقائه في بغداد وشرع بمفاوضة علي بن عيسى لضمان أعمال الخراج والضياح الخاصة والعامة والمستحدثة والعباسية والفرائية بالسواد والأهواز وأصبهان ، وترددت بينها في ذلك مناظرات يحضر من الخليفة^(٢) . وقد عارض علي ابن عيسى إعطاء حامد الضمان ، وحذر الخليفة من ظلمه وتعسفه ، وذلك لإيمانه بأن استقرار البلد وانتعاش الحالة الاقتصادية يقتضي فرض ضرائب معتدلة خصوصاً على الزراعة ، وهذا يتعارض مع ما عرف عن حامد من جشع واستغلال ظالم ، غير أن رغبة المقتدر في جمع الأموال وتوفيرها بسرعة كانت أقوى أثراً من سياسة علي بن عيسى عليه ، فأمر بعقد الضمان على حامد^(٣) . وعندما اشتدت مطالبة علي بن عيسى لحامد بن العباس الوزير بدفع الضمان بعد ذلك ، استأذن حامد الخليفة في الرجوع إلى واسط ليدبر أمر ضمانه من هناك فأذن له ، وأقام حامد بواسط ، وله اسم الوزارة فقط ، بينما كان علي بن عيسى يقوم بمهام الوزير دون تسمية بالوزارة^(٤) . وقد تمكن حامد بن العباس من إرسال قسط من الضمان إظهاراً لحرصه على مصلحة الدولة ، وأنه لم يضمن تلك المقاطعات إلا بقصد إظهار كفايته المالية وعجز علي بن عيسى . وعند ذلك أمر الخليفة أن

(١) مسكويه - تجارب - ٢٩/٥ . ابن الطقطقي - الفخري ص/ ٢٤٣ .

(٢) مسكويه - تجارب - ٥٩/٥ - ٦٠

(٣) ن . م : ٦٠/٥

(٤) مسكويه - تجارب - ٦٠/٥ . الهمداني - تكملة - ٣٠/١ . ابن الأثير - الكامل

٣٨/٨ . ابن كثير - البداية - ١٢٩/١١ .

يتترك أمر الجباية والتصرف بمالية الدولة بيد الوزير حامد ، في الوقت الذي أبقى لعلي بن عيسى الرقابة على النفقات فقط^(١) .

أراد حامد بن العباس ، بعد أن ترك له أمر التصرف بالجباية ، أن يفرض مبلغ الضمان ، وأن يعرض نفسه الزيادة فيه ، فعمل على رفع أسعار الحبوب في بغداد بأن منع استيرادها من المقاطعات ، فحصلت أزمة خانقة ارتفعت فيها الأسعار ببغداد ، وكثر الشعب حتى عجز حامد عن السيطرة ، وتأثر الجند بروح التدمير ، وأحس الخليفة بالخطر ، فأمر بفتح مخازن الحبوب الخاصة برالدة السيدة ، وحامد ، وبعض الأمراء ، وأن تساع الحبوب فيها بسعر محدد ، وفرض ذلك على تجار الحبوب ، وأمر بفسخ الضمان عن حامد بناء على طلبه^(٢) ، وأن يمنع عقد الضمان بعد ذلك على رجال الجيش والسياسة^(٣) .

عاد حامد إلى بغداد ، ولم يبق بيده عمل ، سوى اسم الوزارة فأراد الخليفة إنهاء ذلك الوضع الشاذ بإقصاده واستيزار علي بن عيسى الذي كان يقوم بأعباء الوزارة من الناحية العملية ، ولكن الأخير استعفى من ذلك ،

(١) الصابي - الوزراء/ص ٣٩ - ٤٠ . القرطبي - صلة/ص ٧٩ . وانظر الدوري-

دراسات/ص ٢٠٢ - ٢٠٣ . و :

BoWen, op . Cit . , pp . 174 . 177.

(٢) القرطبي - صلة/ص ٨٤ - ٨٥ .

(٣) الصابي - الوزراء/ص ١٠٨ - ١١٠ . مسكويه - تجارب/ص ٧٣/٥ - ٧٥ .

القرطبي - صلة/ص ٨٤ - ٨٥ . حمزة الأصفهاني - تاريخ/ص ١٣٠ . وانظر فصل المسؤولين المالية للوزير في هذا المبحث .

في الوقت الذي استمر فيه بمواصلة عمله حتى عزل حامد (١) .

وخلال الفترة الأخيرة من وزارة حامد ، وبعد الاضطرابات التي أعقبت ارتفاع الأسعار سنة ٣٠٨ هـ / ٩١٩ م ، أخذ الخليفة المقتدر بالله يستدعي ابن الفرات من السجن ، ويشاوره في أمور الإدارة وتصريفها ويستعين برأيه (٢) ، وقد ساعدت الظروف على إرجاع ابن الفرات إلى الوزارة للمرة الثالثة ؛ فقد « ضجر المقتدر من استغاثة الأولاد والحرم والخدم والحاشية والجند من تأخير أرزاقهم ، فإن علي بن عيسى كان يؤخرها (٣) » ، كما إن حامد بن العباس قد « ضجر من المقام ببغداد دون عمل ، وليس له من الأمر شيء غير لبس السواد (٤) » ، في الوقت الذي سعى فيه المحسن بن علي بن الفرات بمساعدة مفلح الأسود أمير الشرطة ، عند الخليفة ووالدته ، بالوزارة لأبي الحسن بن الفرات ، وضمنا لذلك أموالاً جلييلة (٥) .

لم يصدر حامد بن العباس عند اقصائه واستيثار علي بن الفرات (٦) ،

(١) القرطبي - صلة / ٨٥ ، وقد تم عزل حامد عن الوزارة في ١٣ ربيع الثاني

سنة ٣١١ هـ / ٩٢٣ م .

(٢) الهمداني - تكملة / ٤٢ .

(٣) ابن الأثير - الكامل / ٤٧ ، الهمداني - تكملة / ٤٢ ، ابن كثير - البداية

١٢٨ / ١١ ، ابن قفري بردي - النجوم / ٣ / ٢٠٧ .

(٤) ابن الأثير - الكامل / ٤٧ .

(٥) ابن الأثير - الكامل / ٤٨ ، الهمداني تكملة / ٤٣ .

(٦) استوزر يوم الخميس ٢١ ربيع الآخرة سنة ٣١١ هـ / ٩١٣ م انظر الصان

الوزراء / ٣٩ .

كما جرت به العادة، وذلك لأنه شرط على المقتدر عند استيزاره ألا يسلمه لمكروه أو مصادرة ، على ألا يأخذ لقاء وزارته أجراً ، وقد وفى المقتدر بشرطه فكتب كتاباً بذلك إلى ابن الفرات الذي اضطر عندئذ إلى إقراره على واسط (١) ، حتى استطاع أن يعمل الحيلة للقبض عليه ومصادرته ، بعد أن ناظره بمحضر من القضاة والكتاب (٢) . ومع أن ابن الفرات قد أظهر ألمه وجزعه من التعذيب الذي نال علي بن عيسى بأمر ولده المحسن ، وبالرغم من أنه كتب إلى الخليفة يشفع له ، لأنه من مشايخ الكتاب خدم أمير المؤمنين (٣) ، لكنه زعم أنه خائن ، فصادره ونفاه إلى اليمن ، وحاول تدبير اغتياله ، وهو في الطريق إلى منفاه . ثم حاول إبعاد كافة المنافسين أو القادة الذين بإمكانهم التأثير على الخليفة ، فأبعد مؤنساً إلى الرقة (٤) ، وسعى بنصر الحاجب وشفيح المقتدري ، حتى أضعف تأثيرهما على الخليفة (٥) .

اتبع ابن الفرات سياسة الشدة ، وكان يرى بأن اعتداله في السابق هو المسؤول عما حصل له من إقصاء ومصادرة وإهانة في وزارته الثانية (٦) .

(١) الصابي - الوزراء ص/٤٠ مسكويه - تجارب ٩١/٥ الهمداني - تكملة ٤٣/١

ابن الجوزي - المنتظم ١٨٣/٦ ، غير أن ابن تفردي يذكّر في النجوم ٢٠٧/٣ بأن حامد العباس قد استلم راتب سنة واحدة فقط .

(٢) الصابي - الوزراء ص ٤٤/٤١ ، مسكويه - تجارب ٩٤/٥ ، ابن

الجوزي - المنتظم ١٨٣/٦ .

(٣) مسكويه - تجارب ١١١/٥ . (٤) الهمداني - تكملة ٥٦/١ .

(٥) الهمداني - تكملة ٥٦/١ ، القرطبي - صلة ص/١١٣ .

(٦) الصابي - الوزراء ص/١٠٥ ، وانظر الدوري - دراسات ص/٢٠٤ .

وقد قام ولده المحسن بإرهاب خصومه وإيذائهم بما يحمله مسؤولية ذلك ، وإن كان اشتراك المحسن في الوزارة دون رضى أبيه الوزير^(١) .

وعلى الرغم من أن كسب تأييد الرأي العام لم يكن من مستلزمات بقاء الوزير في منصبه ، فإن ذلك ؛ إضافة إلى ما نجم عن قسوة عصبته ، وموقف الحاشية ومؤنس ؛ كانت العوامل التي وضعت خاتمة وزارة ابن الفرات ، فلقد حدث هياج عام في بغداد بسبب المذبحة التي أوقعها الهجري بالحجاج « فخرجت النساء منثرات الشعور ، مسودات الوجوه إلى الجانبين ، وانضاف اليهن حرم الذين نكبهن ابن الفرات^(٢) » ؛ مما أربك العاصمة ، وأصبح الوزير عاجزاً عن التصرف أو السيطرة ، فاستشار الخليفة ، وطلب رأيه بحضور نصر الحاجب الذي استغل الظرف ، فبسط لسانه على الوزير ، واتهمه بالعمل على إضعاف الدولة عن طريق إبعاد المخلصين للخلافة^(٣) .

إن ذلك الهياج قد وضع الخاتمة لوزارة ابن الفرات الثالثة والأخيرة ، فقبض عليه وعلى ولده المحسن وحملوا إلى دار الوزارة بالمحرم ، ونظر الوزير فلم تثبت عليه خيانة ، ولكنه أفشى خلال مناظراته بعض أسرار المقتدر دفاعاً عن نفسه من مسؤولية إبعاد مؤنس ، فأبرز رقعة موجهة له من المقتدر يشكو فيها أفعال مؤنس وآثاره القبيحة ؛ ويأمر بإخراجه إلى الرقة

(١) الدوري - دراسات ص/٢٠٤ (٢) ابن الأثير - الكامل ٥٠٠/٨ - ٥١٠

(٣) الصابي - الوزراء ص/٦٠ - ٦١ ، مسكويه - تجارب ١٢١/٥ ،

الهدائي - تكملة ٥٧/١ ، ابن الأثير - الكامل ٥٠٠/٨ - ٥١ ، ابن كثير - البداية ١٠٠/١١ .

والتوكيل به ، حتى يخرج^(١) . وقد أعاظ هذا العمل الخليفة ، فأمر بأن يضرب ابن الفرات بالسوط^(٢) . غير أن التعذيب الشديد لم يؤثر في ابن الفرات وولده المحسن إذ امتنعا عن الإقرار بشيء أو الموافقة على مصادرتهما بأي مبلغ . ورأى المقتدر أن يغير سياسة العنف إزاءهما ، وأن يعود إلى اللطف ثانية بهما ، لعل ذلك يسهل حصوله على أموالهما ، فأمر بحملها إلى دار الخلافة^(٣) . ولكن الوزير الجديد : أبو القاسم الخاقاني^(٤) خاف على مركزه ، وأشار على مؤنس ونصر بأن يجتمع القواد ويتحالفوا على أنه : متى نقل ابن الفرات وابنه إلى دار الخلافة خلعوا الطاعة^(٥) . وأعقب ذلك حصول شغب بين الجنود ، وتطرفوا إلى المطالبة بقتلها^(٦) . واضطر الخليفة إلى ذلك : فوقع إلى نازوك بأن يركب إلى موضعها

(١) مسكويه - تجارب ١٣٥/٥ .

(٢) الصابي - الوزراء ص/٦٨ ، مسكويه - تجارب ١٣٥/٥ ، ابن الأثير - الكامل ٥٢/٨ .

(٣) الصابي - الوزراء ص/٦٩ ، مسكويه - تجارب ١٣٦/٥ ، ابن الأثير - الكامل ٥٢/٨ .

(٤) تم اختياره بمشورة مؤنس الخادم وسعي نصر الحاجب وهارون بن غريب ، عن تفصيل ذلك لاحظ الفصل الأول من هذا البحث (اختيار الوزراء) وانظر ابن الأثير - الكامل ٥١/٨ .

(٥) الصابي - الوزراء ص/٦٩ - ٧٠ ، مسكويه - تجارب ١٣٧/٥ .

(٦) الصابي - الوزراء ص/٧١ ، مسكويه - تجارب ١٣٨/٥ ، ابن الأثير - الكامل ٥٢/٨ .

ويضرب أعناقها ويحمل رأسها إليه^(١) ، ، وقد استعظم نازوك الأمر ،
 وشك في صحته ؛ إذا لم يكن يتوقع أن تصل العلاقة بين الخليفة وأحد
 وزرائه الى هذا المستوى ، فامتنع من تنفيذ الأمر وقال : « هذا أمر
 لا يجوز أن أعمل فيه بتوقيع^(٢) » ، مخافة أن يكون في الأمر خدعة واشترط
 لتنفيذه مشافهة الخليفة له : وقد تم ذلك ، ونفذ الأمر فقتلا و « أغرق
 رأسهما في الفرات ، وطرح جثتهما في دجلة^(٣) » .

إن هذا الذي ارتكب بحق الوزير : لا يمكن إلا أن يعبر عن مدى
 تدخل الجند والحاشية الجشعة والحرم ، ومدى الانحلال في علاقة الخليفة
 بالوزير ، والانحطاط الذي وصل إليه منصب الوزارة ، ومدى الاستهانة
 به ، وإن كان من الممكن اعتباره من نتائج أعمال المحسن بن الوزير
 وشريكه في منصبه ، تلك الأعمال الطائشة التي ولدت الحقد في قلوب
 الحاشية والقادة وحتى الخليفة نفسه^(٤) .

لم تكن علاقة الخليفة المقتدر بوزيره الخاقاني^(٥) حسنة منذ البداية ،
 فلم يكن يميل إلى استيزاره أصلاً ، وكان يقول : « أبوه خرب الدنيا ،
 وهو شر من أبيه^(٦) » ، لكنه اضطر إلى ذلك بتأثير مؤنس والحرم

(١) الصابي - الوزراء ص/٧١ ، مسكويه - تجارب ص/١٣٨ ، ابن
 الأثير - الكامل ص/٨٢٢ .

(٢) نفس المصادر السابقة .

(٣) الصابي - الوزراء ص/٧١ ، الهمداني - تكملة ص/٥٧ - ٥٨ ، ابن الأثير -

الكامل ص/٨٥٢ ، ابن كثير - البداية ص/١١٠١ ، أبو الوليد - روضة ص/١٠٣ .

(٤) مسكويه - تجارب ص/١٣٨ .

(٥) ولي الوزارة في ٩ ربيع الأول سنة ٣١٢ هـ / ٩٢٤ م .

(٦) مسكويه - تجارب ص/١٢٧ .

والحاشية^(١) . وقد ازدادت هذه العلاقة تازماً عندما عجز الوزير عن تصريف شؤون الدولة وأدت أعماله إلى « ضياع الأمور وفساد التدبير^(٢) » ، إذ أنه عجز عن دفع رواتب الجيش « فأشرفت بغداد على فتنة عظيمة^(٣) » ، اضطر الخليفة معها إلى دفع الرواتب من ماله الخاص ، واعتمد في توزيعها على ياقوت وليس على الوزير كما هي العادة ، وهذا أمر له دلالاته في المخطاط مكانة الوزير الخاقاني عند الخليفة^(٤) فعزله^(٥) ، وسلمه إلى الحصي ، وزيره الجديد ، الذي تشدد بمصادرته ومصادرة كتابه بأمر من المقتدر^(٦) .

لم يقدر للحصي ، أن تكون علاقته بالخليفة أحسن من سلفه ؛ إذ كان « يواصل شرب النبيذ ليلاً ، والنوم بالنهار في أيام وزارته كلها ، وإذا انتبه يكون مخموراً لا فضل فيه لعمل^(٧) » ، فزاد ذلك في إرباك إدارة الدولة مع اشتداد الأزمة المالية ، حتى أشار مؤنس بعزله واستيزار علي بن عيسى ، فتم ذلك وقبض عليه^(٨) .

-
- (١) مسكويه - تجارب ١٢٧/٥ ، القرطبي - صلة ص/١٢٠ ، ابن الأثير - الكامل ٥١/٨ ، ابن الطقطقي - الفخري ص/٢٦٩ .
- (٢) مسكويه - تجارب ١٤٢/٥ . (٣) ن . م . ١٤٢/٥ .
- (٤) مسكويه - تجارب ١٤٢/٥ ، ابن الأثير - الكامل ٥٤/٨ .
- (٥) ابن كثير - البداية ١٥٣/١١ ، ابن الجوزي - المنتظم ١٩٦/٦ ، ابن تغري بردي - النجوم ٢١٣/٣ ، وكانت مدة وزارته سنة وستة أشهر .
- (٦) مسكويه - تجارب ١٤٢/٥ - ١٤٥ ، ابن تغري بردي - النجوم ٢١٣/٣ .
- (٧) مسكويه - تجارب ١٤٣/٥ ، ابن الأثير - الكامل ٥٥/٨ .
- (٨) وكانت وزارته سنة وشهرين انظر مسكويه - تجارب ١٤٩/٥ ، القرطبي - صلة ص/١٢٩ ، ابن الأثير - الكامل ٥٥/٨ ، ابن كثير - البداية ١٥٤/١١ .

تمكّن علي بن عيسى^(١) بنشاطه وكفايته واستخدامه للقديرين من الكتاب والعمال من معالجة القضايا المالية وتسيير دفعة الحكم بجدارة ، وكانت علاقته بالخليفة حسنة ، فعندما أحس الوزير بضغط الخاشية على الخليفة لعزله بسبب تدابيره المالية ، استعفى من الوزارة لكن المقتدر رفض ذلك وقال له : « أنت عندي بمنزلة المعتضد بالله ، ولا بد من أن تصبر وتتحمل^(٢) » ، وعندما امتنع الوزير عن استلام راتب الوزارة وضياع إقطاع الوزراء ، واكتفى بما يرده من ضيعته « كتب إليه المقتدر بالشكر ، وأنه لا بد من أن يقبض الرزق على الرسم ، فحلف علي بن عيسى أنه لا يقبض رزقاً لهذه الخدمة ، لأن مذهبه ترك التنعم^(٣) » . إلا أن هذا الوزير القدير اضطر إلى الاستقالة^(٤) بعد أن أربك الخليفة تدابيره المالية ، حين منع للجنود أرزاقاً إضافية^(٥) .

كانت علاقة الخليفة بوزيره الجديد أبي علي بن مقلة^(٦) حسنة ، وقد استمرت هذه العلاقة على وضعها بالرغم من بقاء ابن مقلة في منصبه بعد

-
- (١) استلم الوزارة في ٥ صفر سنة ٣١٥هـ / ١١ نيسان ٩٢٧ م .
(٢) الصابي - الوزراء ص/٣٤٠ ، وانظر ابن الأثير - الكامل ٦٢/٨ .
(٣) مسكويه تجارب ١٥٩/٥ .
(٤) كان ذلك في ١١ ربيع الأول سنة ٣١٦هـ / ٦ مايس ٩٢٥ م انظر مسكويه - تجارب ١٨٥/٥ ، الهمداني - فكملة ٧٢/١ ، الصابي - الوزراء ص/٣٤٢ .
(٥) منحهم المقتدر في ذلك ٢٤٠ ألف دينار في السنة مع زيادة النفقات وأرزاق الخدم ، انظر ابن الأثير - الكامل ٦٢/٨ .
(٦) تولى الوزارة في ١٥ ربيع الأول ٣١٦هـ / ٨ مايس ٩٢٥ م انظر القرطبي - صلة ١٣٤ .

خلع المقتدر وبيعة القاهر سنة ٩٢٦/٣١٧ ، وذلك لأن الوزير لم يحدث خلال هذه الفترة أمراً يمكن أن يفسر بمعادته للمقتدر^(١) . وبعد عودة المقتدر إلى الحكم ، خلع عليه وعلى ولديه اللذين قلدهما الدواوين ، ثم خلع عليه خلعة ثانية ، وكناه ، وكتب بذلك إلى الأطراف^(٢) . غير أن هذه العلاقة الحسنة لم تستمر بعد أن ارتبكت الإدارة ، نتيجة عزل المقتدر وإعادته ، إذ تطب الوضع مبالغ كبيرة للبيعة الجديدة ، ولأرزاق الجند ، ولما لم تف أموال الخلافة بذلك أمر المقتدر بارتجاع ما كان أقطعه للناس من الأموال والضياع والمستغلات ، وأفرد لها ديواناً خاصاً^(٣) ، فسبب ذلك ازدياد خصوم الوزير والواشين به من أولئك الذين أصابهم الضرر من جراء هذا التصرف . كما أن الخليفة أخذ يشك في إخلاص وزيره وولائه له ، فكان يتهمة بالميل إلى مؤنس الذي كان مستوحشاً منه^(٤) ، فبادر إلى إقصائه من الوزارة عند أول فرصة سنحت له تحور فيها من تأثير مؤنس^(٥) ، بل إنه كاد أن يقتله ، عندما طلب منه مؤنس إعادته إلى الوزارة ، لولا

(١) مسكويه - تجارب ص ١٩٩/٥ ، القرطبي - صلة ص ١٤٤/٥ ، ابن الأثير - الكامل ٧٠/٨ .

(٢) القرطبي - صلة ص ١٤٤/٥ ، الهمداني - تكملة ٧٨/١ - ٧٩ .

(٣) انظر ديوان المرتجعة في المبحث الثالث من هذه الرسالة .

(٤) مسكويه - تجارب ص ٢٠٣/٥ ، القرطبي - صلة ص ١٥٠/٥ ، ابن الجوزي -

المنتظم ٢٣١/٦ ، ابن الأثير - الكامل ٧٤/٨ ، ابن كثير - البداية ١٦٤/١١ .

(٥) كان مؤنس قد خرج في نزعة الى منطقة أوانا قرب بغداد ، وصادف

انحدار الوزير بن مقله لدار الخلافة فأمر الخليفة بالقبض عليه . انظر مسكويه -

تجارب ص ٢٠٣/٥ ، القرطبي - صلة ص ١٥٠/٥ ، ابن الجوزي - المنتظم ٢٣١/٦ ،

ابن الأثير - الكامل ٧٤/٨ ، ابن كثير - البداية ١٦٤/١١ .

وساطة علي بن عيسى الذي قال للخليفة : ما ذنب وزيرك في شفاعته مؤنس له (١) ٤٢ .

لقد حصل تطور مهم في علاقة الخليفة بوزرائه في هذه الفترة، وبالرغم من أنه لم يخضع تماماً لتأثيرات الحرم والحاشية والجيش في اختياره لوزرائه، فإنه كثيراً ما يضطر إلى استئجار أشخاص لارغبة له فيهم ، ولذلك نجده يعهد إلى تعيين أشخاص بجانب الوزير يسلبون منه اختصاصاته ولا يقعون له كبير أثر في الإدارة ، أو شؤون المال . ومثال ذلك : ما حصل في وزارة سليمان بن الحسن (٢) ؛ إذ أصدر الخليفة أمره إلى علي بن عيسى « الإشراف على سائر الأمور من الأعمال والدواوين (٣) » . وقد نفذ الأخير أمر الخليفة ، فصار يصل مع سليمان إلى المقتدر ولا يقلد سليمان أحداً ، ولا يصرفه ، ولا يعمل شيئاً إلا بموافقة علي بن عيسى (٤) . وتكرر ذلك في وزارة الكلوزاني (٥) إذ قلص الخليفة صلاحياته كثيراً . وذلك بأن أمر الخليفة علي بن عيسى بمحضره « بأن يجري على عادته في الإشراف على الأمور والحضور معه ، وعرفه أنه قد أفرده بالنظر في المظالم دون الكلوزاني (٦) » .

(١) مسكويه - تجارب ٢٠٤/٥ .

(٢) أبو القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد ، وتولى هو وأبوه الوزارة ، وتولى هذه الوزارة في ٣٠ جمادى الأولى سنة ٣١٨ هـ / ٢٩٢٧ م .

(٣) مسكويه - تجارب ٢٠٥/٥ . (٤) ن ٢٠٠ : ٢٠٥/٥ .

(٥) أبو القاسم عبد الله بن محمد الكلوزاني تولى الوزارة في ٢٧ رجب ٣١٩ هـ / ٢٩٢٨ م ، انظر ابن الأثير - الكامل ٧٦/٨ .

(٦) يشير مسكويه إلى أن كثيراً من الأموال كانت تصل الوزير من أرزاق قوم لا يحضرون ، ونسبيات بأسماء قوم لم يخلقوا ، وما كان يسبب للعلماء والوكلاء في الدار برسم العقاب والكتاب ، وما كان يستطلق له من الورق والقراطيس . انظر تجارب ٢١٢/٥ - ٢١٣ ، ابن الأثير - الكامل ٧٧/٨ ، ابن تغري بردي النجوم ٢٩٩/٣ .

وهكذا انقطعت موارد الوزير إضافة إلى ضعف أثره في توجيه الإدارة ، كل ذلك كان بسبب كره الخليفة له ولأنه فرض عليه من قبل مؤنس ، ولم تمض مدة شهرين على ذلك حتى أقصاه الخليفة عن الوزارة (١) .

وعندما تمكن المقتدر من تنفيذ رغبته باستيزاز الحسين بن القاسم (٢) ، نجد أن علاقته به أصبحت وثيقة ، فقد وافق الخليفة على شروطه لقبول الوزارة وهي : أن يستلم جميع اختصاصات الوزير ، و« ألا ينظر علي بن عيسى في شيء من الأمور ، ولا يجلس للمظالم (٣) » ، بل لقد تازمت علاقة الخليفة بمؤنس عندما شكوا الأخير دسائس الوزير هذا ، وطلب من الخليفة عزله عن الوزارة فرفض . ومن جهة ثانية فقد تصرف الوزير وفق رغبة الخليفة عندما خرج مؤنس من بغداد إلى الموصل مغاضباً له ، إذ أصدر أوامره بقبض أملاك مؤنس ومن معه ، وأفرد لذلك ديواناً خاصاً (٤) ، فازدادت مكانته لدى المقتدر ، وأمر أن يكنى ، ولقب « عميد الدولة » ، تشریفاً له ، وبأن « يضرب لقبه على الدنانير والدرهم » (٥) . وهذا يدل على

(١) ابن تغري بردي - النجوم ٢٢٩/٣ .

(٢) عميد الدولة الحسين بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب ، ولي الوزارة للمقتدر بالله في ٢٩ رمضان سنة ٣١٩ هـ / ٦ تشرين أول ٩٣١ م ، وانظر مسكويه - تجارب ٢١٤/٥ ، ابن تغري بردي - النجوم ٢٢٩/٣ . ابن الأثير - الكامل ٨٧/٨ ابن كثير - البداية ١١١/١٦٦ .

(٣) مسكويه - تجارب ٢١٩/٥ .

(٤) انظر البحث الثالث من هذه الرسالة : وكذلك مسكويه - تجارب ٢٢٢/٥

الهمداني - تكملة ٨٣/١ . ابن العبري - مختصر ص ١٥٧ .

(٥) مسكويه - تجارب ٢٢٣/٥ . وانظر ابن الجوزي - المنتظم ٢٤٣/٦ .

ابن الأثير الكامل ٨١/٨ . وبالامكان استيفاء بقية المعلومات من : الهمداني - تكملة ٨٣/١ . الذهبي - العبر ١٧٤/٢ ، ابن العباد - شذرات ٢٨٠/٢ .

تحسين جدِّي في مركز الوزير وعلاقته بالخليفة ، غير أن هذه الصلة الوثيقة بين المقتدر ووزيره الحسين بن القاسم لم يقدر لها الاستمرار طويلاً ، إذ أن تصرف الوزير في مناقشته للاخصيبي بحضرة الخليفة أظهر ركاكته وسوء أدبه ، مما سبب غضب الخليفة عليه وإقصاءه عن الوزارة (١) .

ليس في علاقة الفضل بن جعفر (٢) ، آخر الوزراء بالمقتدر ما يستحق البحث سوى أنه ظهر له من ضعفه ما جعله يفكر بعزله واستيزار ابن مقلة ، لولا تدخل الحاشية (٣) .

لقد حاول الوزير أن يمنع اصطدام جيش الخليفة بجيش مؤنس عند انحداره من الموصل ، وكان يميل إلى الصلح وحل الخلاف عن طريق المفاوضات ، ومع ذلك فلم يؤخذ برأيه هذا ، مما يشير إلى ضعف تأثيره على الخليفة الذي سيطرت عليه العاطفة ، ونجده مؤنساً فأمر بالحرب ، وكانت نتيجتها مقتله في ٢٦ شوال ٣٠/٣٢٠ كانون أول ٩٣٢ (٤) .

كانت علاقة القاهر بأول وزرائه ، أبي علي بن مقلة ، حسنة ، فقد أكرمه وخلع عليه خلعتين ، بعد أن هدأت الفوضى التي أعقبت مقتل

(١) الهمداني - تكملة ٨٤/٢ ، ابن الأثير - الكامل ٨١/٨ ، وكانت وزارته سبعة أشهر .

(٢) هو أبو الفتح الفضل بن جعفر بن محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات .

(٣) مسكويه - تجارب ٢٢٩/٥ .

(٤) المسعودي - مروج ٣٠٦/٤ ، مسكويه - تجارب ٢٤١/٥ ، القرطبي -

صلة ١٧٤ - ١٨٠ ، ابن الجوزي - المنتظم ٢٤٣/٦ ، ابن الأثير - الكامل

٨١/٨ ، ابن العبري - مختصر ص/ ١٥٧ ، الذهبي - العبر ١٨٠/١ .

المقتدر، واستقامت الأمور^(١)، ومع ذلك فلم يقدر لتلك العلاقة أن تستمر طويلاً، فقد بدأ الوزير يشك في نوايا الخليفة وحسن سريرته، وشاركه في ذلك قادة الجيش - وهم المرجهون لسياسة الوزير في هذه الفترة^(٢) - وأخذوا يضيقون على القاهر، حتى جعلوا على باب دار الخلافة من يفتش كل من يدخل ويخرج من الرجال والنساء والخدم، ويفتش كل ما يدخل إلى القاهر^(٣)، وقد اشتدت الرقابة على القاهر حتى إن الموكل بالتفتيش «فتش لنا حمل إلى القاهر وأدخل يده فيه لثلا يكون فيه رقعة^(٤)». وقد حاول ابن مقلة أن ينهي الوضع الشاذ، ويتخلص من خطر القاهر بخلعه من الخلافة والمجيء بأبي أحمد بن المكتفي، وتشاور مع قادة الجيش في ذلك، فاتفقت كلمتهم معه وبايعوا المرشح الجديد^(٥)، ولكن ذلك بلغ القاهر، فبادر إلى القبض على رؤوس المؤامرة في الجيش وقتلهم، غير أن الوزير تمكن من الهرب والاختفاء، فأحرقت داره بعد أن نهبت، ووقع الهياج والنهب في بغداد^(٦)، واختار القاهر لوزارته عند ذلك محمد ابن القاسم^(٧)، لكنه لم يطلق يده بالتصرف في أمور الدولة، بل حدد

(١) ابن الجوزي - المنتظم ٢٤٩/٦ .

(٢) انظر «علاقة الوزير بالجيش» في هذا الفصل .

(٣) مسكويه - تجارب ٢٥٩/٥ .

(٤) مسكويه - تجارب ٢٥٩/٥ - ٢٦٠ ، ابن الأثير - الكامل ٨٥/٨ .

(٥) مسكويه - تجارب ٢٦٥/٥ .

(٦) مسكويه - تجارب ٢٦٥/٥ ، ابن الأثير - الكامل ٨٧/٨ و زر لمدة

تسعة أشهر .

(٧) أبو جعفر محمد بن القاسم ، استبوره القاهر مستهل شعبان سنة

٣٢١ / ٥ ٢٩٣٣ .

صلاحياته ، فمنعه مثلاً « من النظر في أعمال واسط وسقي الفرات »^(١) .
 وعهد بذلك إلى علي بن عيسى ، حيث اعتمد عليه في تدبير المعاون فيها ،
 وأصدر بذلك توقيعاً بخطه^(٢) ، ويبدو أن تصرف الخليفة هذا كان نتيجة
 ضعف شخصية الوزير ورغبة الخليفة في تركيز الأمور بيده ، ولعل في اتجاه
 القاهر هذا ما يبرر إقدامه على إقصاء وزيره هذا بعد فترة قصيرة ،
 حيث اعتقله حتى وفاته^(٣) ، وأعقب ذلك ارتباكاً في علاقة القاهر بالمرشحين
 لمنصب الوزارة ، إذ أرسل إلى إسحاق بن علي القناني ، وعبد الوهاب بن عبد
 الله الحاقاني ، على أن يولي أحدهما الوزارة ، والآخرون الدواوين ، فلما حضرا
 واستقبلهما القواد أصدر القاهر أمره بالقبض عليهما ، « وإدخالهما الحبوس
 الغامضة »^(٤) ، وكذلك كان الحال مع سليمان بن وهب . وقد تمكن
 الفضل بن جعفر من الاستتار عندما أرسل الخليفة في طلبه ليستوزره .

كان الحصري^(٥) آخر من وزر للقاهر . ويبدو أنه كان يتمتع بثقة
 الخليفة إذ أعطاه حرية اختيار وتقليد من يعتقد صلاحه من الكتاب لإدارة
 الدواوين ، كما أنه ناظر برأيه بعض الناس وصادرهم^(٦) .
 إن خلع القاهر من الخلافة يمثل انتصاراً لمحاولات وزيره الأول ابن

(١) مسكويه - تجارب ٢٧١/٥ .

(٢) بقي في الوزارة ثلاثة أشهر ونصف تقريباً .

(٣) مسكويه - تجارب ٢٦٥/٥ ، الهمداني - فلكة ٩٩/ ، ابن الجوزي -

المنتظم ٢٥٠/٦ ، ابن تفردي بردي - النجوم ٢٣٩/٣ ، ابن الأثير - الكامل

٩٠/٨ ، ابن كثير ١٧٢/١١ . (٤) مسكويه - تجارب ٢٧٢/٥ .

(٥) أبو العباس أحمد بن عبد الله بن سليمان الحصري .

(٦) مسكويه - تجارب ٢٧٢/٥ - ٢٧٣ ، الهمداني - فلكة : ١٠١/١ .

مقلة الذي كان يرأس قادة الجيش والأمراء، وهو في استتارة، ليحرضهم على القاهر ويخوفهم منه^(١)، كما أن سلوك القاهر وبطشه قد أخافا الجند فأثرت تحريضات ابن مقلة، إذ هجم الجند على دار الخلافة وقبضوا على القاهر وأعلنوا خلعهم، وتمكن وزيره الحصيبي، وكان في دار الخلافة عند الهجوم عليها، من الخروج من الدار بعد أن أبدل زيه بأث لباس المهجوم عليها، من الخروج من الدار بعد أن أبدل زيه بأث لباس النساء^(٢).

وعند مبايعة الرازي بالخلافة^(٣). أمر بإحضار علي بن عيسى لاستيزاره. ولكن علياً اعتذر بعجزه وكبر سنه وضعفه، وأشار بابن مقلة^(٤) فاستوزره، وجعل علي بن عيسى ناظراً معه، في الوقت الذي عين الوزير، أبا الفتح الفضل بن جعفر، خليفة له على سائر الأعمال^(٥). وهكذا أصبح للوزير شريك في اختصاصاته ونائب يخلفه في أعماله. غير أن ذلك لم يستمر بسبب ازدياد نفوذ محمد بن ياقوت الذي وضع نهاية لسلطة الوزير حين اضطره إلى «إطباق دوائه وترك النظر في شيء البتة»^(٦).

(١) مسكويه - تجارب : ٢٨٦/٥ ، الهمداني - تذكرة : ١٠٦/١ ، ابن الجوزي - المنتظم : ٢٦٥/٦ ، ابن العاصم - شذرات : ٢٩٢/٢ ، السيوطي - تاريخ : ٣٨٨ .

(٢) مسكويه - تجارب : ٢٨٨/٥ ، ابن الجوزي - المنتظم : ٢٦٥/٦ وانظر المصادر السابقة في الهامش (٣) أعلاه .

(٣) في السادس من جمادى الأولى عام ٥٣٢٢ / ٢٩٣٣ .

(٤) مسكويه - تجارب : ٢٩٢/٥ ، ابن الأثير - الكامل : ٩٧/٨ .

(٥) الهمداني - تذكرة : ١٠٣/١ ، ابن كثير - البداية : ١٧٨/١١ ، ابن الجوزي

المنتظم : ٢٥٦/٦ . (٦) الصولي - أخبار الرازي ص/٣١ .

غير أن الخليفة بعد أن لاحظ استبداد ابن باقوت بالأمر اتفق مع وزيره ابن مقلة ، حتى قبض عليه ، وتمكن الوزير عند ذلك من مباشرة اختصاصاته وتوجيه الإدارة وتسيير جهاز الدولة (١) . ومن الطريف أن نذكر هنا أن شخصاً ثانياً أطلق عليه اسم الوزير ، خلال هذه الفترة ، وهو ابن الوزير ، فقد خرج توقيع الرازي بالله بتلقيب أبي الحسن علي ابن الوزير أبي علي بن مقلة (٢) بالوزير ، كما أنه أمره ، بأن يكون الناظر في الأمور صغيرها وكبيرها ، وخلع عليه خلع الوزارة ، وطرح له مصلى في مجلس أبيه (٣) . ولعل في ذلك ما يشير إلى ازدياد ثقة الخليفة بوزيره وإكرامه وإعزازه له في تشريف ابنه ، إذ كان أبو علي ابن مقلة الوزير هو الذي يصرف إدارة الدولة ، بدليل أن أمور الوزارة قد أصابها الخلل واضطراب عند غيابه ، حينما أصدد للموصل بأمر الخليفة لمحاربة بني حمدان ، واستخلف ابنه في العاصمة ، إذ اضطر إلى الرجوع في محاولة منه لإصلاحها (٤) ، ولقد ساءت علاقة الرازي بوزيره بعد ذلك إذ حمله مسؤولية تروذي الأوضاع وقلة الموارد ، وعندما حاصر الجند دار الوزير ، وقبضوا عليه ، وطلبوا من الخليفة استيزار غيره ، امتدح منهم ورد الاختيار إليهم (٥) .

(١) ابن تغري بردي - النجوم : ١٤٩/٣ .

(٢) الهدائي - تكملة : ١١٣/١ .

(٣) ن . م : ١١٣/١ . (٤) ن . م : ١١٤/١ .

(٥) الصولي - أخبار الرازي : ص/٨١ ، مسكويه - تجارب : ٣٣٦/٥ ،

الهدائي - تكملة : ١١٧/١ ، ابن الاثير - الكامل : ١٠٩/٨ ، ابن كثير -

البداية : ١١٤/١١ ، ابن الجوزي - المنتظم : ٢٨١/٦ ، ابن تغري بردي -

النجوم : ٢٧٥/٣ ، ابن الطقطقي - الفخري : ٢٨١ ، الذهبي - العبر :

٢٠٠/٢ ، ابن العماد - شذرات : ٣٠٠/٢ ، وانظر الدوري - دراسات ص/٢٣٥ .

وقد استوزر الرازي بعده عبد الرحمن بن عيسى^(١) ، بعد أن اعتذر علي بن عيسى عن قبولها ، ومع ذلك فإن تصريف الأمور كان يجري على يد علي ، الذي سرعان ما تمكن من الأمر ، وغلب على التدابير^(٢) ، غير أنها لم يستطيعا أن يصرفا إدارة الدولة كما يجب بسبب انقطاع الموارد^(٣) ، فشغبت الحاشية ضدّها^(٤) حتى عزلا ، وقبض عليهما ، وتمت مصادرتها^(٥) . ولم يستطع الكرخي^(٦) أن يدير الأمور ، إذ تآزم وضع الخلافة بتقلص ظلها وانقطاع مواردها من واسط والبصرة بتغلب

(١) استوزره الرازي بالله يوم الاثنين - ٦ جمادى الأولى سنة ٣٢٤ هـ / ٢٩٣٥ م وقبض عليه في ٦ رجب سنة ٣٢٤ هـ ، انظر الصولي - أخبار من / ٨١ ، مسكويه : ٣٣٦/٥ .

(٢) الصولي - أخبار : ٨١ ، مسكويه - تجارب : ٣٢٦/٥ ، الهمداني - تكملة : ١١٧/١ .

(٣) مسكويه - تجارب ٣٣٨/٥ ، الهمداني - تكملة : ١١٨/١ ابن الأثير - الكامل : ١٠٩/٨ ، ابن تفردي بردي - النجوم : ٢٥٨/٣ .

(٤) ذكر الصولي (أخبار / ٨٣) بأن سعيد بن عمر بن سنكلا طلب عند أبي الحسن ابن القرات وعند أخيه ما كان يجده عند غيرها ، فعز ذلك عليه ، ولم يستحلا أن يدا أيديتها إلى أموال الناس ، فحمل الرازي على عزلها . أما ابن الأثير فيشير صراحة إلى أن عزلها كان من عمل القلمان والترك (الكامل ١٠٩/٨) وهذا ما ذهب إليه ابن كثير في البداية : ١٨٤/١١ .

(٥) ابن الأثير - الكامل : ١٠٩/٨ ، ابن كثير في البداية : ١٨٤/١١ .

(٦) أبو جعفر محمد بن القاسم الكرخي ، وزير للرازي في مستهل جمادى الآخرة سنة ٣٢٣/٩٣٥ ولمدة شهرين ونصف ، ثم وزير للعتفي في ٢٥ ذي القعدة سنة ٣٢٩ هـ .

ابن رائق ، كما قطع البريدي حل الأهواز وأعمالها ، وكان ابن بويه قد تغلب على فارس (١) ، فاضطر الوزير إلى ترك الوزارة والاستقرار خوفاً من الفتنة . فاستوزر الرازي سليمان بن الحسن (٢) على أمل تحسن الأحوال ، غير أن ذلك لم يمنع من سير إدارة الدولة وأحوالها المالية نحو الترددي ، بل انها ازدادت سوءاً ، وأندرت باحتمال شغب الجند بسبب تأخر أرزاقهم ، لذلك فقد اضطر الرازي إلى مراسلة ابن رائق (٣) الذي تضمن القيام بالنفقات ، وإزاحة علة الجيش والحشم (٤) ، ثم أرسل له رسولاً من حاشيته عرفه أنه قد قلده الإمارة ورئاسة الجيش ، وجعله أمير الأمراء ، ورد إليه تدبير أعمال الخراج والضياح وأعمال المعاوين في جميع النواحي ، وفوض إليه تدبير المملكة ، وأمر أن يخاطب له على جميع المنابر في الممالك ، وبأن يكفى ، وأنفذ إليه الخلع واللواء ... وانحدر إليه أصحاب الدواوين كلهم وجميع قواد الساجية (٥) ، ، وحينما وصل ابن رائق إلى بغداد (٦) ارتب فوق الوزير ، وخلع عليه ، وركب الى مضره في الحلبة ، وحل

(١) مسكويه - تجارب : ٣٥٠/٥ ، ابن الأثير - الكامل ١١٢/٨ .

(٢) كان استتار الكرخي يوم الاثنين ٨ شوال سنة ٣٣٤ هـ / ٩٣٥ م ، واستتار سليمان بن الحسن بن محمد في العاشر من شوال منها ، وهذا يدل على ما ذهب إليه زامباور في معجمه ، إذ اعتبر تاريخ وزارته خطأ في ١٥ رجب ، مسكويه : ٣٥٠/٥ .

(٣) أبو بكر محمد بن رائق تولى إمارة الأمراء مرتين ، الأولى في سنة ٣٢٤ هـ / ٩٣٥ م والثانية في ٣٢٩ هـ / ٩٤٠ م ، وكان قد تزوج من ابنة أبي الفتح بن الفرات .

(٤) مسكويه - تجارب : ٣٥٠/٥ ، ابن العماد - شذرات : ٢٠١/٢ ،

(٥) ابن العبري : ١٦٣ . مسكويه - تجارب : ٣٥١/٥ .

(٦) وصل بغداد في ٢٠ ذي الحجة ٣٢٤ هـ .

اليه من دار السلطان الطعام والشراب والفواكه عدة أيام وخدمه في ذلك
خدم السلطان (١) .

كان من نتائج عمل الرازي هذا أن « بطل أمر الوزارة فلم يكن
الوزير ينظر في شيء من أمر النواحي ولا الدواوين ولا الأعمال ، ولا كان
له غير اسم الوزارة فقط ، وأن يحضر في أيام المواكب دار السلطان
بسواد وسيف ومنطقة ، ويقف ساكناً ، وصار ابن رائق وكاتبه ينظران
في الأمر كله (٢) » .

ومع ما تقدم ، فإن منصب الوزير قد استمر ، من الناحية الشكلية
على الأقل حتى بعد أن تسلط أمير الأمراء . فعندما عزل سليمان بن
الحسن عن الوزارة (٣) أشار أمير الأمراء على الخليفة باستيزار الفضل بن
جعفر (٤) ، الذي كان يتولى الحراج بمصر والشام ، أملأ في الحصول على
أمواله (٥) فاستوزره (٦) . غير أن هذا الوزير أحس بنجرح موقفه بعد
استلامه الوزارة بفترة قصيرة « ورأى لنفسه التروخ خوفاً من فتنة ابن رائق
فأطمعه في تحصيل الأموال من الشام (٧) » . وقد وافق الخليفة وأمير

(١) مسكويه - تجارب : ٣٥١/٥ .

(٢) مسكويه - تجارب : ٢٥٢/٥ ، ابن الأثير - الكامل : ١١٣/٨ ، أما صاحب
التكلمة فيذكر بأن مدير أمور ابن رائق هو النوبختي « فاعتل بعد مصاحبته بثلاثة أشهر ،
فاستكتب مكانه أبا عبد الله الكوفي » : ١٢٦/١ .

(٣) الهمداني - تكلمة : ١٢٧١ . (٤) ابن القرات الثاني (ابن حنزابه) .

(٥) الصولي - أخبار منس : ١٠١ .

(٦) ذكر ابن الأثير في الكامل ١١٤/٨ بأنه تولى « وزارة الخليفة ووزارة

ابن رائق » . (٧) ابن العماد - شذرات : ٢٠٩/٢ .

الأمراء على اقتراح الوزير الذي ترك بغداد^(١) بعد أن استخلف له نائباً يقوم مقامه عند الخليفة^(٢) ، ولكن نائب الوزير هذا لم يستطع التصرف بشيء دون مشورة قاضي القضاة ، الذي اختص بالخليفة حتى حل محل الوزراء^(٣) . ومن المرجح أن يكون قد ناب عن الوزير الفضل بن جعفر بعد سفره إلى الشام نذبان . فقد ذكر الصولي ذلك عند حديثه عن محاربة الرازي لبني حمدان إذ أمر الخليفة « أن يكون عبد الله بن علي البغوي خليفة الوزير الفضل بن جعفر خارجاً معه ، وأن يكون عبيد الله بن محمد الكاوداني خليفة الوزير على الأعمال والأموال مقيماً ببغداد^(٤) » .

ومع أن الرازي قد عرض الوزارة بعد وفاة الوزير الفضل بن جعفر على ابنه ، فأنفذ إليه كتاباً طلب منه أن يدبر ما كان يدبره أبوه^(٥) ، فإنه عرضها على أبي عبد الله البريدي الذي امتنع عن قبولها أول الأمر ، ثم وافق على توليها بعد أن شرط لنفسه شروطاً ، ولم يجعل مقره ببغداد^(٦) . وقد برر الرازي قبوله لتلك الشروط بقوله : « إن الوزارة قطعة من الخلافة ، ووهبها ومن الخلافة ، وكنت استكثرت الفضل بن جعفر ... فلما مات

-
- (١) غادر ابن الفرات الثاني بغداد في ٣ ربيع الآخرة سنة ٣٢٦ هـ / ٩٣٧ م .
(٢) الصولي - أخبار من ١٠١ ، الهمداني - تكملة : ١٣٥/١ .
(٣) مسكويه - تجارب : ٤٠٣/٥ . وللمقارنة هذا الموقف بموقف المقتدر ، انظر الصابي الوزراء : ٣٤٨ . (٤) الصولي - أخبار من / ١٠٨ .
(٥) ن . م . س / ١٣٤ ، وانظر ابن الأثير - الكامل : ١٢٥/٨ ، الذهبي - العبر : ٢٠٨/٢ .
(٦) الصولي - أخبار من / ١٣٤ - ١٣٥ ، مسكويه - تجارب : ٤٠٩/٥ ، ابن تفردي بردي - النجوم : ٢٦٤/٣ ، الذهبي - العبر : ٢٠٨/٢ ، ابن العباد - شذرات : ٣٠٨/٢ .

نظرت الى من بالحضرة ، فإذا هم من عرفت ، وإن علقت هذا الاسم
بواحد منهم لما مضى عليه اسبوع حتى يسأل ما لا يقدر عليه ، ويمتن كل
الامتحان ، فلم أجد غير البريدي^(١) ، إلا أن ذلك لم يحقق للراضي
ما كان يصبو اليه ، فقد استبطأ حمل الأموال التي تعهد بها البريدي ، وعند
ذلك عزم على محاربته ، فنصح مخلعه من الوزارة قبل المباشرة بحربه^(٢) .
وعند ذلك استوزر سليمان بن الحسن^(٣) ؛ مما هيا لأمير الأمراء بحكم الفرصة
لأن ينحدر بالجيش إلى واسط لحرب البريدي ، حيث تمكن من دخولها
والاستقرار بها^(٤) ، ثم أرسل كتابه إلى بغداد لينوبوا عنه في التصرف ،
حيث لم يبق للوزير حتى وفاة الراضي أثر يذكر فيما عدا التسمية^(٥) ،
بل لقد منع الوزير والكتّاب من دخول الدواوين وبيوت الأموال أو
تصريف أمورها عند وفاة الراضي انتظاراً لرأي أمير الأمراء بحكم في
واسط ، الذي أمر بأن يشترك الوزير سليمان بن الحسن مع من تقلد
الوزارة في الماضي وأصحاب الدواوين ومشايخ العباسيين والعلويين والقضاة
ووجوه البلد في التشاور لاختيار الخليفة ، حيث تم اختيار المتقي لله^(٦)

(١) الصولي - أخبار ص / ١٣٤ - ١٣٥ .

(٢) يذكر الصولي (أخبار / ١٤٤) قول الخاشية للراضي : « كيف تقائل من له
اسم الوزارة » .

(٣) الصولي - أخبار ص / ١٤٤ ، الهمداني - تكملة : ١٤٤ / ١ ، ابن تفرج بردي
النجوم : ٢٦٦ / ٣ ، الذهبي - العبر : ٢ / ٢١٠ .

(٤) الصولي - أخبار ص / ١٤٥ ، نصحه ابن شيزاد البريدي بتجنب الحرب
والانحذار عن واسط فأخذ البريدي بنصيحته .

(٦) الهمداني - تكملة : ١٤٧ / ١ ، ابن الأثير - الكامل : ١٣٠ / ٨ .

الذي أقر سليمان بن الحسن آخر وزراء الرازي على وزارته على ما جرت عليه العادة ، وإن كانت جميع مسؤوليات الوزير قد سلبت منه ، وتوكلت بيد الكوفي كاتب بيجم^(١) ، وكذلك كان الحال مع الوزير أحمد بن محمد بن ميمون الذي ولي الوزارة بعده^(٢) . وقد سبق أن ذكرنا أن كلاً من البريدي والوزير ابن ميمون قد خاطب صاحبه بالوزارة ، كما أن الناس خاطبوا الاثنين بها ، ثم تنازل ابن ميمون عن التسمية وانفرد بها البريدي ، ولعل ذلك قد حصل بمواطأة الخليفة^(٣) .

تحكم البريدي بأمور الدولة منفرداً في تدبيرها برأيه ، معتمداً في ذلك على قوة الجيش وليس على قوة الوزارة ، وألزم الخليفة بدفع أربعمائة ألف دينار بحجة صرفها على رجاله^(٤) ، ثم وكل بالوزير السابق ، وأمر بحاسبته ، فوجد أنه قد « اختان وضيع ، فصالحه على خمسين ألف دينار بحساب وموافقة^(٥) » ، ثم حاول أن يحسن علاقته بالخليفة ، فزوج ابنته من عبد الواحد بن المتقي لله^(٦) ، ولعله قام بذلك لتثبيت مركزه عن طريق الارتباط العائلي بالخلافة العباسية ، ثم عزم على زيارة الخليفة في

(١) الصولي - أخبار ص/ ١٩١ ، ابن الأثير - الكامل : ١٣٠/٨ .

(٢) المسعودي - مروج : ٣٤٠/٤ ، مسكويه - تجارب : ١٢/٦ ، الهمداني -

تكملة : ١٥١/١ ، ابن قفري بردي - النجوم : ٢٧١/٣ ، الذهبي - العبر : ٢١٦/٢ .

(٣) الصولي - أخبار ص/ ١٩٩ - ٢٠٠ ، مسكويه - تجارب : ١٥/٦ .

(٤) الصولي - أخبار ص/ ٢٠٠ - ٢٠١ .

(٥) الصولي - أخبار ص/ ٢٠١ ، مسكويه - تجارب : ١٥/٦ - ١٦ .

(٦) الصولي - أخبار ص/ ٢٠١ .

عيد الفطر ، إذ لم يكن قد زاره منذ دخوله بغداد (١) فأشيع بأن
الديلم قد تواطؤوا على قتله عند قيامه بتلك الزيارة ، مما أدى به إلى إلغائها ،
وخاف الديلم أن يوقع بهم بسبب ذلك ، فشغبوا عليه ، وأعانهم العامة
فهرب الوزير البريدي منجراً بدجلة إلى واسط ، وشغر عندئذ منصب
الوزارة (٢) .

طلب المتقي من علي بن عيسى أن يتولى الوزارة ، فامتنع عن ذلك
كما منع أخاه عبد الرحمن ، لكنها قاما بمهام الوزير ليعطيا للخليفة فرصة
اختيار وزير مناسب ، حتى لا ترتبك الإدارة لعدم وجود من يصرف
الأمر ، فكان علي بن عيسى « يصل إلى حضرة المتقي (٣) » . وكان
أخوه عبد الرحمن « يدبر الأمر من غير تسمية بالوزارة (٤) » ، ويبدو أن
مشكلة إيجاد وزير استمرت فترة ، مما أشغل الناس . وذكر الصولي :
أنه « كثرت مطالبة العامة الخليفة بأن يستوزر ابنه أبا منصور ، ولكنه
لم يوافق على ذلك (٥) » . وربما كانت عدم موافقته ناجمة عن حكمة ،
وبعد نظر بقصد إبعاد الشغب عن بيت الخلافة . واستمرت الوزارة

(١) مسكويه - تجارب : ١٦/٦ ، الهمداني - تكملة : ١٥٢/١ ، ابن كثير -

البداية : ١٩٨/١١ - ١٩٩ .

(٢) الصولي - أخبار ص / ٢٠٣ ، ويذكر الهمداني في التكملة : ١٥٢ / ١ بأن

البريدي كان يأمر عسكره بالتشغيب على الخليفة ، فرجعت المكيدة عليه حين شغبوا .

(٣) الصابي - الوزراء ص / ٣٤٤ .

(٤) الصابي - الوزراء ص / ٣٤٤/٣ ، وانظر مسكويه - تجارب : ١٨-٧/٦ ،

ابن الأثير - الكامل : ١٣٢/٨ ، ابن كثير - البداية : ١٩٩/١١ .

(٥) الصولي - أخبار الراضي ص ٢٠٣ - ٢٠٤ .

شاغرة تسعة أيام حيث عهد بعدها إلى أبي إسحاق القراريطي (١) الذي أشار إلى الخليفة أن ينصب أميراً يكفيه أمر الجيش ، وتكون معاملتهم معه ، فخلع على كنورتكين الديلمي بالإمارة (٢) ، ولكن هذا سلب من الوزير سلطاته ، ثم قبض عليه (٣) فاستوزر المتقي بحله محمد بن القاسم الكرخي الذي بقي في منصبه حتى دخول ابن رائق بغداد واعتلائه منصب أمير الأمراء ، حيث عزله (٤) ، واستكتب أحمد بن علي الكوفي من غير تسمية بالوزارة ، لامتاعه عن قبولها مع قيامه بعمل الوزير (٥) . وبعد أن تمت المصالحة بين ابن رائق والبريديين (٦) أعيد أبو عبد الله البريدي إلى الوزارة ، حيث استقر بواسط واستخلف له في بغداد ، على خدمة السلطان وتدبير الطساسيج أبو جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد ، وحلت له خلع إلى واسط (٧) وقد كان المدير لأمر الدولة والقائم بأعمال

(١) ن.م. ص/٢٠٤ ، مسكويه - تجارب : ١٨/٦ ، الهمداني - نكلمة : ١٥٣/١

(٢) الصولي - أخبار الراضي ص/٢٠٤ .

(٣) وكان ذلك في ٢٥ ذي الحجة ٣٢٩ هـ / ٩٤٠ م ، انظر الصولي - أخبار

الراضي ص/٢٠٥ ، مسكويه - تجارب ٢٠/٦ .

(٤) الصولي - أخبار الراضي ص/٢٠٥ ، مسكويه - تجارب ٢٠/٦ ، ابن الأثير

الكامل : ١٣٣/٨ ، ابن الجوزي - المنتظم : ٣١٩/٦ ، الذهبي - العبر : ٢١٦/٢ .

(٥) مسكويه - تجارب ٢٢/٦ . (٨) الصولي - أخبار ص/٢١٩ ، مسكويه ٢٢/٦ .

(٦) وكان ذلك في الخميس ١٥ ربيع الآخرة سنة ٢٣٠ هـ / ٩٤١ م انظر الصولي -

أخبار الراضي ص/٢١٩ .

(٧) الصولي - أخبار الراضي ص/٢١٩ - ٢٢٠ ، وقد أنشده الصولي قصيدته

التي قال فيها :

هنيئاً للوزير قضاء دين به أضحى الزمان قرير عين

الوزارة كلها هو أبو عبد الله الكوفي كاتب أمير الأمراء (١) ، ويبدو أن أمير الأمراء أراد أن يضمن عن طريق منح البريدي اسم الوزارة الاستقرار واستمرار الموارد المالية ، ولم يكن يعني منحه اختصاصات الوزير ومسؤولياته من الناحية العملية بدليل أنه عندما عزم البريدي على التوجه الى بغداد أمرع ابن رائق بإزالة اسم الوزارة عنه ، وصرف خليفته ابن شيرزاد ، وخلع على القواريطي (٢) للوزارة . غير أن ذلك لم يؤثر في عزيمة البريدي الذي قوي جانبه بانحياز كثير من الجند الأتراك الى جانبه لعجز ابن رائق عن دفع أرزاقهم ، فصمم على الاستيلاء على بغداد (٣) وقد تم له أما أراد ، بعد أن انهزم ابن رائق الى الموصل مستصحباً معه الخليفة والحاشية ومن تبعهم من الجند (٤) . أما الوزير القواريطي فقد استتر ولم يظهر الا بعد عودة الخليفة ، حيث خلع عليه ، وأعادته الى الوزارة (٥) ، ومع ذلك فلم يكن للوزير أمر مع « ناصر الدولة » ابن حمدان (٦) الذي انفرد بتعيين العمال ، والذي استطاع بتشديده على قطاع الطرق واللصوص وقسوته في ايقاع الأحكام عليهم من انهاء فترة الفوضى

-
- (١) مسكويه - تجارب : ٢٣/٦ ، الهمداني - تكملة : ١٥٦/١ ، ابن كثير - البداية : ٢٠٢/١١ ، ابن تغري بردي - النجوم : ٢٧٣/٣ .
- (٢) الصولي - أخبار الراضي ص/٢٢٢ ، مسكويه - تجارب : ٢٤/٦ ، الهمداني - تكملة : ١٥٦/١ ، ابن الأثير - الكامل : ١٣٤/٨ ، ابن تغري بردي - النجوم : ٢٧٤/٣ .
- (٣) ابن كثير - البداية : ٢٠٤/١١ .
- (٤) خرج الخليفة من بغداد يوم السبت ٢٣ جمادى الآخرة سنة ٣٣٠ ٢٩٤١/٥ ، وعاد اليها يوم الاثنين ٢٣ شوال من نفس السنة .
- (٥) الصولي - أخبار ص/٢٢٣، ٢٢٦ . وانظر مسكويه - تجارب : ٢٥/٦ .
- (٦) الحسن بن عبد الله بن حمدان أمير الأمراء .

وتهدئة الحالة في بغداد . كما أنه عمل على منع الصيارف من الربا . وتهددهم ، وضرب دنائير بعيار اختاره ، ووفر المال على المحاربين بإسقاط أرزاق المولدين من المرتزقة (١) ، بل لقد ازداد نفوذه حتى تمكن من اقضاء الوزير ، ولعل في مصاهرة الخليفة لبني حمدان أثراً في ذلك (٢) .

ضمن ابن مقلة مאלأ عظيماً لناصر الدولة وراسله في أن يستوزره للخليفة ، وقد رغب ناصر الدولة في استيزاره لكنه أجل ذلك (٣) ، « وجعل اسم الوزارة علي أبي العباس أحمد بن عبد الله الأصفهاني (٤) ، ولم يكن لهذا الوزير الا لبس القباء والسيف والمنطقة في أيام الموابك والأعياد ، في الوقت الذي كان يباشر فيه الكوفي كاتب ناصر الدولة « تصريف الأعمال والتصرف بالأموال (٥) » .

تأزمت علاقة ناصر الدولة بالخليفة بعد أن قبض على الوزير السابق القراريطي ، وعلى كاتبه وخليفته (٦) ، وصادرها دون موافقة الخليفة (٧) ، وازدادت علاقتهما سوءاً بعدما انتزع من الخليفة ضياعه وضياع والدته ،

-
- (١) الصولي - أخبار الراضي ص/٢٣١ ، ٢٣٣ .
(٢) وقد تم ذلك في ربيع الأول سنة ٣٣١ هـ / ٩٤٢ م .
(٣) الصولي - أخبار الراضي ص/٢٣٤ ، الهمداني - تكملة : ١٦١/١ .
(٤) مسكويه - تجارب : ٣٨/٦ ، الهمداني - تكملة : ١٦٢/١ .
(٥) الصولي - أخبار ص/٢٣٥ ، مسكويه - تجارب : ٣٨/٦ ، الهمداني - تكملة : ١٦٢/١ .
(٦) كاتبه ابن جبرويه وخليفته المادرائي ، انظر الصولي - أخبار ص/٢٣٨ ،
٢٣٩ ، مسكويه تجارب : ٣٨/٦ ، الهمداني تكملة : ١٦١/١ - ١٦٢ .
(٧) الصولي - أخبار الراضي ص/٢٣٩ .

وبدأ يضيق عليه في نفقاته ، غير أن ذلك أثار العامة فاشتدت الاضطرابات حتى اضطر ناصر الدولة الى الخروج عن بغداد و ضبط الأتراك ببغداد دار السلطان ، وسير الأمور بالحضرة أبو إسحاق القراريطي من غير تسمية الوزارة (١) ، ، وقد استوزر المتقي بعد هدوء الحالة علي بن محمد بن مقلة (٢) الذي استمر في وزارته حتى خلع المتقي (٣) .

استوزر المسكتفي عند مبايعته أبا الفرج السامري ، ولم يكن يتمتع بأي سلطة بجانب نوزون أمير الأمراء ، ومع ذلك فقد قبض عليه بعد فترة قصيرة ، ولم يسمح للخليفة المسكتفي بعد ذلك أن يستوزر أحداً ، واكتفى بأن يسمح له أن يسكتب من يدير له أمر صرفه وضياعه فقط (٤) .

ومن كل ما تقدم يمكن أن نستخلص بأن سلطة الوزارة كانت تتأثر بمدى قوة الخليفة أو ضعفه ، وبموقف الأتراك والحاشية منه ، وبطبيعة الأزمات المالية أو الإدارية التي كانت تجابه الدولة في عهد كل منهم . ولقد لاحظنا من خلال دراستنا في هذا الفصل بأن سلطة الوزير خلال فترة السنوات التسع التي أعقبت مقتل المتوكل كانت خاضعة لمشيئة الأتراك ، إذ أنهم استضعفوا الوزراء ، نتيجة سيطرتهم المباشرة على جميع مؤسسات الدولة .

(١) مسكويه - تجارب: ٤١/٦ .

(٢) مسكويه - تجارب : ٤٣/٦ ، ابن الاثير - الكامل : ١٤٣/٨ .

(٣) الصولي - أخبار ص ٢٤٨ ، الهمداني تكملة : ١٧٣/١ ابن الاثير -

الكامل : ١٤٩/٨ .

(٤) مسكويه - تجارب : ٨٧/٦ ، الهمداني - تكملة : ٧٦/١ ، ابن الاثير

الكامل : ١٥٠/٨ ، ابن كثير - البداية : ٢١٠/١١ .

لقد حصل تطور جديد في علاقة الوزير بالخليفة ابتداءً من خلافة المهدي بالله ، فمنذ هذا التاريخ ارتفعت مكانة الوزراء وساد الانسجام والوفاق بينهم وبين الخليفة ، ولعل ذلك يعود إلى إشرافه المباشر على أعمال الوزراء وتوجيهه لهم ، وقوة شخصية الخليفة من جهة أخرى ، ثم رغبة الوزراء في تجنب أنفسهم ما ينجم عن تأزم علاقتهم بالخليفة من عزل ومصادرة . وفي عهد المكتفي استمرت علاقة الخليفة بالوزير بالتحسن ، فقد سمح لوزيره القائم بن عبيد الله ، أن يصرف أمور الدولة بحسب رأيه ، وأصبح الغالب على توجيه الإدارة والمال . كما أن أغلب وزراء هذه الفترة قد أبقوا في مناصبهم حتى وفاتهم أو وفاة الخليفة . وهذه تطورات لها دلالتها ، وهي تشير إلى ارتفاع شأن الوزارة ، كما تعتبر دليل استقرار جدي لهذه المؤسسة الإدارية الخطيرة . وبعد وفاة المكتفي لعب الوزير العباس بن الحسن ، دوراً كبيراً في الجيئ بالمقتدر إلى منصب الخلافة . وبعد انتهاء فتنة ابن المعتز تمتع ابن الفرات بمنزلة عالية لدى الخليفة المقتدر وأمه ، فاستقل بتصريف أمور الدولة ؛ ولعل ذلك يعكس مدى ارتفاع مكانة الوزارة . ويعتبر عصر المقتدر مهماً في بحث طبيعة العلاقات بين الخليفة والوزراء لا لأهمية الخليفة ، بل لضعفه ، وللظروف التي كانت محيطة بالخلافة ، والنتائج التي ترتبت عن ذلك ، إذ أن المنافسة بين الكتاب ، وظهور كتاب قديريين من بين آل الفرات ، وآل الجراح أدباً إلى تكوين حزبين متنافسين من الكتاب ، يعطوران من أجل الوصول إلى الحكم^(١) ، كما أن تدخل الحورم كان واضحاً في هذا العصر^(٢) .

(١) البوري - دراسات ص/١٩٢ .

(٢) انظر الفصل الأول من هذا البحث .

إن التيار الرئيسي الموجه لهذه الفترة هو دور الوزراء والكتاب الذين صدعوا كيان الدولة بدسائسهم ، وحطموا الجهاز الإداري بتخاصمهم ، وهم ، وإن كان عزلهم وتولييتهم بيد الخليفة ، فإنهم غطوا على شخصيته الضعيفة ، وقاموا بدور أساسي ، حتى حطمتم أخيراً قوة الجيش وعداؤه لهم^(١) ؛ تلك القوة التي بذل المقتدر جهده بشتى الأساليب في محاولة السيطرة عليها ففشل ، والتي كان من نتائجها أن أصبح الهياج والفتنة أمرين مألوفين . وأخيراً عندما حاول المقتدر إسناد وزيره الحسين بن القاسم تأزمت علاقته بعونس ، وكان من مضاعفات ذلك مقتل الخليفة المقتدر^(٢) ، وخلال الفترة التي سبقت ذلك ، بالإمكان ملاحظة تطور مهم في علاقة الخليفة بوزرائه ، فبالرغم من أنه لم يخضع تماماً لتأثيرات الحرم والحاشية والجيش في اختياره للوزراء ، فإنه كثيراً ما كان يضطر إلى استئثار أشخاص لا رغبة له فيهم ، ولذلك نجده يسمد إلى تعيين أشخاص بجانب الوزير يسلبون منه اختصاصاته ، ولا يبقون له أثراً كبيراً في الإدارة ، كما حصل في وزارة سليمان بن الحسن^(٣) ، والكاوذياني^(٤) .

لقد تميزت فترة حكم القاهر باستبداد الخليفة ، وبخاصة بعد أن فشلت محاولة وزيره ابن مقله لخلعه ، فقد ركز القاهر الأمور بيده ، واعتقل كثيراً من الكتاب المرشحين للوزارة ، غير أنه وضع ثقته في النهاية بالوزير الحصري ، آخر وزرائه ، الذي تمتع بحريته في اختيار وتقليد من يعتقد

(١) الدوري - دراسات ص/١٩٩ .

(٢) Bowen, op. Cit. , PP. 297 - 298

(٣) في وزارته بتاريخ ٣٠ جادى الأولى سنة ٣١٨/٥٢٢٧ م .

(٤) مسكويه - تجارب ٢١٢/٥ - ٢١٣ .

صلاحه من الكتاب لإدارة الدواوين^(١)، ويمثل خلع القاهر انتصاراً لمحاولات أول وزراءه ابن مقلد الذي أصبح وزيراً للخليفة الجديد . واعتباراً من هذا التاريخ تضاهت أهمية الوزير نظراً لتعاظم منصب « أمير الأمراء » الذي سلب من الوزراء اختصاصاتهم^(٢)، وقد استمر هذا الوضع حتى الفترة البويهية، إذ اضطرت ظروف الدولة الخليفة الراضي بالله إلى تقليد ابن رائق هذا المنصب، وأوكل إليه تصريف أمور الدولة الإدارية والمالية بأجمعها، وجعل منصبه فوق منصب الوزارة^(٣). وكان من نتائج ذلك إبطال عمل الوزير والاكتفاء ببقائه في المنصب من الناحية الشكلية فقط^(٤)، ومع ذلك فإن اختيار المرشحين كان يخضع لرأي « أمير الأمراء^(٥) ». وفي النهاية أقدم أمير الأمراء « نوزون » على منع الخليفة المستكفي بالله من تعيين أي شخص بمنصب الوزارة، بما يشير إلى إلغاء هذا المنصب، وسمح له أن يستكتب من يدبر له أمر صرفه وضياعه^(٦)، ولعل ذلك يعكس مدى تسلط أمير الأمراء واستبداده، كما يشير إلى تدهور منصب الوزارة.

٢ - علاقة الوزير بالجيش :

لقد لعب الأتراك، وهم عماد الجيش في هذه الفترة، دوراً كبيراً في إدارة الدولة العباسية، وتركز دورهم بخاصة خلال فترة التسع السنوات التي تلت مقتل المتوكل^(٧) (٢٤٧ - ٢٥٦ هـ / ٨٦١ - ٣٤٢ م) حيث استبدوا

(١) ن.م. ٢٧٢/٥ - ٢٧٣ . (٢) الصولي - أخبار الراضي ص/٣١ .

(٣) مسكويه - تجارب ٣٥١/٥ . (٤) ن.م. ٣٥٢/٥ .

(٥) الصولي - أخبار الراضي ص/١٠١ .

(٦) مسكويه - تجارب : ٧٨/٦ ، الحمداني - تكملة : ٧٦/١ .

(٧) قتل المتوكل في ٤ شوال ٢٤٧ هـ / ١١ كانون الأول ٨٦١ م .

بالسلطة مسوقين بدوافع أطباعهم الخاصة وحجم للسيطرة ، لا بضوء مبدأ أو مثل ، لذلك اختاروا من توسموا فيهم الخضوع والانقياد لرغباتهم^(١) ؛ فأحمد بن الحُصيب الذي كان صنيعة لهم تولى وزارة المنتصر^(٢) ، ثم تعاون معهم في تولية المستعين الخليفة^(٣) . وعندما تولى أوتامش^(٤) وزارة المستعين استبد بالأمر ، وأسرف في التصرف بأموال الدولة دون بقية الأمراء ، لذا فإنهم أثاروا عليه الجند ، حيث كانت نهايته^(٥) ، وعندئذ استوزر المستعين محمد بن يزداد الذي ضبط الأموال ، فصعب ذلك على الأمراء والجند ، وكان قد ضيق عليهم فتهددوه بالقتل فهرب^(٦) .

ويبدو أن سيطرة صالح بن وصيف ، وقوة شخصيته ، لم تدع بيد وزراء المعتز ما يعملونه سوى كتابة رسائل الخليفة ، والاشتراك ببعض المراسيم ، أما العمل الأساسي للوزير فقد كان يجري على يد صالح ، إذ « كانت الكتب تخرج باسمه وكأنه هو الوزير^(٧) » ، بل تجاوز ذلك إلى القبض على أحد الوزراء دون رضی الخليفة^(٨) .

ويمكن القول بأن أهم أسباب التبدل السريع في وزراء المهتدي كان تدخل الجيش في الإدارة ، بالرغم من الجهود التي بذلها لإبعاد الجيش عن

-
- (١) الدوري - دراسات ص / ١٥ .
(٢) الطبري - تاريخ ٦٩ / ١١ - ٧٩ (ط . حسينية) ، ابن الأثير - الكامل : ٦٥ / ٧ - ٦٤ ابن العبري - مختصر ص / ١٤٦ .
(٣) ابن خلدون - المقدمة : ٥٩٩ / ٣ . (٤) الطبري - تاريخ : ٨٢ / ١١ .
(٥) اليعقوبي - التاريخ ٦٠٦ / ٢ .
(٦) ابن الطقطقي - الفخري ص / ٦٠٦ .
(٧) المسعودي - مروج : ١٦٩ / ٤ . (٨) ابن كثير - البداية : ١٦ / ١١ .

ذلك ، تلك الجهود التي تمثلت في محاولة تقسيم الجيش على نفسه بتحريك
المغاربة والفراغنة ضد الأتراك المستبدين ، أو بتحريض الجيل الجديد من
الترك (أبناء الأتراك ^(١)) ضد الجيل السابق المتنفذ ، وبإثارة الزعماء
بعضهم ضد البعض الآخر ، وأخيراً باللجوء إلى العامة والاستعانة بهم
ضد الجيش ^(٢) .

وفي خلافة المعتمد ، تحكم موسى بن بغا في الوزارة مستنداً إلى قوة
الجيش وولائه له ^(٣) ، واضطر الخليفة إلى استيزار أحد صنائعه ^(٤) .
ومع ذلك فقد أثبتت الخلافة ، بعد نهاية فترة التسع السنوات ، أنها
كانت لا تزال تنطوي على حيوية قوية كامنة ، فالأتراك الذين لم يكونوا
مدفوعين بهدف معين ، غير الأناية ، أنهمكهم التنافس فيما بينهم والنضال
مع الخليفة ^(٥) ، لذلك فقد خفت صوتهم ، وليكنهم بقوا عماد الجيش
وكانوا على استعداد للتدخل في السياسة متى سنحت لهم الفرصة ^(٦) . وكان
لكفاح الخلفاء المستمر ، والوثام الحاصل بين القوة الإدارية والجيش أكبر
الأثر في انتعاش الهيئة الإدارية وعودة هيبة الوزراء وتمكنهم من توجيه
السياسة العامة للدولة ، ومع أن قائد الجيش - الموفق - قد تحكم في

(١) الدوري - دراسات ص/١٥ .

(٢) ابن الأثير - الكامل : ٨١/٧ - ٨٢ ابن الطقطقي - الفخري ص/٢٤٧ ،

وانظر الدوري - دراسات ص/١٥ .

(٣) ابن الجوزي - المنتظم ج ٥ / ق ٢ / ص ٤٤ ، ابن كثير - البداية : ٣٦/١١ .

(٤) هو سليمان بن وهب ، انظر ابن الأثير - الكامل : ١١٢/٧ ، ابن

كثير - البداية : ٢٦/١١ ، وكذلك ابن الجوزي - المنتظم ج ٥ / ق ٢ / ص ٤٥ ،

ابن الطقطقي - الفخري : ٢٥٠ .

(٥) الدوري - دراسات ص/٢٨ . (٦) ن.م. ص/٢٩ .

الخليفة^(١) حتى وفاته^(٢) ، فإن ذلك لا يعني إلا أنه كان حريصاً على الخلافة ، مهتماً بها ، راعياً في إعادة القوة والاستقرار لها ، وإن أكبر تغيير يستوعب النظر في إدارة الدولة ، وفي علاقة الوزير بالجيش وقادته ، أننا نجد الوزير قد أصبح منذ خلافة المعتضد^(٣) مقدماً على جميع القواد ، وهو أمر يوحي بعودة الأمور إلى طبيعتها ؛ فالوزير كان يمثل أعلى سلطة في الدولة بعد الخليفة نفسه ، كما أنه قد عهدت إليه رئاسة الجيش في أواخر العصر العباسي الأول .

إن ما حصل الآن هو إعادة السلطة إلى الوزراء ، وإعادة الإدارة إلى الكتاب ، ووضع حد لسيطرة الجيش المباشرة تماماً كما حصل بعد مقتل المتوكل ، ولم يعد الوزير يقتصر في عمله على الإشراف على الدواوين ، وتولية العمال ، والنظر في المظالم ، بل امتد إلى قيادة الجيش والإشراف عليه ، والقيام بتمتع حركات العصيان ، فقد أمر المعتضد وزيره عبيد الله بن سليمان^(٤) بالتوجه مع الجيش إلى الري لمساعدة ابنه أبي محمد في حملته التأديبية هناك^(٥) ، ثم أمره بعد ذلك بمحاربة عمر بن عبد العزيز

-
- (١) ابن الجوزي - المنتظم : ٤٥/٥ ، ابن الأثير - الكامل : ١١٢/٧ .
(٢) التنوخي - نشوار : ٥٥/٨ ، ابن الأثير - الكامل : ١١٦/٧ .
(٣) هو أبو العباس أحمد بن طلحة الموفق - تولى الخلافة بعد عمه المعتضد في ١٨ رجب ٢٧٩هـ / ٢٩٠١م .
(٤) الطبري - تاريخ : ٣٤١/١١ ، ابن الجوزي - المنتظم : ١٢٣/٥ ، ابن الأثير - الكامل : ١٦٣/٧ ، ابن كثير - البداية : ٦٦/١١ .
(٥) الطبري - تاريخ : ٣٤٦/١١ ، ابن الأثير - الكامل : ١٦٩/٧ ، ويرى آدم منز - الحضارة ١٥٠/١ بأن الوزير ليس إلا رئيساً للكتاب ، وأن الدولة قامت في الأصل على أساس حربي ، وأن هذا الوضع الجديد هو إحياء لنظام التدرج في المناصب إلى أن تنتهي برئيس أعلى ، « وهو النظام القوي الذي كان موجوداً في تاريخ الشرق القديم » ، وهذا الرأي لا يستند إلى دليل مقبول ، والصحيح ما أثبتته في المتن .

ابن أبي دلف الذي خرج على الطاعة في منطقة الجبال ، فتوجه الوزير بالجيش لمحاربته فطلب الأمان ورجع به إلى الخليفة^(١) .

ومع إعطاء هذه السلطة للوزير فإن بدران المعتضدي^(٢) ، أخذ يتصرف بالأمور دون مراجعة الوزير ، إذ كان يستغل علاقته القوية بالخليفة فيحصل على موافقته على ما يريد مباشرة ، وليس عن طريق الوزير كما تقتضي الأصول ، حتى إن الخليفة كان يظهر التضجر من هذا التصرف أحياناً^(٣) .

وقد تدخل بدران المعتضدي في اختيار الوزير بعد وفاة عبيد الله بن سليمان ، إذ صرف المعتضد عن أحمد بن محمد بن الفرات ، وألح عليه في استئجار القاسم بن عبيد الله^(٤) فاستوزره ، حيث بقي في وزارته حتى وفاة المعتضد ، فأخذ البيعة له مكتفي على الجند ، فازدادت مكانته ، وأصبح مقدماً لديه على الجميع^(٥) ، حتى إنه سمح له أن يسايره في الموكب دون

-
- (١) ابن كثير - البداية : ٧٤/١١ ، وانظر الدوري - دراسات ص/ ١٨٨ .
(٢) كان بدران هذا غلاماً للمعتضد لله قبل خلافته ، ولاء الإمارة يوم ولي الخلافة ، واشترك مع الوزير عبد الله بن سليمان في حملته إلى الجبل لإخضاع عمر ابن عبد العزيز بن أبي دلف ، ثم ولاء فارس ، انظر ابن الأثير - الكامل : ٣١٧/٧ ، ٣٢٨ ، ٣٣٢ ، ٣٣٥ ، وقد قتله المكتفي في سنة ٢٨٠ هـ / ٩٠١ م بتدبير من الوزير القاسم . الطبري - تاريخ : ٣٧٤/١١ - ٣٠٦ .
(٣) انظر ما رواه الأصمعي في الأغاني ١٠/٦٨ ط : دار الكتب عن مكانته عند المعتضد ومناقشة الخليفة للوزير بشأنه ومدى تأثيره عليه وشهاد الخليفة لذلك بقول الشاعر :

في وجهه شافع يحو إساءته من القلوب مطاع حيثما شفعنا
مستقبل بالذي يهوى وإن كثرت منه الإساءة مغفور لما صنعنا

(٤) المسعودي - مروج : ٢٣٣/٤ ، ابن كثير - البداية : ٩١/١١ .

(٥) المسعودي - مروج : ٢٧٦/٤ ، ابن كثير - البداية : ٩٥/١١ .

بقية القواد^(١) ، مما يشير الى ارتفاع منزلته عليهم ، بل واحتلاله للمنصب الأول المتنفذ بعد الخليفة . ثم عهد المكتفي للوزير محمد بن داود بن الجراح بكسر شوكة القرامطة ، وسير معه الجيوش ، وقد اتخذ هذا الوزير مدينة الكوفة قاعدة له لتنفيذ هذه المهمة^(٢) .

وفي عصر المقتدر ، جاء الخليفة ليحكم بمكة عادت اليها هبة الخلافة ، واسترجعت فيها البروقراطية ، الإدارية أهميتها وفعاليتها ، وتوقف الجيش عن التلاعب بسياستها العامة ، وحصل نوع من التوازن بين مختلف العناصر ؛ إلا أن هذا العصر شهد رجوع الانقسام والتصادم بين العناصر المتنفذة^(٣) .

لقد عاد الجيش إلى التدخل في الإدارة ، إذ اشترك بعض قادته في التآمر مع آل الجراح لخلع المقتدر من الخلافة ومبايعة ابن المعتز ، ومهدوا لذلك بقتل وزيره العباس بن الحسن^(٤) ، ولكن بعد فشل الخطة وعودة المقتدر ، أظهرت الأمور وكأنها عادت إلى سابق عهدها ، وعادت للوزير سلطاته في الإشراف على الجيوش ، ففي سنة ٢٩٨ هـ / ٩١٠ م افتتح أبو الحسن بن الفرات الوزير فارس بأن أمر مؤنساً بالتوجه اليها ومحاربة سبكوي المتغلب عليها^(٥) ، ثم عزز ذلك بإرسال وصيف مع عدة من القادة لمساعدته^(٦) ، وكان يرسل تعليماته إلى الجيش تبعاً^(٧) ، ولكن ابتداءً

(١) ابن تغري بردي - النجوم : ١٢٨/٣ .

(٢) انفراد القرطبي في الصلة من ١٦ ، ١٩ وما بعدها في هذه الرواية .

(٣) الدوري - دراسات من ١٩٣ .

(٤) الطبري - تاريخ : ١١ / ٤٠٤ - ٤٠٥ ، الخطيب - تاريخ :

٢١٣/٧ ، مسكويه - تجارب : ٦/٥/٥ ، الهمداني - مسكويه : ٩/١ ، ابن

الأثير - الكامل : ٥/٨ - ٦ . (٥) مسكويه - تجارب ١٨/٥ .

(٦) ن. م. : ١٩/٥ ، وانظر النونخي - نشوار : ٦٩/٨ .

(٧) مسكويه - تجارب : ١٩/٥ .

من نهاية القرن الثالث الهجري ، نحس بشيء من التحديد لتلك السلطات التي كان يمارسها الوزير ، كما نحس بارتفاع شأن بعض قادة الجيش ، وقيامهم بالتدخل في أمور الدولة ، ومنها شؤون الوزارة ، ففي سنة ٢٩٩/٩١١ م وقلد البريد بمدينة السلام والإشراف على الوزير ، وعلى الجيش ، وأصحاب الدواوين ، والقضاة ، وأصحاب الشرط ، شفيح اللؤلؤي (١) . . .

وفي سنة ٣٠٠/٩١٢ م طالب القواد (الوزير) الخاقاني باستحقاقاتهم (٢) ، كما تدخل مؤنس بعد ذلك في الحجيء بعلي بن عيسى إلى الوزارة (٣) . إن وصول علي بن عيسى إلى الوزارة ، قد أعاد الأمور إلى طبيعتها ، وأعاد للوزارة هيمنتها وسلطانها على الجيش فقد ركب معه عند تقليده مؤنس الخادم وغريب « الحال » وسائر القواد والغلمان (٤) ، ثم سار بالجيش إلى طرسوس لغزو الصائفة (٥) ، ثم جهز في سنة ٣٠٣/٩١٥ م جيشاً عهد بقيادته إلى رائق الكبير لمحاربة الحسين بن حمدان ، الذي خرج على طاعة الخليفة ، وتحكم في الجزيرة ، وكتب إلى مؤنس الذي كان غائباً في مصر لمحاربة عسكر المهدي العلوي صاحب إفريقية ، يأمره بالمسير إلى ديار الجزيرة بعد فراغه من قتال أصحاب العلوي (٦) .

ومع هذا التحسن الذي أصاب علاقة الوزير بالجيش ، فلم تخل هذه العلاقات من أمور تلفت النظر ، ففي السنة نفسها (٣٠٣/٩١٥ م)

(١) ن . م . : ٢٤/٥ .

(٢) الهداني - تكلة : ١٩/١ ، ابن الأثير - الكامل : ٢٤/٨ .

(٣) الهداني - تكلة : ١٩/١ .

(٤) مسكويه = تجارب : ٢٧/٥ . (٥) ابن الأثير - الكامل : ٣٠/٨ .

(٦) ن . م . : ٣٢/٨ ، وانظر ابن العبري - مختصر ص / ١٥٥ .

شعب الغلمان والرجالة على الوزير يطلبون الزيادة في أرزاقهم ، ومضوا إلى داره فأحرقوا بابه ، وذبحوا في اصطبله دوابه (١) . ولما عاد مؤنس المظفر إلى بغداد سنة ٨٣١٢ / ٩٢٤ م ركب الوزير طياره للسلام عليه ، وانتهته بمقدمه ، وهذا ما لم تجر به عادة الوزير ، وما لم يفعل مثله وزير من قبل ، حتى إن الوزير لما خرج لينصرف خرج معه مؤنس إلى أن نزل في طياره وقبل يده (٢) . وقد عزل ابن الفرات عن الوزارة نتيجة السخط العام من قسوة ولده وجماعته ، ولأنه أثار عداة نصر القشوري وأغضب مؤنساً المظفر (٣) ، فأشار الحاقاني الوزير على مؤنس ونصر استخدام الجيش في القضاء على خصمهم المشترك ابن الفرات وابنه ، فشعب الجند ، ثم تطرفوا إذ أنهم طالبوا بقتل ابن (٤) . وهكذا عمل هذا الوزير بدافع خبثه وقصر نظره وجهله على تدبير قوة الوزارة ، وأفسح المجال لتمرد الجيش وتدخله في إدارة الدولة ، وحكمه في الوزارة (٥) . وقد تضاءت هيبه الوزراء اعتباراً من هذا الحدث ، ولم يبق فيمن ولي الوزارة من يستطيع صد طغيان الجيش ، أو الوقوف بوجه مؤنس - أمير الجيش - الذي تسلط على

(١) القرطبي - ص ٥٨ / ص ٥٨ .

(٢) الصابي - الوزراء ص ٥٨ ، مسكويه - تجارب : ١٢٢ / ٥ - ١٢٣ .

وانظر آدم منز - الحضارة : ١٥١ / ١ . (٣) الدوري - دراسات ص ٢٠٥ .

(٤) الصابي - الوزراء ص ٧١ ، مسكويه - تجارب : ١٢٧ / ٥ ، وانظر

الدوري - دراسات ص ٢٠٥ .

(٥) الصابي - الوزراء ص ٦٠ - ٦٥ مسكويه - تجارب : ١٢٧ / ٥ ،

الهمداني - نكلة : ٥٧ / ١ - ٥٩ ، ابن الأثير - الكامل : ٥١ / ٨ - ٥٢ ،

الذهبي - المعبر : ١٥٠ / ٢ - ١٥٢ .

الأمر فأخذ يتصرف فيها كما يشاء . ولم يقتصر تطاول رؤساء الجيش على الوزير فقط ، بل شمل حتى الخليفة ، فكانوا يطالبون بتنفيذ مطالبهم مهددين بإثارة الفتنة عن طريق الجيش^(١) ، ففي وزارة علي بن عيسى الثانية شغب عليه الحجابة لمدة أسبوع كامل مطالبين بالأرزاق^(٢) ، وعتت الفوضى ، ونهبت بعض قصور الخلافة ، ولم تهدأ الحالة إلا بعد تنفيذ مطالبهم^(٣).

وفي سنة ٩٢٨/٥٣١٦ م طالب الجند بزيادة أرزاقهم مكافأة لهم على قيامهم بصد تقدم القرامطة إلى بغداد ودفعوا المقتدر على الاستجابة لمطالبهم ، مما أفسد خطة علي بن عيسى المالية المعتمدة على الاقتصاد في النفقات ، واضطره إلى الاستقالة^(٤) . وفي سنة ٩٢٩/٥٣١٧ م ، وخلال تازم العلاقات بين الخليفة ومؤنس ، أقدم الجند الحجزية على محاولة قتل الوزير أبي علي بن مقلة ، فضربوه بالدبابيس ، ولكنه استطاع أن يفلت من أيديهم^(٥).

أحس الجيش بعد عودة المقتدر إلى الخلافة عقب خلع سنة ٥٣١٧ ،

-
- (١) الدوري - دراسات ص/٢٠٨ .
(٢) مسكويه - تجارب : ١٤٩/٤ ، القرطبي - صلة ص/١٢٩ ، الهمداني - تكملة : ٦٤/١ ، ابن الأثير - الكامل : ٥٥/٨ ، ابن الجوزي - المنتظم : ٢٠٢/٦ .
(٣) مسكويه - تجارب : ١٥٩/٥ ، وانظر (شهب قصير الثريا) .
(٤) مسكويه - تجارب ص/١٨٥ .
(٥) مسكويه - تجارب : ١٨٨/٥ - ١٩٢ ، الهمداني - تكملة : ٧٨/١ - ٨٠ ، ابن الأثير - الكامل : ٧٠/٨ ، ابن كثير - البداية : ١٦٠/١١ ، ابن الجوزي - المنتظم : ٢٢٢/٦ ، حمزة الأصفهاني - تاريخ ص/١٥٥ - ١٥٦ : السبوطي - تاريخ ص/٣٨٣ .

بأن جميع مطالبه قد نفذت ، فأصبح يتصرف بشكل لا يطاق من إعاقة لسير العدالة ، وتساهل في الجرائم ، وتأخير لتنفيذ الأحكام ، وأصبح في مقدور رؤسائه الدخول إلى الخليفة أو الوزير متى أرادوا ، وبذلك فقد أصبحت جميع مؤسسات الدولة ، وبضمنها الوزارة ، تحت سيطرة الجيش (١) .

وفي مفتح سنة ٥٣١٨ / ٩٣٠ م شغبت المصافية ، وهي إحدى فرق الجيش ، واشتدت شوكتهم فضربوا دار الوزير وانتهبوا ما فيها من الأموال (٢) ، ثم حصل اعتداء على شخص الوزير إذ هجموا على مجلسه ، وأخذوا دواته من بين يديه ، فانسل من بينهم ، وهرب بلا حذاء ولا رداء حتى وقع في طياره الشدود في فناء داره ووقف في وسط دجلة (٣) حيث رجمه الجند بالسهم مطالبين بأرزاقهم (٤) .

وقد أصبح هياج الجند وإحداثهم الفتن أمراً مألوفاً بعد ذلك ، فاستمرت الاضطرابات حتى بلغت ذروتها في عام ٥٣١٩ / ٩٣١ م إذ سيطر مؤنس قائد الجيش نهائياً على الأمور ، ونحك في الإدارة وفي اختيار الوزراء (٥) ، فقد تم استيوار الكلوذاني نتيجة الحاجة (٦) . وعندما استوزر المقتدر الحسين بن القاسم ، كان ذلك بموافقة . ومن الغريب أننا نجد أنه بالرغم من إعلان مؤنس رغبته في إبقاء علي بن عيسى على ديوان المظالم ، فإن الوزير

(١) الدوري - دراسات ص / ٢١١ .

(٢) حمزة الأصفهاني - تاريخ : ص / ١٥١ .

(٣) ن . ٢٠٠ ص / ١٥٧ . (٤) الهداني - تكملة : ٨١ / ١ .

(٥) القرطبي - صلة ص / ١٥٦ ، حمزة الأصفهاني - تاريخ ص / ١٣٥ - ١٣٦ .

(٦) مسكويه - تجارب : ٢١١ / ٥ - ٢١٢ .

أصر على إقصائه عنه ، وتمكن من نفيه إلى ديرقني^(١) ، ولعل ذلك كان محاولة من الوزير لتأكيد مركزه أمام تسلط الجيش ممثلاً في قيادته ، قابليها مؤنس بالطلب إلى الخليفة عزل هذا الوزير ومصادرته ونفيه ، وقد وافق الخليفة على إقصائه دون مصادرة أو نفي ، ولكن ذلك لم يرض طموح مؤنس وغروره ، إذ أصر على موقفه^(٢) ، وقد حاول مؤنس القبض على هذا الوزير ، ولكن الوزير احتاط لنفسه كثيراً ، ولما تكررت المحاولات وجد الوزير في دار الخلافة خير ملجأ له فأقام فيها^(٣) .

لقد فشل مؤنس في محاولته إقصاء الوزير ومصادرته ، كما فشل في القبض عليه ، ووجد أنه اكتسب تأييد بعض فرق الجيش^(٤) ، لذا فقد خرج من بغداد مغاضباً ، فكان ذلك نصراً للوزير وزيادة في مكانته ، إذ أصدر أوامره بمصادرة أملاك مؤنس ومن خرج معه من القواد والجند ، واستعدت لذلك ديواناً خاصاً أسماء : « ديوان المخالفين »^(٥) ، وعندما انحدر مؤنس من الموصل إلى بغداد ، ووقف جيشه مقابل جيش الخليفة ، لم يكن

(١) مسكويه - تجارب ٢٢١/٥ ، القرطبي - صلة ص / ١٦٥ ، وانظر الدوري - دراستات ٢ ٢١٥ .

(٢) مسكويه - تجارب : ٢٢١/٥ ، الهمداني - تكملة : ٨٣/١ ، ابن الأثير - الكامل : ٧٦/٨ - ٧٩ ، الذهبي - العبر : ١٧٤/٢ ، ابن الصاد - شذرات : ٢٨٠/٢ .

(٣) مسكويه - تجارب : ٢٢١/٥ ، الهمداني - تكملة : ٨٣/١ ، الذهبي - العبر : ١٧٤/٢ . (٤) وم فرقة « الرجالة » .

(٥) انظر المبحث الثالث من هذه الرسالة . « ديوان المخالفين » ، الهمداني - تكملة : ٨٣/١ .

الوزير رأي مسموع ، إذ أنه كان حذراً يخشى نتيجة الحرب ويميل إلى المفاوضات ، غير أن تحذيراته لم يلتفت إليها ، إذ نشبت الحرب وكانت نتيجتها مقتل الخليفة (١) .

بعد تولي القاهر الخلافة ، رشع مؤنس علياً بن عيسى لوزارته ، ولكن يلبق صرفه عن ذلك ، لأن سياسة علي المالية كانت تعتمد على الاقتصاد في النفقات ، وهي سياسة لا يمكن للجيش أن يقبلها ، وأشار بأبي علي بن مقله لأن الأوضاع تحتاج إلى سمح الكف (٢) ، وهكذا أصبح اختيار الوزراء خاضعاً لأهواء الجيش ورغباته .

لقد بذل ابن مقله جهده في سبيل إرضاء الجيش واستمالته ، فسعى لتوفير الأموال له عن طريق المصادرات التي أصبحت المميز لوزارته (٣) ، بل وتآمر مع بعض قادة الجيش على خلع القاهر ووضع خطة لتنفيذ ذلك ، لكنها أحبطت ، إذ اكتشفها الخليفة ، فهرب الوزير واختفى ، وقبض القاهر على قادة الجيش المتآمرين معه فقتلهم (٤) ، وهجمت الساجية ، إحدى فرق الجيش ، على دار الوزير فنهبتهما ، وأحرقتهما ، ووقع الهياج ببغداد (٥) . ولكن

(١) المسعودي - مروج : ٣٠٦/٤ ، التنبية : ٣٢٧ ، مسكويه - تجارب : ٢٤١/٥ ، القرطبي - صلة ص/١٧٤ - ١٨٠ ، ابن الجوزي - المنتظم : ٢٤٣/٦ ، ابن الأثير - الكامل : ٨١/٨ ، ابن العبري - مختصر ص/١٥٧ ، الذهبي - العبر : ١٨٠/٢ .

(٢) الهمداني - تكملة : ٩٠/١ ، ابن الأثير - الكامل : ٨٣/٨ .

(٣) القرطبي - صلة ص/١٨٥ .

(٤) مسكويه - تجارب : ٢٦١/٥ ، ابن كثير - البداية : ١٧٢/١١ .

(٥) مسكويه - تجارب : ٢٦٥/٥ .

أمر القاهر لم يدم طويلاً بعد ذلك ، فقد نجحت في الأخير محاولات ابن مقلة الذي كان يرأسل قادة الجند والأمراء ، ويضربهم على القاهر ويخوفهم من بطشه (١) ، إذ هجموا على دار الخلافة ، وقبضوا على الخليفة ، أما وزيره الحصيبي ، فقد تمكن من الهرب بعد أن أبدل ملابسه وخرج في زي امرأة (٢) .

وفي خلافة الرازي ، رغب الخليفة في استيزار علي بن عيسى الذي اعتد بعجزه وكبر سنه ، فاستوزر ابن مقلة بتأثير الجيش ، فقد تمكن الأخير من إغراء رؤساء الساجية وخاصة سيما الشرايبي ، ودفع لهم كمية من المال ، وتعد يدفع خمسمائة ألف دينار عطايا للبيعة (٣) ، ولكن ابن مقلة عجز عن تديير الأمور نتيجة سوء الإدارة ، وانقطاع الموارد فشغب عليه الجند بتحريض ابن ياقوت ، وقبضوا عليه ، وأقصوه عن الوزارة . وقد فوض الخليفة إلى الجند أمر اختيار الوزير الذي خلفه ابن مقلة ، بعد أن امتدح فعلهم في إقصائه (٤) ، فوقع اختيار الجند على علي بن عيسى الذي

(١) ابن الجوزي - المنتظم : ٢٦٤/٦ ، ابن العماد - شذرات : ٢٩٢/٢ .

(٢) الهمداني - تكملة : ١٠٣/١ ، ابن الجوزي - المنتظم : ٢٦٥/٩ ،

ابن العماد - شذرات : ٢٩٢/٢ ، السيوطي - التاريخ ص/٣٨٨ ، أبو الوليد روضة ص/١١٠ .

(٣) مسكويه - تجارب : ٢٩٢/٥ - ٢٣٣ ، ابن الطقطقي - المعصري

ص/٢٨٠ .

(٤) الصولي - أخبار الرازي ص/٨١ ، مسكويه - تجارب : ٣٣٦/٥ ،

الهمداني - تكملة : ١١٧/١ ، ابن الأثير - الكامل : ١٠٩/٨ ، ابن قفري

بردي - النجوم : ٢٧٥/٣ . وانظر ابن كثير - البداية : ١٨٤/١١ ، ابن

الجوزي - المنتظم : ٢٨١/٦ ، الذهبي - العبر : ٢٠٠/٢ ، ابن العماد -

شذرات : ٣٠٠/٢ .

رفض الوزارة ، ولكن إصرار الجند قد أدى به إلى ان يقترح استيزار اخيه عبد الرحمن بن عيسى فقبلت التسوية^(١) ، وحين عجز عبد الرحمن ابن عيسى واخوه علي من تدبير الأمور ، نتيجة اشتداد الأزمة المالية ، وبعد ان فشل الوزيران اللذان تعاقبا بعد ذلك عن حلها^(٢) ، وأدرك الخليفة استحالة استمرار الوضع على تلك الصورة بسبب انفصال الولايات وانقطاع الموارد ، اضطر إلى قبول اقتراح ابن رائق الذي تعهد بالقيام بتجهيز النفقات العامة ، ودفع رواتب الجيش ، فراسله في ذلك ، وسلم إليه الأمور ، وجعله أميراً للأمرء « ورد الحكم في جميع الأمور إلى نظره ، ولم يبق للوزير سوى الاسم من غير حكم ولا تدبير^(٣) » ، وهكذا انتقلت مسؤوليات الوزير ، ومنها الإشراف على الجيش إلى أمير الأمرء ، ولم يبق له صلة بالجيش الذي صارت رئاسته بيد ابن رائق ، وأصبح أمير الأمرء ، اعتباراً من هذا التاريخ وحتى الفترة البويعية ، هو الذي يرشح الوزراء ويشرف على أعمالهم .

٣- تولية العمال وعزلهم :

وتألفت الدولة العباسية من عدد كبير من الولايات ، وتباينت علاقة كل منها بالمركز عن غيرها إلى حد بعيد . وكان الوزير يشرف على هذه

(١) الصولي - أخبار ص/٨١ ، مسكويه - تجارب : ٣٣٦/٥ ، الهمداني

تكملة : ١١٧/١ ، ابن الطقطقي - الفخري ص/٢٨١ ، ولزيادة المعلومات انظر الدوري دراسات : ص/٢٣٥ .

(٢) وهما الكرخي ، وسليان بن الحسن ، وانظر السياسة المالية للوزير في

هذا البحث .

(٣) ابن الطقطقي - الفخري ص/٢٨٢ .

الولايات عن طريق الدواوين الإقليمية ، إذ كان لكل ولاية ديوان مختص بها في العاصمة يشرف على شؤونها . ولما كان الوزير رئيساً للسلطة المركزية (١) لم تظهر الحاجة إلى تعيين الحدود الفاصلة بين تلك الدواوين بدقة (٢) .

كان على رأس كل ولاية رجلان : « الأمير » ، « العامل » الذي يطلق عليه عادة صاحب الخراج أو « عامل الخراج » (٣) ، وقد تجمع الوظيفتان أحياناً بيد رجل واحد (٤) . ويبدو أن عامل الخراج كان يتولى سد نفقات الولاية التي يجبي خراجها ورسومها بما يتجمع لديه من أموال ، على أن يرسل الباقي إلى العاصمة (٥) ، لأن بيت المال في بغداد لا يصرف إلا نفقات دار الخلافة والدواوين والجيش في بغداد وما يتعلق بها (٦) .

أما الأمير ، فكان قائد الجيش في الولاية وكان يخاطب في المراسلات بما يخاطب به عامل الخراج ، مع بعض الاختلاف في ذلك أحياناً (٧) ، ويستلم كل منهما نسخاً من أوامر الوزير (٨) ، غير أن الأمير إمامة الصلاة في مركز الولاية ، وكذلك الخطبة ، وهذا يجعله رئيساً للمسلمين في الولاية دون صاحبه (٩) .

(١) من الناحية النظرية على الأقل ، أما من الناحية العملية فقد حصلت تجاوزات كثيرة على ذلك ، انظر الفصلين السابقين .

(٢) آدم منز - الحضارة ١٢٩/١ - ١٣٠ .

(٣) مسكويه - تجارب ؛ ١٢٤/٥ ، وانظر الدوري - دراسات : ١٩٩ .

(٤) مسكويه - تجارب : ٢٧٥/٥ - ٣٨٧ ، ابن الأثير - الكامل : ١١٨/٨ .

(٥) مسكويه - تجارب : ٤٣/٥ ، وانظر الصابي - الوزراء ص/٨١ .

(٦) الصابي - الوزراء ص/١٢ وما بعدها .

(٧) ن ٢٠ ص/١٧٣ - ١٧٤ . (٨) مسكويه - تجارب : ١٢٤/٥ .

(٩) ابن سعيد - المغرب ص/١٥ .

وبالإضافة إلى هذين المنصين ، فقد كان لكل ولاية قاض ، وقائد ،
وصاحب شرطة ، وصاحب بريد^(١) ، كما كان هناك « صاحب المعونة » ، (٢) .
كانت العادة قد جرت على أن يباشر الوزير عمله في اختيار العمال
من يثق بهم بنفسه ، وأن يستبدلهم إن عجزوا عن القيام بعملهم على الوجه
الصحيح حسب تقديره ، وكان يستشير أحياناً رؤساء الدواوين في العاصمة^(٣)
غير أنه كان يأخذ برأي الخليفة في ذلك^(٤) .

إن الأزمات التي مرت بها الدولة ، والتي أفرغت الخزائن وبيوت
الأموال أدت إلى إضعاف علاقة المركز بالأطراف ، وكان لذلك أثر كبير
في الحركات الانفصالية المتكررة التي قاست منها الدولة كثيراً ، كما كان
لها أثر كبير في تفشي الفساد والتوردي الذي أصاب الهيئة الإدارية فيما بعد ،
إذ لم ينظر بعض الوزراء إلى الولايات باعتبارها أجزاء من دولة تقع على
كاهلهم مسؤولية إدارتها وإصلاحها بقدر ما كانوا يعتبرونها مجالاً لجمع المال ،
فقد كان بعضهم يتم بالدرجة الأولى بالمالية ، ويعني قبل كل شيء بمسألة
جباية الضرائب^(٥) والحصول على الأموال ، فلا غرابة من أن يجعل من
تعيين العمال مجالاً للمساومة ، فمن يدفع أكثر يستحق التعيين بغض النظر
عن كفاءته ، وإخلاقه ، والطرق التي يتبعها في جباية الأموال في الولاية ،
ومدى تعسفه وظلمه لأهلها ، ودون مراعاة للصالح العام^(٦) . وأبرز نموذج

-
- (١) الدوري - دراسات ص/١٩٠ - ١٩١ .
 - (٢) قدامة - الخراج (مخطوطة كوبرلي) ص/١٤ ب - ١٦ أ .
 - (٣) الصابي - الوزراء ص/١٢ - ١٣ . (٤) القرطبي - صلة ص/٤٢ .
 - (٥) الدوري - دراسات ص/١٩١ .
 - (٦) الطبري : ٢٢٢٣/٣ (لايدن) ، مسكويه - تجارب : ٤٥/٥ ،
الهمداني - فكملة : ٢٦/١ ، ابن الأثير - الكامل : ٣٥/٨ ، السيوطي -
تاريخ ص/٣٨٢ .

لهذا النمط من الوزراء هو الوزير الخاقاني (١) .

لقد تلاشت بالتدريج طريقة الجباية بواسطة موظفين يشتغلون لمصلحة مالية الدولة ، وخلفتها طريقة « الضمان » ، حيث كان الضامن يتعهد بدفع مبلغ معين للخزينة سنوياً مقابل السماح له بجباية ما يمكن جبايته من أهل الولاية التي تضمنها ، حيث يصبح ما يجنيه ملكاً له (٢) . وكان البعض من هؤلاء العمال يدفع مبلغ الضمان للسنة الأولى مقدماً عند إصدار أمر تعيينه ، ثم يوالي إرسال المبلغ الذي قوطع عليه سنوياً من ولايته (٣) ، ولعل سبب اللجوء إلى هذه الطريقة راجع إلى حالة الدولة والأزمات المالية التي كانت تمر بها . وعندما كان الوزير يعجز عن إيجاد من يدفع مبلغ الضمان كاملاً مقدماً ، كان يضطر تحت إلحاح حاجته إلى الأموال إلى أن يتسلم قسطاً من مبلغ الضمان مقدماً (معجلاً) ، ويؤجل للضامن دفع الباقي إلى أن يستلم عمله ، فنثلاً : كان المهدي بالله يمدح وزيره سليمان بن وهب ويلاحظ عليه اتباع هذه الطريقة من الضمان بقوله : « نعم الرجل أنت لولا المعجل أو المؤجل (٤) » . ولا بد من الإشارة هنا إلى أنه كانت تحيط بكل طامع إلى الوزارة عصبية من المؤيدين له ، تأمل أن تتسلم الأعمال والدواوين عند استيزاره (٥) ، حيث يقوم الوزير بالاستعانة بهم في إدارة الولايات ، وكان هؤلاء يعزلون عند عزل الوزير الذي عينهم (٦) ، وعند ذلك يصبحون من عناصر الشعب التي تتحين الفرص لإثارة الفتن حتى تعود جماعتهم إلى الحكم (٧) .

(١) بوين - علي بن عيسى ص/١٠٧ . (٢) الدوري - دراسات ص/١٩١ .

(٣) مسكويه - تجارب : ٤٥/٥ . (٤) الأصفهاني - الأغاني : ٦٩/٢٠ .

(٥) الدوري - دراسات ص/١٩٢ . (٦) مسكويه - تجارب : ٤٢/٥ .

(٧) التنوخي - الفرج : ٩/٢ - ١٠ .

ومنذ بداية القرن الرابع الهجري نحسّ بعامل جديد يؤثر في تعيين العمال ، من الممكن أن ندعوه « الاعتراف بالأمر الواقع » ، إذ أخذ بعض أصحاب المطامح يحدثون في ولايات الدولة ؛ وبخاصة البعيدة منها ؛ حركات عصيان يستولون عن طريقها على السلطة ، ثم يحاولون تركيز سلطتهم وصبغها بالشرعية بالطلب من العاصمة الاعتراف بهم ممثلين عنها ، لكي يضمنوا استمرار خضوع المسلمين لهم في تلك المقاطعات ، ففي سنة ٤٣٠٤/٩١٦م أظهر ابن أبي الساج أن الوزير علي بن عيسى قد « أنفذ إليه اللواء والعهد عن المقتدر بالله بتقليده أعمال الحرب بالري وقزوين وأهر وزنجان » (١) فسار إليها ثم توسع إلى خراسان ، وقد أنكر الوزير أن يكون قد عهد لابن أبي الساج بشيء من ذلك ، أو أنه أرسل له اللواء ، وقال عند مناقشته لهذا الأمر : « إنه لا بد للواء والعهد أن ينفذ مع خادم من خدم السلطان أو قائد من قواده ، وهؤلاء الخدم والقواد بين أيديكم سلوهم عن ذلك ، ولديوان الرسائل كاتب يتقلده يكتب العهود والولايات سلوه هل كتب بشيء » (٢) ، وقد أغاظ عمل ابن أبي الساج هذا الخليفة المقتدر ، وكتب الوزير ابن القورات « عن المقتدر بالله وعن نفسه إلى ابن أبي الساج في هذا المعنى أغاظ كتاب وتوعده ، وأنفذ إليه من الحضرة لمهاريته خاقان المفلحي وضم إليه الرجال وأنفذ بعده عدة من القواد مسدداً له وأنفق الأموال فيهم » (٣) . وبالرغم من تكرار محاولات ابن أبي الساج لكسب

(١) مسكويه - تجارب ٤٦/٥ .

(٢) ن ٤٦/٥ . ٢٠٠ ، الهمداني - تكملة ٢٦/١ .

(٣) مسكويه - تجارب ٤٦/٥ .

رضى العاصمة فقد أخفق في ذلك لأن المقتدر بالله كان مصراً على « أنه لو بذل كل ما بذل ما أقره على الرمي يوماً واحداً لإقدامه على أن سار إليها بغير أمر^(١) » . وقد حصل نفس الشيء في السنة ذاتها إذ تغلب « سبك » أحد غلمان ابن أبي الساج على اذربيجان ، ولكن رد فعل العاصمة كان مختلفاً تماماً في هذه المرة ، فعندما كتب هذا إلى ابن الفرات الوزير « يسأل أن يقاطع على الناحية ، وافق الوزير على ذلك واشتروط أن يرسل إلى بيت المال مائتين وعشرين الف دينار سنوياً وأنفذ إليه الخلع والعقد^(٢) .

وأعلن أحمد بن علي أمير قم العصيان ، وشق عصى الطاعة في سنة ٣٠٤ هـ ٩١٦ م أيضاً ، وطرد بقية العمال من ولايته ، بل انه تجاوز ذلك فسار إلى الري وتغلب عليها بعد أن هزم جيشاً موالياً للخلافة ، وبعد أن استقر له الأمر شرع في محاولة الحصول على الاعتراف الشرعي بعمله ، وراسل الوزير في ذلك والغريب أن الوزير وافق على تقليده بعد أن « قاطع عن أعمال الحجاج بالري وديناوند^(٣) وقزوین وزنجان وأهر على مائة وستة وستين الف دينار محمولة إلى الحضرة » سنوياً فقلد تلك المناطق^(٤) .

وفي خلافة الرازي بالله ، وبعد أن تغلب علي بن بويه على شيراز راسل الوزير في مقاطعته عليها ، فأجابه إلى طلبه وضمنه الولاية بثمانية ملايين درهم « خالصة بعد النفقات والمؤن^(٥) » ، وأرسل إليه خلعة ولواء وأمر

(١) مسكويه - تجارب ٤٩/٥ - ٥٠ .

(٢) هكذا وردت في مسكويه ، والصحيح (ديناوند) .

(٣) مسكويه - تجارب ٥١/٥ - ٥٢ .

(٤) ابن الجوزي - المنتظم ٢٨١/٦ .

ألا يسلم إليه حتى يعطي المال . ومن الطريف أن ذلك لم يحصل إذ أن رسول الوزير طالبه بالمال غير أن ابن بويه « خاشنه وأرهبه فأعطاه الخلع واللواء وبقي عنده مدة وهو يماطله بالمال حتى توفي الرسول (١) » ، ولعل ذلك قد حصل بتدبير من ابن بويه للتخلص منه .

وهكذا نجد بأن الوزير لم يكن يحجم عن الموافقة على الاعتراف بشرعية سلطة المتغلبين على الولايات اعترافاً منه « بالأمر الواقع » ، ولعل ذلك يعكس إلى حد كبير حالة الضعف التي وصلت إليها السلطة المركزية ، فعندما كان الوزير يحس بعجز قوات الخلافة عن إعادة المتغلبين إلى الطاعة كان يمنحهم الصبغة الشرعية التي يطلبونها صيانة للدماء وإبقاء على الوحدة الظاهرية للدولة الإسلامية . ولم يتحرج الوزراء أيضاً من تعيين بعض الخارجين عن الطاعة حتى بعد القبض عليهم ، فقد عين ابن أبي الساج على ولاية أذربيجان ، وعندما طلب إليه الوزير الحصبي بعد ذلك في سنة ٣١٥ التوجه لمحاربة القرامطة امتنع عن ذلك محذراً من الخطر الذي يتهدد الدولة من حدودها الشمالية ، وقد جاء في جوابه : « أنا في ثغر .. إن أخلت به يكون سبباً لزوال المملكة في سائر النواحي (٢) » ، ولما رفض الوزير قبول هذا التحذير كانت النتيجة وخيمة (٣) .

وإذا تظافر الأمير والعامل استطاعا أن يفعلا بالولاية ما شاءا ، كما حصل في عام ٤٣١٩ / ٩٣١ م إذ تظافر العامل والأمير بفارس وكرمان

(١) ن ٢٨١/٦٠٢٠ .

(٢) التنوخي - نشوار المحاضرة ١٥٦/١ .

(٣) الدوري - دراسات ص / ٢٤٢ - ٢٤٣ .

على قطع حمل الأموال إلى مركز الخلافة ، واستمروا على ذلك حتى تغلب علي بن بويه الديلمي على فارس سنة ٣٢٢هـ / ٩٣٤م^(١) ، ونظراً لما في اجتماع مناصبي الأمير والعامل في يد شخص واحد من مزاياها ، فقد امتنع بحكم من تنفيذ أمر ابن رائق « أمير الأمراء » بالمسير إلى الأهواز لتولي إمارة الحرب فيها « إلا أن يكون له الحرب والحراج ، فأجابته إلى ذلك وسيروه إليها^(٢) » ؛ وكانت إدارة مصر موزعة بين عاملين أحدهما للحرب والصلابة وثانيهما للحراج وتدبير الأموال ، حتى جاء ابن طولون فجمع بين المنصبين وكان في الواقع حاكماً مستقلاً في مصر^(٣) .

وقد يعود السبب في تعيين العمال لغير ما ذكرناه من الأسباب ، كما حدث في سنة ٢٩٩هـ / ٩١١م إذ تنكرت أم موسى القومانية للوزير أبي علي الخاقاني فخافها وأشفق من أن تقسد عليه أمره ، بسبب موقفه من أخويها وحصوله على اذن الخليفة بإبعادهما ، فأرضاهما بأن قلد أحدهما^(٤) أعمال الخراج والضياح بأصبهان ، وقلد الآخر^(٥) أعمال الصلح والمبارك فيها^(٦) . وفي وزارة الخاقاني هذا توقفت الماكنة الإدارية تقريباً بسبب اهمال الوزير قراءة كتب العمال أو الرد عليها^(٧) ، وعدم كفايته

-
- (١) مسكويه - تجارب ٢١١/٥ ، ابن الجوزي - المنتظم ٢٦٤/٦ ، ابن الأثير - الكامل ٩٦/٨ ، وانظر آدم متز - الحضارة ١٢٨،١ - ١٣٩ .
(٢) مسكويه - تجارب ٣٧٥/٥ - ٣٧٧ ، ابن الأثير - الكامل ١١٨/٨ .
(٣) الذهبي - العبر ٩١/٢ ، السيوطي - تاريخ ص ٣٦٦ .
(٤) أبا الحسين بن أبي البغل . (٥) أبا الحسن بن أبي البغل .
(٦) مسكويه - تجارب ٢١/٥ - ٢٢ . (٧) ابن الأثير - الكامل ٢٣/٨ .

وتشأغله في خدمة السلطان ومراعاة أعدائه^(١) . كما كان أولاده وكتابه يرتفقون (يرتشون) من العمال بما يولونهم به الولايات ثم يعزلونهم إذا رأوا مطمعا^(٢) ، بل لقد كان هذا الوزير « يقلد في اسبوع واحد الكورة عدة من العمال حتى قيل أنه قلد أعمال ماء الكوفة في مدة عشرين يوماً سبعة من العمال اجتمعوا بمجلوان^(٣) » ، كما قلد أعمال كورة اخرى خمسة من العمال في يوم واحد اجتمعوا بخان في عكبرا^(٤) . وقد زاد في الإرباك الإداري اشتراك بعض الأشخاص مع هذا الوزير في اختصاصاته ، فقد « توصل الأشرار إلى كتب الرقاع على يد أم موسى إلى المقتدر بخطبون الأعمال ويتضمنون الأموال ، فخرج الأمر إلى الخاقاني بتقليدهم ذلك ، فانتشر أمره وشاركه الأشرار في النظر ، واستخرجوا الأموال من كل وجه بكل عسف^(٥) . وكانت لهذا الوزير وابنه خلاصات بما يرد ويصدر من الكتب ولكن لم يتيسر لأحد منها الاطلاع عليها إلا بعد فوات الوقت ، وتبقى الكتب بالحمول والسفاتيح^(٦) في خزائنها لا تقض ولا يعرف حال ما فيها^(٧) .

وفي وزارة علي بن عيسى : لم ينفرد هذا الوزير في مسألة عزل العمال أو تعيينهم دون الخليفة ، فعندما تظلم أهل البصرة من عاملهم محمد بن اسحق ابن كنداج وشكروا به إلى الوزير علي بن عيسى استأمر المقتدر في

(١) مسكويه - تجارب ٢٣/٥ .

(٢) ن . م . ن . ٢٤/٥ ، الهمداني - تكملة ١٨/١ .

(٣) ن . م . ن . ، ابن الأثير - الكامل ٢٣/٨ .

(٤) مسكويه - تجارب ٢٣/٥ . (٥) ن . م . ن . ٢٥/٥ .

(٦) انظر عن ذلك ديوان بيت المال في المبحث / ٣ .

(٧) مسكويه - تجارب ٢٣/٥ .

عزله ، ولعل ذلك كان نتيجة لرغبة الوزير في تجنب نفسه اخطار العزل والصادر (١) . وبما يؤيد ذلك أن هذا الوزير سلك نفس المسلك إزاء مشكلة القرامطه الذين عاثوا فسادا وقطعوا طريق الحج واستباحوا عدة مدن في الحجاز والبادية ، إذ شاور المقتدر في أمرهم وأشار بمكاتبة رئيسهم أبي الحسن سعيد بن بهرام الجنابي ، واستأذن الخليفة في مكاتبته فأذن له وخوله انفاذ الكتب مع من يرى (٢) .

وفي وزارة حامد يمكن ملاحظة الإتساع في استعمال طريقة الضمان ، في تعيين العمال ، فقد تضمن أحمد بن محمد بن رسم أصهبان بزيادة مائة ألف دينار في كل سنة على ضمانها السابق ، وقد جدد علي بن عيسى هذا الضمان على ابن رسم في السنة التالية ، وعندما تحقق علي بن عيسى من الظلم النازل بالرعية هناك من جراء زيادة الضمان خفض من المبلغ عشرين ألف دينار ترفيها للرعية (٣) . أما فارس فقد كانت في ضمان ابن القاسم ابن بسطام (٤) .

ولم يقتصر عهد الضمان على العمال بل شمل حتى الوزير إذ أن الوزير حامد بن العباس لما تبين له اتضاع مكانته عند الخليفة ، ورأى انه لا يأمر أو ينهي بشيء في ادارة الدولة ، استأذن الخليفة في العودة إلى واسط لتدبير أمر ضمانه فيها (٥) .

وفي وزارة حامد هذا قلد أحد العمال لغير ما أسلفنا من الأسباب ،

(١) القرطبي - صلة ص / ٤٢ .

(٢) مسكويه - تجارب ٣٤/٥ ، ابن كثير - البداية ١٢١/١١ .

(٣) ن . ٢٠ . ٦٠/٥ . (٤) عريب القرطبي - صلة ص / ٧٨ .

(٥) مسكويه - تجارب ٦٠/٥ - ٦٩ ، الهمداني - تذكرة ٣٠/١ .

فعندما رأى الوزير هـ تمكن ابن الحواري من المقتدر بالله ، خرج توقيع حامد بخط علي بن عيسى بتقليد ابن الحواري جميع أعمال العطاء في العساكر لسائر نواحي المغرب من حد هيت إلى آخر حدود مصر^(١) ، ولعل ذلك بسبب الرغبة في كسب وده .

ويبدو أن الضغط الذي وجه إلى المقتدر بالله من جانب الحرم وقادة الجيش ، وعدم فسح المجال له لاختيار وزراءه بحرية في الفترة الأخيرة من حكمه قد اضطره إلى أن يضع بجانب الوزير من يسلب اختصاصاته ويجعله قليل التأثير في إدارة الدولة وتعيينات العمال ، إضافة إلى قلة تأثيره في الناحية المالية^(٢) . وقد تأكدت هذه الحالة في خلافة الراضي بالله إذ استوزر أبا علي بن مقله وجعل عليا بن عيسى ناظرا معه^(٣) ، وفي الوقت نفسه عين الوزير خليفه له على سائر الأعمال^(٤) ، وبذلك فقد أصبح للوزير شريك له في النظر في اختصاصاته وخليفة على أعماله . غير أن تحكم ابن ياقوت أمير الأمراء في إدارة الدولة قد عطل اثر الوزير في الإدارة مؤقتا^(٥) ، فقد اظهر الوزير اطباق دواته وترك النظر في شيء البتة^(٦) ، حتى قبض على ابن ياقوت ، فاستعاد الوزير صلاحياته في التصرف في إدارة

(١) مسكويه - تجارب ٨٦/٥ .

(٢) مسكويه - تجارب ٢١٢/٥ ، ابن تغري بردى - النجوم ٢٢٩/٣ ،

وانظر ابن الأثير - الكامل ٧٧/٨ ، ابن كثير - البداية ١٦٦/١١ .

(٣) الهمداني - تكملة ١٠٣/١ - ١٠٤ ، ابن الجوزي - المنتظم ١٦٦/٦ .

(٤) وكان خليفته هو أبو الفضل الفتح بن جعفر بن الفرات .

(٥) الصولي - أخبار الراضي ص / ٣١ ، الهمداني - تكملة ١٠٦/١ .

(٦) الصولي - أخبار الراضي ص / ٣١ .

الدولة وفي تعيين العمال وعزلهم (١) .

وفي وزارة أبي جعفر محمد بن القاسم الكرخي للراضي بالله ، لم يعد في إمكان الوزير الاستمرار في الإدارة بسبب حركات الانفصال التي حصلت ، إذ قطع البريدي حمل الاهواز وأعمالها ، وكان بنو بويه قد تغلبوا على فارس (٢) ، فاضطر الوزير إلى الإستتار وترك الوزارة ، ولم يكن حال سليمان بن الحسن الذي استوزره الراضي بعد الكرخي باحسن من حال سلفه .

لقد أصبح تعيين العمال بعد تولي ابن رائق « إمارة الأمراء » خارج اختصاصات الوزير ، إذ أخذ أمير الأمراء وكتابه يصرقان شؤون الدولة ويضمنها تولية العمال وعزلهم . ونحّم أمير الأمراء في أجهزة الدولة الإدارية ، بل وحتى في نفقات الخليفة نفسه (٣) . والواقع أن مدى تحمّل ابن رائق اقتصر على مدينة بغداد وأعمالها ، أما باقي أجزاء الدولة الإسلامية قد تغلب عليها أصحاب الأطراف وزالت عنهم الطاعة وانفردوا بأقاليمهم ، فقد صارت فارس والري وأصبهان والجل في أيدي بني بويه ، وكرمان في يد أبي علي محمد بن الياس ، والموصل وديار بكر وديار ربيعة وديار مصر في أيدي بني حمدان ، ومصر والشام في يد محمد بن طغج الاخشيدي ، والمغرب وافريقيه في يد أبي القاسم القائم بأمر الله بن المهدي العلوي الفاطمي ، والأندلس في يد عبد الرحمن بن محمد الناصر الأموي ، وخراسان وبلاد

(١) ابن تغري بردى - النجوم ١١٣/١ .

(٢) مسكويه - تجارب ٣٥٠/٥ ، ابن الأثير - الكامل ١١٢/٨ .

(٣) مسكويه - تجارب ٣٥٠/٥ - ٣٥١ ، ابن الأثير - الكامل ١١٣/٣ ،

ابن العماد - شذرات ٣٠١/٢ ، وانظر ابن العبري - مختصر ص / ١٦٣ .

ماوراء النهر في يد أحمد بن نصر الساماني ، والاهواز وواسط والبصرة
في يد البريديين ، واليمامة والبحرين في يد أبي طاهر القرمطي ، وطبرستان
وجرجان في يد الديلم (١) .

وفي خلافة المتقي لله ، كان لأول وزراءه سليمان بن مخلد اسم الوزارة
وحضور المواكب والإحتفالات ، في حين كان تصريف ادارة الدولة في يد
أبي عبد الله الكوفي كاتب « أمير الأمراء » بحكم (٢) . وكذلك كان حال
الوزير أبا الحسين أحمد بن محمد بن ميمون (٣) ، إذ استمر كاتب أمير
الأمراء في سيطرته على الأمور فلم يكن للوزير إلا التسمية أيضا (٤) .
وعند تقلد القراريطي الوزارة (٥) . كان المتسلط على الإدارة كورتكين

(١) مسكويه - تجارب ٣٥٢/٥ ، ابن الأثير - الكامل ١١٣/٨ ، وقد
وردت أيضاً في ابن تفردي بردى - النجوم ٢٥٨/٣ ، أبو الفدا - تاريخ
٣٩٨/٢ ، ابن العماد - شذرات ٣٠١/٢ ، ابن العبري - مختصر ص / ١٦٣ ،
أبو الوليد - تسلسل أجزاء الدولة عند تعدادها وهو موحد تقريباً ، وقد فطن
إلى ذلك آدم. متر - الحضارة ١/١ ، وفي حاشية الصفحة المذكورة إشارة إلى
أن ذلك قد ورد أيضاً في الجزء الرابع من كتاب الميون والحدائق (عطوبة
برلين) رقم ٩٤٩١ ص ١٥٤ ب .

(٢) الصولي - أخبار الراضي ص / ١٩١ ، ابن الأثير - الكامل ١٣٠/٨ .

(٣) ذكر زمبار في معجمه أن كنيته « أبا الخير » والصحيح
« أبا الحسين » كما جاء في أغلب المصادر ، انظر المسعودي - مروج ٣٤٠/٤ مثلاً .

(٤) المسعودي - مروج ٣٤٠/٤ ، مسكويه - تجارب ١٢/٦ ، ابن

تفردي بردى - النجوم ٢٧١/٣ ، الذهبي - العبر ٢١٦/٢ ، وانظر الهمداني -
تكملة ١٥١/٩ .

(٥) أبو إسحاق محمد بن أحمد الإسكافي ، انظر وزارته في مسكويه -

تجارب ١٨/٦ .

الديلمي أمير الأمراء الذي أقدم على القبض على الوزير بالرغم من انعدام أثره في الإدارة (١) .

حين تسلط أمير الأمراء على الدولة ، صار كاتبه الأمر والنهي باسمه ، وأصبح منصب الوزير يشبه منصب الكاتب إلى حد كبير ، فعندما دخل ابن رائق بغداد واستلم منصب أمير الأمراء ألزم الوزير بيته ومنعه من الخروج منه ، ثم عزله عن الوزارة واستكتب أبا عبد الله أحمد بن علي الكوفي الكاتب من غير تسمية بالوزارة (٢) بعد ان امتنع عن قبولها ، وإن كان يعمل مايعمله الوزراء (٣) . وعندما تولى أبو عبد الله البريدي الوزارة بعد أن تمت المصالحة بينه وبين أمير الأمراء ابن رائق . ، استخلف له في بغداد على خدمة السلطان وتدبير الطاسيخ أبو جعفر محمد بن يحيى ابن شيرزاد وحملت له الخلع إلى واسط (٤) ، ومع ذلك فقد كان القائم بإدارة الدولة هو عبد الله الكوفي كاتب أمير الأمراء (٥) الذي استمر في عمله هذا حتى دخول البريدي بغداد حيث استلم مقاليد الأمور بعد أن انهزم أمير الأمراء ابن رائق إلى الموصل مستصحباً معه الخليفة وابنه (٦) .

(١) الصولي - أخبار الراضي ص / ٢٠٥ ، مسكويه - تجارب ٦ / ٢٠٠ .

(٢) مسكويه - تجارب ٦ / ٢٢٢ . (٣) الصولي - أخبار الراضي ص / ٢١٩ .

(٤) ن ٢٠٠ ص / ٢١٩ .

(٥) مسكويه - تجارب ٦ / ٢٣ ، الهمداني - نكلمة ١ / ١٥٦ ، ابن كثير -

البداهة ١١ / ٢٠٢ ، وانظر ابن تغري بردي - النجوم ٣ / ٢٧٣ .

(٦) الصولي - أخبار الراضي ص / ٢٢٣ - ٢٢٦ ، ابن كثير -

البداهة ١١ / ٢٠٤ .

وبعد أن رجع الخليفة من الموصل إلى بغداد برزت شخصية ناصر الدولة الحسن بن عبد الله بن حمدان القوية حيث أخذ يتصرف بحرية تامة في ادارة الدولة مع أنه لم يستلم منصب الوزارة ، فأخذ يصدر تعيينات العمال حسب رأيه (١) ، ولم يكن للوزير في عهده شأن يذكر ، وقد ازدادت مكانة ناصر الدولة هذا بعد زواج لابن الخليفة المتقي (٢) حتى أصبح في مقدوره التحكم في اختيار الوزراء ، إذ اعتمد على ابي عبد الله الكوفي وشاوره في اختيار الوزراء (٣) والعمال حتى أصبح الأخير يصرف الأعمال ويتصرف في الأموال (٤) .

وتأزمت علاقات ناصر الدولة بالخليفة بعد ذلك بسبب قلة الأموال والاضطراب الإداري ومضايقته للخليفة ، واضطر ناصر الدولة الى الرجوع الى الموصل « فضبط الأتراك ببغداد دار السلطان وسير الأمور بالحضرة ابو اسحاق القواربطي من غير تسمية (٥) بوزارة وانعقدت الرئاسة بواسطة لتوزون » الذي سرعان ما استبد بالأمر ، فخرج الخليفة ووزيره (٦) الى الموصل ، وقد عزل توزون هذا الوزير على اثر رجوع الخليفة الى بغداد حيث عزل وسمل (٧) .

(١) الصولي - أخبار الرازي ص / ٢٢٦ ، ٢٣١ - ٢٣٣ .

(٢) كان ذلك في ربيع الأول سنة ٣٣١ هـ / ٢٩٤٢ .

(٣) الهمداني - تكملة ١/١٦١ .

(٤) الصولي - أخبار الرازي ص / ٢٣٥ ، مسكويه - تجارب ٦/٣٨ ،

الهمداني - تكملة ١/١٦٢ .

(٥) مسكويه - تجارب ٦/٤٩ . (٦) وكان وزيره هذا هو أبو علي بن مقله .

(٧) الصولي - أخبار ص / ٢٤٨ ، الهمداني - تكملة ١/١٧٣ - ١٧٤ ،

ابن الأثير - الكامل ٨/١٤٩ . وانظر ابن قفري بردي - النجوم ٣/٢٨٠ .

وبعد مبايعة المستكفي بالله قلد الوزارة أبا الفرج محمد بن علي السامري ولم يكن له من الأمر إلا اسم الوزارة ومع ذلك فقد قبض عليه وصوره^(١)، ويعقب صاحب الكامل على هذا الحدث بقوله « ولم يبق للخليفة وزير وإنما كان له كاتب يدبر أمور اقطاعه وخراجه لا غير^(٢) »، وهكذا فإن أثر الوزير لم ينته من الإدارة وتعيين العمال فحسب ، بل ان بقاء منصبه قد انتهى ولم يسمع ببقائه حتى من الناحية الشكلية .

٤ - المسؤوليات المالية للوزير :

مهما بدا التشريع الإسلامي في أمر الضرائب واضحاً بسيطاً في كتب الفقه ؛ فإنه في الواقع متشعب بغزارة .

لم تكن في الدولة الإسلامية كلها ضرائب ثابتة وناقذة على نحو واحد إلا الضرائب الإسلامية الخالصة ، والتي كانت تحسب على أساس الشهور بحسب السنة الهلالية . والواقع أن التقويم الهلالي كان يعمل به في المدن التي يقل اعتمادها على الزراعة ، أما في المناطق الزراعية ، فلا بد أن يتمشى نظام الضرائب مع حال الزراع وأوقات الغرس والحصاد ، أي لا بد من السير وفقاً للتقويم الشمسي^(٣) .

السياسة الزراعية للدولة

كان الخراج في فارس يفتتح في النوروز^(٤) ، وهو موعد الانقلاب

(١) كانت مدة وزارته (٤٢) يوماً ، انظر ابن الأثير - الكامل ١٦٠/٨ .

(٢) ابن الأثير - الكامل ١٦٠/٨ .

(٣) المقرئزي - الحطط : ٢٧٣/١ ؛ حيث ينقل ذلك عن كتاب « أخبار

أمير المؤمنين المعتضد بالله » لأبي الحسين عبد الله بن أبي طاهر .

(٤) وفي أقصى المشرق كان يدفع على دفعتين . انظر ابن حوقل ص/ ٣٠٨ ، ٣٤١ .

الصيفي ، حيث تنضج الغلال (١) ، وكانوا يكبسون كل أربع سنين
يوم واحد . وقد اقتبس المسلمون تحديد موعد الجباية في النوروز ،
غير أن الإسلام أبطل الكبس وحرمه ، فأدى ذلك إلى تخلف السنة
الحجاجة يوماً كاملاً كل أربع سنوات عن السنة الشمسية (التقويمية) ،
وقد تراكت هذه الفروق حتى قاربت الشهر في أواخر العهد الأموي ،
وكان معنى ذلك ، أن على المزارع أن يدفع الحراج قبل حصاد الزرع بشهر
كامل تقريباً ، وقد استمرت هذه المشكلة تجابه (٢) الدولة حتى سنة
٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م (٣) .

لقد أدرك الوزراء العلاقة الوثيقة بين الدخل الحكومي وحالة الزراعة ،
إذ لما كانت ضريبة الأرض تشكل أهم مورد لبيت المال ، فإن النشاط
الزراعي يعني زيادة الوارد (٤) . ولذلك فإن مساعدة الفلاحين تعتبر سياسة
مالية مستنيرة (٥) ، ومع ذلك فلم تؤخذ مصلحة المزارع دائماً بعين

(١) البيروني - الآثار الباقية ص/٢١٦ ، ٢١٧ .
(٢) عن تفاصيل أوسع للمشكلة انظر البيروني - الآثار الباقية عن القرون الخالية
ص/٣١ وما بعدها ، المقرئزي - الخطط : ١/٢٧٥ ، ٢٧٧ ، وقد ظهرت ضرورة
تعديل موعد الجباية بصورة ملحّة في زمن المتوكل حيث جرت محاولة لإصلاحها سنة
٢٤٣ هـ / ٨٥٧ ، وهي التي عناها البحثري بقصيدته التي قال في مطلعها :
إن يوم النوروز عاد إلى العـ - هـ الذي سنه أزدشير
غير أن هذه المحاولة لم تثمر ، إذ قتل المتوكل قبل أن يباشر بتنفيذ مشروعه هذا ،
واستمر الوضع على حاله حتى زمن المعتضد .

(٣) انظر ديوان الحراج في المبحث الثالث من هذه الرسالة .
(٤) الدوري - تاريخ العراق الاقتصادي ص/٣٨ .
(٥) التنوخي - نشوار المحاضرة ٨٧/٨٩ . الدوري - تاريخ العراق الاقتصادي ص/٣٨ .

الاعتبار^(١) ، كما لم تنشأ سياسة زراعية موحدة ، وإنما كانت مجهودات كل وزير ومدى تفهمه لطبيعة مشكلة الزراعة تنعكس على الأحوال المالية السائدة والإجراءات المتخذة بهذا الصدد خلال فترة وزارته .

لقد شهد أواخر القرن الثالث الهجري إصلاحاً مهماً في السياسة الزراعية ؛ ففي سنة ١٢٨٢هـ / ١٨٩٥ م عدل موعد جباية الحجاج ، وأصبح موعد افتتاح الجباية ١٧ حزيران بدلاً من ١١ نيسان ، وأصبح التاريخ الجديد يعرف بالنوروز المعتضدي^(٢) ، كما وضعت خطة لتلافي تكرار الفروق بين موعد الجباية وموعد نضج المحصولات في المستقبل ، وذلك بأن يكبس في كل أربع سنوات من سني الفرس يوماً واحداً^(٣) ، وقد أدى ذلك إلى التخفيف عن المزارعين .

وكان المهتدي بالله قبل ذلك قد أمر سنة ١٢٥٥هـ / ١٨٦٨ م بإسقاط أموال الكسور عن المزارعين ، وهي في رأي الخوارزمي « ما لا يطمع في استخراجها لغيبة أهله ، أو موتهم ، أو نحو ذلك »^(٤) . ولعل أثر هذا الإجراء في التخفيف على المزارعين يتوضح أكثر ، إذا علمنا بأن مقدار « أموال الكسور » التي كانوا يدفعونها قد بلغ حوالي ١٢ مليون درهم سنوياً ، وقد أصبحوا بعد هذا الإجراء في حل من دفعها .

(١) يمكن ملاحظة ذلك من خلال كتابة الوزير علي بن عيسى في كتابه الذي عممه إلى عمال الحجاج في الدولة ، والذي تضمن « التوقف عن إمضاء التسيبيات والالتزام بتوفير الإيرادات » انظر نص الكتاب في مسكويه - تجارب : ٢٦٠ / ٢٨٠ .

(٢) انظر الحاشية (٤) الصفحة السابقة .

(٣) ابن خرداذبه - المسالك والممالك ص/١٢٥ .

(٤) الخوارزمي - مفاتيح ص/٤٠ .

ولعل مما يشير إلى مدى الاهتمام بتحسين حالة الزراعة ، أن وزير
المعتضد ، القاسم بن عبد الله (١) ، قام بدراسة موضعية للقنطرة (دما)
الواقعة على صدر نهر عيسى (٢) في أعقاب تظلم الفلاحين من أهل السارية
في منطقة بادوريا ، وقد اصطحب الوزير معه « من استنصحه من أصحاب
الدواوين ومشايخ العمال والمهندسين وقضاة الحضرة » ، وبعد أن تبين للجميع
وجاهة الشكوى ، قرروا زيادة ذراعين في الباب الوسطي للقنطرة (٣)
وإبقاء بقية الأبواب على رسمها (٤) . وفي وزارة القاسم جرت محاولة كان
القصدها منها مساعدة الفلاحين والتخفيف عنهم ، فيشير التنوخي إلى قيام الدولة
بتسليف الزراعة النقود من أجل شراء الأبقار لحراثة الأرض والبذور للزراعة (٥) .
ويمكن القول بأن الوزير علي بن عيسى (٦) كان أكثر وزراء المقتدر
عناية بالفلاحين فقد افتتح وزارته بتعميم منشور على العمال أوصام فيه
بإنصاف الرعية وإساعة العدل ، مع المحافظة على مصلحة بيت المال ، وقد
جاء في هذا المنشور قوله : « وتمكن في نفسك أنه لا رخصة عندي ولا
هوادة في حق من حقوق أمير المؤمنين أغضي عنه ، ولا درهم من ماله
أسامع فيه ، ولا تقصير في شيء من أمور العمل أصبر لقريب أو بعيد
عليه ، ولا تكن بإظهار أثر جميل في ذلك أشد عناية منك بإنصاف الرعية
والعدل عليها ، ورفع صغير المؤن وكبيرها عنها ، فإني أطالبك بذلك ،

-
- (١) تولى الوزارة بين سنتي ٢٨٨ ، ٢٩١ هـ .
(٢) بأخذ مياهه من الفرات . انظر الدوري - تاريخ العراق الاقتصادي ص/٣٩ .
(٣) جعل سمته اثنين وعشرين ذراعاً .
(٤) الصابي - الوزراء ص/٢٧٩ ، ٢٨٠ .
(٥) التنوخي - نشوار ٦٦/٨ ، الصابي - الوزراء ص/٣٤٩ .
(٦) استوزره المقتدر مرتين . انظر قائمة الوزراء الملحققة في آخر هذا المبحث .

كما أطالبك بتوفير حقوق السلطان وتصحيحها وصيانة الأموال وحياطتها^(١) ، ،
ويبدو أن هذا الوزير قد سار على نفس السياسة الزراعية التي ابتدأت في
عهد المعتضد ، فقد عمل على تسليف المحتاجين من الفلاحين البذور ، على
أن يسترجع ذلك منهم في موسم الحصاد^(٢) . ويبدو أنه اهتم كثيراً بكري
الأنهار ، وسد البثوق فيها ، إذ كان يعتبر إهمال ذلك « أصل الفساد
وخراب السدود^(٣) » .

وخلال فترة (أمرة الأمراء^(٤)) تدهورت حالة الزراعة إلى درجة
كبيرة ، وربما كان السبب في ذلك يكمن في تعمد تخريب القنوات
نتيجة المنازعات بين الأمراء الطموحين ، بالإضافة إلى فوضى الجند الناتجة
عن تلك المنازعات ؛ ففي النزاع بين ابن رائق وبجكم على منصب أمير
الأمراء ، أقدم الأول على تخريب سدود نهر ديبالي ، مما سبب في تدمير
المزروعات في الأراضي المعتمدة في إروائها على هذا النهر ، ولم يكتف
بذلك بل إنه فعل أفعالاً كانت سبباً في بثق النهروان^(٥) ،

وقد يكون إهمال نظام الري ، وعدم الاهتمام بإصلاح البثوق ، أو
العناية بكري القنوات من الأسباب المهمة في تدهور حالة الزراعة ، إضافة

(١) مسكويه - تجارب الأمم ٢٧/٥ .

(٢) التنوخي - نشوار الحاضرة : ٦٦/٨ . الدوري - تاريخ العراق

الاقتصادي ص/٤٠ .

(٣) ذكر مسكويه في تجاربه : (١٠٦/٦) بأن معز الدولة البويهبي سأل علي بن

عيسى عن سبب خراب البلاد فأجابته بذلك .

(٤) بين سنتي ٣٢٤ ، ٢٣٤ / ٩٣٥ ، ٢٨٤٥ .

(٥) الصولي - أخبار الراضي والمتقي ص/١٠٨ .

لما سبق . ففي سنة ١٣٢٩ هـ انبثق نهر الرفيل ونهر بوق فلم يقع عناية بتلافيها ، حتى خربت بادوريا بضعة عشر سنة (١) ، ولم تبذل محاولة جدية لسد هذين البثقين في حينه .

وفي سنة ١٣٢٣ هـ / ١٩٣٤ م انبثق نهر عيسى ، ولم يتمكن أمير الأمراء من إصلاحه (٢) ، مما سبب بوار الأراضي الزراعية المعتمدة عليه في الإرواء . وفي سنة ١٣٣٤ هـ / ١٩٤٥ م انبثق نهر الخالص (٣) .

ويبدو أنه لم تجر أية محاولة إصلاحية لإعادة نظام الري إلى حاله الأول إلا في سنة ١٣٢٧ هـ / ١٩٣٨ م ، حيث قام الخليفة بتقوية سدود نهر الصراة (٤) ، ولعل هذه البثوق كانت من أسباب ارتفاع الأسعار وقلة إيرادات الدولة ، ويشير الصولي إلى تلك البثوق وإلى سوء تصرف ابن رائق - أمير الأمراء - وجنده ، ويقول بأن أثر ذلك قد « خرب الدنيا وغلت الأسعار إلى وقتنا هذا (٥) » .

أما عن مسؤوليات الوزير المالية الأخرى فقد رأيت أن أوجل البحث فيها هنا ، لأن الكلام عنها سيورد بشكل مفصل ضمن البحث في الدواوين المالية (٦) .

-
- (١) مسكويه - تجارب ٩/٦ .
 - (٢) الصولي - أخبار الراضي ص/١٠٦ . الدوري - تاريخ العراق الاقتصادي ص/٤١
 - (٣) مسكويه - تجارب : ٩٦/٦ .
 - (٤) الصولي - أخبار الراضي والمنقي ص/١٣٧ ، ١٣٨ .
 - (٥) الصولي - أخبار ص/١٠٦ .
 - (٦) انظر المبحث الثالث وبخاصة الحديث عن دور الوزير في إدارة دواوين الخراج ، ودواوين النفقات ، وبيت المال ، ودواوين المصاردين ، والدواوين المؤقتة .

ولثلا يجد القارىء صعوبة في تتبع هذا البحث ، أقدم فيما يلي قائمة بأسماء الوزراء في الدولة العباسية خلال الفترة (٢٤٧ - ٣٤٤ هـ / ٨٦١ - ٩٤٥) مرتبة بحسب التسلسل التاريخي لاستلامهم منصب « الوزير » :

- ١ - أحمد بن الحبيب شوال ٢٤٧ - ربيع الثاني ٢٤٨ هـ
- ٢ - أوتامش^(١) ربيع الثاني ٢٤٨ - ربيع الثاني ٢٤٩ هـ
- ٣ - عبد الله بن محمد بن يزيد ربيع الثاني ٢٤٩ - هرب في السنة عينها^(٢)
- ٤ - محمد بن الفضل الجرجاني^(٣) ٢٤٩ - ذو الحجة ٢٥١ هـ
- ٥ - جعفر بن محمود الإسكافي ذو الحجة ٢٥١ - ٢٥٢ هـ
- ٦ - عيسى بن فروخانشاه ٢٥٢ هـ - عزل في السنة عينها^(٤)
- ٧ - أحمد بن إسرائيل الأنباري^(٥) ٢٥٢ - ٢٥٣ هـ
- ٨ - جعفر بن محمود الإسكافي^(٦) ٢٥٣ - ٢٥٥ هـ

-
- (١) نوم زامبارو حين ذكر بأن العامة قد قتلته ، والصحيح أن الجندم الذين قتلوه بعد محاصرته بالجوسق ، وللمعلومات أوفى انظر الطبري - تاريخ ١١/٨٦ .
 - (٢) الطبري - تاريخ ١١/٨٦ . ابن الطقطقي - الفخري ص/٢٤٢ .
 - (٣) بقي في الوزارة حتى خلع الخليفة المستعين بالله في ١١ ذو الحجة سنة ٢٥١ هـ .
 - (٤) كان ذلك بأثير الأتراك . انظر ابن الطقطقي - الفخري ص/٢٤٤ .
 - (٥) اعتقله صالح بن وصيف . انظر الطبري - تاريخ : ١١/٢٦٠ .
 - المسعودي - مروج : ٤/١٦٩ .
 - (٦) كان آخر وزراء المعتز ، وقد استبقاه المهدي لوزارته ؛ انظر المسعودي - مروج : ٤/١٦٩ .

- ٩ - عيسى بن فروخانشاه^(١) - ٢٥٥ هـ - عزل في السنة عينها
 ١٠ - سليمان بن وهب^(٢) - ٢٥٥ هـ - عزل كذلك
 ١١ - عبد الله بن محمد بن يزيد^(٣) - ٢٥٥ هـ - رجب ٢٥٦ هـ
 ١٢ - عبيد الله بن يحيى بن خاقان - رجب ٢٥٦ - ٢٦٣ هـ
 ١٣ - الحسن بن مخلد بن الجراح - ٢٦٣ هـ - عزل في السنة عينها^(٤)
 ١٤ - سليمان بن وهب بن سعيد^(٥) - ذو الحجة ٢٦٣ - ٢٦٤ هـ
 ١٥ - الحسن بن مخلد^(٦) - ٢٦٤ هـ - عزل في نفس السنة
 ١٦ - سليمان بن وهب بن سعيد^(٧) - ٢٦٤ - ٢٦٥ هـ
 ١٧ - إسماعيل بن بلبل^(٨) - ذو الحجة ٢٦٥ - صفر ٢٧٧ هـ
 ١٨ - أحمد بن صالح بن شيرزاد^(٩) - صفر ٢٧٧ هـ - عزل في نفس السنة^(١٠)

- (١) لم يشر إليه زامباور في قائمته . ذكره ابن كثير - البداية : ٢١/١١ .
 (٢) أشرت في الفصل الأول من هذا المبحث إلى التبدل السريع للوزراء في عهد المهدي .
 (٣) لم يشر إليه زامباور في قائمته . انظر عنه ابن كثير - البداية : ٢١/١١ .
 ابن الطقطقي - الفخري ص/ ٢٤٢ . ابن النديم - الفهرست ص/ ١٢٤ .
 (٤) الطبري - تاريخ ١١/٢٤٦ . ابن كثير - البداية ١١/٣٦ .
 (٥) بقي في الوزارة حتى وفاة موسى بن بفسا . الطبري - تاريخ ١١/٢٥١ .
 ابن كثير - البداية ١١/٣٦ .
 (٦) لم يشر إليه زامباور . وقد هرب هذا الوزير مع بعض قادة الجيش الى الموصل خوفاً من الموفق .
 (٧) وقد نجاه الموفق عن وزارة المعتمد .
 (٨) وكان ذلك بحسب رأي الموفق الذي تحكم في إدارة الدولة وركز الأمور بيده
 (٩) لم يشر إليه ابن الأثير في الكامل .
 (١٠) ابن الطقطقي - الفخري ص/ ٢٥٤ .

- ١٩ - عبيد الله بن سليمان بن وهب^(١) ٢٧٧ - ربيع الثاني ٢٨٨ هـ
 ٢٠ - القاسم بن عبيد الله^(٢) ربيع الثاني ٢٨٨ - ٢٩١ هـ
 ٢١ - العباس بن الحسن الجرجاني^(٣) ٢٩١ - ربيع الأول ٢٩٦ هـ
 ٢٢ - علي بن محمد بن الفرات^(٤) ربيع الأول ٢٩٦ - ذي الحجة ٢٩٩ هـ
 ٢٣ - محمد بن عبيد الله بن يحيى ذو الحجة ٢٩٩ - محرم ٣٠١ هـ
 النحاقاني^(٥)
 ٢٤ - ع-لي بن عيسى^(٦) محرم ٣٠١ - ذو الحجة ٣٠٤ هـ
 ٢٥ - علي بن محمد بن الفرات^(٧) ذو الحجة ٣٠٤ - جمادى الأولى ٣٠٦ هـ
 ٢٦ - حامد بن العباس^(٨) جمادى الآخرة ٣٠٦ - ربيع الثاني ٣١١ هـ
 ٢٧ - علي بن محمد بن الفرات^(٩) ربيع الثاني ٣١١ - ربيع الأول ٣١٢ هـ

(١) وهو آخر وزراء المعتد وأول وزراء المعتضد، بقي في الوزارة حتى وفاته في ربيع الثاني سنة ٢٨٨ هـ .

(٢) توفي سنة ٢٩١ هـ ، وقد توم زامباور اذ اعتبر سنة ٢٨٩ هـ نهاية وزارته ، في حين أن هذا الوزير قد أشار على الخليفة المكتفي باستيزار الجرجاني بعده . انظر ابن الأبار - اعتاب ص/١٧٨ ، وكذلك الذهبي - العبر: ٢/٨٩ .

(٣) انظر الفصل الأول من هذا المبحث ، قتل هذا الوزير يوم مبايعة ابن المعتز ، وقد وزر بعده محمد بن داود بن الجراح لابن المعتز ليوم واحد فقط .

(٤) مسكويه - تجارب ٨/٥ ، ابن الأثير - الكامل ٦/٨ .

(٥) ابن الأثير - الكامل ٨/٢٢ . وانظر ابن الجوزي - المنتظم ٦/١٠٦ .

(٦) مسكويه - تجارب ٥/٢٥ .

(٧) ن.م. ٥/٤٢ . الهمداني - تكملة ١/٢٦ .

(٨) القرطبي - صلة ص/٧٢ ، ٧٣ .

(٩) قتل في ١٣ ربيع الأول ٣١٢ هـ : مسكويه ٥/١٣٦ . ابن الأثير - الكامل ٨/٥١٠ .

- ٢٨ - عيد الله بن محمد الحاقاني (١) ربيع الأول ٣١٢ - رمضان ٥٣١٣
- ٢٩ - أحمد بن عيد الله الحصيني (٢) رمضان ٣١٣ - ذو القعدة ٥٣٢٤
- ٣٠ - علي بن عيسى (٣) ذو القعدة ٣١٤ - ربيع الأول ٥٣١٦
- ٣١ - محمد بن علي بن الحسن (ابن مقله) (٤) ربيع الأول ٣١٦ - جمادى الأولى ٥٣١٨
- ٣٢ - سليمان بن الحسن بن مخلد (٥) جمادى الأولى ٣١٨ - رجب ٥٣١٩
- ٣٣ - عيد الله بن محمد الكلوذاني رجب ٣١٩ - رمضان ٥٣١٩
- ٣٤ - الحسين بن القاسم (٦) رمضان ٣١٩ - ربيع الثاني ٥٣٢٠
- ٣٥ - الفضل بن جعفر (ابن الفرات الثاني) ربيع الثاني ٣٢٠ - شوال ٥٣٢٠
- ٣٦ - محمد بن علي بن الحسن (ابن مقله) (٧) شوال ٣٢٠ - شعبان ٥٣٢١
- ٣٧ - محمد بن القاسم بن عيد الله (٨) شعبان ٣٢١ - ذو القعدة ٥٣٢١

- (١) مسكويه - تجارب ١٢٧/٥ . الفرطبي - صلة من/١٢٠ .
- (٢) الفرطبي - صلة من/١٢٦ .
- (٣) مسكويه - تجارب ١٨٥/٥ . الصائي - الوزراء من/٣٤٣ .
- (٤) مسكويه - تجارب ١٨٥/٥ . وأنظر الصائي - الوزراء من/٣٤٣ .
- الفخري من/٢٧٠ .
- (٥) المسعودي - مروج ٣٠٥/٤ . مسكويه ٢٠٥/٥ . الفرطبي - صلة من/١٥٠ .
- (٦) ابن نفعي بردي - النجوم ٢٢٩/٣ .
- (٧) الهمداني - تكملة ٩٠/١ . ابن الأثير - الكامل ٨٣/٨ وقد تم استيزاره في التاسع من شوال سنة ٥٣٢٠ واستخلف له الكلوذاني لأنه كان منفيًا في فارس .
- (٨) مسكويه - تجارب ٢٦٥/٥ .

- ٣٨ - أحمد بن عبيد الله بن سليمان الحنصلي^(١) - ذوالقعدة ٣٢١ - جمادى الأولى ٣٢٢ هـ
- ٣٩ - محمد بن علي بن الحسن (ابن مقلة^(٢)) - جمادى الأولى ٣٢٢ - جمادى الأولى ٣٢٤ هـ
- ٤٠ - عبد الرحمن بن عيسى بن الجراح^(٣) - جمادى الأولى ٣٢٤ - جمادى الثاني ٣٢٤ هـ
- ٤١ - محمد بن القاسم الكرخي^(٤) - جمادى الثانية ٣٢٤ - رجب ٣٢٤ هـ
- ٤٢ - سليمان بن الحسن بن مخلد^(٥) - رجب ٣٢٤ - ذو الحجة ٣٢٤ هـ
- ٤٣ - الفضل^(٦) بن جعفر بن محمد (ابن القرات) الثاني - ذو الحجة ٣٢٤ - ربيع الثاني ٣٢٦ هـ
- ٤٤ - محمد بن علي بن الحسن (ابن مقلة) - ربيع الثاني ٣٢٦ - شوال ٣٢٧ هـ
- ٤٥ - الفضل^(٧) بن جعفر بن محمد (ابن القرات) الثاني - شوال ٣٢٧ - رجب ٣٢٧ هـ
- ٤٦ - أحمد بن محمد البريدي^(٨) - رجب ٣٢٧ - ذو القعدة ٣٢٨ هـ
- ٤٧ - سليمان بن مخلد^(٩) - ذو القعدة ٣٢٨ - شعبان ٣٢٩ هـ

(١) ن. م. ٢٧٣/٥ . الهدائي - تكملة ١٠١/١ .

(٢) الصولي - أخبار الراضي ص/٤ . مسكويه - تجارب ٢٩٢/٥ .

(٣) الصولي - أخبار ص/٨١ ، مسكويه - تجارب ٣٤٦/٥ . الهدائي - تكملة ١١٧/١ .

(٤) الصولي - أخبار الراضي ص/٨١ .

(٥) الهدائي - تكملة ١٢٧/١ . (٦) الصولي - أخبار الراضي ص/١٠١ .

(٧) وكان مستتراً فتاب عنه عبدالله النفري .

(٨) الصولي أخبار الراضي ص/١٣٥ ، ١٤٤ .

(٩) الصولي - أخبار الراضي ص/١٩١ . وانظر المسعودي - مروج ٣٤٠/٤ .

- ٤٨ - أبو الحسن (١) أحمد بن محمد شعبان ٣٢٩ - رمضان ٥٣٢٩
- ابن ميمون
- ٤٩ - أحمد بن محمد البريدي (٢) رمضان ٣٢٩ - شوال ٥٣٢٩
- ٥٠ - محمد بن أحمد الإسكافي القراريطي شوال ٣٢٩ - ذو القعدة ٥٣٢٩
- ٥١ - محمد بن القاسم الكرخي ذو القعدة ٣٢٩ - ذو الحجة ٥٣٢٩
- ٥٢ - أبو عبد الله الكوفي ذو الحجة ٣٢٩ - ربيع الثاني ٥٣٣٠
- ٥٣ - أحمد بن محمد البريدي ربيع الثاني ٣٣٠ - جمادى الأولى ٥٣٣٠
- ٥٤ - محمد بن أحمد الإسكافي القراريطي جمادى الأولى ٣٣٠ - جمادى الثانية ٣٣٠ (٣)
- ٥٥ - علي بن محمد بن علي (ابن رمضان ٣٣١ - صفر ٥٣٣٣
- مقالة الثاني)
- ٥٦ - محمد بن علي السامري (٤) صفر ٣٣٣ - ٥٣٣٤

(١) ذكر زامباور أن كنيته « أبا الخير » والصحيح ما أثبتته . انظر المسعودي - مروج ٤/٣٤٠ ، الهمداني - تكملة ١/١٥١ .

(٢) وكانت وزارته الثانية هذه لمدة « ٢٤ » يوماً انظر مسكويه - تجارب ٦/١٥٠ .

(٣) بقي منصب الوزارة شاغراً من ٢٠ جمادى الثاني حتى ١١ شوال سنة ٥٣٣٠ . خلال وجود البريدي ببغداد ، ثم أعيد القراريطي للوزارة لمدة ٢٠ يوماً .

(٤) كتب ابن الأثير في حوادث ٥٣٣٤ : فلما كان أيام معز الدولة زال ذلك جميعه بحيث أن الخليفة لم يبق له وزير ، وإنما كاتب يدير أمور انفاقه وخراجه .

المبحث الثالث

الدَّوَّابُّ

الدواوين

المقدمة

الدواوين المركزية الدائمة :

- ١ - ديوان الخراج
- ٢ - ديوان النفقات
- ٣ - ديوان بيت المال - ديوان الجهينة
- ٤ - ديوان الجيش
- ٥ - ديوان المظالم
- ٦ - ديوان البريد والسكك والطرق
- ٧ - ديوان الرسائل والانشاء
- ٨ - ديوان الفص
- ٩ - ديوان التوقيع
- ١٠ - ديوان الخاتم
- ١١ - ديوان المصادر

الدواوين المؤقتة :

- ١ - ديوان الموارد
- ٢ - ديوان البر
- ٣ - ديوان المرافق
- ٤ - ديوان المقبوضات
- ٥ - ديوان المرجحة
- ٦ - ديوان المخالفين

مقدمة :

لم تصل الدواوين في الدولة العباسية إلى المرحلة التي انفردت فيها اختصاصات كل منها بوضوح وتميزت بدقة عن اختصاصات غيرها ، وان كانت الخطوط العامة لأعمال كل منها يمكن ملاحظتها وتتبعها إلى حد كبير .

وهذا يعني أن التداخل في أعمال الدواوين كان حاصلًا ، ويزداد هذا التداخل في الدواوين المالية ، ويصبح أكثر تعقداً من بقية الدواوين الإدارية المركزية .

ومجدد بي أن أشير إلى أن الدواوين التي سأبحثها فيما يلي لم تنشأ في وقت واحد ، كما لم تكن خاصة بالفترة التي يعني هذا الكتاب بدراستها (٢٤٧ - ٨٣٣٤ / ٨٦١ - ٩٤٥ م) ، باستثناء ديواني المواريث والمصدرين ومجموعة الدواوين المؤقتة التي رتبها في آخر هذا البحث ، أما الدواوين الأخرى فقد نشأت في الدولة الإسلامية في أوقات متفاوتة يرجع بعضها إلى زمن عمر بن الخطاب ، ويرجع بعضها إلى العصر الأموي ، كما يرجع قسم ثالث إلى العصر العباسي الأول . وكانت تنشأ نتيجة الاستجابة للحاجة الملحة الحاصلة عن تطور المجتمع وتعقد الإدارة ، كما أنها كانت تظهر في البداية بشكل بسيط محدود ثم تتسع وتتعدد بمرور الزمن ، كلما ازدادت إدارة الدولة تعقداً وواجباتها اتساعاً ، إلا أنها كانت تتصف بصفة الاستمرار في حين أن الدواوين المؤقتة كانت تزول وتتلاشى بزوال الأسباب التي دعت إلى وجودها .

وتردنا إشارات عن دواوين لم أبحثها في هذا الكتاب ، لأنني لم أجد لها أنرا بارزا في إدارة الدولة ، وأن كان لها بعض الأهمية الخاصة في توافر وضمان أموال عائلة الخليفة وأقربائه ، مثل ديوان « الضياع المستحدثة » وهي الضياع التي أضيفت حديثا (١) ، وديوان « الضياع المرتجعة » وهي الضياع التي أقطعت لبعض الأفراد في زمن سابق ، ثم ألغى الخليفة إقطاعها ، وأعاد ملكيتها لنفسه لسبب أو لآخر (٢) ، وديوان « الضياع الموروثة » التي كانت بالسواد وهي جارية في ديوان الخاصة (؟) وكان ارتقاعها في السنة اكثر من ثمانين الف دينار (٣) . أما « ديوان الخاصة » و « ديوان الضياع الفراتية » و « ديوان الضياع العباسية » فلا يوجد في المصادر المعاصرة ما يوضح معناها (٤) . ويقترح جرجي زيدان ان الأول كان يختص بضياع الخليفة نفسه ، وان الثاني كان يختص بضياع عائلة الخليفة وأقربائه ، وان الثالث كان يختص بالاميراف على الضياع التي تقس على ضفاف الفرات (٥) ، ولم يذكر زيدان سنده لهذا التقسيم ، غير أن المصادر تشير إلى أن عدة دواوين قد أنشئت لإدارة الضياع السلطانية (٦) . فكان لأم المقتدر مثلاً ديوان خاص لإدارة ضياعها (٧) ، كما كانت كل ضيعة أو مجموعة ضياع توكل إلى من يضمنها أو يعطيها بالضمان لشخص آخر (٨) ، كما كان من المعتاد أن تضمن ضياع الخليفة (٩) .

-
- (١) مسكويه - تجارب ٥ / ٢٤٤ .
(٢) عريب - صلة ص / ١٤٥ . (٣) الصابي الوزراء ٣١١ .
(٤) الدوري - تاريخ العراق الاقتصادي ٢٦ .
(٥) جرجي زيدان - التمدن الاسلامي ٢ / ١٣٢ .
(٦) مسكويه - تجارب ٥ / ١٥٢ .
(٧) ن. م. ص ٥ / ١٤٣ . وانظر الدوري - تاريخ العراق الاقتصادي ٢٦ .
(٨) الطبري ٣ / ٢٢٢٤ « ط . لايدن » التنوخي - نشوار ١ / ١٠٢ .
(٩) مسكويه - تجارب ٥ / ١٥٢ . التنوخي - نشوار ١ / ١٠٢ . ابن الأثير - الكامل ٨ / ٦٨ . وانظر الدوري - تاريخ العراق الاقتصادي ٢٦ .

وكان هناك « ديوان الحشم » وقد كانت مهمته تصريف أمور العبيد في دار الخليفة ، والذين تزيد عددهم باستمرار ، ولعل « ديوان الموالي والغلمان » الذي نسمع به في عهد المتوكل هو صورة أخرى لديوان الحشم ^(١) .

ديوان الخراج :

تشمل أراضي الدولة الإسلامية على أنواع مختلفة من الملكية ، دون أن تكون هناك خطوط واضحة تميز بينها ، كما كان يوجد كثير من التنوع في شروط الملكية في كل نوع ، إذ كانت شروط استغلال الأراضي تعتمد عادة على أشخاص أصحابها ومراكزهم ^(٢) ، وكانت الأراضي مسجلة في ديوان الخراج المركزي في العاصمة ، كما كانت مسجلة في دواوين الخراج المحلية كل في إقليمها ، إذ كان في كل إقليم من أقاليم الدولة ديوان خراج خاص به ، يقوم مقام خزانة الدولة ضمن الإقليم . وقد أشرت عند حديثي عن ديوان النفقات أن متولي الخراج في كل إقليم كان يستوفي من أموال الخراج التي بعهدته أعطيات الجند والنفقات الراتبية ، ثم يرسل الباقي إلى المركز في عاصمة الخلافة ^(٣) .

إن هذه الظاهرة خاصة بالنظام الإداري للدولة الإسلامية ، وهي تشعر الباحث بأن النظام الإداري قد منح سلطات واسعة جداً للأقاليم من أجل تسهيل مصالحها ، مما يبرر القول بأن هناك اتجاهًا لا مركزيًا قد ساد المؤسسات الإدارية في الدولة العباسية .

(١) اليعقوبي - البلدان ص/٢٣ : وانظر الدوري - مادة « ديوان » دائرة المعارف الإسلامية . الطبعة الجديدة .

(٢) الدوري - تاريخ العراق الاقتصادي ص/٢٤ .

(٣) مسكويه - تجارب : ١٩١/٥ ، ١٩٤ .

ومن خلال الاشارات التي وصلتنا عن هذا الديوان ، ضمن الحديث عن الدواوين الأخرى في كتاب الحراج وصناعة الكتابة لقدامة بن جعفر^(١) ، يمكن القول بأن ديوان الحراج المركزي في العاصمة كان يتألف من المجالس التالية :

١ - مجلس الانشاء والتحرير

٢ - مجلس النسخ

٣ - مجلس الأسكدار^(٢)

٤ - مجلس الحساب

٥ - مجلس الجبهة^(٣)

٦ - مجلس الجيش

٧ - مجلس التفصيل

٨ - مجلس الأصل

كان المجلس الأول يقوم بإنشاء وتحرير الكتب التي تصدر عن ديوان الحراج ، بينما يقوم المجلس الثاني بنسخ تلك الكتب على عدة نسخ مطابقة للأصل ، حيث يحتفظ بإحداها ، ويرسل النسخة الأصلية إلى الجهة التي وجه الكتاب إليها ، كما يرسل بقية النسخ إلى الدواوين ذات العلاقة .

أما « مجلس الأسكدار » : فإنه يقوم مقام شعبة الأوراق في الدوائر

(٣) القسم الأول من كتاب قدامة بن جعفر « الحراج وصناعة الكتابة » والذي يشمل ديوان الحراج ز . ضائع : والنسخة التي عثرت عليها في مكتبة كوبريلي باستانبول يبدأ من المنزلة الرابعة .

(١) بالاضافة إلى قدامة : انظر الجهشباري - الوزراء والكتاب ص/١٩٩ .

(٢) الجهشباري - الوزراء والكتاب ص/٢٢٠ ، ٢٢١ ، التنوخي -

الفرج : ٤٠ ، ٣٩/١ .

الرسمية في العصر الحديث ، إذ تمر به كافة الكتب والحمول الواردة إلى ديوان الخراج ، فيقوم القائمون على العمل فيه بتسجيلها في سجل خاص للواردة يبينون فيه نوعيتها والجهة التي وردت منها ، ثم يقومون بتحويلها إلى المجلس المختص بها ، بعد عرضها على صاحب الديوان ، وكذلك الأمر مع الكتب والحمول الصادرة عن ديوان الخراج (١) .

وكان « مجلس الحساب » يقوم بتصنيف الأموال الواردة إلى ديوان الخراج ، وتنظيم قوائم بالحسابات المتعلقة بكل صنف من الأصناف ، فقد كانت ديوان الخراج يستلم أموال الضرائب المختلفة من خراج وجزية وزكاة وأعشار وأخماس وغيرها (٢) ، وما هو موجود منها نقداً أو عيناً ، وبيان أوجه الصرف في الديوان ، وبعبارة أخرى فقد كان الغرض من مجلس الحساب هو ضبط الناحية المالية (٣) .

أما « مجلس الجهينة » فهو الذي كان يشرف على أعمال « مجلس الحساب » ، وكان الغرض من وجوده تدقيق الحسابات ، كما كان يقوم بالسيطرة على الأموال والعينية الموجودة في الخزانة ، وقد كان يطلق على من يتولى رئاسة هذا المجلس اسم « الجهيند » (٤) .

(١) قدامة - الخراج « مخطوطة كوبريلي » ص/١٩ آ ، وانظر الجهشيارمي -

الوزراء والكتاب ص/١٩٩ .

(٢) علي الرضمة من تحذير أبي يوسف من جمع الخراج إلى الزكاة ، فإن الماوردي قد

اعتبر الأعشار جزءاً من الخراج . انظر أبو يوسف - الخراج ص/٨٠ ، الأحكام

السلطانية /١٨٢ .

(٣) قدامة - الخراج « مخطوطة كوبريلي » ص/٢ آ .

(٤) الجهشيارمي - الوزراء والكتاب ص/٢٢٠ ، ٢٢١ . التنوخي - الفرج

١/٣٩ ، ٤٠ ، وانظر « الجهينة » في ديوان بيت المال من هذا المبحث .

وكان « مجلس الجيش » في هذا الديوان يقوم بالإشراف على « رسوم الرجال في الأطماع والشهور »^(١) ، وإحصائها ، وكان على اتصال وثيق بمجلس الجاري في ديوان النفقات من جهة ، وبديوان الجيش من جهة أخرى ، من أجل العمل على تنسيق العمل معهما بضمان توفير الأموال اللازمة للجيش^(٢) .

أما « مجلس التفصيل » في ديوان الخراج فكانت مهمته « النظر في الجرائد والحول ، وتصفح أساء ومنازل الأرزاق ، وما يحتاج إليه عمال الخراج ، وقد سبق ما يرد وما يصدر إليهم »^(٣) ، ويشبه قدامة بن جعفر عمل هذا المجلس في ديوان الخراج بعمل مجلس المقابلة في ديوان الجيش^(٤) . وكان « مجلس الأصل » يتولى مسؤولية الإشراف على سير الأعمال في المجالس الأخرى من الديوان وتنسيقها ، كما كان يحتفظ بسجلات الأراضي الخراجية وارتفاع خراجها^(٥) .

ولعل الباحث في ديوان الخراج يدرك أهميته وكبير مسؤولياته من قول أبي العباس بن الفرات : « من صلح أن يتقلد ديوان الخراج صلح للوزارة »^(٦) . والواقع أن أكبر مهمة كان الوزير يواجهها كانت هي ضمان سير ديوان الخراج على صورة صحيحة ، لأنه كان هو المورد الرئيسي للأموال التي كانت تحتاج إليها الدولة ، ولعل ذلك يوضح السبب الذي من أجله تأسس ما يعرف بـ « ديوان الدار » .

(١) قدامة- الخراج « مخطوطة كوبريلي » ص/٢ آ . الخوارزمي- مفاتيح ص/٣٨ .

(٢) قدامة - الخراج « مخطوطة كوبريلي » ص/٢ آ - ٧ ب .

(٣) ن . م . ص/٢ آ - ٢ ب . (٤) ن . م . ص/٢ ب .

(٥) مسكويه - تجارب : ٥٨/٥ حيث يذكر أن المتولي لهذا الديوان أحد

نقات الوزير . (٦) التنوخي - نشوار المحاضرة : ١٦/٨ ، ١٨ .

لقد ظهر ديوان الدار ضمن المؤسسات الادارية للدولة العباسية خلال فترة حكم الخليفة المعتضد (٢٧٩ - ٨٩٢/٨٢٨٩ - ٩٠٢ م) . وعلى وجه التحديد خلال تولي أحمد بن الفرات خلافته الوزير عبيد الله بن سليمان على الأمور .

فقد عمل ابن الفرات هذا على إعادة تنظيم ديوان الخراج ، فأنشأ ديواناً جديداً أسماه « ديوان الدار »^(١) ، جمع إليه سائر أعمال الخراج ودبره بنفسه ومع كتابه ، واستتاب أخاه ، أبا الحسن علي بن محمد بن الفرات ، فيه ، واصطنع كتاباً قلدتم^(٢) المجالس المستحدثة التي تألف منها هذا الديوان^(٣) .

لقد انقسم ديوان الخراج بموجب الاجراء الجديد إلى شعبتين أساسيتين ، إضافة إلى المجالس الخاصة بالانشاء والتحرير والنسخ وهما :

آ - مجلس ما فتح من أعمال المشرق^(٤) .

ب - مجلس ما فتح من أعمال المغرب .

(١) الصابي - الوزراء ص/١٤٨ .

(٢) منهم أبو الحسن علي بن عيسى ، وعمه أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح ، وكافة يجلسان معه فيأمرهما وينهاهما ، ويسميانه « أستاذنا » كما جرت عليه عادة أصحاب الدواوين إذ ذلك . انظر المصدر السابق ص/١٤٨ .

(٣) كان محمد بن داود يشغل منصب « كاتب مجلس ما فتح من أعمال المشرق » ، وعلي بن عيسى يتولى أعمال المغرب .

(٤) لقد كان من بين الدواوين العباسية خلال العصر العباسي الأول : « ديوان المشرق » و « ديوان المغرب » ، وهما من دواوين الخراج ، ولعل إجراءات ابن الفرات هنا هي إعادة تنظيم علاقة هذين الديوانين بديوان الخراج المركزي ؛ انظر الجهشيارى - الوزراء والكتاب ص/٢٨١ مثلا .

غير أن هذا الديوان لم يُقدّر له أن يستقر على هذا النحو ، فقد حصل تطور في اختصاصات الديوان وفي التشكيلات التي تألف منها ، إذ انتزع الوزير عبيد الله بن سليمان بعد فترة وجيزة « مجلس ما فتح من أعمال المشرق » من ديوان الدار ، وجعله ديواناً وقلد رئاسته إلى محمد بن داود بن الجراح ^(١) ثم انتزع « مجلس ما فتح من أعمال المشرق » وقلد رئاسته إلى علي بن عيسى ^(٢) . وأخيراً ضم ديوان السواد إلى ديوان الدار ^(٣) ، فأصبح يتألف من الدواوين الفرعية الثلاثة التالية ^(٤) :

١ - ديوان المشرق .

٢ - ديوان المغرب .

٣ - ديوان السواد .

لقد كانت هذه الدواوين تشكل مع المجالس الفرعية المختصة بالأوراق والنسخ والإنشاء والأسكدار وحدة متماسكة ، يتألف منها ديوان الخراج المركزي في العاصمة ، ويجدر بنا أن نشير إلى أن كلاً من ديواني المشرق والمغرب كان يتولاهما كاتب مختص به ^(٥) ، ثم أصبح هذان الديوانان في يد رئيس واحد ، بعد تولي المقتدر بالله الخلافة ، ففي وزارة

(١) الصايي - الوزراء ص/١٤٩ .

(٢) وكان علي بن عيسى مرافقاً للوزير مختصاً به فأراد مكافأته بذلك : ن.م. ص/١٤٩ .

(٣) قد يسمى أحياناً باسم « ديوان الدار الكبير » وأصبح المتولي لرئاسته على

جانب كبير من الأهمية : انظر الصايي - الوزراء ص/٢٨٥ .

(٤) التنوخي - نشوار المحاضرة : ٢٣/٨ ، ٢٤ .

(٥) الطبري - تاريخ : ٢١٩٠/٣ (ط . لايدن) حيث قلد المعتضد ووزيره

ديوان المشرق إلى محمد بن داود بن الجراح .

علي بن الفرات المقتدر^(١) ، قلد أخاه جعفر بن محمد بن الفرات ديوان المشرق والمغرب^(٢) . إلا أن توحيد رئاسة هذين الديوانين لم يستمر طويلاً^(٣) ، إذ توفي جعفر بن الفرات في السنة التالية ، فأعاد الوزير فصل رئاستها بين ولديه ؛ فولى ابنه المحسن ديوان المغرب ، وابن الفضل ديوان المشرق^(٤) . ولعل في تولية هذا الوزير لأخيه ثم لابنيه على هذين الديوانين ما يشعر بأهميتها ، ومع ذلك فقد كان لتولي أي منهما أن يستخلف عليه من يتولاه له^(٥) .

أما ديوان السواد فقد اختص بالإشراف على خراج سواد العراق ، ويشير الطبري إلى أن الذين ولوه في بداية الأمر هم بنو الفرات ، الذين استمروا في تسيير أعماله حتى وزارة سليمان بن وهب^(٦) ، وفي وزارة ابن الفرات الثانية ضعف أمر ديوان السواد مؤقتاً بسبب تركيز الخليفة الأمور بيده ، وعدم اهتمامه بهذا الديوان ، حتى « كان أكثر الكتاب

(١) في ٢١ ربيع الأول سنة ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م : انظر قائمة الوزراء الملحقه بالمبحث الثاني .

(٢) القرطبي - صلة : ص/٢٩ ، ومما يجلب الانتباه استعماله لفظة ديوان مرة واحدة لكلا الديوانين إذ قال « قلد أخاه جعفر بن محمد ديوان المشرق والمغرب » .

(٣) من نهاية ربيع الأول سنة ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م إلى شوال ٢٩٧ هـ / ٩٠٩ م :

انظر القرطبي - صلة ص/٢٩ ، ٣٤ . (٤) القرطبي - صلة ص/٣٤ .

(٥) ن . م . ص / ١٥٠ ، وانظر الأصفهاني - الأغاني : ٦٨/٢٠ .

(٦) الطبري - تاريخ : ٣/٢١٢٣ (ط لايدن) . ويذكر الصابي في الوزراء

ص/٣٧ بأنه قد بلغ ثمن « الكاغد والقراطيس (المستهلكة فيه) نحو سبعة آلاف دينار في الشهر » مما يشير إلى اتساع أعماله .

يخلون بالحضور فيه (١) . إلا أن ذلك لم يستمر طويلاً ، فعلى الرغم من ضعف الوزير الحاقاني (٢) ، الذي خلف ابن الفرات على الوزارة ، فإنه اهتم بديوان السواد ، وانتقى أحد الكتاب القديرين لإدارته (٣) . واستمر الاهتمام بديوان السواد بعد ذلك ؛ فعندما تولى علي بن عيسى الوزارة سنة ٩٢٧/٥٣١٥ م قلد خليفة الكلوذاني مسؤولية هذا الديوان وحذره من التقصير في عمله بقوله : « إن هذا الديوان من أجل الدواوين ، وهي تشاغلت بخلافتي اختل ، وليس يقوم به أحد كقيامك (٤) » وهذا مما يشير إلى إحساس الوزير بخطورة هذا الديوان من جهة ، وإلى تحفظه عند اختياره لمن يتولى إدارته من جهة أخرى ، وبما هو جدير بالملاحظة إن الكلوذاني (٥) هذا قد استمر في رئاسته لديوان السواد فترة طويلة ؛ فيذكر مسكويه بأن أبا الفضل بن جعفر بن الفرات عندما ولي الوزارة في فترة نحم أمير الأمراء ابن رائق ، وجد الكلوذاني على ديوان السواد وأنه قد أقره في منصبه (٦) .

أما ديوان الدار ، ولعله اختص بأعمال مجلس الأصل بديوان الخراج المركزي فإنه كان يقوم - إضافة إلى الإشراف على أعمال دواوين المشرق

(١) الصابي - الوزراء : ص/٧٦ .

(٢) أبو القاسم الحاقاني . تولى وزارته هذه سنة ٩٢٤/٥٣١٢ م ، انظر قائمة الوزراء الملحقه بالمبحث الثاني .

(٣) مسكويه - تجارب ١٢٩/٥ . الهمداني - تكملة ٥٩/١ .

(٤) مسكويه - تجارب ١٥١/٥ .

(٥) عنه انظر الهمداني - تكملة أحداث سنة ٥٣٤ .

(٦) مسكويه - تجارب ٣٦٨/٥ .

والمغرب والسواد - بمساعدة الوزير في جمع المعلومات حول مختلف القضايا الحرجية والمالية الأخرى التي يراد عرضها على الخليفة^(١) ، كما عهد إليه مسؤولية إحالة أوامر الخليفة والوزير بشأن تلك القضايا إلى الدواوين ذات العلاقة . فإن كانت إيفاراً^(٢) أو حطيطة أو تسويقاً أو تريكمة^(٣) فيحال الأمر إلى صاحب ديوان الخراج^(٤) .

وإن كانت إقطاعاً^(٥) أو طعمة^(٦) ، فيحال الأمر إلى صاحب ديوان الضياع^(٧) ، وإن كانت صلة أو حبة فيحال أمرها إلى صاحب ديوان بيت المال^(٨) ، وإن كانت جارياً في الحشم ومن يجري مجراهم ، أو إقامة نزل ، فيحال الأمر إلى صاحب ديوان النفقات^(٩) ، وإن كانت رزقاً^(١٠) في الأولياء فيحال أمره إلى صاحب ديوان الجيش^(١١) .

(١) قدامة - الخراج « مخطوطة كوبريلي » ص/١٧ ب .

(٢) الإيفار : هو الحماية ، وذلك أن نحمي الضيعة أو القرية فلا يدخلها حامل الخراج ويوضع عليها شيء في السنة تؤديه إلى بيت المال في الحضرة أو في بعض النواحي .
(٣) التسويغ : أن يسوغ الرجل شيئاً من خراجه في السنة ، وكذلك الحطيطة والتريكمة . انظر الخوارزمي - مفاتيح العلوم ص/٤٠ .

(٤) قدامة - الخراج « مخطوطة كوبريلي » ص/١٧ ب .

(٥) الإقطاع أن يقطع السلطان رجلاً أرضاً فتصير له رقبته ويسمى ذلك الأرض قطائع واحدها قطيعة - الخوارزمي - مفاتيح العلوم ص/٤٠ .

(٦) الطعمة هي أن تدفع الضيعة إلى رجل ليعمرها ويؤدي عشرها وتكون له مدة حياته فإذا مات ارتجعت من ورثته . الخوارزمي - مفاتيح العلوم ص/٤٠ .

(٧) قدامة - الخراج ص/١٧ ب . (٨) ن . ٢٠٠ ص/١٧ ب .

(٩) ن . ٢٠٠ ص/١٧ ب . (١٠) وضع العطاء : الابتداء بيجابته .

(١١) قدامة - الخراج ص/١٨ أ مخطوطة كوبريلي الخوارزمي - مفاتيح ص/٤٣ .

واقده كانت صيغة الكتب التي كان صاحب ديوان الدار يوجهها إلى الدواوين
آنفة الذكر واحدة تقريباً كما يذكر قدامه حيث ثبت لنا نسخة منها^(١)
وهي على النحو التالي :

« أما بعد : فإنه ورد ديوان الدار كتاب منشوء من ديوان التوقيع
بنسخة مؤامرة^(٢) في كذا ... - ويقتص ما اقتص ديوان التوقيع من حال
المؤامرة وما تضمنت وما خرج به الأمر ، وما يؤمر صاحب الديوان
أن يكون العمل فيه بامثال ما حد ورسم في الكتاب - ... » ثم يعمم
منشور بالأمر إلى الدواوين ذات العلاقة حتى يجري تنفيذ الأمر بانتظام
ودقة^(٣) .

وبجانب هذه الدواوين المتفرعة عن ديوان الخراج المركزي فقد كانت
هناك دواوين أزيمة يقوم كل منها بالإشراف على الديوان الذي يختص به ،
فيدقق الحسابات ويراقب ويتتبع كل ما من شأنه ضمان مصلحة خزينة
الدولة . غير أن أزيمة هذه الدواوين كانت تجمع بيد رجل واحد^(٤) .

أما موظفوا ديوان الخراج فلا بد أن ندهم قد ازداد بازدياد أهمية الديوان ،
ولم تكن رواتبهم تجري على نسق موحد ، فقد ابتداء ابن مقلة مثلاً براتب
قدره (١٠) دنانير شهرياً عندما اشتغل كاتباً في التحرير بديوان السواد

(١) قدامة - الخراج « مخطوطة كوبريلي » ص/١٨ آ .

(٢) عمل تجمع فيه الأوامر الخارجة في مدة الطمع ، ويوقع السلطان في آخره

باجازة ذلك : وقد تعمل المؤامرة في كل ديوان . مفاتيح العلوم ص/٣٨ .

(٣) قدامة - الخراج « مخطوطة كوبريلي » ص/١٨ آ .

(٤) الطبري - تاريخ ٣/٢١٩٢ « ط . لايدن » . الصابي - الوزراء ص/٨٩ .

ثم تقدمت حاله فرفع إلى (٣٠) دينار ، ولما استلم ابن الفواث الوزارة المقتر باله في أعقاب فتنة ابن المعتز جعل راتب ابن مقلة هذا (٥٠٠) دينار في الشهر بعد أن ولاء ديوان السواد (١) . ولعل هذا المثل يعطينا فكرة تقريبية عن مدى التباعد والاختلاف بين مستويات الرواتب ، فقد كانت رواتب رؤساء الدواوين عالية ، وفيما يلي أمثلة منها (٢) :

راتب كاتب السواد ٥٠٠ دينار في الشهر

راتب كاتب ديوان الضياع والمستحدثة ٢٠٠ دينار في الشهر

ومن خلال الاجراءات التي اتخذها علي بن عيسى لتخفيض مستويات الرواتب الشهرية كما نقلت لنا ، يمكن أن نرى صورة تقريبية للرواتب ففي سنة ٩٢٧/٥٣١٥ م أنقص هذا الوزير رواتب أصحاب الدواوين من الثلثين إلى النصف . وجعل لأبي القاسم الكلوذاني من خمسمائة دينار كان يقبضها في كل شهر عن ديوان السواد خمسة آلاف درهم ($\frac{١}{٣} ٣٣٣$) دينار . وقرر لأبي الفتح الفضل بن جعفر عن ديوان المشرق مائة دينار ... واقتصر بالعلماء على جاري عشرة أشهر في السنة ، ... (٣) . ومن هذا النص يمكن أن نستنتج بأن رواتب رؤساء الدواوين الفرعية التابعة لديوان الحراج لم تكن على سوية واحدة، بل كانت تختلف تبعاً لأهمية الديوان . وإن أمر زيادة الرواتب أو خفضها كان يخضع لرأي الوزير وسياسته المالية في الإسراف أو الاقتصاد في النفقات . وإن التخفيض الذي كان يصيب الرواتب

(١) الصابي - الوزراء ص/ ١٣٥ .

(٢) الدوري - تاريخ العراق الاقتصادي ص/ ٢٥٥ .

(٣) الصابي - الوزراء ص/ ٣٤٠ .

كان لا يقتصر على مقاديرها الشهرية فقط وإنما كان يشمل أيضاً عدد الدفعات التي كان يستلمها الموظف في السنة .

ومجدد بي قبل أن أنهى البحث في ديوان الخراج أن أحاول إلقاء بعض الأضواء على نوعية الضرائب التي كانت تقع مسؤولية جبايتها على هذا الديوان مع مقدارها .

أولاً : الخراج :

حدد المأمون (١٩٨ - ٨٢١٨ / ٨١٣ - ٨٣٣ م) مقدار الخراج في السواد بجمسي الحاصل^(٣) ، إلا أن هذه النسبة أغفلت في بعض الأحيان^(٤) . ويبدو أن هذه القاعدة لم تكن تشمل كل الأراضي الخراجية في الدولة ، فهناك ما يشير الى أن جباية الخراج من بعض المناطق استمرت على أساس المساحة^(١) ، ففي سنة ٨٣٠٣ / ٩١٥ م كتب الوزير علي بن عيسى الى عامل فارس يأمره بجباية الخراج عن الأشجار وأن يكتب له « بما يزرع من مساحته »^(٢) . وبما يؤيد ذلك ، أن خراج الأراضي التي جلا أصحابها عنها وما خرب من الضياع ، كان يوزع على كاهل باقي المزارعين في المنطقة^(٣) وهذا ما عرف « بالتكملة » فقد استمر عمال الخراج بجبايتها

(٣) الطبري - تاريخ ١٠٣٩/٣ « ط . لايدن » .

(٤) الدوري - تاريخ العراق الاقتصادي ص/١٨٨ .

(١) أي أن يؤخذ الخراج على أساس مساحة الأرض القابلة للزراعة ، زرعت أم لم تزرع . وقد كان هذا النظام مطبقاً خلال العصر الساساني ، وظل معمولاً به مع بعض التعديلات حتى العصر العباسي الأول . ففي زمن المنصور جعل الخراج مقاسمة . انظر زيدان - التمدن ١٢٢/٢ .

(٢) الصائغ - الوزراء ص/٣٧٢ . (٣) ن . م . ص/٣٧١ .

إذ بلغت مليون درهم في السنة^(١) ، حتى سنة ٣٠٣ / ٩١٥ حين تمكن الوزير علي بن عيسى من إقناع الخليفة المقتدر بالله بضرورة إلغائها . فكتب الخليفة كتاباً بخط علي بن عيسى أنكر فيه « هذا الرسم الذميم ، وأكبر ما استمر به الظلم العظيم »^(٢) ، وأمر برفعها عن الرعية وأن ينادي « في المساجد الجامعة بإزالتها وإبطال جبايتها ، ليذيع ذلك في الجمهور »^(٣) .

أما عن مقدار الجباية السنوية من ضريبة الخراج فهناك عدة قوائم توضح مقاديرها بشكل عام ، أقدمها القائمة التي حفظها الجهشيارى^(٤) وهي توضح مقدار الجباية في زمن الرشيد الذي بلغ مجموعه (٥٣٠ / ٣١٢ / ٠٠٠) درهم في السنة . ثم تأتي بعدها القائمة التي حفظها لنا ابن خلدون^(٥) والتي يذكر أنه نقلها عن « جراب الدولة »^(٦) ، وهي توضح مقدار الخراج الذي كان يرد على بيت المال في بغداد أيام المأمون غير أنه لم يحدد تاريخها بدقة ، ومع ذلك فإن القائمة نقلت عن وثيقة رسمية ونحن نعلم بأن بيت المال قد احترق خلال أحداث الفتنة بين الأمين والمأمون ، واحترقت معه كافة

-
- (١) عند الصابي - الوزراء ص/٣٧١ « الف الف درهم » . وعند التنوخي - نشوار المحاضرة ٧٤/٨ « عشرة آلاف درهم » .
- (٢) الصابي - الوزراء ص/٣٧٠ . (٣) ن ٢٠ . ص/٣٧٠ ، ٣٧١ .
- (٤) نقلها عن نسخة رسمية من دواوين الخراج . انظر الجهشيارى - الوزراء والكتاب ص/٢٨١ .
- (٥) ابن خلدون - المقدمة عند حديثه عن « ان آثار الدولة كلها على نسبة قوتها في أصلها » ولم أعتبر على القائمة في « ترويح الأرواح » إلى جراب الدولة .
- (٦) الراجح لدي أن القائمة نقلت عن بيت المال أو ديوان الخراج ، أي عن وثيقة رسمية من وثائق الدولة . ويذهب روزنتال في تعليقه على المقدمة بأن هذه القائمة منقولة « عن كتاب جراب الدولة » .

السجلات الرسمية الخاصة بالخراج ثم لم يدون الحساب على ما يذكر قدامة^(١) إلا بعد سنة ٨٢٠٤ / ٨١٩ م. ونظراً للاختلاف الحاصل في قائمة ابن خلدون عن خراج خراسان وما أمر به المأمون عامه علي بن طاهر سنة ٨٢١١ / ٨٢٦ م فلا بد أنها كتبت قبل التاريخ الأخير، أي أنها كتبت بين ٢٠٤ - ٨٢١٠ / ٨١٩ م. وعلى كل حال فبلغ ارتفاعها (٣٩٦ / ١٥٥ / ٠٠٠) درهماً ثم تأتي قائمة ابن خرداذبه التي كتبت بعد منتصف القرن الثالث الهجري ومقدار ارتفاعها (٢٩٩ / ٢٥٦ / ٣٤٠) درهماً .

إن القائمة التفصيلية التي وصلتنا عن فترة بحثنا، هي قائمة علي بن عيسى وزير المقتدر التي أعدها لضبط الميزانية^(٢) سنة ٩١٨ / ٨٣٠ م والتي تشير إلى مجموع دخل الدولة من الخراج والأعشار ورسم الجوالي وواردات الضباع. والقائمة هذه مقسمة إلى أربعة فصول وهي كما يلي^(٣) :

١ - حياة السواد

٧٣٤ ٥٤٧ ١ أموال السواد وطساسبجة وصدقات أراضي المغرب (أي الغرب) بالبصرة والمراكب بها وسائر ما ينسب إليها ويجري معها .

تفصيلها بادوريا وكواذي ، ونهر بين ١٦٩ / ٢٨٣ درهم .

(١) قدامه - الخراج ص / ٢٣٦ ن دي غويه .

(٢) يرى جرجي زيدان - التمدن ١٠٩ / ٢ بان هلي بن عيسى قد اضطر

الى كتابة هذه القائمة ضمن تقرير الى المقتدر لتبرئة نفسه مما لحق ببيت المال من المعجز ، ولم أعثر على ما يبرر قول زيدان هذا . واعتقد أن القائمة قد أعدت لضبط ميزانية الدولة ، انظر الدوري - تاريخ العراق الاقتصادي ص / ١٩٣

(٣) فون كزيمير - نقلا عن التمدن الاسلامي ١٠٩ / ٢

الأنبار ، وقطربل ، وسد .	١٩٨	٣١٣
بهرسير ، والرومقان ، وإيغار يقطين ، وجازر والمدينة العتيقة .	٠٧٥	٥٧٦
كوئي ، ونهر درقيط .	٠٢٥	٠٠٠
الزاب الأعلى ، ونهر كشتاسب .	٠٠٩	٥٢٦
الفلوجة العليا ، والارحاء .	٠١٦	٧٣٦
الفلوجة السفلى ، والنهرين وعين التمر .	٠١٣	٥٨٥
السيب الأعلى ، وسورا ، وبابل ، وخطونية ، وباروسما الأعلى .	١٤٠	٢٥٩
نهر الملك ، ومورجا ، ونهر جوهر ، والاسمان ، والمالكيات .	٠٣٨	٣٥٠
باروسما الأسفل .	٠٤٦	٣٣٦
طسامجة الكوفة والحزن .	١١٠	١٥٤
العبارات بسرمن رأى .	٠٥٠	٢١٩
نهر يوق ، والدير الأسفل .	٠٢٠	٥٩٠
بزر جسابور .	٠٢٤	٣٠٠
الراذابان (١) .	٠٢٠	٠٣٥
روستقباد .	٠١٣	٦٦٦
النهروان الأعلى ، وممنطاوي .	٠٤٦	٤٨٠
النهروان الأوسط .	٠٤٠	٣٢٧
النهروان الأسفل .	٠٦٠	٥٣٢
الصلح والمنازل .	١٥٩	٠٨٩
بادرايا ، وباكسايا .	٠٤٢	٤٩٩

(١) وردت عند زيدان « الراذابان » وما اثبتته أصح ، انظر الدوري - تاريخ العراق الاقتصادي ص/١٩٣ -

واسط مع (الضياع) الخاصة والمستحدثة ، والعباسية ، بعد النفقات الراجعة .	٣١٠	٧٢٠
البصرة ، وكور دجلة .	١٢١	٠٩٥
المراكب بالبصرة (١) .	٠٢٢	٥٧٥
أموال الضمانات وما يؤدي عن فضول الأنهار بما ينسب إلى المفردات .	٠٤٢	٧٥٠
العبارة بهيت .	٠٨٠	٢٥٠
أسواق الغنم بمدينة السلام وسر من رأى وواسط والبصرة والكوفة .	٠١٦	٩٧٥
دور الضرب بمدينة السلام وسر من رأى وواسط والبصرة والكوفة .	٠٦٠	٣٧٠
الجوالي بمدينة السلام .	٠١٦	٠٠٠
ما يؤدي إلى الحضرة عن مال الارتفاقات والشجر والمقاطعات	٠١٣	٨٧٤
	١	٨٣٦
دينار مجموع جباية السواد (٢) :		١٨١

٢ - جباية المشرق

كور الأهواز ضمناً على إبراهيم بن عبد الله المسبع وغيره .	١	٢٦٠	٩٢٢
--	---	-----	-----

(١) هذه الفقرة وما تلاها الى نهاية الحقل لم يشر اليها الدوري في قائمته .

(٢) حصل خطأ في جمع قائمة زيدان قدره « ١٠ » ألف دينار زيادة عن المجموع الحقيقي ومع ذلك فهناك فرق كبير بين المجموع والمجمل المذكور في أول القائمة لعل السبب فيه يرجع إلى خطأ في قراءة الأعداد في الأصل .
انظر زيدان - التمدن ١١١/٢

أموال فارس مع مايسوغه مؤنس الخادم ، مع ما في أيدي أصحاب الأطراف ، مما يرد نفلاً (هبة) فقط .	١٠	٦٣٤	٥٢٠
ضياع الأمراء بهذه النواحي مع مال المراكب بسيواف .		٢٥٨	٠٤٠
كرمان مع ضياع الأمراء سوى مال العهد والورح (؟) وقرى المفازة ، ومايسوغه مؤنس الخادم عن مال الخزن والجهينة مقاطعة عمان سوى اللطف (الهدايا) المحمول إلى الحضرة		٣٦٤	٣٨٠
ارتفاع الخراج والضياع العامة بالمشرق على العقد والارتفاع بالأمانة والضمان : ٥٢٥ ٥٧٠ ٦		٠٨٠	٠٠٠
الخراج والأعشار والأخماس بالري والدوماوند مع ما فيه مما استخرجه ابن داودان وأحمد بن علي .		٤٦٥	٠٧٨
الضياع بها .		١٢٢	٦٤٤

قزوین وزنجان وأبهر

الخراج .	١١٥	٧١٠
الضياع .	٧٥٨	٢٩٠

قسم

الخراج .	١٩٧	٢٢٩
الضياع .	٠٨٠	٢٢٩

أصفهان

الخراج على العقد المجددة مع خراج الأكراد وما يغفل من الإيغار وضياع السلطان .		٤١٠	١٧٨
الضياع بها .		١٨٩	٣٣٤

مكة البصرة والايقارين

الحراج .	١٨٥	٦٣٦
الضياح .	٢٦٧	٥٢٠

ممدات

الحراج .	١٥٠	٤٨٠
الضياح .	٠٥٥	٧٨٩

ماسبذات

الحراج .	٠٥٧	٧٤٦
الضياح .	٠١٦	٧٥٠
ساوه ، ودار الضرب بها .	٠١٧	٦٢٥
ماه الكوفة بالحراج سوى الضياح الراسية والمستعدثة والطعم	١٠٥	٦٧٨
الضياح بها .	٠٨٩	٥٠٠
حلوان عن الحراج والضياح .	٠٣٠	٠١٥
إذريجان وأرمينية على المفارقة التي فورك عليها سبيل السعير	٢٢٦	٣٧٠

دينار . مجموع جباية المشرق ٦ ٤٣٩ ٦٦٣

٣ - جباية المغرب

بجمل ما يتعلق بالمغرب (ما يقع غرب دجلة من الولايات) وأجناده : ٤٩٢ ٧٤٦ ٤

تفصيلها

٢٩٠ ٧٧٣
مصر والإسكندرية بعد الاحتسابات القديمة ، سوى
مصادرة الماذرائين، ومال المرافق والتجارة وأثمان الغنائم .

جند فلسطين بعد الاحتسابات .	٠٨٠	٠٠٠
مال (؟) .	٠٨٠	٧٥٠
جند الأردن بعد الاحتسابات .	٢٣٠	٦٤٧
مال .	٠٤٠	٤٦٠
(؟) .	١٠٢	٠٦٢
جند دمشق بعد الاحتسابات .	١١٣	٠٥٧
مال .	٣١٥	٣٠٠
جند حص بعد الاحتسابات .	٢٠٠	٤٦٠
مال .	١١٥	١١٤
جند قنسرين والعواصم بعد الاحتسابات .	١٣٣	٠٩٧
مال .	٣٥٢	٥٧٠
دلوك ورعبان .	٠١٥	٧٦٥
الثغور الشامية سوى صلح أحمد بن الحسين الكاتب .	٠٥٢	٩٨٥
شمشاط وحصن منصور وكيسوم بعد الموضوع .	٠٠٥	٣٩٧
مال .	٠٦٥	٣٣٢
سميساط وملطية بعد الاحتسابات	٠١٤	٥٠١
مال .	٠٣٤	١٢٠
آمد ، سوى ما جمع في اقطاع وكاسة بعد الاحتسابات .	٠٠٥	٤٧٨
مال .	٠٨٢	٤٢٢
أرزن ، وميفارقين بعد الاحتسابات	٠٥٦	٧٥٠
مال .	٠٨٢	٤٢٢
ديار مضر .	٢٥٧	٢٢٥
ديار ربيعة بعد الاحتسابات .	٠٢٢	٧٩٧

مال .	٣٠٤	٠٩٣
الموصل ، وماردين ، وبهدرا ، والرساتيق الجبلية بعد الاحتمالات .	٠١٧	٧٥٠
مال .	٤٩٢	٤٣٠
طريق الفرات .	٠٩٦	٥٨٤
دينار . مجموع جباية المغرب .	٤ ٦٦٠	٣٤١

٤ — جباية الاموال الخاصة

الضياغ المستحدثة بعد الذي جرى في ضيمان واسط أسرة حال الخاصة .	٢٨٩	٠٣٦
أموال الخاصة سوى ما كان منها بنواحي واسط فانه أضيف إلى أموال العامة وخط بها ودخل في حمولتها ونفقاتها .	٥١٩	٤٤٧
العبر ١٨٥	٤١١	
الاهوار ١١٦	١٦٠	
المشرق ٠٧٢	٦٢٦	
المغرب ١٠٤	٠٠٠	
هيت وأعمالها سوى ضياغ السكر .	٠١٨	٧٧٨
العبر ٨	٢٤٠	
الاهوار ٥	٢٦٢	
المغرب ٥٨	٤٥٠	
المشرق ٦٢	٢٠٠	
مال الضياغ العباسية سوى ما هو بنواحي واسط .	١٤٤	٧٦٠

العبر	١٤	٧٣٢		
الأهوار	١٤	٢٤٦		
المشرق	٣٠	٦٧٢		
المغرب	٧٥	١١٦		
مال الموقوف للمساجد سوى ما كان منها بواسطة .			٥٧٠	٠٠٤
المشرق	٢٢	٨٦٩		
المغرب	١٢	٧٦٠		
مال الضياع الفراتية .			١٢٦	٦١٧
العبر	١٧٠	٢٢٦		
الأهوار	١٢٩	٧٢٤		
فارس	٠٩٧	٣٣٦		
المشرق	٠٩٥	٢٧٨		
المغرب	١١٤	٢٢٥		
مال الضياع المفردة في سنة ثلاث وثلثمائة .			٣١٨	١٠٠
مال الخزن والجهنزة ، سوى ما يجمعه العمال مع أصول الأموال ، وسوى ما سوغه مؤنس الخادم منها بفارس ، وسوى وما دخل منها بضمان واسط .			٩٨٠	٠٧٦
دينار . مجموع جباية الأموال الخاصة .	١	١٧١	٠١٥	
الخلاصة :				
جباية السواد (١) .	١	٨٣٦	١٨١	

(١) أشرت سابقاً إلى وجود فرق كبير بين هذا الرقم والرقم الذي ثبت في البداية كمجمل للقائمة .

جباية المشرق .	٦	٤٣٩	٦٦٣
جباية المغرب (١)	٤	٦٦٠	٣٤١
جباية الأموال الخاصة والأعمال المسماة والموقوفة وغيرها.	١	٧٧١	٠٠١٥

٢٠٠ ٧٠٧ ١٤ دينار . مجموع جباية الدولة حسب قائمة علي بن عيسى سنة ٥٣٠٦ / ٩١٨ م كما ثبتها فون كريمر .

إلا أن قدامة بن جعفر قد أورد في كتابه « الخراج وصفة الكتابة (٢) » ، قائمة تفصيلية « بمبالغ الارتفاعات في مملكة الإسلام » ، أرى من المناسب تثبيتها للمقارنة مع ملاحظة تقارب الفترة التي كتبت فيها مع قائمة علي بن عيسى (٣) . وهي كما يلي :

السواد	درهم	١٣٠	٢٠٠	٠٠٠
الأهواز	»	٠٢٣	٠٠٠	٠٠٠
فارس	»	٠٢٤	٠٠٠	٠٠٠
كرمان	»	٠٠٦	٠٠٠	٠٠٠
مكران	»	٠٠١	٠٠٠	٠٠٠
أصبهان	»	٠١٠	٥٠٠	٠٠٠
سجستان	»	٠٠١	٠٠٠	٠٠٠

(١) يتكرر وجود خلاف بين الجمل ومجموع المفضل في قائمة المغرب إذ ذكر علي بن عيسى أن جمل ما يتعلق بالمغرب وأجناده هو « ٤٩٢ ٧٤٦ ٤ » ديناراً .

(٢) قدامة - الخراج ص/٢٤٩ من التبذ المطبوعة ؛ ص/٨٦ آ وما بعدها من مخطوط كوبريلي .

(٣) قائمة علي بن عيسى التي نشرها فون كريمر عن سنة ٥٣٠٦ ، وقائمة قدامة تعبر عن سنة كتابته للكتاب أي في حدود سنة ٥٣١٥ . وهي تعتمد على عبارة سنة ٥٢٠٤ .

خراسان	درهم	٣٧	٠٠٠	٠٠٠
حلاوان	»	٩٥٠	٠٠٠	٠٠٠
ماه الكوفة	»	٠٠٥	٠٠٠	٠٠٠
ماه البصرة	»	٠٠٤	٨٠٠	٠٠٠
همدان	»	٠٠١	٧٠٠	٠٠٠
ماسبدان	»	٠٠١	٢٠٠	٠٠٠
مهرجان قذق	»	٠٠١	١٠٠	٠٠٠
الا يغادين	»	٠٠٣	٨٠٠	٠٠٠
قم وقاشان	»	٠٠٣	٠٠٠	٠٠٠
أذربيجان	»	٠٠٤	٥٠٠	٠٠٠
الري ودماوند	»	٠٢٠	٠٨٠	٠٠٠
قزوين وزنجان واهر	»	٠٠١	٨٢٨	٠٠٠
قوس	»	٠٠١	١٥٠	٠٠٠
جرجان	»	٠٠٤	٠٠٠	٠٠٠
طبرستان	»	٠٠٤	٢٨٠	٧٠٠
تكريت والطيرهان والسن والبوازيج	»	٠٠٠	٩٠٠	٠٠٠
شهرزور والصامغان	»	٠٠٢	٧٥٠	٠٠٠
كورة الموصل	»	٠٠٦	٣٠٠	٠٠٠
قودي وبزبدي	»	٠٠٣	٢٠٠	٠٠٠
دبار ربيعة	»	٠٠٩	٦٣٥	٠٠٠
أرزن وميا فارقين	»	٠٠٤	٢٠٠	٠٠٠
مقاطعة طرون	»	٠٠٠	١٠٠	٠٠٠
أرمينية	»	٠٠٤	٠٠٠	٠٠٠

أمد	درهم	٠٠٢	٠٠٠	٠٠٠
ديار مضر	د	٠٠٦	٠٠٠	٠٠٠
أعمال طريق الفرات	د	٠٠٢	٩٠٠	٠٠٠
قنسرين والعواصم	دينار	٠٠٠	٣٦٠	٠٠٠
جند حمص	د	٠٠٠	٢١٨	٠٠٠
جند دمشق	د	٠٠٠	١١٠	٠٠٠
جند الأردن	د	٠٠٠	١٠٩	٠٠٠
جند فلسطين	د	٠٠٠	٢٥٩	٠٠٠
مصر والإسكندرية	د	٠٠٢	٥٠٠	٠٠٠
الحرمين	د	٠٠٠	١٠٠	٠٠٠
اليمن	د	٠٠٠	٦٠٠	٠٠٠
اليامة والبحرين	د	٠٠٠	٥١٠	٠٠٠
عمان	د	٠٠٠	٣٠٠	٠٠٠
جزية رؤوس أهل الذمة بمدينة السلام	درهم	٠٠٠	٢٠٠	٠٠٠

وبشير قدامة إلى أن تقدير ارتفاع السواد هو « بحسب ما عليه في هذا الوقت وعلى عبء سنة ٢٠٤ هـ وهي أول سنة يوجد حسابها في الدواوين ^(١) » .

١ - ولا أريد أن أناقش هذه القائمة ، بل أكتفي بأن أشير : أولاً إلى أن « العبء » لا زالت غامضة ، فلم يردنا عن معناها إلا ما ذكره

(١) قدامة - الخراج مخطوطة كوبريلي ص ٨٦ أ ، وتقع في ص/٢٣٦ من المطبوع .

الحوارزمي^(١) ، حيث يمكن أن نستدل منه أن العبرة هي تقدير مالي ، كان يتم بأن يؤخذ معدل الوارد لسنين عديدة من سني الرخاء والقلة^(٢) . وبأن يؤخذ المعدل الحسابي لتلك السنين بعد « أن تعتبر الأسعار وسائر العوارض^(٣) » ، ولا نعلم كيف كان يجري حساب ذلك .

إن ما ذكره قدامة عن خراج السواد يشير إلى الأخذ بالافتراض القائل بأن الخراج قد سار على وتيرة واحدة ، دون تغيير ، خلال الفترة بين سنة ٨١٩/٨٢٠ م وسنة ٩٢٨/٨٣١٦ م^(٤) . إن هذا الافتراض يصح ، إذا كانت مساحة الأرض المفروض عليها الخراج ثابتة ، وكان الخراج يجبي على أساس المساحة ، وليس على المقاسمة في الغلة ، مع استقرار تام ورقابة في الأوضاع والأحوال ، سواء في طبيعة الأراضي الزراعية ، أو مشاريع الري ، أو الأسعار ، أو نوعية المنتوجات ، أو الأيدي العاملة في الريف ، ولكن بما لا شك فيه أنه قد حصل كثير من التطور والتبدل خلال هذه الفترة ، ومن المرجح أن يكون لزيادة نسبة الأملاح في الأراضي أثر كبير في إهمالها ، أو زراعتها بأنواع من المزروعات تقاوم الأملاح^(٥) ، وكذلك

(١) الحوارزمي - مفاتيح العلوم ص/٤٠ ، إذ يقول : « العبرة ثبتت الصدقات لكورة كورة ، وعبرة سائر الارتفاعات هو أن يعتبر مثلاً ارتفاع السنة التي هي أقل رباعاً ، والسنة التي هي أكثر رباعاً ، ويجمعان ، ويؤخذ نصفها ، فتلك بعد أن تعتبر الأسعار وسائر الموارض .

(٢) الدوري - تاريخ العراق الاقتصادي ص/٤٢ ، ١٨٩ .

(٣) الحوارزمي - مفاتيح العلوم ص/٤٠ .

(٤) وهي السنة التي كتب فيها قدامة كتابه .

(٥) ربما كان ذلك مسوغاً للإكثار من زراعة الجت (الرطاب) وذلك =

الحال بالنسبة للمياه ؛ فإن قلة أمطار العراق جعل الزراعة ، وخصوصاً في السواد تعتمد على الري بالدرجة الأولى . أحوال الري لم تبقى ثابتة أيضاً خلال هذه الفترة ، ونظرة عجلية إلى الحروب والاضطرابات ، وما صاحبها من تخريب في القسم الجنوبي من العراق ، كافية لتأييد هذه الحقيقة .

وإضافة إلى ذلك ، فإن الأيدي العاملة ، وهي عامل له أهميته بعد توفر الأرض الصالحة ومشاريع الري ، لا بد وأن يكون قد حصل ما أثر في توفرها ، فلم يكن العرب منذ البداية يلتزمون بفكرة « رقيق الأرض » ، كما أنهم لم يتشددوا بإجبار الفلاحين على البقاء في أرضهم ، فأقدم كثير من الفلاحين على ترك أراضيهم ، مدفوعين بعوامل شتى منها : دمار مشاريع الري ، أو زيادة الملوحة في الأرض ، أو هرباً من سوء الأوضاع الإدارية ، أو التزاماً بدعوة أو اتجاه سياسي معين ، أو لحصول الإغراء نحو حياة المدن ، والاستغلال بالصناعة . وهي عوامل لها أثرها في تحديد كمية ونوعية الإنتاج وبالتالي على « ارتفاع الحراج » . وإضافة إلى هذه العوامل المؤثرة ، فإن الروايات التي تردنا عن الحراج في مصر تشير إلى أن « التعديل » في الحراج كان يجري كل عشر سنوات . فهل يعقل أن يجري ذلك في مصر دون أن يلتفت إليه في العراق ، مع ملاحظة العوامل المذكورة سابقاً ، وتبقى « العبرة » أو معدل الجباية على حالها لفترة تناهز القرن ؟

— لمقاومة الأملاح التي كانت كثيرة آنذاك ، غير أن المصادر الإسلامية لم تذكر أخطار الأملاح شأنها في معظم المشاكل المتعلقة بالزراعة والريف . وقد أصبحت أقسام كثيرة من أراضي الغراف في العصر الحديث غير صالحة للزراعة ، بسبب (السبخ) أي زيادة نسبة الأملاح في التربة ، وكذلك الأراضي المجاورة لسد الثرثار في سامراء وباتجاه الجنوب لمسافة تقرب من (٢٠) ك . م . على الضفة اليمنى لنهر دجلة .

إن المعقول هو ان هذه القائمة هي الأساس الذي حصل الاعتماد عليه ،
وانها الوثيقة الرسمية الوحيدة المتيسرة لديه عن « العبرة » ، لأن الدواوين
كانت قد احترقت خلال أحداث الفتنة في بغداد بين الأمين والمأمون .
أما مفردات القائمة ، فهي تشير إلى مقدار ارتفاع لوقته . وبما يلفت الانتباه
ان تفصيل ارتفاع خراج السواد عند قدامة يتألف من ثلاثة حقول :
حنطة ، وشعير ، ودرهم^(١) (أو ورق) ، وهذا ما يؤكد ان الخراج
كان يجبي حتى هذه الفترة على طريقة المقاسمة في بعض المناطق ، ومن
المحتمل اعتبار الدرهم (الورق) بمثابة بدل ضمان للمحصولات المتبقية ،
أو خراج على الأشجار التي جرت العادة ان تضمن لأصحابها^(٢) . وتشير
بعض المصادر^(٣) إلى ان خراج الأشجار قد وضع على رؤوس النخل ،
وليس على الجريب^(٤) ، غير ان هذا لا يؤثر على جوهر النظام لأن المساحة
التي تتطلبها كل نخلة ثابتة محدودة ؛ فالجريب لا يستوعب إلا عدداً محدوداً
من أشجار النخل أو غيره

ويعطي قدامة في الأخير المجموع الإجمالي لقائمه عن ارتفاع
الأعمال في مملكة الإسلام ، على التوسط (أي المعدل) والذي يبلغ
(٤١٩٢٠٠٠٠٠٠) ديناراً^(٥) .

(١) قدامة - الخراج ص / ٢٣٨ - القسم المطبوع نشر دي غويه .

(٢) الصابي - الوزراء ص / ٣٦٣ .

(٣) التنوخي - نشوار المحاضرة ٨ / ٥٠ - ٥١ .

(٤) الجريب : أشل في أشل (٣٦٠٠ فراع مربع أي حوالي ٢٢٢٤٠٠) .

الخوارزمي / ٤٣ .

(٥) قدامة - الخراج ص / ٢٤٩ - القسم المطبوع باعتناء دي غويه .

ولعل ما استعرضنا من قوائم الخراج يعطي إلى حد ما صورة تقريبية عن سعة اختصاصات ديوان الخراج وكبير مسؤولياته .

ثانياً : الاعشار : وهي ضريبة العشر التي تفرض على الأراضي التي يزرعها المسلمون ، وقد قسم قدامة بن جعفر أراضي العشر إلى ستة أصناف^(١) .

١ - الأراضي التي أسلم أهلها عليها ، وهي في أيديهم ، وعليها العشر .

٢ - ومن ذلك ما يستحيه المسلمون من الأراضي الموات ، التي لا ملك من المسلمين والمعاهدين فيها ، فيلزمهم العشر من غلاتها .

٣ - ما يقطعه الأئمة لبعض المسلمين ، فإذا صار في يده بملك الإقطاع لزمته فيه الزكاة ، وهي العشر أيضاً . والواقع ان الخراج الذي يجب ان يدفعه صاحب الإقطاع كان يحدد باتفاق خاص بينه وبين العامل .

٤ - ما يصبح ملكاً لمسلم مما تقسمه من أرض العنوة بين من أوجف عليها من المسلمين^(٢) .

٥ - ما أصبح في يد المسلمين من الصفايا التي أصفها عمر بن الخطاب (رضي الله تعالى عنه) من أرض السواد ؛ وهي ما كان لكسرى وأهله وخاصته :

(١) قدامة - الخراج « مخطوطة كوبريلي » ص / ٨٠ أ .

(٢) لقدامة رأي طريف في هذا الباب ، فهو يرى بأنه إن قسم الإمام الأراضي بين من غلب عليها ، صارت عشرية وأهلها رقيق ، وإن لم يقسمها وتركها للمسلمين كافة « أتى لبيت مال المسلمين » فعلى رقاب أهلها الجزية وقد عتقوا بها ، وعلى الأرض الخراج لأهلها . الخراج وصنعة الكتابة - مخطوطة كوبريلي ص / ٨١ ب .

٤ - ما جلا عنه العدو من الأراضي فأصبحت في يد من سكنها ، وأقام بها من المسلمين مثل أراضي الثغور .

إن ما كتبه قدامة في هذا المجال ، له أهميته ، على اعتبار انه كاتب خراج ، عاش خلال الفترة التي نبحث فيها ، وكان خبيراً بالموضوع ، استمد كثيراً من معلوماته من وثائق رسمية ، كما انه كتب كتابه هذا (أي كتاب الخراج) كدليل لكتاب الدواوين ، فلا بد أن يكون ما كتبه غير بعيد عن واقع الحال .

كانت الأراضي في سواد البصرة عشرية^(١) ، ويعتبر المقدسي الأراضي المحيطة بالكوفة عشرية أيضاً^(٢) ، خلافاً لرأي الأصبخري والصائي^(٣) اللذين يعتبرانها خراجية ، ورأيها أقرب للقبول^(٤) . ويذكر ابن خردادبه أن أراضي « السيبين » و « الوقوف » عشرية ، ويعطي تقديرات للعشر الوارد منها^(٥) .

وقد يجبر أصحاب الأراضي العشرية على دفع أضعاف ما يقع عليهم من هذه الضريبة ، ففي سنة ٨٣١٣ / ٩٢٥ م ، شكى بعض زراع ديار

(١) الأصبخري - المسالك والممالك ص / ٤٠ .

(٢) المقدسي - أحسن التقاسيم ص / ١٣٣ ، وانظر يحيى بن آدم - الخراج

ص / ٣٦ - ٣٧ .

(٣) الاصبخري - المسالك والممالك ص / ٨٠ ، الصائي - الوزراء ص / ٣٨٦ .

(٤) الدوري - تاريخ العراق الاقتصادي ص / ١٩١ .

(٥) ابن خردادبه المسالك والممالك ص / ١١ حيث يقول : « السيبين والوقوف

ضياح جمعت من عدة طساسيج ... وتقدير العشر فيها من الحنطة خمسمائة كر ، والشعير خمسة آلاف وخمسمائة كر ، ومن الورق مائة وخمسون ألفاً » .

زبيعة إلى الوزير علي بن عيسى بأنهم أجبروا خلال ثلاث سنوات على دفع العشر على المساحة ، وبذلك دفعوا أكثر من العشر^(١) . وفي حدود سنة ٥٣٣٠ / ٩٤١ م فرض البريديون على أصحاب الأراضي العشرية في البصرة عشرين درهماً على جريب الخنطة والشعير ، مما تسبب في تدهور الإنتاج ، فقد كانت العمارة تنقص في كل سنة لأجل جور البريديين وعمالهم ، وهم يطالبون بالعبرة ، فنقص مال العبارة عن جريان العمارة ... وقد قحط أهل البصرة بالمحاصرات التي لحقتهم ، فالزموا أن يزرعوا تحت النخل خنطة وشعيراً ، فلما فعلوا ألزموا عن كل جريب أربعين درهماً ، فقصروا في العمارة ، فجعل ما كان يرتفع غيره عليهم ، واستوفي من ملاك أرض العشر ، فتهارب الناس ، فزاد ذلك على من بقي^(٢) .

ومع ضريبة الأرض هذه ، فقد كانت هناك ضريبة العشر التي تقروض على أموال التجار من المسلمين وأهل الذمة والحرب ، التي يدبرونها في البحار ويمرون بها على « العاشر^(٣) » ، وقد ألغى علي بن عيسى في وزارته الأولى^(٤) المكوس الثقيلة التي كانت تجبي « بمكة وحصن مهدي ونهر السدرة » وكان يعترض في هذه المواضع على ما يجيز إلى البحر ، ويرد منه ، وتتخذ

(١) الصابي - الوزراء ص / ٣٦٣ - ٣٦٤ .

(٢) مسكويه - تجارب ٦ / ١٢٧ - ١٢٨ . المقدسي - أحسن التقاسيم

ص / ١٣٢ .

(٣) قدامة - الخراج « مخطوطة كوبرليني » ص / ٨٠ - ٨٠ ب ، والعاشر

هو الموظف أو العامل الذي يوكل له أمر حيازة ضريبة العشر على التجارة في المراكز التجارية أو على الموانئ والحدود .

(٤) بين سنتي « ٣٠٠ - ٣٠٤ / ٩١٢ - ٩١٦ م » انظر قائمة الوزراء

الملحقه بالمبحث الثاني من هذا الكتاب .

الضرائب المسرفة عنه^(١) . وكانت قد أنشئت دور خاصة للكوس في أماكن مختلفة ، خاصة على ضفاف الأنهار ، وكان يمد جبل أو سلسلة بين الضفتين عبر النهر ، ليمنع مرور السفن بالتجارة قبل أن تجبي الضريبة منها ، وهذا ما يدعى بالمأصر ، وقد يطلق لفظ المأصر على الضريبة نفسها^(٢) ، وكان أمير الأمراء^(٣) ، ابن رائق ، أول من وضع المأصر في بغداد « وما كانت سمعت بالضرائب من قبله » وكانت توجد مأصر على الطريق من بغداد إلى واسط في دير العاقول^(٤) على دجلة ، وفي واسط^(٥) .

ثالثاً : رسوم الجوالي : وكان ديوان الخراج يقوم باستيفاء (الجوالي) التي تعني في الأصل الضريبة التي يدفعها أهل الذمة ، الذين نزحوا (جلوا) عن أوطانهم الأصلية ، ثم أصبحت مرادفة لكلمة « الجزية » ، حتى إن قدامة بن جعفر يفسر الجوالي بـ « الجزية المفروضة على رؤوس أهل الذمة^(٦) » . وكانت الجزية تجبي في محرم (الشهر الأول من السنة القمرية) ، ويذكر ابن خردادبه بأنه « كانت الجوالي بمدينة السلام مائة ألف وثلاثين ألف درهم^(٧) » ، في حين أن الوارد من الجزية في قائمة قدامة عن « ارتفاع

(١) الصابي - الوزراء ص / ٣١٠ .

(٢) ابن رسته - الأعلام النفيسة ص / ١٨٥ ، انظر الدوري - الاقتصادي

ص / ٢٠١ .

(٣) بين سنتي ٣٢٤ - ٣٢٦ هـ / ٩٣٥ - ٩٣٧ م .

(٤) ابن رسته - الأعلام النفيسة ص / ١٨٦ .

(٥) التنوخي - نشوار المحاضرة : ٨ / ٩٤ .

(٦) قدامة - الخراج « مخطوطة كوبريلي » ص / ٨٠ أ .

(٧) ابن خردادبه - المسالك والممالك ص / ١٢٥ .

جزية رؤوس أهل الذمة بمدينة السلام ، يبلغ (٢٠٠٠٠٠٠) درهماً^(١) .
 أما قائمة علي بن عيسى^(٢) فقد ورد فيها أن « رسم الجوالي بمدينة السلام »
 قد بلغ (١٦٠٠٠) ديناراً^(٣) . ويذكر ابن البطريق أن علي بن عيسى
 قد حاول سنة ٨٣٢/٩٢٤م ، أن يأخذ الجزية ، من القيسيين والرهبان
 والأساقفة والفقراء المعدمين (من أهل الذمة) في مصر السفلى ، غير أن
 الخليفة المقتدر بالله ألغى هذه التدابير ، بعد أن استمع إلى شكاوى الأهليين^(٤) .
 وبما هو جدير بالملاحظة هنا أن الجزية كانت تشكل قسماً كبيراً من وارد
 الموصل وبعربايا^(٥) .

رابعاً : الصدقات : وكانت تجبي « في الأموال المرصدة للنماء ، إما بنفسها ،
 وإما بالعمل فيها^(٦) » ، وعلى الرغم من أن رأي الفقهاء كان صريحاً بعدم
 جواز جمع مال الصدقات إلى أموال الخراج^(٧) ، فإن الدلائل تشير إلى

-
- (١) قدامة - الخراج ص / ٢٥١ (القسم المطبوع باعتناء دي غويه) .
 (٢) سبقت الإشارة إلى أن علي بن عيسى قد أعد هذه الجريدة عند
 تنظيمه للبيزانية سنة ٨٣٠٦/٩١٨ .
 (٣) زيدان - التمدن ١١١/٢ نقلاً عن فون كريم ، وانظر الدوري -
 تاريخ العراق الاقتصادي ص / ١٩٧ ، وهي تساوي (٢٤٠/٠٠٠) درهماً .
 (٤) ابن البطريق - تاريخ ص / ٥١٧ ، وانظر الدوري - تاريخ العراق
 الاقتصادي ص / ١٩٦ .
 (٥) ابن حوقل - المسالك والممالك ص / ٢١٨ باعتناء دي غويه .
 (٦) الماوردي - الأحكام السلطانية ص / ١٥٩ ، أبو يعلى - الأحكام
 السلطانية ص / ٩٩ .
 (٧) يقول أبو يوسف : « ولا تولها عمال الخراج ، فإن مال الصدقة
 لا ينبغي أن يدخل في مال الخراج » الخراج - ص / ٨٠ .

أن الصدقات كانت تابعة لديوان الخراج ، وكانت أموالها لا تعزل عنه^(١) ، حيث كان عمال الخراج يقومون بزيادة زكاة الأموال الظاهرة ، كالمواشي والمنتجات الزراعية ، أما زكاة بقية الأموال كالذهب والفضة فكان يترك أمر إخراج الزكاة عنها إلى الأفراد^(٢) .

خامساً : الأحماس : ومن الضرائب التي جباها عمال الخراج ، أحماس الغنائم التي كانت تغتم من أهل الحرب ، وهي ضريبة شرعية اتفق الفقهاء على جمعها إلا أنهم اشتروا أن توزع لمستحقيها بحسب ماورد في القرآن الكريم . والراجع أن هذا الشرط قد جرى تجارزه في هذه الفترة إذ أدخل قدامه هذه الضريبة ضمن أموال الخراج^(٣) ؛ وكانت الدولة تجمي ، إضافة إلى ذلك ، أحماس المعاون والركاز وسيب البحر^(٤) .

سادساً : ما كان يؤخذ من اللقط في الطرق وما يجري مجراها ، وأثمان الآباق من العبيد ، وما كان يؤخذ من اللصوص من الأموال والأمتعة إذا لم يأت لذلك طالب يستحقه^(٥) .

سابعاً : ضرائب الطواحين : كان هناك ضرائب تفرض على الطواحين في العصر العباسي ففي بغداد كانت الرحا المعروفة بـ « رجا البطريق » تغل مائة ألف درهم في السنة^(٦) ، وفي الجزيرة استولى الحمدانيون على جميع الطواحين ، وكان وارد الطواحين في مدينة « حديثة » وحدها يساوي

(١) قدامة - الخراج « مخطوطة كوبريلي » ص/٨٠ - آ ٨٠ - ب .

(٢) الماوردي - الأحكام ص/١٠٩ . أبو يعلى - الأحكام ص/٩٩ .

(٣) قدامة - الخراج « مخطوطة كوبريلي » ص/٨٠ ب .

(٤) الركاز : دفين الجاهلية . سيب البحر : ما يقذف به أو يستخرج منه .

(٥) قدامة - الخراج « مخطوطة كوبريلي » ص/٨٠ .

(٦) اليعقوبي - البلدان ص/٢٤٣ . انظر الدوري - تاريخ العراق الاقتصادي/٢٠٤ .

خمين ألف دينار سنوياً^(١) . وكان وارد الطواحين في بازبدي من الجزيرة يكون جزءاً مهماً من الوارد^(٢) .

ثامناً : الضرائب المفروضة على الحوانيت والأسواق : أول ما فرضت هذه الضريبة خلال حكم الخليفة المهدي^(٣) ، وفي أواسط القرن الثالث الهجري ، قدر مجموع هذه الضريبة في بغداد بـ (١١/٩٠٠/٠٠٠) درهماً في السنة^(٤) . وبلغ وارد أسواق الغنم في أسواق بغداد وسرمن رأى وواسط والبصرة والكوفة في جريدة علي بن عيسى مبلغ (١٦/٩٧٥) ديناراً سنوياً^(٥) .

تاسعاً : ضريبة الإوث^(٦) : يبدو أن هذه الضريبة قد بوشر بجبايتها بعد منتصف القرن الثالث الهجري ، خلال خلافة المعتمد بالله^(٧) . وفي سنة ٢٨٣/٨٩٦م أصدر المعتضد أمره برد الفاضل من سهام المواريث على ذوي الأرحام ، وأبطل ديوان المواريث^(٨) . ثم أكد المكتفي بالله هذا الأمر . غير أن الوزير حامد بن العباس أعاد هذه الضريبة ، وتناول على الرعية بما لم يرض الله عز وجل فيه « فأصدر المقتدر بالله - بناء على اقتراح علي ابن الفرات - منشوراً استعرض فيه تاريخ هذه الضريبة ، والمحاولات التي جرت لإلغائها ، وأمر فيه بأن « يرد على ذوي الأرحام .. المواريث ..

(١) ابن حوقل - المسالك والممالك ص/٢١٩ ، ٢٢٠ .

(٢) ن.٢٠ ص/٢١٩ . انظر الدوري - تاريخ العراق الاقتصادي ص/٢٠٤ .

(٣) سنة ٨١٦٧/٢٧٨٣ . (٤) اليعقوبي - البلدان ص/٢٤٣ ، ٢٥٤ .

(٥) انظر جريدة علي بن عيسى ضمن « جباية الخراج » في هذا الديوان .

(٦) انظر ديوان المواريث في هذا المبحث .

(٧) سنة ٢٥٦ - ٨٢٧٩ / ٨٧٠ - ٢٢٩٢ .

(٨) الطبري - تاريخ ٢/٢١٥١ « طبعة لايدن » . وانظر ابن الأثير -

الكامل : ٣٣٤/٧ .

وان ترد تركة من يموت من أهل الذمة ، ولم يخلف وارثاً ، إلى أهل ملته (١) .
 ولم تردنا معلومات تؤكد تنفيذ هذا المنشور ، إذ استولى المحسن بن علي
 ابن الفرات على إرث شخص ، له من يرثه ، في نفس السنة التي صدر بها
 هذا المنشور (٢) ، ثم نسمع بعد ذلك بفترة ، أن رجلاً يصفه الصولي :
 « بأنه كان مرضياً وثقة » كان يلي الموارث ولاء إياها الراضي (٣) .
 ومع ذلك فقد أنكر الراضي ما فعله ابن رائق حين سلب إرث
 شخص توفي ، وله ورثة ، « وأنفذ إليه بأمره برد جميع ما أخذ
 إلى موضعه » (٤) .

عاشراً : أجور العرصات والمستغلات: لقد فرضت على الدور ضريبة
 خاصة ، عرفت بأجرة العرصة ، وقد كان واردةا كبيراً خلال عصر المقتدر .
 ويمكن ان نفهم من قصة ، ذكرها التنوخي (٥) ان هذه الضريبة كانت
 تفرض على البنابات والمنشآت الحكومية (٦) . وكانت لفظه « مستغلات »
 تطلق على الضرائب التي تفرض على الدور والأسواق والطواحين التي بناها
 الناس في أرض حكومية (٧) ، وقد ذكر ابن خردادبه أن وارد مستغلات بغداد
 في سنة ٩١٢ / ٥٣٠٠ م قد بلغ (١٣٠٠٠) ديناراً في السنة (٨) .

-
- (١) الصابي - الوزراء م/٢٦٨ ، ٢٧٠ ، حيث أورد نص الكتاب الذي
 أصدره المقتدر .
 (٢) القرطبي - صلة م/١١٦ ، ١١٧ .
 (٣) الصولي - الأوراق م/١٠٤ . (٤) الصولي - الأوراق م/١٠٤ .
 (٥) التنوخي - نشوار المحاضرة ١/٧٤ ، ٧٥ .
 (٦) الدوري - تاريخ العراق الاقتصادي م/٢٠٤ .
 (٧) ن م . م/٢٠٤ ، زيدان - التمدن الاسلامي ٩٤/٢ . انظر
 ابن حوقل - المسالك والممالك م/٣٠٣ .
 (٨) ابن الأثير - الكامل ٥١/٨ . وانظر الدوري - الاقتصادي م/٢٠٤ .

ديوان النفقات

كانت أكبر مهام هذا الديوان في ذلك العصر هي القيام بنفقات دار الخلافة وحاجاتها ونفقات الدواوين المركزية ، وكذلك المصالح العامة في الجزء الشرقي من بغداد (١) ، ولعل اقتصار النفقات على ذلك يعود إلى طبيعة النظام الإداري ، فقد كانت دواوين الخراج في الولايات تقوم مقام ديوان النفقات فيها ، بالإضافة إلى جبايتها للخراج وبقية الضرائب ، إذ كانت تستوفي من تلك الأموال النفقات الراتبية وأعطيات الجند فيها ، وترسل الباقي إلى العاصمة (٢) ، وكان الجزء الغربي من بغداد ، وهو بغداد الحقيقية ، يعتبر جزءاً من أعمال بادوريا (٣) .

ونظراً لتنوع الأعمال التي كانت تجري تحت إشراف متولي هذا الديوان وتشعبها ، فقد قسم إلى المجالس التالية بحسب ما يجري في كل مجلس من أعمال :

أولاً - مجلس الجاري (٤) :

ويجري في هذا المجلس تتبع نفقات المرتزقة ، وذلك بتصنيفهم حسب الأعمال الموكلة إليهم ، وتثبيت أوقات استحقاق رواتبهم ، ويعتمد في ذلك على سجلات (جرائد) خاصة تها لهذا الغرض . ومن دراسة الوثيقة التي حفظها لنا الصابي عن ضمان ، جرى إبرامه في بداية حكم المعتضد (٥) ،

(١) الصابي - الوزراء ص/١٥ ، ٢٧ .

(٢) مسكويه - تجارب : ١٩٣/٥ ، ١٩٤ ، التنوخي - الفرج : ٥٦/١ .

وانظر ابن حوقل - المسالك ص/١٢٨ ، وكذلك الخوارزمي - مفاتيح ص/٤٠ .

(٣) آدم متر - الحضارة : ١٩١/١ ، ١٩٢ .

(٤) قدامة - الخراج « مخطوطة كوبريلي » ص/٧ ب .

(٥) الصابي - الوزراء ١٥ - ٢٧ .

يمكن القول بأن دفع العطاء في هذا المجلس كان يجري على فترات متفاوتة،
تبعاً لأصناف المرتزقة ، ومن تلك الوثيقة يمكن إحصاء ثمانية نماذج لفترات
دفع الرواتب وهي كما يلي :

- ١ - صنف كان يستلم كل (٣٠) يوماً : وفي مقدمة كان هؤلاء « أصحاب
النوبة » وسبعة عشر صنفاً من المرسومين بخدمة دار الخلافة والرسائل الخاصة ،
والقراء ، وأصحاب الأخبار ، والمؤذنين ، والمنجمين وغيرهم ^(١) .
- ٢ - صنف كان يستلم كل (٣٥) يوماً : وكان منهم أصحاب الصيد من
البازباريين ^(٢) والفهادين ، والكلايين ، والصقارين ، والصيادين ، والسباعين ، وأصحاب
الحراب ، وأصحاب الشباك ، ومن معهم من الأعوان والحمالين ^(٣) .
- ٣ - صنف كان يستلم كل (٤٥) يوماً : وكان من هؤلاء الخدم ، والجلساء ،
وأكابر الملهيين ^(٤) ، ويطلق قدامية بن جعفر على الفترة هذه اسم
« شهر الحشم » .
- ٤ - صنف كان يستلم كل (٥٠) يوماً : وكان منهم « الغلمان الخاصة » ^(٥) ،
والحشم والمستخدمين في الشراب ^(٦) ، والصناع ^(٨) والمطبخيين ، والفواشين ،
والخزان ^(٩) .

(١) الصابي - الوزراء ص/١٩ . وم حلة البراة .

(٢) الصابي - الوزراء ص/٢٤ . (٤) ن.٢٠ ص/٢٤ .

(٥) قدامية - الحراج ص/٧ ب مخطوطة .

(٦) وم الغلمان الذين أعتقهم الناصر ، ويذكر الصابي - الوزراء ص/١٦ ؛

بأن راتبهم في القديم كان يدفع إليهم كل أربعين يوماً .

(٧) المستخدمون في شراب العمامة وخزائن الكسوة وغيرها ، انظر

الصابي - الوزراء ص/٢٢ .

(٨) وقد عدد الصابي أصنافهم في الوزراء ص/٢٢ .

(٩) ن.٢٠ ص/٢٣ .

٥ - صنف كان يستلم كل (٦٠) يوماً ، وكان منهم حاجب الخليفة ، وخلفاء الحجاب (١) ، وقد أمر المعتضد بأن ينقل الغلمان الخاصة إلى هذا الصنف (٢) .

٦ - صنف كان يستلم كل (٧٠) يوماً : وقد اقتصر ذلك على جماعة من الحرس عرفوا بـ « المختارين (٣) » .

٧ - صنف كان يستلم كل (٩٠) يوماً : وقد جعل الوزير عبد الله بن سليمان في هذا الصنف جماعة من الحرس أسماهم « عسكر الخاصة (٤) » .

٨ - صنف كان يستلم كل (١٢٠) يوماً : وهم صنف ثالث كانوا أقل كفاءة من الصنفين السابقين (٥) .

ويضاف إلى هذه الأصناف ، صنف تاسع ، بمن عهد إليهم أمر « الخروج إلى أعمال الجراح للاستحثاث على حمل الأموال (٦) » ، غير أن هؤلاء لم يكونوا يستلمون رواتبهم من خزانة الدولة ، فلم يجز إدخالهم ضمن ديوان النفقات ، لأن أرزاقهم كانت مفروضة على الجهات التي كانوا

(١) يشير الصابي إلى أن عددهم « ٢٥ » رجلاً منهم « خمسة ملازمون وعشرون نوبيون » .

(٢) ن . م . ن . ص / ١٦ .

(٣) وقد سماه بذلك بعد أن اختارم المعتضد من كل القيادات وكانوا بوصفون بالشجاعة والشهامة ، وقد عدد الصابي أسماء بعض تلك القيادات المنسوبة إلى أشخاص من كبار الأمراء الأتراك السابقين ، فذكر البغائية ، والمسروية والبكجورية ، واليانسية ، والملحية ، والأزكورتكينية ، والكيغلفية ، والكننداجية ، انظر الصابي - الوزراء / ص ١٩ .

(٤) ن . م . ن . ص / ١٨ حيث يذكر عنه « وجعل شهر الدين ارتضام وأمضام تسعين يوماً ، وأسماهم عسكر الخاصة » ، وكان ذلك في وزارته المعتضد بالله .

(٥) الصابي - الوزراء / ص ١٨ . (٦) ن . م . ن . ص / ١٨ .

يوجهون إليها ، وكان هذا الصنف يستلم راتبه على دفعتين في السنة (١) .
ويذكر قدامة بن جعفر « شهر الحشم » فيقول عنه : « وشهر الحشم
خمس وأربعون يوماً ، وقد يشذ عن هذه القاعدة ، إذ قد يعتبر الشهر
ثلاثين يوماً ، وربما خمسين إلا أن المعمول به غالباً في مجلس الجاري من
ديوان النفقات هو خمسة وأربعون (٢) » .

ثانياً - مجلس الأتزال (٣) :

وكان هذا المجلس يشرف على محاسبة المتعهدين من التجار الذين كانوا يقدمون إلى
دار الخلافة الأرزاق العينية ، كالحبز واللحم والحلوى والفاكهة والشراب
والطيب وحوائج الوضوء والحمام (٤) ، كما كان يشرف على نفقات خزائن الكسوة
والخلع والسلاح ، وما كان يرم من الجواشن والدروع ، وما كان يتخذ من النشاب
والأعلام والمطارد والسروج ، وما كان يجدد منها وما يصلح ، وما كان يتخذ من
الفراش والحصر والستائر والسرادقات ، كما كان يتولى صرف أرزاق السقائين
في القصر والخزائن والمطابخ والمخازن ، و « من يعمل بالروايا على البغال من
الاصطبلات للحرم والبوابين في دار العامة (٥) » ، وأرزاق الطباخين والفراشين
وخزان الفرش والشموع ، وأرزاق الجلساء والمهين والأطباء ، ويؤكد الصابي

(١) ن ٢٠٠ ص ١٨٠ .

(٢) قدامة - الخراج ص ٧ ب « مخطوطة » ، وقد أشرت إلى ذلك عند حديثي

عن الصنف الثالث في الصفحة السابقة ، غير أن الصابي في كتابه الوزراء ص ٢٢ يذكر
أن شهرم خمسون يوماً .

(٣) الأتزال : جمع نزل ، وهو ما يبيء للضيف من طعام .

(٤) قدامة - الخراج ص ٨ أ « مخطوطة » .

(٥) الصابي - الوزراء ص ٢١٠ .

على « أثمان أنزال المالك الستينية ^(١) » . ويبدو أنه قد كان لهذا المجلس عرف خاص به في تسمين الأرزاق الجارية فيه ، إذ يقول قدامة ^(٢) عند حديثه عن كتاب هذا المجلس بأن : « لهم في تسمين الرأس من أصناف الحيوان والجام من الحلوى رسوم ، تختلف على حسب من يقام له ذلك من الخصوص والعموم والرفعة والانحطاط » ، ولهذا فقد توجب على كتاب هذا المجلس الإلمام بالمصطلحات الخاصة بالأسعار ، ومقادير الأرزاق ، وأصنافها من أجل ضمان الدقة والاستيفاء في محاسبة المتعهدين ، وعدم التفريط في مصلحة خزينة الدولة .

ثالثاً - مجلس الكراع ^(٣) :

تولى هذا المجلس شراء المواشي والإبل ، وما كان يبتاع من الخيل « الموصوفة في أحياء العرب » ، وما يستبدل به ، إذ عطف في العمل ^(٤) ، كما تولى أمر علوفة هذه الحيوانات وغيرها ، بما كان يقتني لدار الخلافة وبما يحتاج إلى العلف ، كالوحوش والطيور ، وما تبسع ذلك ، من كسوتها وعلاجها وآلاتها وأجور الساسة والمكارية والراضة ^(٥) والبيطرة والوكلاء ، والاهتمام بأمر المروج والأحراش المخصصة لها ، ومحاسبة العلافين عما كان يردم من غلات الضياع السلطانية وغيرها من الأثمان ، وما جانس ذلك مما

(١) ن . ٢٠٠ . ص / ١٦ ، لاحظ الصنف الخامس من أصناف الرواتب في مجلس الجاري أعلاه ؛ فمنهم خاصة الخليفة وخلفاء الحجاب ، وقد أشرت إلى أن خمسة منهم ملازمون ، أو سفر أمروا جميعاً باللائمة الدائمة في موضع إقامته أو موطنه .

(٢) قدامة - الخراج ص / ٨ آ « مخطوطة » .

(٣) ومن معاني الكراع أنه يطلق على الخيل والبغال والحمير .

(٤) الصابي - الوزراء ص / ٢٣ . (٥) الصابي - الوزراء ص / ٢٣ .

كان محتاج إليه في هذا المجال^(٢) . ويذكر الصابي : خلال حديثه عن نفقات دار الخلافة في عهد المعتضد ، خمسة أصناف من الاصطبلات^(١) ، كان ديوان النفقات يتولى أمر الصرف عليها وهي :

١ - الإصطبل الخاص: وكان يشمل على الخيل ، والحجورة ، والشهاري والبراذين ، وبغال السروج ، والقباب والهواذج والحخير ، ويمكن أن نستدل من اسم هذا الاصطبل أنه كان خاصاً لاستعمال ما كان محتاج إليه الخليفة والأمراء من الدواب في أسفارهم وتنقلاتهم .

٢ - إصطبل العامة : وكان يشرف على دواب الخدم والغلمان وبقية المرتوقة .

٣ - إصطبل الدواب والمحمليات: وكان يشرف على ما كان يرد إلى دار الخلافة من الدواب ، وما كان يهدى ويبتاع لها ، كما كان يشرف على علاج الدواب التي كانت تحتاج إلى العلاج والمراعاة ، وما كان يرد من الأسفار ، وفيه عقور أو غمز .

٤ - إصطبل لبغال الأثقال وحمل العلوفاة .

٥ - إصطبل لمبارك الإبل والجمال : وكان هذا الإصطبل يقع بجوار قصر الطين في الشماسية .

وباستثناء ما كان في الاصطبل الخاص ، الذي كانت تحت رقابة دقيقة ، لاتصال ذلك بمجاهات الخليفة المباشرة ، فقد كان المعتضد ، على ما يقول الصابي : « يعرض ما في هذه الاصطبلات في كل شهر في الميدان والرياضة والكرد ... » ، ومتى أحمد قيام من يقلده شيئاً من ذلك ، زاد في رزقه ، ومن اطلع منه على تقصير أو إضاعة استبدل به^(٣) ، وأخيراً فإنه جعل

(١) قدامة - الخراج « مخطوطة » ص/٨ آ . الصابي - الوزراء ص/٢٣ .

(٢) الصابي - الوزراء ص/٢٢ ، ٢٥ . (٣) الصابي - الوزراء ص/٢٣ .

أحد الثقات (١) مسؤولاً عن جميع هذه الاصطبلات ، وقد استعرض
قدامة « شيات الدواب » بالتفصيل وافترض أن يلم كتاب مجلس الكراع
بهذه الصفات ، لكي يقوموا بواجباتهم بدقة (٢) .

رابعاً - مجلس البناء والمرومة (٣) :

وهو المجلس الذي كان موكل إليه أمر الإشراف على المباني التي عادت ملكيتها
إلى الدولة ، فكان يبنى ما أمر به الخليفة أو الوزير ، كما كان يقوم بترميم المباني
التي يتطلب وضعها ذلك . وعليه فالذي كان يجري في هذا المجلس كان هو محاسبة
ذوي الاختصاص من مهندسين (٤) ، ومشرفين على البناء ، ومتعهدين بنقل
مواد البناء من جص وآجر ونورة واسفيداج وأخشاب متنوعة ، وكذلك
أصحاب الحرف المتصلة بالبناء والترميم من نجارين وبناءين ومزوقين ومهندسين
ومختلف الفنيين من الصناع ، كل عما قام به ، والتدقيق في كلفة المواد ،
ضماناً لمصلحة الخزينة ، وبذلك فإن طبيعة العمل في هذا المجلس كانت تستلزم
أن يكون الكتاب فيه من لهم دراية وخبرة في أمور الهندسة والرياضيات ،
لضمان الدقة في تحديد الكميات المستعملة في الإنشاء والترميم وتحديد
كلفتها (٥) ؛ وهي « أمور ليست بالهينة » كما يقول قدامة . ويمكن
القول : بأن هذا المجلس تفاوتت أهميته بحسب عهود الخلفاء وآرائهم « في
البناء أو الاكتفاء بيسيره (٦) » فكان يكبر ويتسع إذا كان الخليفة مهتماً

(١) وهو النوشجاني ، ويصفه الصابي بأنه كان من أصحاب الكفاية والثقة .

(٢) قدامة - الخراج « مخطوطة » ص/٤٤ ، آ ، ب ، ه ، آ ، ه ب : وشيات

الدواب تعني صفاتها .

(٣) ن . م . ص/٧ ب - ٨ آ . (٤) الصابي الوزراء ص/١٧٧ .

(٥) قدامة - الخراج « مخطوطة » ص/٨ آ .

(٦) قدامة - الخراج ص/٨ آ وانظر آدم منز - الحضارة : ١٣١/١ .

بأمور الإنشاء والبناء ، رغباً فيها ، كما أنه كان يضم وتقل أهميته ، إذا كان الخليفة ممن لا يرغبون في ذلك .

خامساً - مجلس الحوادث (١) :

وفي هذا المجلس كان يجري تثبيت الأوامر الصادرة عن الخليفة أو الوزير بالصرف على الأمور الطارئة ، من هبات أو صلات أو جوائز وما إلى ذلك من النفقات الحادثة (غير العادية) التي لا تدخل ضمن اختصاص أي مجلس آخر من مجالس ديوان النفقات في كل وجه من وجوهها .

سادساً - مجلس الإنشاء والتحرير (٢) :

وفي هذا المجلس كانت تنشأ ، وتحرر الكتب التي كانت تصدر عن ديوان النفقات بحسب المعلومات أو الحسابات التي كان يجيئها المجلس المختص بذلك في هذا الديوان ، وكما ذكرنا سابقاً ، كان ينبغي أن يكون الكاتب الموكل بهذا الديوان متمكناً من اختيار اللفظ الذي يؤدي تمام المعنى المقصود بدقة .

سابعاً - مجلس النسخ (٣) :

وقد تقدم ذكر اختصاصات هذا المجلس في غير هذا الديوان ؛ فاختصاصاته متشابهة في كل الدواوين ، وكان الغرض منه استنساخ عدة صور مطابقة للكتاب الصادر عن الديوان والاحتفاظ بإحداها ، وإرسال أصل الكتاب إلى الجهة ذات العلاقة ، وإرسال صور منه إلى الجهات ذات العلاقة .

ثامناً - مجلس بيت المال (٤) :

كان هذا المجلس يقوم بتنظيم حسابات ديوان النفقات ، وتوخي ضبطها ،

(١) قدامة - الخراج ص ٨/ ب .

(٢) ن . م . ص ٨/ ب ، متر - الحضارة : ١٣١/١ . (٣) ن . م .

(٤) قدامة - الخراج « مخطوطة » ص ٨/ ب ولم يشر آدم متر إل هذا المجلس كما

لم أجد أحداً من المحدثين قد أشار إليه .

وذلك بمقابلة النفقات ؛ من صكوك وإطلاقات وأوامر صرف ، بجاميع النفقات المصروفة ، التي كانت تصل إلى ديوان النفقات من ديوان بيت المال . وبمعنى أدق ، فقد كان على هذا المجلس التأكد من مطابقة تفاصيل نفقات البلاط العباسي الشهرية لمجموع ما صرف من الأموال ، وقد حفظ لنا الصابي تفاصيل دقيقة عن النفقات اليومية في أيام الخليفة المعتضد بالله ، نقلًا عن وثيقة رسمية (١) ، فكانت النفقات تشمل على ما يلي مقدرة بالدنانير وعلى أساس المياومة (٢) :

١٠٠٠	أرزاق أصحاب النوبة ومن برسمهم
٣٠٠	أرزاق السودان والزنج والعجم المستأمنة (٣)
١٠٠٠	أرزاق الغلمان الخاصة
١٥٠٠	أرزاق الفرسان من الأحرار والمميزين
٦٠٠	أرزاق المختارين
٥٠٠	أرزاق الفرسان المميزين (عسكو الخدمة)
١١٠	أرزاق سبعة عشر صنفاً من المرسومين بخدمة البلاط
٠٥٠	المرتزقة برسم الشرطة بمدينة السلام والخلفاء عليهم
٣٠٠	أثمان أنزال الغلمان المماليك

(١) الصابي - الوزراء - ص/١٥ ، كما ثبت لنا جزيجي زيدان القاعة في التمدن الاسلامي ٦٨/٢ مع بعض الاختلاف الذي سأشير إليه نقلًا عن البارون فون كيرير في :

Einnahmebudget des Abbasiden Reiches

(٢) أي المعاملة بالأيام . انظر تاج العروس ١١٥/٩ ، ويقصد بذلك النفقات اليومية

(٣) لم ترد هذه الفقرة عند زيدان في التمدن ٦٨/٢ ، وقد ذكرها الصابي في قائمته .

٣٣٣ $\frac{1}{3}$	نفقات المطابخ الخاصة والعامة والمخازن وأنزال الحرم
١٠٠	أثمان وظائف الشراب
٠٠٤	أرزاق السقائين بالقرب من القصر
١٦٧	أرزاق الخاصة ومن يجري مجراهم
١٠٠	أرزاق الحشم من المستخدمين في شراب العامة والمخازن
١٠٠	أرزاق الحرم
٤٠٠	ثمان علوفة الكرواع في الاصطبلات الخمسة
٠٦٦ $\frac{2}{3}$	ما يصرف من ثمن الكرواع والإبل والحيل
٠٣٠	أرزاق الطبّاخين
٠٣٠	أرزاق الفراشين والمجلسين
٠٠٦ $\frac{2}{3}$	ثمان الشمع والزيت
٠٠٥	أرزاق أصحاب الركاب والجنائب ومن يخدم في دواب البريد
٠٤٤ $\frac{1}{3}$	أرزاق الجلساء وأكابر المهين
٠٢٣ $\frac{1}{3}$	أرزاق رؤساء المتطيين وتلامذتهم وثمان الأدوية
٠٧٠	أرزاق أصحاب الصيد
٠١٦ $\frac{2}{3}$	أرزاق الملاحين

(١) حصل فرق قدره ثلث دينار بين قائمة الصابي وقائمة فون كيرير

انظر التمدن ٦٩/٢ .

(٢) وردت في التمدن « الخلبين » وربما كان الخطأ من عمل النساخ .

٥٠٤	لمن النفط والمشاقة للنفقات
٥١٥	الصدقة اليومية
٥٣٣ $\frac{1}{3}$	جاري أبناء المتوكل وأولادهم رجالاً ونساء
٥١٦ $\frac{2}{3}$	جاري أبناء الناصر
٥١٦ $\frac{2}{3}$	جاري أبناء الواثق والمهتدي والمستعين وسائر أبناء الخلفاء
٥٢٠	أرزاق مشايخ الهاشميين وأصحاب المراتب والخطباء
٥٣٣ $\frac{1}{3}$	جاري جمهور بني هاشم من العباسيين والطالبين
٥٣٣ $\frac{1}{3}$	جاري الوزير عبيد الله بن سليمان (١)
١٥٦ $\frac{2}{3}$	أرزاق أكابر الكتاب وأصحاب الدواوين والخزائن
٥١٦ $\frac{2}{3}$	جاري القاضي إسحاق بن إبراهيم وخليفته
٥٠٣ $\frac{1}{3}$	جاري المؤذنين في المسجدين الجامعين وما يلحق بهما
٥٥٠	نفقات السجون وثمان أقوات المساجين
١٠	نفقات الجسرين وأرزاق الجسارين (٢)
١٥	نفقات البيارستان الصاعدي وأرزاق المتطبين

ومع أن الصابي يشير إلى مجموعها بقوله : « فتلك النفقة كل يوم

(١) لم ترد هذه الفقرة في قائمة كزير . انظر التمدن ٧٠/٢ .
(٢) كما منح ابنه القاسم « ٥٠٠ » دينار شهرياً برسم العرض بالحضرة .
(٣) في قائمة فون كزير ورد المبلغ « ١٩ » ديناراً بدلاً من « ١٠ » .

على ما بين من وجهها سبعة آلاف دينار (١) ، فإن المجموع الصحيح لنا أوردته في القائمة هو (٨/٢٨١) ثمانية آلاف ومائتان وواحد ومائون ديناراً ، وهذا يمثل المصرف اليومي لبلاط الخلافة ، ومع ذلك فقد كان المعتضد مقتصداً في نفقاته (٢) ؛ إذا اعتبر يومي الجمعة والثلاثاء عطلة رسمية ، و « منع من أن يفتح في هذين اليومين ديوان ، أو يخرج شيء إلى مجلس التفرقة على الجيش خاصة ، فوفر من مالها أربعة آلاف ديناراً وسبعمئة ديناراً وسبعين ديناراً » (٣) يومياً وهكذا فيكون معدل التوفير الشهري كما يذكر الصابي (٣٨١٦٠) (٤) ديناراً ، ويبدو أن هذا كان يحصل لمصلحة بيت مال الخاصة ، فقد رسم المعتضد « أن يحمل هذا الموفر إلى مؤنس الخادم ليجعله في بيت مال الخاصة ، ليصرف فيما يحتاج إليه من نفقات الموسم ، ومن يخرج في الغزوات الصائفة ، ونفقات الأبنية ، والمهمات والحوادث ، والمهمات ، والرسل ، والواردين ، والفداء (٥) » . ويبدو أن النفقات لم تقتصر على ما ورد في القائمة السالفة ، إذ تحمل ديوان النفقات المسؤولية في الإنفاق على الحرمين وطريقها وعلى الشغور ، وكذلك دفع رواتب القضاة في الولايات ، وولاية الحسبة والمظالم وأصحاب البريد ، ومع أن إضافة هذه الفقرات لم يرد في نص صريح ، غير أنه من الممكن الاستدلال عليها من مقارنة قائمة النفقات في أيام المعتضد سنة ١٧٩ هـ /

(١) الصابي - الوزراء ص/٢٧ .

(٢) ن . م . ص /٢٧ وانظر الدوري - تاريخ العراق الاقتصادي ص/٢٦٧ .

(٣) الصابي - الوزراء ص/٢٧ .

(٤) على اعتبار أن معدل أيام العطل الشهرية هو ثمانية أيام ، وقد أورد الصابي

ذلك وثبت مجموع التوفير السنوي الذي بلغ « ٤٥٧,٩٢٠ » ديناراً .

(٥) ن . م . ص /٢٧ .

٨٩٢ م بقائمة النفقات في الجريدة التي أعدها علي بن عيسى ^(١) لسنة ٨٣٠٦ = ٩١٨ م . وقد نقل لنا الثعالبي إحصائية طويفة عن تركة المكتفي بالله عند وفاته سنة ٨٢٩٥ / ٩٠٧ م ، وهي تعكس نوعاً من الإصراف الذي حصل خلال فترة حكمه في اقتناء الثياب والعمائم والسجاد والجواهر والعمود والأسلحة والرقائق والدواب ^(٢) . أما النفقات في زمن المقتدر فقد ارتفعت حتى بلغ مجموعها (٧٢) مليون دينار ، أي بمعدل قدره (٢ / ٨٨٠ / ٠٠٠) دينار سنوياً ، ولعل هذا يكفي لإعطاء صورة عن خطورة النفقات ، « والبذخ العجيب لهذا الخليفة ^(٣) » . وقد اضطر الخلفاء بعد المقتدر إلى الاعتدال في النفقات ، نتيجة ضعف الخزينة الذي نجم عن إصراف المقتدر ^(٤) .

وتجدر الإشارة هنا إلى ديوان « زمام النفقات » الذي كان يختص - كبقية دواوين الأئمة - بالناحية المالية فهو الذي كان يشرف على مراقبة حسابات ديوان النفقات وتدقيقها وكذلك الإشراف على أعمال « الأصل ^(٥) » ، ومع أن عمل الزمام كان يقتصر على الرقابة التي لا يمكن أن

(١) وردت الفقرات الخمسة المذكورة في كتاب « عنوان السير » وهو الترجمة التركية لتاريخ ابن خلدون ، ولم يرد ذلك في الطبعة العربية مما يدل على أن النسخ التي استخدمت للترجمة التركية أوفى من النسخ التي استخدمت أساساً للطبعة العربية في بعض المواضع . انظر زيدان - التمدن ١١٧/٢ .

(٢) الثعالبي - لطائف المعارف ص/٧٢ . الدوري - تاريخ العراق الاقتصادي ص/٢٦٧ .

(٣) الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد : ٥٢/١ ، ٥٣ . الدوري - تاريخ

العراق ص/٢٦٧ .

(٥) وهو قسم من الدواوين كان يختص بالنواحي الإدارية للبحثة .

تكون أهم من الأصل - لكنها سبيل لضبط أعماله - فقد اعتبر منصب متولي الزمام أحياناً أهم من منصب متولي الديوان نفسه^(١) ، ولذلك فقد كان يعهد به إلى ذوي المكانة والوجاهة^(٢) .

وما هو جدير بالملاحظة أن المتولي لديوان النفقات كان يتبدل عند تغيير الوزير ، ومثال ذلك ؛ ما نلاحظه في وزارة علي بن عيسى المقتدر سنة ٣١٥ هـ / ٩٢٧ م ، إذ عمل على تغيير كافة أصحاب الدواوين ، وبضمنهم صاحب ديوان النفقات ، ومتولي زمام النفقات والخزائن^(٣) ، وكذلك عمل ابن مقلة في السنة التالية والحاقاني بعدها^(٤) . ويبدو أن هذا التقليد قد نشأ وتطور بالتدريج ، لأن طبيعة منصب الوزير ومسؤولياته كانت تتطلب وجود ثقة تامة لدى الوزير بأصحاب الدواوين ، إضافة إلى الكفاءة التي تختلف وجهات النظر في تقديرها ، وعلى ذلك فقد أصبح كل وزير وكل طامع إلى الوزارة محاطاً بعصبة من المؤيدين له ، تأمل أن تتسلم الوظائف عند استيزاره .

(١) الصولي - أخبار الراضي ص/٦١ ، حيث يذكر أن محمد بن شبرزاد قد تولى ديوان النفقات ، « وتقلد الزمام عليه سعيد بن عمر بن سنكلا » كما يشعر بأن الزمام في نظر الصولي أهم ، وأن صاحبه أعلى مرتبة .

(٢) الصولي - أخبار الراضي ص/٦١ ، الصائي /٢٨٠ .

(٣) مسكوية - تجارب ١٥٢/٥ .

(٤) الصائي - الوزراء ص/١٤٠ . القرطبي - صلة /١٣٤ .

ديوان بيت المال (١) :

قولى هذا الديوان الإشراف على ما كان يرد إلى بيت المال في العاصمة من الأموال ، وما كان يخرج منه في وجوه النفقات والإطلاقات ، وعلى ذلك فقد كان يثبت في سجلاته جميع أصول الأموال في الدولة ، وكان يفرد لكل صنف سجل خاص به ، وما كان يجتمع من هذه الأموال فعلاً ، فقد أفرد لكل صنف من أصناف الواردات خزائن ، أو دواوين فرعية خاصة لحفظها وضبطها وهي كما يأتي :

١ - ديوان الخزانة : وكانت وظيفة هذا الديوان الإشراف على ما يتعلق بصنف الأموال النقدية والأقمشة .

٢ - ديوان الأهراء : وكان هذا الديوان يشرف على ما كان يرد من الغلال إلى بيت المال .

٣ - ديوان خزانة السلاح : وكانت مهمته الإشراف على ما كان يرد إلى بيت المال من السلاح والذخائر وما يستنفذ منها .

وشمل ديوان بيت المال بالإضافة إلى هذه الدواوين الفرعية الثلاثة ، على المجالس الإدارية الضرورية لتمشية أعماله ، كالإنشاء والتجوير والنسخ ، كما اشتق منه « ديوان الجهبذة » الذي سيرد الكلام عنه ضمن هذا البحث . وهكذا يتضح بأن ديوان بيت المال كان يقوم بالإشراف على ما يرد من الأموال ، وكان الغرض من وجوده إنما هو محاسبة صاحب بيت المال على ما يرد عليه من الأموال ، وما يخرج من ذلك في وجوه النفقات

(١) مقدمة - الجراج ٨ آ « مخطوطة » . وقد أطلق عليه فيما بعد « الديوان السامي » خلال القرن الخامس الهجري . انظر الحسن بن عبد الله - آثار الأول ص / ٧٢ .

والإطلاقات (١) ، ، وقد نظمت أمور هذا الديوان بدقة بحيث كانت جميع الكتب الصادرة إلى الدواوين ، والتي تتعلق بالنواحي المالية ، تمر قبل أن تصل إلى تلك الدواوين ، حيث يجري تثبيتها فيه ، وكذلك الأمر مع الكتب التي توجهها الدواوين المختلفة إلى صاحب بيت المال ، والتي تتعلق عادة بالأمور المالية ، وبذلك يكون اختصاص هذا الديوان « جامعاً للنظر في الأمور ومحاسباً على الأصول والنفقات (٢) » . وإذا ما حصل خلاف بين أصحاب دواوين الأصول والنفقات ، وبين ما يقدمه صاحب بيت المال من خلاصة « ختمة (٣) » المصروفات ، أحال الوزير الأمر إلى متولي ديوان بيت المال ليدرس الخلاف الحاصل ، ويعطي التوصية بشأنه إلى الوزير على ضوء ما أثبت عنده من نسخ الكتب الصادرة من صاحب بيت المال والواردة عليه من الدواوين الأخرى (٤) .

وقد كان لصاحب ديوان بيت المال علامة أو ختم « يؤشر بها على الكتب والصكوك والإطلاقات ، يتفقدتها الوزير أو من ينوب عنه ، ويراعونها (٥) » ، ويطالبون بها كشرط لقبولهم تلك الكتب . وقد كان تحفظهم هذا ضرورياً لئلا يحصل تلاعب من الناحية المالية أولاً ، ولكي يتأكدوا من أنها قد جرى تأشيرها في ديوان بيت المال من أجل ضبط

(١) قدامة - الخراج ٩ آ « مخطوطة كوبريلي » .

(٢) قدامة - الخراج ص/٩ آ « مخطوطة كوبريلي » .

(٣) الختمة : خلاصة الحساب الشهري كان الجهد يرفعه في كل شهر بالاستخراج والجمال والنفقات والحاصل ، كأنه يختم الشهر به ، وسيرد تفصيل ذلك في آخر هذا الديوان ، عند الحديث عن الجبذة . انظر مفاتيح العلوم ٣٧ ، متز ١/١٩٢ .

(٤) قدامة - الخراج ص/٩ آ مخطوطة . (٥) ن ٢٠٠ ص/٩ آ .

الحسابات فيه ، وعدم إفساح المجال لاختلال أمر هذا الديوان ، ولتكمال العمل فيه (١) .

وهكذا فإن ديوان بيت المال كان إذا روعيت أعماله ، واستوفيت تعليماته ، كان مال الاستخراج في مركز الخلافة ، وما يرد من الأموال في أنحاء الدولة المختلفة مضبوطاً فيه ومعالمها ، مما كان يسهل عمل الوزير في موازنة الدخل والمصروفات (٢) ، تلك الموازنة التي كانت تأخذ قسطاً كبيراً من أوقات الوزراء وجهدهم .

وفي عام ٣١٥ هـ / ٩٢٧ م (٣) حصل تطور جديد في علاقة بيت المال بالوزير ، كان الهدف منه إبقاء الوزير على علم تام ومستمر بوضعية بيت المال ، فقد اعتمد الوزير علي بن عيسى عند توليه الوزارة هذه السنة ، على من أثبت (٤) أمور المال عنده ، وفوضه تتبع أعمال صاحب بيت المال فيما كان يردده ، أو كان ينفقه من الأموال يوماً بيوم ، ومطالبته بالروزنامجات (٥) التي كان يجب أن يقدم فيها خلاصة بالحساب في كل أسبوع للوزير ، وبذلك فقد أصبح الوزير على علم دائم بما كان يحل في بيت المال ، وما كان يخرج منه ، وما كان يتبقى فيه ، خلافاً لما كان العمل جارياً بموجبه قبل ذلك ، إذ كانت

(١) ن . م . ص / ٩ ب .

(٢) مسكويه - نجارب ١٥١/٥ ، وانظر الصابي الوزراء - ص / ٣١٤ .

(٣) ذكر آدم منز - الحضارة ١٣٢/١ بأن ذلك قد حصل في سنة ٣١٤ هـ /

٢٩٢٣ م ، والمرجح عندي ما أثبتته في المتن ، فقد ذكره مسكويه ضمن أخبار سنة ٣١٠ هـ .

(٤) يذكر مسكويه ١٥١/١ بأنه « إبراهيم بن أيوب » .

(٥) الروزنامجات : أصل الكلمة فارسي مشتق من « روز » التي تعني « اليوم »

وعليه فالكلمة تدل على السجل اليومي ، ومما يلفت الانتباه أن هذا اللفظ كان مستعملاً

للدلالة على نفس المعنى في مصر أيام الحكم الفاطمي ؛ المقريزي - إغاثة ص / ٢١ .

تصفية حساب الشهر لا تقدم إلى الوزير إلا بعد منتصف الشهر التالي ،
وباستمرار حتى هذا التاريخ (١) .

وهكذا فقد أصبح العمل في هذا الديوان منسقاً منظماً بما يتناسب
وأهميته ؛ إذ « هو في الحقيقة كافل لمرجو المملكة وحامل أثقالها وعامل
لنمو الدولة (٢) » ، وإن تنظيمه والعناية به ضروريان ، وذلك لأن
صاحب هذا الديوان « إذا أحكم معرفة أصول الأموال استظهر على
استخراج أحكامها (٣) » ، وضمن استيفاء جبايتها ، بما كان ينعكس أثره في استقرار
الناحية المالية للدولة .

وبما هو جدير بالملاحظة أننا نستطيع التمييز بوضوح بين بيتين للمال
في الدولة العباسية وذلك اعتباراً من الثلث الثاني من القرن الثالث الهجري ؛
أولهما « بيت مال الخاصة » : الذي كان تحت السيطرة المباشرة للخليفة ،
واختص بيت المال هذا باستلام واردات ضياع الخليفة وأملاكه ، وما كان يأمر
بإيداعه فيه من واردات أخرى ؛ ففي سنة ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م مثلاً ؛ قام
المعتضد بإجراءات تمكن عن طريقها من توفير مبلغ (٤٥٧ / ٩٢٠)
ديناراً سنوياً من أموال ديوان النفقات « ورسم أن يحمل هذا الموفر إلى
مؤنس ليجعله في بيت مال الخاصة (٤) » ، ويتصرف الخليفة في بيت المال
هذا بالإنفاق منه لأغراضه الخاصة ، أو ما يأمر به « كنفقات الموسم ،
ومن يخرج من الغزوات الصائفة ونفقات الأبنية والمومات والحوادث والمهمات

(١) مسكويه - تجارب ١٥٢/٥ . وانظر الصائي - الوزراء ص/٣٠٣ ، ٣٠٦ .

(٢) الوزير أبو سالم - العقد الفريد للملك السعيد ص/١٥٨ وما بعدها .

(٣) ن ٢٠٠ ص/١٥٩ . (٤) الصائي - الوزراء ص/٢٧ .

والرسل الواردين والقداء (١) .

أما ثانيها فقد كان : « بيت المال » أي خزانة مال الدولة ، وكان يدار عادة من قبل الوزير ، أو من بيده مقاليد الإدارة وتصريف أمور الدولة (٢) ، وكان يقوم بيت المال هذا باستلام واردات الدولة ، كما كان يقوم بتنفيذ أوامر الصرف على مرافقها المختلفة (٣) . ولعل سبب التمييز بين هذين الديوانين يرجع بالدرجة الأولى إلى سيطرة الأتراك وسيادتهم ، وتحكمهم في شؤون الدولة المالية على وجه الخصوص من جهة ، وإلى رغبة الخلفاء في ضمان وجود وحفظ أموالهم الخاصة بهم من عبث الأتراك من جهة أخرى (٤) . ومع ذلك فإن الباحث لا يلاحظ في البداية تمييزاً بين بيتي المال هذين ، إزاء رغبة الخلفاء ، إذ كان بمقدورهم التصرف في « بيت المال » كما يشاؤون دون أدنى اعتراض من أحد ، وفي مقابل ذلك ، فقد كان يحدث أن يتصرف الوزير - بموافقة الخليفة - في أموال « بيت مال الخاصة » عند الحاجة ، فقد كان هذا البيت خير سند لحزينة الدولة

(١) ن ٢٠٠ ص ٢٧٠ .

(٢) تحكيم قادة الأتراك فيه خلال فترة سبع السنوات التي أعقبت مقتل المتوكل ، وتحكيم الموفق به خلال فترة حكم المعتمد ، « وأمير الأمراء » بعد ذلك . انظر الطبري - تاريخ : ١١/٨٦ ، ٢٥١ . ابن كثير - البداية : ١١/٣٦ ، وكذلك الصولي - أخبار الرازي ص ٨١ . مسكويه - تجارب : ٥/٣٥٠ . الهمداني : ١/١٢٢ .

(٣) لم يكن بيت المال مسؤولاً عن الصرف إلا على نفقات دار الخلافة والداوين والحرمين وطريقها والثغور ، ورواتب القضاة في الولايات ، وولات الحسبة ، والمظالم ، وقد أشرت إلى ذلك عند حديثي عن ديوان النفقات في هذا البحث . وانظر مسكويه - تجارب : ٥/١٩٣ ، ١٩٤ . وكذلك التنوخي - الفرج : ١/٥١٠ .

(٤) الدوري - النظم الإسلامية ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ .

« بيت المال » في أوقات الأزمات ، ومثال على هذا ما حصل عند مجابهة الدولة العباسية لثورة الزنج ، إذ وجهت كافة الواردات بدون تمييز إلى معسكر (الموفق) بالمدينة التي أمماها الموفقية (١) ، ومن أمثلة ذلك أيضاً ما حصل بعد القضاء على فتنة ابن المعتز واستقرار المقتدر في منصب الخلافة إذ « فوض الأمور إلى أبي الحسن بن القرات . . . فما زال أبو الحسن ينفق الأموال من بيت مال الخاصة ، ويبذر تبذيراً مفرطاً حتى أتلفها (٢) » .

ووجد سليمان بن الحسن في بيع الضياع السلطانية مورده الأول لسد النفقات (٣) ، وكان الخاقاني قد « أطلق أيدي أولاده وكتابه بالتوقيعات والصلات والإطلاقات والإقطاعات (٤) والتسويغات (٥) وتخفيف الطسوق (٦) والمعاملات وأخذ المرافق (الرشاوى) على إضافة الحقوق وإسقاط الرسوم . . . فاشتدت المطالبات وشغب الجند . . . (٧) » فاضطر إلى أن يخرج لهم الأموال من بيت مال الخاصة (٨) .

(١) الطبري - تاريخ : ٢٧٩/١١ . وانظر الدوري - دراسات ص/٩٨ ، ٩٩ .

(٢) مسكويه - تجارب : ١٣/٥ .

(٣) بون - علي بن عيسى ص/٢٩٩ ، وانظر الدوري دراسات ص/٢٢٩ .

(٤) الإقطاع : أن يقطع السلطان الرجل أرضاً فتصير له رقبته .

الحوارزمي - مفاتيح / ٤٠ .

(٥) التسويغ : أن يسوغ الرجل شيئاً من خراجه في السنة ، أي : يعفى

من بعض خراجه ، انظر الحوارزمي - مفاتيح العلوم ص/٤٠ .

(٦) الطسوق : جمعها طسوق ، هي وظيفة توضع على أصناف الزرع لكل

جريب ، أي الضريبة .

(٧) الصابي - الوزراء ص/٢٨٤ ، ٢٨٦ . وانظر القرطبي - صلة : ١٦٤ .

ابن الطقطقي : ٢٤٧ .

(٨) افترض من بيت مال الخاصة مبلغ « ٧٠ » ألف ديناراً ، مما أغضب المقتدر

فاضطر إلى الاستقالة . انظر الدوري - دراسات ص/٢٢٩ .

كانت إدارة بيت المال (خزانة الدولة) تجري عادة من قبل صاحب الديوان ، الذي كان على صلة وثيقة بالوزير ، الذي كانت الأموال تصل إلى بيت المال عن طريقه ، وكان إصدار الأوامر إليه بالصرف يقتصر على الخليفة والوزير ، وعليه فإن طبيعة إجراءات الوزير المالية كانت تؤثر عليه مباشرة ، فقد ارتبكت أعمال هذا الديوان مثلاً في وزارة الخاقاني الأولى ، لأنه كانت « ربما وردت رسائل بجمول وكتب ، فيها سفائح ^(١) بمال » ، فكانت تبقى أياماً لاتنقض ^(٢) .

وكان الطبيعي أن يجري تبديل صاحب ديوان بيت المال عند عزل الوزير ، واستيثار غيره ؛ وذلك لأن طبيعة الأمور كانت المالية تتطلب ثقة متبادلة بين صاحب هذا الديوان والوزير ، بالإضافة إلى الكفاءة التي كان يشترط توفرها فيه ^(٣) . ولعل ذلك يبرر تسمية بعض كتاب هذا الديوان الذين كانوا يتصرفون في أموره ، دون علم الخليفة أو الوزير ، « بالكتاب الحونة » بعد عزلهم وتوجيه عقوبات قاسية ضدهم ^(٤) .

(١) السفتجة أم إدارة للمعاملات المستندة إلى الائتمان ويقصد بها « أن يعطي (رجل) مالاً لآخر ، وللأخذ مال في بلد المعطي ، فيوفيه إياه ثم (أي هناك) فيستفيد من الطريق » لسان العرب : ١٢٣/٣ . نأج العروس : ٥٨/٢ . القاموس المحيط : ١٩٤/١ . معجم البحريين ص/١٥٥ ، راجع الدكتور الدوري : « أنها أوجدت كوسيلة لتجنب أخطار المواصلات ، وأنها كانت تجري باتفاق فردي ، ثم شاع استعمالها في القرن الرابع الهجري حتى صارت عاملاً مهماً في الحياة الاقتصادية إذ أخذ الولاة يرسلون ما زاد من دخل ولايتهم إلى بغداد بسفائح » . الدوري - تاريخ العراق الاقتصادي ص/١٧٤ .

(٢) الصابي - الوزراء ص/٢٨٤ ، ٢٨٦ .

(٣) انظر مثلاً ما أورده الصابي - الوزراء ص/١٤٠ . التنوخي - نشوار ١٣/٨ .

الهمداني - التكملة : ١١١/١ . ابن الأثير - الكامل : ٤٩/٧ .

(٤) ابن كثير - البداية : ١٦/١١ .

الجهيزة

لقد ظهرت في أواخر القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) ، ضريبة جديدة عرفت باسم « مال الجهيزة » ، وقد وصفها علي بن عيسى بأنها كانت « بلاء » على الناس ^(١) ، كما كان يتعجب مما يجري من أمرها بنواحي المغرب ^(٢) ، وعندما اعترض عليه أبو العباس ابن الفرات على تقديره لواردات الموصل والزابدين بقوله : « ما أرى لمال الجهيزة في هذا العمل ذكراً » أجاب « هذا ما لا أعرفه في أصل ولا مضاف ، فإن يكن من مال السلطان فهو بمنزلة ما يؤخذ من الذيل ويرقع به الجيب ، أو يكن من مال الرعية فهو ظلم ، وطريق للجهيزة إلى أخذ أموال المعاملين ^(٣) » ، وأوضح بأن هذه المناطق قد افتتحت حديثاً ، وأن السياسة الحكيمة تقضي أن « يعامل أهلها بالإنصاف ، وتخفف عنهم المؤن ، لتحلو لهم سياسة السلطان ^(٤) » . فقال ابن الفرات يرد عليه : « هذا باب من أبواب الارتفاع ، لا يجوز أن يتوك ويضاع ، فيلحقنا من السلطان استبطاء وإنكار ، وتقدير ما يجب في هذه النواحي من ذلك (أي من مال الجهيزة) عشرة آلاف دينار ^(٥) » ، وما إن سمع الوزير ^(٦) بذلك ، حتى أقر رأي ابن الفرات فقال : « سبيل هذه النواحي سبيل غيرها من نواحي السواد ^(٧) » .

-
- (١) الصابي - الوزراء ص / ٢٧٨ : وانظر الدوري - تاريخ العراق الاقتصادي ص / ٢٠٦ .
- (٢) ن . م . ص / ٢٧٧ . (٣) ن . م . ص / ٢٧٧ .
- (٤) ن . م . ص / ٢٧٧ . (٥) ن . م . ص / ٢٧٧ .
- (٦) الوزير عبيد الله بن سليمان ، كان وزيراً للمعتمد حتى وفاة الخليفة ، أبقاه المعتضد في وزارته وتوفي في الخدمة سنة ٢٨٨ هـ / ٨٩١ م .
- (٧) الصابي - الوزراء ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ .

ومن هذه الرواية يمكن أن نستدل على أهمية مال الجبهة^(١) ، وعلى أنه كان ضاراً بمصالح الناس ، ومألوفاً في التقاليد الادارية في تلك الفترة^(٢) .

ويبدو أنه كانت هناك شعبة فرعية ، أو ديوان فرعي تابع لديوان بيت المال ، أطلق عليه اسم « ديوان الجبهة^(٣) » . كان يقوم بتصريف الأمور فيه كتاب اختصوا بالحسابات والأمور المالية ، يطلق عليهم « الجهابذة^(٤) » أما الغرض منه فهو تدقيق حسابات الواردات والمصروفات الفرعية ، التي كانت لا تدخل في فصول الأموال الرئيسية الخاضعة للدواوين المختلفة ، فيجري فيه من الأموال مال الكسور^(٥) والكفاية والوقاية والرواج^(٦) ومايجري

(١) كتب الدكتور الدوري في تاريخ العراق الاقتصادي بحثاً ممتعاً عن الجبهة وأصلها التاريخي ، وتطورها ، من المهم الرجوع إليه في دراسة النظم : ص/١٥٧ ، ١٦٩ .

(٢) الدوري - تاريخ العراق الاقتصادي ص/٢٠٧ .

(٣) قدامة - الخراج ص/١٩ ب . الصائي - الوزراء ص/٢٦٢ .

(٤) عرف ابن ماتي - قوانين الدواوين ص/٩ : الجبهة بأنه « كاتب يرسم الاستخراج والقبض وكتب الوصولات وعمل الخاريم والختمات وتواليها ، ويطلب بما يقتضيه تخريج ما يرفعه من الحساب اللازم له لا الحاصل » ويبدو أن هذا اللفظ كان قديم الاستعمال في مصطلح الدواوين الإسلامية .

(٥) الكسور : يعرفها الخوارزمي في مفاتيح العلوم ص/٤٠ ، ٤١ : بالمال المنكسر الذي لا يطمع في استخراج له لغير أهله ، أو موتهم ، أو نحو ذلك ، وكان المهتدي قد أمر بإسقاط هذه الكسور عما بقي من الزرع على المساحة ؛ ويذكر جرجي زيدان في تاريخ التمدن الإسلامي ج ٢ ص ١٢١ : بأن المنصور لما جعل خراج العراق مقاسمة ، بقي بعض الأراضي على الرمم القديم للخراج المقدر على أساس المساحة ، وكان ينكسر على أصحاب تلك الأراضي بقايا في كل سنة ، والسلطة تطالب به .

(٦) تفعيل من الأوراج ، بأن ينقل ما على الإنسان ، ويثبت فيه ، ويؤديه ، دفعة بعد أخرى ، إلى أن يستوفي ما عليه .

مجري ذلك من توابع أصول الأموال^(١) ، . يضاف إلى ذلك « ما يستزيد » شرار الجهابذة من الفضول على هذه التوابع بسبب إعانات من عليه مال من أهل الخراج ، ومن مجري مجرام من النقود والصروف وما يرتفقون (يرتشون) به من التقديم والتأخير ، عن يتعذر عليه الأداء في وقت المطالبة^(٢) ، . وقد سببت هذه الحرية التي تمتع بها الجهابذة في إضافة الزيادات إلى الأموال المستحقة ، دون حق ؛ إلى أن تصبح « الجهبذة » وظيفة مغرية يتنافس عليها طلاب الأرباح من الكتاب ، إذا حدث وشغرت من جهبذ ، لا بل لقد تعدى الأمر ذلك حتى أصبحت المزايدة ، في ضمان الجهبذة في أي ناحية من النواحي ، على من هو ضامن لها ، أمراً مألوفاً ، « فوقع التزايد في هذه الوجوه بالظلم والعدوان على الرعية ، وسائر من يقام لهم الجاري ، وتطلق لهم النفقة ، حتى تراقى مال الجهبذة إلى جمل وافرة المبلغ ؛ أصل أكثرها عدوان^(٣) . وقد حفظ لنا القمي عهد تولية صادر من المقتدر بالله إلى أحد الجهابذة^(٤) ، يمكن أن نفهم منه بأن مال الجهبذة كان يمثل - من الناحية النظرية على الأقل - أجرة الجهبذ على خدماته ، وأنه كان يتناسب وما يمر بيد الجهبذ من أموال ، وأنه كان يجبي من دافعي الضريبة ، ولعل في ذلك ما كان يسبب إرهابهم^(٥) .

(١) قدامة - الخراج ص/٢٠ آ . (٢) ن. م. ص/٢٠ ب .

(٣) قدامة - الخراج ص/٢٠ ب « مخطوطة كوبرلي » . مترز - الحضارة : ١٣٧/١ .

(٤) القمي - تاريخ قم ص/١٥٩ ، ١٦١ . وانظر الدوري - تاريخ العراق

الاقتصادي ص/٢٠٧ .

(٥) الدوري - ربح العراق الاقتصادي ص/٢٠٧ .

ولقد استمرت جباية هذه الضريبة حتى سنة ٣١٥ هـ / ٩٢٧ م (١) ،
ثم اتجهت نحو الزوال تدريجياً « وذلك لأن الأصول بطلت فضلاً عن
التوابيع (٢) » .

وأخيراً تجدر الإشارة إلى أنه كان على رئيس ديوان الجبذة تقديم خلاصة شهرية
لحسابات بيت المال ، كانت تعرف بـ « الختمة (٣) » وكان الرسم في
الختمة إذا عملت ألا ترفع إلى الديوان عن الشهر إلا في النصف من الشهر
الذي يليه (٤) . كما كان عليه إعداد خلاصة سنوية بالواردات والمصروفات
والمتبقى من الأموال ، كانت تعرف « بالختمة الجامعة (٥) » .

ديوان الجيش

ويسمى أحياناً ديوان الجند (٦) ، وكان يجري فيه تصريف أمور الجند ،
وكانت تحفظ فيه « الجريدة السوداء (٧) » وهو سجل خاص بأسماء الجند وأوصافهم .

(١) يقول قدامة - الخراج ص/٢٠ ب : « وقد زال أكثر ذلك في هذا الوقت » ،
وقد كتب قدامة كتابه هذا في حدود سنة ٣١٥ هـ / ٩٢٧ م .

(٢) قدامة - الخراج ص/٢٠ ب - ٢١ آ « مخطوطة كوبريلي » .

(٣) ن . م . ص / ٩ آ .

(٤) ن . م . ص : مسكويه - تجارب : ٢٥٦/٥ ، وانظر منز -
الحضارة : ١٣٢/١ .

(٥) الخوارزمي - مفاتيح العلوم ص/٣٧ .

(٦) قدامة بن جعفر - الخراج ص/١ ب - ٢ آ « مخطوطة كوبريلي » .

(٧) يذكر الخوارزمي بأنها كانت « من دفاتر ديوان الجيش » ، وكانت تملأ
في كل سنة بأسماء الرجال وأنسائهم وأجناسهم وحلامهم ومبالغ أرزاقهم وقبوضهم
وسائر أحوالهم « انظر مفاتيح العلوم ص/٣٨ .

وأنسابهم وأجناسهم ومقدار عطاء كل منهم وموعد استحقاقه (١) ، وكان هذا السجل يعتبره الأصل ، الذي كان يرجع إليه في هذا الديوان (٢) ؛ ويمكن القول بأن هذا الديوان كان هو استمراراً للديوان الذي أنشئ على عهد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ، وتطور خلال العصر الأموي ، ووصل إلى أوج تطوره خلال العصر العباسي .

ويذكر قدامة بن جعفر أن هذا الديوان كان يتألف من المجالس التالية :

- ١ - مجلس الإنشاء
- ٢ - مجلس التحوير
- ٣ - مجلس النسخ
- ٤ - مجلس الاسكدار
- ٥ - مجلس التقدير
- ٦ - مجلس المقابلة (٣)
- ٧ - مجلس الإعطاء والتفرقة (٤)

وكانت المجالس الثلاثة الأولى تختص بالأمر الكتابية المتعلقة بديوان الجيش ، كإنشاء الكتب وتحويرها ونسخها ، وحفظ نسخ منها (٥) . أما المجلس الرابع « الاسكدار » (٦) ، فكان يقوم بتنظيم الأوامر والكتب ، الصادرة

(١) قدامة - الخراج ص/١ ب «مخطوطة كوبريلي» .

(٢) الخوارزمي - مفاتيح ص/٣٨ .

(٣) قدامة - الخراج ص/١ ب «مخطوطة كوبريلي» . وانظر الصايي - الوزراء ص/١١٧

(٤) لم يذكر قدامة ، غير أن الصايي أشار إليه « الوزراء ص/٢٦ » فذكر كتاب

دواوين الإعطاء وخلفائهم على مجالس التفرقة . وانظر الخوارزمي مفاتيح ص/٤٣ .

(٥) نقشابه أعمال هذه المجالس مع أعمال مثيلاتها في الدواوين الأخرى . انظر

ديوان الخراج في هذا المبحث .

(٦) الخوارزمي - مفاتيح ص/٤٢ .

والواردة؛ وتصنيفها ، بعد عرضها على صاحب الديوان ، وبعمل خلاصات بما يرد من كتب ، بحيث تكون جاهزة ، ليطلع الخليفة أو الوزير عليها وقت الحاجة .

أما مجلس التقدير^(١) : فهو الذي كان يختص بتحديد رواتب الجند ، وأوقات إعطائهم وتقدير أرزاقهم^(٢) ، وإحصاء النفقات الأخرى التي يجري صرفها على الجيش ، من تلميظ^(٣) وسلف^(٤) وزيادة^(٥) ، كما كان يقوم بعمل المقاصة^(٦) . وعلى ذلك فإن أكثر الأعمال المالية لديوان الجيش كان يجري تصريفها عن طريق هذا المجلس^(٧) .

وكان مجلس المقابلة^(٨) : يقوم بمراقبة كفاءة الجند بعد إثباتهم^(٩) ،

(١) توم آدم متز : فقرأها « مجلس التقرير » والصحيح « مجلس التقدير »
قدامة - الخراج / ١٣ .

(٢) الرزق : إقامه الطمع ، وهو وضع العطاء ، أي الابتداء فيه ، انظر الخوارزمي ص/٤٣ .

(٣) التلميظ : أن يطلق لثائفة من المرتزقين بعض أرزاقهم قبل أن يستحقوا .

(٤) السلف : أن يطلق لهم أرزاقهم كلها قبل أن يستحقوها . الخوارزمي - مفاتيح ٤٢ .

(٥) الزيادة : أن يزداد للرجل في جاريه شيء معلوم . الخوارزمي - مفاتيح ص/٤٢ .

(٦) المقاصة : أن يجبس من القابض ماله ما كان نلظه واستلفه من رزقه بحق بيت المال ؛ انظر الخوارزمي - مفاتيح ص/٣٠ .

(٧) قدامة بن جعفر - الخراج ص/٢٠ آ « مخطوطة كوبريلي » .

(٨) ورد ذكره في الصابي عند حديثه عن سليمان بن الحسن ، الذي كان يتولى مجلس

المقابلة في الديوان لعلي بن عيسى : الوزراء ص/١١٧ . وانظر مسكويه -

تجارب : ١٥/٥ . التنوخي - نشوار ١١٥/٨ . الفرج : ١١٠/١ .

ابن الأثير - حوادث سنة ٢٩٦ .

(٩) الإثبات : أن يثبت اسم الرجل في الجريدة السوداء ، ويفرض له رزق .

وتصفح سجلاتهم ومنازل أرزاقهم ، وما يتعلق بكل منهم من تحويل^(١) ، أو وضع^(٢) ، أو نقل^(٣) ، أو فك^(٤) ، أو ساقط^(٥) ، أو مغل^(٦) ، وكان يقوم بمراقبة ما كان يرد إلى ديوان الجيش من دفع المنفقين ، وحل مشاكلهم ، كما كان يعنى عناية خاصة برفع مستوى التدريب واستمراره ، وقد استعمل كتاب هذا المجلس مصطلحات كثيرة غريبة خاصة به ، نقلها لنا قدامة ابن جعفر ، وأشار إلى أن بعضها : « لا يوافق ما عليه مجرى اللغة^(٧) » .

وكان مجلس الإعطاء والتفوق : كما يظهر من اسمه يختص بتوزيع العطاء أو الرزق على أفراد الجيش بمختلف مراتبهم^(٨) . وكان الأشخاص المشرفون على التوزيع يقومون بتقديم تصفية حساباتهم عن طريق هذا المجلس إلى صاحب

(١) التحويل : أن يحول الرجل من جريدة إلى أخرى . انظر الخوارزمي -

مفاتيح / ٤٣ .

(٢) الوضع : أن يخلق على اسمه ، فيوضع عن الجريدة السوداء .

(٣) النقل : أن ينقل الرجل بعض ماله في الجريدة إلى رجل آخر .

(٤) أي يصحح اسمه ورزقه في الجريدة .

(٥) الذي يموت أو يستغنى عنه .

(٦) الذي أدخل بمكانه ، ولما يوضع بعد . انظر الخوارزمي - مفاتيح ص / ٤٣ .

(٧) يقول قدامة : « ونأخذ في تعريف ما يستعمله الكتاب (في هذا

المجلس) من وصف الحلي وشيات الدواب على ما جرت به عادتهم وألفوه ،

وإن كان بعض ذلك لا يوافق عليه مجرى اللغة » الخراج - مخطوطة كوبريلي

ص / ٢٢ - ٢ ب .

(٨) الصابي - الوزراء ص / ٢٧ .

ديوان الجيش^(١) .

وبعد أن أثبتنا المجلس التي كان يتألف منها ديوان الجيش ، يمكن ملاحظة ما يأتي :

١ - أنه كان لكل مجلس من المجالس التي أشرت إليها آنفاً والتي تألف منها ديوان الجيش ، شعباً في بعض الأماكن ، خاصة بصنوف العساكر وقد أشار قدامة^(٢) - مثلاً - إلى ثلاث منها :

أ - العسكر المنسوب للخاصة .

ب - العسكر المنسوب إلى الخدمة .

ج - ما في النواحي من البعوث .

٢ - كان الجند يصنفون في هذا الديوان بحسب الفقرات التي يستلمون فيها أعطياتهم ، ومن دراسة الوثيقة التي حفظها لنا الصابي^(٣) عن الضمان الذي أبرم في بداية عهد المعتضد ، ومقارنتها بما وصلنا من كتاب الحراج لقدامة بن جعفر^(٤) ، يمكن القول بأن الجند في ديوان الجيش قد صنفوا كما يلي :

(١) تعرف هذه الخلاصة بـ « الرجعة » ويعرفها الخوارزمي في مفاتيح العلوم

من/٨ بأنها « حساب يرفعه المعطي في بعض العساكر بالنواحي لطمع واحد إذا رجع إلى الديوان » وقد ميز بينها وبين الرجعة الجامعة « التي يرفعها صاحب ديوان الجيش (إلى الوزير) لكل طمع من صنوف الإنفاق » .

(٢) قدامة - الحراج « مخطوطة - كوبريلي » ص/٢ ب .

(٣) الصابي - الوزراء ص/١٥ ، ٢٧ . وانظر مجلس الجاري في ديوان النفقات

في هذا البحث .

(٤) قدامة - الحراج « مخطوطة كوبريلي » ص/١٠ أ - ٧ ب .

آ - الجلبليون الأحرار^(١) : وكان مجري دفع الأرزاق لهم على ثلاثة أقساط سنوياً ، وقد حصل خلاف بسيط في حساب الأيام بين الصابي^(٢) الذي استقى معلوماته من وثيقة رسمية ، وقدامة^(٣) الذي أثبت خبراته العلمية ، فيشير الأول إلى صنف من الحرس كان يستلم كل (١٢٠) يوماً ، بينما يذكر قدامة اسم الصنف ذاته ، فيقول بأن الدفع لهم كان كل (١٢٢) يوماً ، ولعل هذا الخلاف قد حصل نتيجة كون قدامة قد ثبت ما كان موجوداً أثناء كتابته ، وذلك متأخر عن تاريخ الوثيقة^(٤) .

ب - التسعينية : ولعل اسم هذا الصنف مشتق من كونهم كانوا يستلمون أرزاقهم كل (٩٠) يوماً ، وبذلك كان استلامهم بمعدل أربع دفعات في السنة ، ونفهم من وثيقة الصابي ؛ أنهم كانوا يستلمون مع أرزاقهم ثمانين^(٥) قضيم دواهم وعلوفتها^(٥) ، وذلك حتى وزارة عبيد الله بن سليمان المعتضد بالله ، حيث أمر هذا الوزير بإسقاطها^(٦) .

(١) قدامة - الخراج « مخطوطة كوبريلي » ص/١ - آ - ٧ ب .

(٢) الصابي - الوزراء ص/١٨ .

(٣) قدامة - الخراج « مخطوطة كوبريلي » ص/٢ ب .

(٤) لو دققنا حساب الأيام لوجدنا أن هذا الصنف كان يستلم ثلاث دفعات كل

« ٣٦٠ » يوماً بحسب ما يذكر الصابي : وكل « ٣٦٦ » يوماً بحسب ما يذكر قدامة :

(٥) وهو : للدابة أربعة دنائير كل خمسة وثلاثين يوماً ، وللبغل ثلاثة دنائير ونصف ،

وللحمار برسم الرجالة ديناران . انظر الصابي - الوزراء ص/١٨ ، ١٩ .

(٦) الصابي - الوزراء ص/٢٦ .

ج - المختارون^(١) : وكانوا يستلمون أرزاقهم كل (٧٢) يوماً^(٢) وبذلك كان استلامهم خمس دفعات سنوياً .

د - أصحاب المشاهدة على (٣٣) يوماً : وكان قبضهم في السنة أحد عشر دفعة^(٣) .

٣ - وكان هناك أحكام^(٤) اعتاد كتاب ديوان الجيش^(٥) على اتباعها ، ويرى قدامة بن جعفر أنها كانت « تجري على غير سبيل العدالة » . ومن تلك الأحكام ما كان يعرف بـ « التقريب » وهو : أن الرجل الذي كان يتأخر^(٦) في استلام راتبه وقت استحقاقه ، كان لا يدفع له ذلك الراتب ، بحجة أن ذلك توفير لبيت المال ، وكلما تقادم الزمن على ذلك ، تأكد عندهم وجوب إبطاله وسقوطه والالتزام بعدم دفعه . وكان من أحكامهم هذه أنه : كان لا يجوز أن يزداد لأي رجل

(١) ورد ذكرهم في الصنف السابع من أصناف الرواتب في مجلس الجاري من ديوان النفقات في هذا الكتاب . وقد أشرت في ذلك الموضوع إلى سبب هذه التسمية ، كما أشرت إلى بعض فرقهم ، وانظر الصابي - الوزراء ص/١٩ .

(٢) حصل خلاف هنا أيضاً بين قائمة الصابي وما أورده قدامة ، فقد ذكر الصابي بأنهم كانوا يستلمون كل « ٧٠ » يوماً ، (نظر الحاشية (١) أعلاه ، وما أثبتته في المتن من قدامة - الخراج ص/٥ ب « مخطوطة كوبريلي » ، لأنه يمثل الفترة التي أبحاثها .

(٣) لم يشر الصابي إلى هذا الصنف ، وإنما ذكر أنه كان هناك صنف كان يستلم كل « ٣٠ » يوماً .

(٤) قدامة - الخراج ص/٦ أ « مخطوطة كوبريلي » .

(٥) ترد أحياناً أسماء بعض كتاب ديوان الجيش ، دون تحديد للمجلس الذي

كانوا يشتغلون فيه . مثلاً انظر الصولي - أخبار الراضي ص/١٤٧ ، الصابي - الوزراء ص/٢٥ . ابن الجوزي - المنتظم : ج ٥/٣٥ « خالد بن يزيد » .

(٦) المتأخر : الذي كان يتأخر عن مجلس الإعطاء وقت التفرقة ، انظر

الخوارزمي - مفاتيح / ٤٣ .

من الجند أكثر من مبلغ راتبه ، مهما كان راتبه قليلاً ، حتى وإن أبلى في الحرب بلاء حسناً ، فرأى القائد والإمام أن يضاعف راتبه أكثر من مرة ، وهذا في رأي قدامة « حكم فاسد على غير سبيل العدل » (١) .

وبما تعارف عليه كتاب ديوان الجند ، أن يكون ما يدفع إلى الرجل في الجيش من استحقاقه أقل مما توجب له ، بحيث يكون له استحقاق شهر كامل موقوفاً . وبما كان يجري هذا المجرى ؛ أن الرجل من الجند كان إذا نقل من محله إلى محل آخر ؛ كان لا يجري نقل خلاصة راتبه أو حساباته معه ، بل كان يتروك ذلك ويهمل ، ويباشر بدفع راتبه ، أسوة بنظرائه في المحل الجديد . وهذا أمر لم يجر على سبيل العدل من وجهة نظر قدامة ، كما لم يتسم بالدقة والضبط ، لأنه كان قد يصل بعد توزيع الراتب بيوم واحد مثلاً ، فلا يستلم إلا بعد مرور شهر كامل آخر . كما أن من المحتمل أن يكون قد استلم راتبه في محله الأول قبل نقله ، وأنه وصل قبل توزيع أرزاقه نظرائه في المحل الجديد ، فيستلم معهم ، ويكون بذلك قد استلم رزقه مرتين عن فترة الخدمة نفسها . ومن الطبيعي أن اعتبر مثل هذا الإجراء مخالفاً لأحكام العدل التي توجب أن يكون الأمر واحداً في كل الحالات ، من غير إفراط أو تفريط ، ودون أن يتروك ذلك للصدف والاتفاق ، مما يسبب الإساءة إلى البعض ، أو تحقيق الفائدة للبعض الآخر ، دون حق مشروع .

٤ - كان هناك أحكام كانت تنسم « بالدقة والعدل والصواب » ، على رأي

(١) قدامة - الخراج « مخطوطة كوبريلي » ص ٦/ آ .

قدامة، مهما كانوا يسمونه: « بالشهور الكوامل » وذلك أن يكون تقديرهم لمبالغ تخصيصات الجيش مطابقة بدقة لأيام السنة، فلا يسمحون أن يتجاوز التقدير السنة، ولو بيوم واحد، فإن حصل ذلك فإنهم يخرجونه منها، ويجسبونه على السنة التي تليها. وهذا أمر يشير إلى دقة ضبطهم للتخمينات، وبالإضافة إلى ذلك فإنهم ينسجمون مع أنظمة العصر الحديث، باعتبارهم « الأرزاق » أو الزواجب إنما تكون ملزمة الدفع بعد مضي جميع أيام الشهر، وأنه إذا بقي بعضها، لم يكن الشهر حينئذ مستحقاً^(١).

لقد كان الوزير وصاحب ديوان الجيش^(٢) يتتبعان شؤون ديوان الجيش بدقة، ويوليانه عنايتها الخاصة^(٣)، ويجاولان منع أي ظلم واقع، فمثلاً: رفع إلى أبي الحسن بن الفرات « أن جماعة من الكتاب في ديوان الجيش المتولين للعطاء احتسبوا على الجند بما لم يعطهم إياه، وأخذوه لنفوسهم... فأنكر ذلك، وعظم في نفسه... وقبض على القوم الذين فعلوا^(٤) ».

(١) ن. م. ص/٧ آ.

(٢) كان صاحب ديوان الجيش يشترك أحياناً مع الوزير الجديد في مناظرة الوزير المعزول أحياناً، ومثال ذلك ما عمله عثمان بن سعيد صاحب ديوان الجيش في وزارة أبي الفهم الحاقاني للعتدر بالله، الذي اشترك في مناظرة ابن الفرات وولده الحسن بحضور الوزير. انظر الصافي - الوزراء ص/٦٧. وكذلك مسكويه - تجارب ص/١٣٤.

(٣) يقول الوزير أبو سالم في العقد الفريد ص/١٥٦: « أما ما يتعلق بصاحب ديوان الجيش فأمور كثيرة، ولكن إذا ذكرت أصولها لزمنا فروعها، وهي إثبات المستخدمين من الجند وعطائهم وقرارهم من الاقطاع والنقد، ولكل واحد من هذين الأمرين شروط لا يجوز الإخلال بها، ولا ينبغي الإعراض عنها » وهو متأخر عما نحن بصدده.

(٤) الصافي - الوزراء ص/٢٥٩.

وبما هو جدير بالملاحظة أنه كان لصاحب ديوان الجيش أهمية خاصة ، فقد كان يعهد إليه أحياناً بقيادة الجيوش ^(١) . وفي نفس الوقت ، فإنه كان معرضاً للتبدل بتبديل الوزير ^(٢) ، بل كان الأمر يصل إلى حد القبض عليه ومصادرته ، أسوة بالوزراء ^(٣) . وفي بعض الحالات نجد أن بعض إجراءات الوزير نحو هذا الديوان قد سببت التذمر ، ومثال ذلك ما حصل في وزارة علي ابن عيسى المقتدر بالله سنة ٥٣٠١ / ٩١٣ م ، وذلك أن هذا الوزير أسقط الزيادات التي أضافها سلفه ^(٤) إلى المثبتين بديوان الجيش ، وذلك لأن تلك الزيادات : « كانت كثيرة ، فلما أسقطها أعادها أكثر الناس ، وشنعوا عليه ^(٥) » ، مما تسبب في عزله من الوزارة ، وقبل أن أنهى حديثي عن ديوان الجيش ، تجدر الإشارة إلى ديوان زمام الجيش الذي كان يختص بتدقيق حسابات ديوان الجيش والإشراف على الصرف ^(٦) ، وإلى مجلس الجيش بديوان الخراج الذي كان يشرف على تنظيم علاقة ديواني الخراج والجيش ، كان مسؤولاً عن تسوية المسائل المتعلقة بينهما ^(٧) .

ديوان المظالم

أسس هذا الديوان للنظر في شكاوى الشعب ضد رجال الحكم

-
- (١) الطبري - تاريخ ٢٢٣٦/٣ « ط . لايدن » .
 - (٢) مسكويه - تجارب ١٥٢/٥ . القرطبي - صلة ص/١٣٤ ، ١٣٥ .
 - (٣) الصولي - أخبار الرازي ص/١٤٧ .
 - (٤) وهو الوزير أبو علي الخاقاني .
 - (٥) مسكويه - تجارب ٢٩/٥ . (٦) ن . م . ١٥٢/٥ .
 - (٧) القرطبي - صلة ص/١٢٧ . وانظر ديوان الخراج في هذا المبحث .

والموظفين ، ويرى قدامة بأن « سبيل هذا الديوان أن يتقلده رجل له دين وأمانة ، وفي خليفته عدل ورأفة ، ليكون ذلك -منه نافعاً للمتظلمين (٢) » .
 كان الخلفاء يباشرون بأنفسهم النظر في ظلمات المتظلمين ، وقد جرت العادة خلال العصر العباسي الثاني ، أن يعهدوا بذلك أحياناً للوزراء ، أو من يرون من الثقة (٣) . وكان يفترض في الديوان أن يحتوي على المجموعة التالية من الكتاب :

١ - صاحب الديوان : وقد أشرت إلى الصفات التي يقترح قدامة وجوب توفرها فيه . وكان يتولى عمل خلاصات لكل ما كان يقدم من الشكاوى والظلمات لكي يعرضها على الخليفة ؛ « فإذا قعد الخليفة للناس وكان ممن له صبر على تأمل القصة والتوقيع عليها ، فعل . وإلا علق (ربط) صاحب الديوان عليها رقعة ، فيها مجموعها (خلاصتها) ، لينظر في المجموع ويوقع على القصة ، بما يوجبه الحكم (٤) » . فإذا انقض مجلس النظر في المظالم ، أخذ صاحب الديوان جميع الشكاوى التي صدر بها الحكم مع خلاصاتها ، في سجل خاص (٥) ، وأثبت اسم كل صاحب ظلامة بإزائها ،

-
- (١) الدوري - مادة « ديوان » دائرة المعارف الإسلامية - الطبعة الجديدة بالانكليزية . وانظر ابن الطقطقي - الفخري ص/١٣١ .
 (٢) قدامة - الخراج « مخطوطة كوبرلي » ص/٢٠ آ .
 (٣) مسكويه - تجارب ٢٨/٥ ، ٣٠ ، ١٤٩ ، ٢١٢ - ٢١٣ ، ٢١٩ .
 عريب القرطبي - صلة ص/٢٤٠ . ابن الأثير - الكامل ٧٧/٨ . ابن الطقطقي - الفخري/١٣١ . ابن نعري بردي - النجوم : ٢٩٩/٣ مثلاً .
 (٤) قدامة - الخراج « مخطوطة كوبرلي » ص/٢٠ آ .
 (٥) يقول قدامة : « وأثبت المجموعات في الديوان » ولعله استعمل اسم الديوان كناية عن السجل ، أو أن السجل يسمى (الديوان) .

مع الحكم الذي صدر بشأنها ، حتى لايجري في أوراق الظلمات التي يسلمها إلى أصحابها بعد ذلك أي تلاعب أو تزوير . وكان إذا تكررت مراجعات المتظلم ، كان على صاحب الديوان أن يؤشر ذلك بإزاء الظلمة الأولى في سجله ، « حتى إذا طوبأ بإخراج حالة من ديوان المظالم ، وجد أمره كله مسوقاً مجموعاً في موضع واحد وأخرجها من غير كلفة (١) » .

وكان من واجب صاحب الديوان بالإضافة إلى ما تقدم ، الإشراف على سير العمل في الديوان ، وتنظيمه ، وتوزيع الأعمال بين المنتسبين إليه من الكتاب .

٢ - كاتب تثبيت : وكان يتولى تثبيت ورود الظلمات في سجل خاص ، والموضوع الذي تنحصر فيه ، والمدعى والمدعى عليه (٢) ، ثم إحالتها إلى صاحب الديوان .

٣ - كاتب نسخ : وكان يعهد إليه بأمر استنساخ خلاصات الشكاوى أو « القصص بأعيانها حرفاً حرفاً » حسب رأي صاحب الديوان (٣) .

٤ - كاتب إنشاء : وكان هذا الكاتب يتولى أمر إنشاء الكتب التي كان يراد توجيهها إلى المؤسسات المختلفة ، وكان من الممكن أن يحل هذا الكاتب محل صاحب الديوان في عرض الظلمات وخلصاتها على الخليفة عند الحاجة (٤) .

٥ - كاتب تحوير : كان هذا الكاتب يتولى تحوير الكتب التي كانت تصدر

(١) مقدمة - الخراج « مخطوطة كوبريلي » ص/٢١ آ .

(٢) ن . م . م . ص/٢١ آ . (٣) ن . م . م . ص/٢١ آ .

(٤) مقدمة - الخراج « مخطوطة كوبريلي » ص/٢٠ آ .

غن الديوان بشأن أي قضية كان الديوان يحتاج في أمرها توجيه مكتب
إلى كل من :

« أصحاب الدواوين ، أو أصحاب المعونة ، أو القاضي ، أو من
جرى مجرامهم »^(١) .

وقد نقل لنا مسكويه نص منشور أصدره الوزير علي بن عيسى في
وزارته الأولى للمقتدر بالله^(٢) ، وعممه إلى العمال ، في أمر المظالم عن
الخراج جاء فيه :

« سبيل ما يرفعه إليك كل واحد من المتظلمين قبل النوروز^(٣) من
مظلمته ، ويدعي أنه تلف بالآفة من غلته ، أن تعتمد في كشف حاله
على أوثق ثقاتك وأصدق كفاتك ، حتى يصح لك أمره ، فيزيل الظلم
فيه فترفعه ، يتضع الإنصاف موضعه ، وتحتسب من المظالم بما يوجب
الوقفف عليه حسبة ، وتستوفي الخراج بعده من غير محاباة للأقوياء ،
ولا حيف على الضعفاء ... ليكون العدل به على الرعية كاملاً ، والإنصاف
لجميعهم شاملاً ... »^(٤) .

وكان الوزير ينوب أحياناً عن الخليفة في حضور مجلس النظر في المظالم وإصدار
الأحكام ، إلا أنه كان يستأمر الخليفة في المسائل المهمة ، فعندما تظلم
أهل البصرة من عاملهم إسحاق بن كنداج ، نظر الوزير^(٥) في ظلامتهم ،

- (١) قدامة - الخراج « مخطوطة كوبريلي » ص/٢٠ - آ ٢٠ ب .
- (٢) انظر قائمة الوزراء الملحقه بالمبحث الثاني من هذا الكتاب .
- (٣) وهو موعد افتتاح الخراج . (٤) مسكويه - تجارب : ٢٨/٥ .
- (٥) وكان الوزير هو علي بن عيسى . انظر فصل « تولية العمال وعزلهم » في
مسؤوليات الوزير من المبحث الثاني من هذا الكتاب .

وبعد أن تأكد لديه ظلم العامل وجوره ، عزله بعد أن استأمر الخليفة في ذلك (١) .

ويبدو أن قيام الوزير بالتوكل عن الخليفة في النظر في المظالم ، قد أصبح في بداية القرن الرابع الهجري عرفاً سارياً ، حتى أن أحد الوزراء (٢) اشترط لقبوله منصب الوزارة شروطاً ، منها : ألا يجلس غيره للنظر في المظالم (٣) .

غير أن ذلك لم يكن يجوي باستمرار ، فقد أفرد المقتدر بالله مسؤولية النظر في المظالم إلى علي بن عيسى ، خلال فترة حكم وزيرين متتالين (٤) . ولعل السبب في ذلك كان يعود إلى ثقة الخليفة بعدالة وخلق وأمانة علي ابن عيسى (٥) .

ديوان البريد والسلك والطرق

لم تأخذ إدارة هذا الديوان مكانتها وأهميتها بين الدواوين الإدارية للدولة ، إلا في العصر العباسي الأول ، بعد أن بدأ الخلفاء يباشرون

(١) القرطبي - صلة : ص/٤٢ .

(٢) وهو الحسين بن القاسم ، عميد الدولة ، انظر قائمة الوزراء الملحقه بالمبحث الثاني .

(٣) مسكويه - تجارب ٢١٩/٥ .

(٤) وهما سليمان بن الحسن ، والكلوذاني ، انظر قائمة الوزراء الملحقه بالمبحث

الثاني ، وكذلك مسكويه - تجارب : ٢١٢/٥ ، ٢١٣ . ابن الأثير - الكامل : ٧٧/٨ .

ابن تغري بردي - النجوم : ٢٩٩/٣ .

(٥) قدامة - الخراج « مخطوطة كوبريلي » ص/٢٠ آ .

بأنفسهم النظر في جميع مشاكل الدولة . وقد أدخلت على هذا الديوان تحسينات مهمة في عهد هارون الرشيد (١) .

كان صاحب ديوان البريد يتولى مسؤولية إيصال ما يصدر عن الخليفة أو الوزير إلى العمال في الأقاليم ، وكان يتلقى ما يرد منهم إلى دار الخلافة ، فيعرضها ، أو يعرض خلاصتها على الخليفة (٢) . كما كان يشرف على أعمال العمال والموظفين التابعين للديوان ، سواء من كان منهم في العاصمة ، أو في السكك والطرق ، أو في الولايات . وقد ثبت لنا قدامة بن جعفر هذه الاختصاصات بقوله : « يحتاج في البريد إلى ديوان يكون مفرداً به . وتكون الكتب المنفذة في جميع النواحي مقصوداً بها ضاحجه ليكون هو المنفذ لكل شيء منها إلى الموضع المرسوم بالنفوذ إليه ، ويتولى عرض كتب أصحاب البريد والأخبار في جميع النواحي على الخليفة ، أو عمل جوامع لها ، ويكون إليه النظر في أمر الفروانقيين ، والموقعين ، والمرتبين في السكك ، ونحو أرزاقهم ، وتقليد أصحاب الخرائط في سائر الأمصار (٣) » .

كان الخليفة هو الذي يعين صاحب ديوان البريد في العاصمة ، كما كان يعين عمال البريد بالنواحي (٤) .

ولم يكن منصب « صاحب ديوان البريد » في العاصمة من المناصب الميسورة المثال ، فكان لابد من توافر صفات معينة ، بجانب الكفاءة وسعة الإطلاع ، إذ كانت لا تنحصر مهمة صاحب الديوان في إرسال واستلام الرسائل الرسمية من الخليفة وإليه ، وإنما كانت تشمل الاشراف على جميع السلطات

(١) سعداوي - نظام البريد ص/٧١ .

(٢) قدامة - الخراج « مخطوطة كوبريلي » ص/٢٦ ب .

(٣) ن . م . ص/٢٦ ب . (٤) ن . م . ص/١٦ أ - ١٧ ب .

في مختلف أجزاء الدولة . وعلى ذلك فإن من بين الصفات التي كان يجب أن يتحلّى بها صاحب الديوان : « أن يكون ثقة إما في نفسه ، أو عند الخليفة القائم بالأمر في وقته ، لأن هذا الديوان ليس فيه من العمل ما يحتاج معه إلى الكافي المتصفح ، وإنما يحتاج إلى الثقة المتحفظ (١) » .

ولعل ديوان البريد كان يحتوي على جملة مجالس خاصة ، بالإنشاء والتحرير والنسخ (٢) والاسكدار (٣) ، مما كان يساعد على تمشية أعماله ، وربما احتوى على مجلس مختص بأمر السكك والطرق المختلفة التي كانت منتشرة في أنحاء الدولة ، ذلك كي يبقى صاحب الديوان على علم تام بأحوالها وأخبارها ، بحيث كان يجد الخليفة عنده من المعرفة : « ما يحتاج إليه عند سفره ، أو إنفاذ جيش يهيم أمره ، وغير ذلك ، مما تدعو الضرورة إلى علم الطرق بسببه (٤) » .

ومن الطريف أن نذكر بأن أعمال ديوان البريد لم تقتصر على ما ذكرناه من الأمور المهمة التي كان لها علاقة وثيقة بسياسة الدولة . وأمنها ، وضمان استمرار العمل في مختلف مؤسساتها على الإخلاص والعدالة ، بل شملت ؛ إضافة الى ذلك ، نقل بعض الأخبار الشاذة والطريفة ، التي كانت تحدث في مختلف الأقاليم ، فقد كتب صاحب الخبر بمدينة السلام إلى اتماعيل بن

(١) قدامة - الخراج « مخطوطة كوبريلي » ص/٢٦ ب - ٢٧ أ .

(٢) يشير قدامة إلى أن : « الرسوم التي يحتاج إليها في أمر هذا الديوان ، هو ما يقارب الرسوم التي بينها في غيره مما يضبط به أعماله وأحواله » ، ص/٢٧ أ .

(٣) أبو شجاع الروذرآوي - ذيل تجارب الأمم ص/٤١ . وانظر الخوارزمي

مفاتيح العلوم ص/٤٢ .

(٤) قدامة - الخراج « مخطوطة كوبريلي » ص/٢٧ أ .

بلبل^(١) في وزارته للمعتضد بالله : « بأن مغنية من جواري بدعة الكبرى غنت عند الحسن بن مخلد^(٢) ؛ وهو إذ ذاك معطل ؛ بهذا الصوت ، فاستعاده ، وطرب عليه :

عادات طيء في بني أسد ري القنا وخضاب كل حسام

فأنهى اسماعيل ذلك الى المعتمد ، وقال : هذا يسعى عليك ، ويتمنى لك الدواء ، ويتربص بك ، فأمر بنفيه الى مصر^(٣) ، ومثل ذلك ما أورده صاحب الخبر في الدينور : عن أن بغلة لرجل هناك ولدت فلوة ، وقد وصف اجتماع الناس وتعجبهم ، كما أرسل وصفاً دقيقاً لها ، فوصف البغلة بأنها : « كماء خلوقية » ووصف الفلوة بأنها « سوية الخلق تامة الأعضاء منسدلة الذنب^(٤) » ، ونجد في المنتظم لابن الجوزي أمثلة كثيرة من هذه الغرائب ، كما نقلها عمال البريد . ولعل هذه الأخبار تعكس الى حد كبير دقة عمال البريد في إيصال الأخبار الى العاصمة .

لقد ثبتت لنا قدامة بن جعفر « نسخة عهد بولاية البريدي » في إحدى الولايات ، وأصبح من الميسور عن طريق دراستها التعرف على واجبات عامل البريد في الأقاليم ، فقد كان عليه : « أن يختار من يستعين به في عمله ، ويشركه في أمانته ، ممن يثق بصناعته ونزاهته ... وأن يكون من يستعمله من أهل الكفاية ... وأن يعرف حال عمال الحراج والضياح ،

(١) أبو الصقر اسماعيل بن بلبل تولى الوزارة للمعتضد بالله في ذي الحجة سنة ٢٢٠٥ / ٨٧٨ م . انظر قائمة الوزراء الملحقة بالمبحث الثاني في هذا الكتاب .

(٢) الحسن بن مخلد بن الجراح ، ثاني وزراء المعتمد .

(٣) التنوخي - نشوار المحاضرة : ٢٠/٨ .

(٤) عريب القرطبي - صلة ص/٣٩ ، ٤٠ .

فما يجري عليه أمرهم ، ويتتبع ذلك تتبعاً شافياً . . . وينبهه على حقه وصدقه . . . وأن يتعرف حال عمارة البلاد ، وما هي عليه من الكمال والاختلال ، وما يجري في أمور الرعية ، فيما يعاملون به من الإنصاف والجور والرفق والعسف ، فيكتب به مشروحاً ملخصاً مبيناً . . . وأن يتعرف ما عليه على حال الضرب وما يجري عليه . . . ويكتب بذلك ، وأن يوكل ، بمجلس عرض الأولياء وأعطياتهم ، من يراعيه ، وبطالمة ما يجري فيه ، ويكتب بما يقف عليه من أعمال في وقته ، وأن يكون ما ينبيه (يرسله) من الأخبار ما يثق بصحته ، ولا يدخل بشبهة (١) . . . أما في نطاق مسؤولياته الخاصة بإدارة شعبة ديوان البريد في الإقليم ، فقد أشار هذا الشهد (الموسوم) إليها ، فيبين واجبه « أن يعرض المرتبين لحل الخرائط في عمله ، ويكتب بعدتهم وأسمائهم ، ومبالغ أرزاقهم ، وعدد السكك في جميع عمله ، وأميالها ومواضعها (٢) ، وأن يوعز إلى هؤلاء المرتبين بتعجيل الخرائط المنفذة على أيديهم ، والموقعين في إثبات المواقيت وضبطها ، حتى لا يتأخر أحد منهم عن الأوقات التي سيئله أن

(١) مقدمة - الخراج ص ١٦ آ - ١٧ آ ، اقتباسات بتصرف من عهد ولاية البريد .

ويذكر منز - الحضارة الإسلامية : ١٣٤/١ بأن هذا العهد يرجع إلى سنة ٣١٥ .

(٢) استعرض مقدمة الطرق والمسالك كانت منبثقة في مختلف أرجاء الدولة العباسية ،

بدأها بالطريق الذي كان يربط العاصمة بمكة وما والاها من اليمن وغيرها ، ثم الطرق المتجهة

شرقاً ، ثم المتجهة غرباً . ومما يلاحظ أنه لم يستعمل قياساً موحداً في تحديده للسافات ،

فقد استعمل الفرسخ ، والميل ، والمرحلة ، واليوم والليلة . وربما كان منسجماً في ذلك

مع القياسات المحلية المستعملة آنذاك . وعلى أي حال فإن ما أورده من معلومات ، له

أهميته ، لمن يدرس طرق المواصلات وجغرافية الدولة الإسلامية . بجانب كتب المكتبة

الجغرافية العربية .

ترد السكة فيها ، وأن يفرد لكل ما يكتب فيه من أصناف الأخبار
كتباً بأعيانها .

يفرد بأخبار القضاة وعمال المعاون والأحداث وما يجري مجرى ذلك
كتاباً ، وبأخبار الحراج والضياح وأرزاق الأولياء وما يجري من دار
الضرب والأسعار ، وما يقع فيه من الحمل والعقد والإعطاء والأخذ كتاباً ،
ليجري كل كتاب في موضعه ، ويكتب في بابه ، فيتحصل العمل ،
ويملك نظامه (١) .

وكان يفترض في عمال البريد بالنواحي ألا يبلِّغوا عن أمر ، إلا بعد
نحر وتمحيص وثبت ، وأن يحتاطوا في ذلك ، بما يحتاط به في مثله ،
من شهادة فيما يمكن الشهادة فيه ، وأخذ الخطوط بما يتبها أخذها به ،
وإقامة الشواهد والدلائل بما يمكن إقامتها عليه (٢) . كما كان يفترض
فيهم العمل بإخلاص ، وبسرية تامة ، فلا يخفون عن الديوان شيئاً يعلمونه ،
ولا يجابون أحداً بستره ، وأن يكتموا أخبارهم ولا يذيعونها ، ولا يخلدوا
إلى كشفها وإفشاها ، فإن في ذلك - إن جرى - وهناً ، ولمن أراد
الحيلة متطرقاً (٣) . وقد منع هؤلاء وأصحابهم وخلفاؤهم على النواحي
من التدخل أو التأثير في تنفيذ الأحكام ، أو أن يكونوا سبباً في محاباة
أحد بالشفاعة له ، أو التوصل إلى رفع حق عليه (٤) .

ومن النصوص التي وصلنا إليها يمكن القول بأن موظفي البريد

(١) قدامة - الحراج « مخطوطة » ص/١٧٧ .

(٢) قدامة - الحراج « مخطوطة كوبريلي » ص/١٦٦ ب .

(٣) ن . م . ص/١٦٦ ب - ١٧٧ . (٤) ن . م . ص/١٧٧ .

- باستثناء كتاب الديوان - يمكن تصنيفهم إلى ما يلي حسب مناصبهم .

١ - صاحب الديوان أو متولي الديوان : وكان مقره في العاصمة وقد استعرضت آنفاً الصفات التي كان يجب توفرها فيه مع واجباته .

٢ - عمال البريد في الولايات : وكانوا موزعين على الولايات ، بحيث كان لكل ولاية عامل بريد ، يتبعه عمال كانوا يعاونونه على تصريف شؤون البريد في مركز عمله .

٣ - المرتبون : ويبدو أنهم كانوا سعاة مسؤولين عن حمل الرسائل في حقائب خاصة ^(١) من سكة إلى أخرى ^(٢) ، ويذكر الخوارزمي بأن المسافة التي تفصل بين كل سكة ، والتي تليها ، تقرب من فرسخين ^(٣) .

٤ - الموقعون ^(٤) : وكان هؤلاء يقومون بتثبيت أوقات انطلاق السعاة ووصولهم - من أجل ضبطها - حتى لا يتأخر أحد منهم عن الأوقات التي سيبدلها أن يرد السكة فيها . ومن الطبيعي أن ضبط ذلك وإثباته لم يكون إلا بالكتابة ، فلا بد أن كانت للموقعين سجلات خاصة لهذا الغرض .

٥ - القروا تقيون : وكانوا يتولون مسؤولية مراقبة سكك البريد والسعاة والحياطة ، وكانوا يقدمون تقاريرهم ، عن كل ذلك ، إلى صاحب الديوان في

(١) يصفهم قدامة بأنهم « المرتبون لحمل الخرائط » .

(٢) السكة : الموضع الذي يسكنه المرتبون : من رباط ، أو قبة ، أو بيت ، أو نحو ذلك . الخوارزمي - مفاتيح ص / ٤٢ ، ويذكر ابن خرداذبه بأن عدد سكك البريد في المملكة كانت « ٩٣٠ » سكة « ؟ » . المسالك ص / ١٥٣ .

(٣) الخوارزمي - مفاتيح العلوم ص / ٤٢ .

(٤) الموقع : الذي كان يوقع على الأسكدار ، إذا مر به ، بوقت وروده وصدوره ، والأسكدار مدرج كان يكتب فيه عدد الخرائط والكتب الواردة والنافذة وأسامي أربابها .

العاصمة ، وكان لابد الموقعين من عرض تقاريرهم على أحد الفروانقيين قبل إرسالها إلى ديوان البريد (١) .

٦ - الوكلاء والمخبرون : وكان هؤلاء يقومون بمساعدة عامل البريد عن طريق جمع المعلومات والأخبار في الولاية ، ويشير قدامة إلى ضرورة وجود هؤلاء الوكلاء في مجالس العطاء عند توزيع الأرزاق ، لكي يطالع ما يجري فيه ، ويكتب بما يقف عليه لوقته (٢) .

أما عن نفقات ديوان البريد ، فلم يردنا من المعلومات عنها ما يوضح مقاديرها سوى ما ذكره ابن خرداذبه ، عند كلامه عن « سكك البريد في المملكة » ، حيث قال : « نفقات الدواب وأمانها ، وأرزاق البنادرة والفروانقيين لسنة ، مائة ألف دينار وتسعة وخمسون ألفاً ومائة دينار (٣) » . وقد ورد في فقرات القائمة التي حفظها لنا الصابي عن النفقات اليومية في أيام الخليفة المعتضد بالله « أرزاق أصحاب الركاب والحباب ومن يخدم في دواب البريد خمسة دنانير في اليوم (٤) » ، غير أن هذه الإشارات لا تكفي لإعطاء فكرة واضحة عن ذلك .

(١) الترايب الإدارية ١٩٣/١ .

(٢) قدامة - الخراج ص/١٦ ب . ويعتقد شبرنجبر بأنهم كان لهم السلطة المطلقة في إرسال رسائلهم بصورة مباشرة إلى الديوان ، دون عرضها على الفروانقيين إذا ما حصلت اضطرابات في مناطقهم ، وبخاصة إذا كانوا في مناطق الثغور . انظر شبرنجبر - مقدمة ص/٤ . سعداوي - نظام البريد ص/٧١ .

(٣) ابن خرداذبه - المسالك ص/١٥٣ ، ولم يوضح فيما إذا كان هذا الرقم خاصاً بعمال ودواب البريد في جميع الدولة ، أو بإقليم خراسان ، حيث كان يعمل .

(٤) الصابي - الوزراء ص/١٥ .

ولا بد أن أشير أخيراً إلى أن متولي ديوان البريد كان قد يبقى في منصبه بالرغم من تبدل الوزير ، وقد يرجع السبب في ذلك إلى أن تعيينه كان يجري من قبل الخليفة ، كما أن من المحتمل أن يكون بقاءه في المنصب نتيجة للثقة التي كانت تتكون لدى الخليفة فيه ، أو نتيجة طبيعة عمله الذي كان يستلزم السرية ^(١) التامة ، ولعل هذا ما يسوغ تولية هذا المنصب لابن عند وفاة الأب الذي كان يشغله في بعض الحالات ^(٢) .

ديوان الرسائل

وكان يسمى أحياناً بـ « ديوان الإنشاء » ^(٣) ، وكان هذا الديوان يعتبر من الدواوين المهمة في الدولة الإسلامية ، إذ كانت تجري فيه كتابة العقود والتقليدات . ولا نجد ما وردنا عن هذا الديوان أثراً بارزاً لأمر الحسابات والنواحي المالية ، إلا بقدر ما يتعلق الأمر بصروفاته أو كانت ما يستوفي من رسوم ^(٤) .

وكان متولي هذا الديوان يُعرف باسم « صاحب ديوان الرسائل » أو « متولي ديوان الرسائل » . وكان يفترض فيمن يتولى هذا الديوان أن يكون متصرفاً في جميع فنون المكاتب ، مكملاً للمعاني ، مستوفياً للغاية من الرسالة في

(١) التنوخي - الفرج بعد الشدة : ١١٤/١ .

(٢) ابن الأثير - الكامل : ٤٠/٧ . مثلاً .

(٣) الخوارزمي - مفاتيح العلوم ص/٧٨ . وانظر عواد - أقسام ضائعة من

كتاب الوزراء - الذيل السابع ص/٧٧ .

(٤) باقوت الحموي - ارشاد ٢٤٢/١ .

أي وجه كانت من أمور الدولة المختلفة ، مع رصانة الأسلوب ، وجزيل اللفظ (١) . كما أن منزلته العالية ، وإطلاعه على أسرار الدولة وخفاياها ، كانت تستلزم أن يكون كتوماً للأمرار مجتهداً للوصول إلى الرأي الصائب (٢) إذ كان « يستضاء برأيه في مشكلات الدولة ، إليه ترد المكاتبات ، وعنه تصدر ، وكثيراً ما كان يجلس مع الخليفة في مجلس الفضاة للنظر في المظالم وختم الأحكام بنجم الخليفة (٣) » .

أما كاتب الانشاء في هذا الديوان فإنه كان يحتاج إلى أن يكون متممراً في أصل التوسل ، عرفاً بوجوده المعاني ، فإن ذلك أجدى له .

وقد وصلتنا نسخ من العمود ، كتبها قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي كمنادج مجتدي بها كتاب ديوان الرسائل ، وطريقاً إلى الخبرة (٤) به ، منها نسخة عهد القاضي بولاية الحكم في إحدى نواحي الدولة (٥) ، ونسخة عهد لرجل من بني هاشم بتقليده الصلاة (٦) ونسخة عهد بولاية المعونة والحروب (٧) ، ونسخة عهد بولاية ثغر البحر (٨) ، وأخيراً نسخة عهد بولاية البريد في إحدى ولايات الدولة (٩) .

وعلى كل حال ، فقد كان صاحب هذا الديوان ، (المتولي له) يتغير أو يستبدل بتغير الوزير (١٠) ، بل كان غالباً ما يتعرض للأذى أو

(١) عواد - أقسام ضائعة ص/٧٧ .

(٢) المسعودي - مروج ٤/٦٧٦ . (٣) الصابي - أقسام ضائعة ص/٧٧ .

(٤) قدامة - الخراج ص/١٠ مخطوط . (٥) ن . م . ص/١٠ - ١٣ ب .

(٦) قدامة - الخراج « مخطوطة كوبرنيلي » ص/١٠ آ .

(٧) ن . م . ص/١٣ - ١٤ ب (٨) ن . م . ص/١٥ ب .

(٩) ن . م . ص/١٦ - ١٧ ب .

(١٠) مسكويه - تجارب ٥/٤٠٤ . وأنظر ياقوت - ارشاد ٢/٨٠ .

المصادرة^(١) . ولم يصلنا ما يفيد في معرفة راتب صاحب هذا الديوان باستثناء ما ذكره الصابي عن تصنيفهم إلى ثلاث طبقات خلال الفترة التي ندرسها^(٢) ، فإن أخباراً متأخرة قد وصلتنا عن ذلك يمكن أن تلقي بعض الأضواء على مقدار الراتب ، ففي ترجمة ياقوت الحموي للكاتب أحمد بن علي بن خيران يذكر أنه كان « صاحب ديوان الانشاء .. وكان رزقه في كل سنة ثلاثة آلاف دينار ، وله عن كل ما يكتبه من السجلات والعهودات (العهود) وكتب التقليدات (التقليد) رسوم يستوفىها عن كل شيء يجبسه^(٣) » . ويشير الصابي إلى أن راتب كل من الكتاب الذين كان يحتاج إليهم لتصريف أمور هذا الديوان كانت عشرة دنانير في الشهر^(٤) وجرت العادة على ألا يخاطب بالتصدير^(٥) الخليفة أو ولي العهد أو الوزير . وقد نقل لنا الصولي نموذجاً لمكاتبات الناس إلى المسؤولين على النحو التالي^(٦) :

« من عبد الله فلان بن فلان إلى (فلان) أمير المؤمنين . سلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . فإني أحمد إلى أمير المؤمنين الله الذي لا إله إلا هو ، وأسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله ﷺ ؛ يكون ذلك في سطرين وبعض السطر الثالث ثم يقال : « أما بعد أطل الله بقضاء أمير المؤمنين وأدام غزاه وتأييده وكرامته وسعادته وحراسته ، وأتم نعمته عليه ، وزاد في إحسانه إليه بفضله عنده ، وجميل بلائه لديه ، وجزيل قسمه له ، يكون ذلك في سطرين ، ثم يبدأ بعد ذلك في عرض الموضوع .

(١) المسعودي - مروج. ٢٧٦/٤ . (٢) الصابي - الوزراء ص/١٧٥ .

(٣) ياقوت - ارشاد ٢٤٢/١ . (٤) الصابي - الوزراء ص/٢٣٩ .

(٥) التصدير : أي أن تبدأ الرسالة بذكر الشخص المرسل .

(٦) الصولي - أدب الكتاب ص/١٦٣ - ١٦٤ .

أما الإمام فكان يكتب بالتصدير إلى كل من خاطبه من عامل حرب
وخراج وقضاء ، في الكتب المدونة المنعوتة بالعهود والعقود ، وجباية الفيء
والحول والنفقات والاقطاعات والامارات والفتوح ، وما جرى هذا المجرى (١)
وفيما يلي نموذج لإحدى رسائل الراضي بالله وجهها إلى ولي العهد كما نقلها
لنا الصولي (٢) :

« من عبد الله أبي فلان الإمام الراضي بالله أمير المؤمنين إلى فلان
ابن فلان . سلام عليك فإن أمير المؤمنين بحمد إليك الله الذي لا إله إلا
هو ويسأل أن يصلح علي محمد وآله (ثم يكتب بما يراد أن
يقول) . . . فاعلم ذلك من رأي أمير المؤمنين ، وكتب فلان بن فلان
(اسم الوزير وأبيه) . . . يوم كذا من شهر كذا من سنة كذا . »

وكذلك كان الأمر في كتب الخليفة الديوانية إلى الوزير (٣) . وقد كان ولي
العهد يكتب مخاطباته على نفس النقط ، إلا أنه كان يجعل مكان « أمير المؤمنين »
عبارة « ولي عهد المسلمين (٤) » . وقد اختار مشايخ الكتاب أن تكون
الكتب المرسلة إلى الوزراء من الخلفاء خالية من التعظيم ، بغير تاء المخاطبة
ولانون الجمع (٥) .

أما الوزير فإنه كان يكتب الخليفة بغير التصدير إذ لم تكن الكتب صادرة
عن الديوان (٦) .

-
- (١) الصولي - أدب الكتاب ص/٤١ . (٢) ن ٢٠٠ ص/١٦٣ .
(٣) ن ٢٠٠ ص/١٦٣ . (٤) ن ٢٠٠ ص/١٦٣ .
(٥) الصولي - أدب الكتاب ص/١٦٣ . (٦) ن ٢٠٠ ص/١٦٣، ١٦٤ .

وكان الوزير يكتب أمراء النواحي الأجلاء المساوين والمقارئين حسب النموذج التالي (١) :

« أطال الله بقاءك ، وأدام عزك وكرامتك ، وأتم نعمته عليك وإحسانه إليك وعندك » . وربما زبدت لفظة أو نقصت لفظة . ويذكر الصولي أن أول من كتب « أطال الله بقاء أمير المؤمنين وأدام عزه » هو سليمان بن وهب ، كما أنه هو الذي كتب : « أدام الله عزك ، وأطال بقاءك ، وأدام كرامتك ، وأتم نعمته عليك وأدامها لك » « وأدام الله في عمرك وأتم نعمته عليك وأدامها لك » و « كرمك الله وأبقاك وأتم نعمته عليك وأدامها لك » و « حفظك الله وأبقاك وامتع بك » و « عافانا الله وإياك من سوء برحمته » ..

وكانت ديباجة الدعاء محدودة ومعلومة بحسب مركز المخاطب ، وقد استقر ذلك حتى أصبح عرفاً جارياً يلاحظ بدقة ، ويتشدد البعض في استيفائه . ولعل من المفيد أن نشير هنا إلى أن سبب العداوة التي كانت واقعة بين محمد بن عبد الملك بن الزيات وإبراهيم بن عباس الصولي أن الأول نقص الصولي عما يستحقه من الدعاء « فلم تحتل ذلك نفسه ورئاسته وموضعه من الصنعة والدولة (٢) » .

وكان مما تعارف عليه الكتاب ، أن يزيد الرئيس تابعه في الدعاء إذا كان مغيظاً عليه لشيء ضره أو خالفه فيه ، فيجري ذلك مجرى الاستهزاء به . فمثلاً كتب بعض الكتاب إلى بعض الاخلاء من إخوانه وقد زاده في الدعاء :

(٢) ن . م . ص / ١٥٩ .

(١) ن . م . ص / ١٦٤ .

« علي - أعزك الله - الاعظام والهيبة في هذه الحال إلى ما لم أزل عليه قبلها من الاخلاص والطاعة ، وعليك أن لا يمنعك النظر إلي بعين المودة من الأخذ مني لنفسك بحق الرئاسة . ومن أطاعك لها رجاء أو هيبة فإني أطيعك لها وداً وصحبة (١) » .

وكان مما تعارفوا عليه ايضاً ، أن يكتب المرؤوس رسالة إلى الرئيس يعتذر إليه عن تقصيره ، أو عند تركه الكتابة ، ومثال ذلك ما عمله ابن نوبة الكاتب حين كتب إلى الوزير عبد الله بن سليمان (٢) يعتذر إليه ، وقد نقل لنا الصولي تلك الرسالة كنموذج لرسائل الاعتذار (٣) وفيما يلي نصها :
« الله يعلم - - وكفى به علياً - لقد أردت مكاتبتك بالتفدية ، فرأيت عيباً أن أفديك بنفس لا بد لها من الفناء ، ولا سبيل إلى البقاء ، ومن أظهر لك شيئاً يضر خلافه فقد غش وألام ، إذ كانت الضرورة توجه ، وتحقق أنه ملق لا يتحقق ، وعطاء لا يتحصل ، وإن كان عند قوم نهاية من نهاية التعظيم ودليلاً من دلالات الاجتهاد وطريقاً من طرق التقرب » .

وأخيراً فإن الكتاب كان بعد أن ينشأ ، كان لا بد أن يمر بمرحلتي التحرير والنسخ . أما في التحرير فإنه كان « مختص من النسخة التي حور عليها ويصفي من كدرها (٤) » . وأما في النسخ فقد كان لكي « تستبرأ باعادة النظر فيها بعد اختارها ، وبوسع الفصول بين سطورها ، ثم تحرر على ثقة تصحها ، وتأمل بعد التحرير من أولها إلى آخرها (٥) » . وبعد ذلك كانت تودع نسخ

(١) الصولي - أدب الكتاب ص/١٦٢ ، ١٦٣ .

(٢) أسر وزراء المعتمد ، أبقاه المعتضد في الوزارة حتى وفاته وهو في الخدمة .

(٣) الصولي - أدب الكتاب ص/١٥٥ .

(٤) ن ٢٠٠ ص/١٥٦ . (٥) ن ٢٠٠ ص/١٥٨ .

من الكتب أو الرسائل أو العهود الى « الخزانة العظمى » حيث كانت قفوس
وتحفظ فيها (١) .

ديوان الفضى

من المرجح أن أصل هذا الديوان كان شعبة من ديوان الرسائل (٢) ، إذ أن
العمل الاساسي له كان استلام الرسائل والتقارير الواردة ، حيث كان المسؤولون
فيه يقومون بفضها وتصنيفها وعمل خلاصات لكل منها ، ورفعها للخليفة ،
بعد تأشير ذلك في سجلات خاصة (٣) . [ويشبه قدامة منزلة هذا الديوان
من الخليفة بمنزلة مجلس الأسكدار من صاحب ديوان الخراج] (٤) ، وبعد
أن كان الخليفة يطلع على خلاصاتها ، كان يوقع بما يراه مناسباً . ويرى قدامة أن
هذا الرسم كان الأمر جارياً عليه في الأوقات التي كانت الخلفاء فيها
تتولى النظر في الكتب بأنفسها (٥) . أما بعد أن استقر منصب الوزير
وتركزت اختصاصاته ، فإن الوزير باشر بنفسه الاشراف على فض الكتب
الواردة والتوقيع عليها وإحالتها - بعد أخذ رأي الخليفة في الأمور المهمة -

(١) القلقشندي - صبيح الأعمش ٩٦/١ . ابن الصيرفي - قانون ديوان الرسائل
ص/٩٤ ، ١٠٠ ، ١٠٣ ، ١٠٨ ، ١١٦ ، ١١٨ ، ١٤٤ ، ١٤٥ . الخوارزمي -
مفاتيح ص/٥٠ . وانظر الدوري - مادة « ديوان » دائرة المعارف الاسلامية ، الطبعة
الجديدة (بالانكليزية) .

(٢) الدوري - مادة « ديوان » دائرة المعارف الاسلامية - الطبعة الجديدة .

(٣) ابن الصيرفي - قانون ص/١٠٨ . التوحيدى - الامتاع ٩٨/١ .

(٤) قدامة - الخراج « مخطوطة كوبريلي » ص/١٩ آ .

(٥) ن . م . ص/١٩ آ - ١٩ ب وقد عرف حيثنذ بديوان السر انظر الطبري

٥١/١٠ - ٥٢ .

الى الدواوين ذات الاختصاص^(١) وعند ذلك أصبح المتولي لهذا الديوان كاتباً للوزير يلتزم بالحضور إلى داره من أجل تنفيذ أوامره بالتوقيع أو الإحالة .

كان ديوان الفض - كما هو الحال في مجلس الاسكدار بديوان الخراج - يحتاج إلى كاتب يتولى تصنيف الكتب الواردة إلى الديوان بحسب تقسيم الدواوين والأعمال^(٢) ، وإلى كاتب يتولى إعداد خلاصة بكل كتاب مما كان يرد الديوان يرفقها به لتسهيل عرضها على الخليفة أو الوزير^(٣) ، كما كان يحتاج إلى ناسخ لنسخ ما كان يراد نسخه من الكتب التي كان يراد الاحتفاظ بنسخة منها أو تعميمها على دواوين الدولة المختلفة^(٤) .

وفي سنة ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م توحد الاشراف على ديواني الفض والخاتم ، فقد عرض الوزير علي بن محمد بن الفرات على ابن مقلة اختيار منصب له في إدارة الدواوين ، فلم يجد ما يصلح له إلا أن يتقلد ديواني الفض والخاتم ، فقلده إياهما^(٥) ؛ وقد استمر هذا التوحيد بعد ذلك ، فقد ذكر مسكويه أن علي بن عيسى قد قلد أحد الكتاب « ديوان الفض والخاتم » في وزارته

(١) يقول قدامة : « أما الآن فالمتولي لفض السد . واخراجها الى الدواوين هو

الوزير ، وقد انتقل عمل هذا الديوان الى حضرته ، وصار المتولي له كاتباً برسمه بذلك في داره » ص / ١٩ ب .

(٢) قدامة - الخراج « مخطوطة كوبريلي » ص / ١٩ ب .

(٣) ن . م . قدامة أيضاً ص / ١٩ ب .

(٤) وبذلك فان حاجة هذا الديوان الأساسية يمكن أن تسد بثلاثة كتاب فقط

بالإضافة الى متولي الديوان . انظر قدامة - الخراج « مخطوطة كوبريلي » ص / ١٩ ب .

(٥) الصابي - الوزراء ص / ١٩٨ .

سنة ٣١٥ هـ / ٩٢٧ م (١) . وكان المتولي لهذا الديوان يتقاضى لقاء عمله راتباً شهرياً قدره (٤٠٠) دينار (٢) .

ديوان التوقيع

كان صاحب هذا الديوان يقوم بالتعليق على الطلبات ، أو الرقاع التي كانت ترفع إلى الخليفة ، وذلك بعد أن يكون الوزير قد تحرى الأمر وعلق على ذلك الطلب بشرح اعتمد فيه على ما أتاه عنه من الدواوين . وبعد اطلاع الخليفة على المسألة كان صاحب ديوان التوقيع يقوم بصياغة رأي الخليفة عليها في أبلغ ما يستطيع من الكلام وأجزله ويدون ذلك على الطلب . ثم كان يجيله إلى كاتب التوقيع الذي كان يقوم بتثبيت التوقيع عنده . وكان ينشأ من ديوان التوقيع كتاب إلى ديوان الدار متضمناً أمر الخليفة حول المسألة (٣) . وكان يطلب فيه تنفيذ ذلك الأمر (٤) .

لقد كان هذا العمل في البداية يقع ضمن اختصاصات صاحب ديوان الرسائل (أو ديوان الانشاء كما كان يعرف أحياناً) ، ثم أفرد له هذا الديوان . وقد تكون برور الزمن عرف أو نظام للتوقيع . فالخليفة أو الامام هو الذي يوقع في السجلات ، وتكتب توقيعاته في الرسائل في الثلثين من

(١) مسكويه - تجارب ١٥٢/٥ . (٢) الصابي - الوزراء ص/١٩٨ .

(٣) وقد سميت هذا الديوان باسم « ديوان التوقيع والتتبع على العمال » انظر

أدب الكاتب - المكافأة ص/٥٦ .

(٤) قدامة - الحراج « مخطوطة كوبريلي » ص/١٧ ب .

الطومار^(١) سواء أكان ذلك إلى رئيس أو إلى رعية^(٢) . أما الوزير فإنه كان^(٣) إذا أراد الكتابة إلى الخليفة فإنه كان يكتبه من نصف الطومار في أمور العامة الديوانية ، أما الخاص الذي كان يكتبه بخطه أو كان يكتب بين يديه باملأته ففي خمسين . وكانوا يكتبونه في مثل ذلك في الخاص والعام ، إلا من كان منهم في أدنى الطبقات فإنه كان لا يكتب إلا في النصف في الحالتين^(٤) .

ويبدو ان الحاجة إلى تخصص من يعمل في التوقيعات قد أدت الى ظهور ما يعرف « بديوان التوقيع » وافراده عن ديوان الرسائل والانشاء كما كان قبلاً^(٥) . وأصبح ديوان التوقيع يحتاج كغيره من الدواوين إلى عدد من الكتاب ، إلى صاحب ديوان . وإلى كاتب للإنشاء وآخر للتحرير وثالث للنسخ ، حيث كان لا يمكن أن يستغني أي ديوان عن أمثال هؤلاء الكتاب^(٦) .

ديوان الخاتم

أوجد هذا الديوان لمنع وقوع خطأ أو تزوير في الكتب المهمة التي كانت

- (١) الطومار : الصحيفة ، والجمع طوامير ، قبل هو دخيل . قال ابن سيده « وأراه عربياً محضاً لأن سيبويه قد اعتد به في الأبنية فقال « هو ملحق بفسطاط » .
- (٢) الصولي - أدب الكاتب ١٤٨/٢ .
- (٣) انظر مثلاً مسكويه - تجارب ٧٥/٥ . (٤) الصولي - أدب ١٤٨/٢ .
- (٥) ابن خلدون - العبر ٢٠٦/١ « ط . بولاق » حيث كان الوزير يقوم بكتابة التواقيع للخليفة بحضوره ، وكان البلغاء يتنافسون في الحصول على توقيعات بعض الوزراء مثل جعفر البرمكي ، حتى قيل أن التوقيع كان يباع بدينار .
- (٦) قدامة - الحراج « مخطوطة كوبريلي » ص/١٨ آ . وانظر أدب الكاتب - المكافأة ص/٥٦ .

تصدر عن الخليفة والتي كانت تحتاج إلى أن تختم بختم الخليفة وذلك لأنه كان لهذا الخاتم من الأهمية ما ليس لغيره^(١)، ومن المرجح أن هذا النظام اقتبس من الفرس^(٢)، فبعد أن كان الكتاب المراد ختمه يمر بعدة دواوين ذات علاقة به حيث كان يقابل فيها بما كان مثبتاً في سجلاتها أو نسخها الخاصة كان يعاد إلى ديوان الخاتم فيثبت فيه ثم يختم بعد أن يحتفظ في الديوان بنسخة منه، وترسل النسخة الأصلية إلى الجبل الذي وجهت إليه.

ولقد كان المتولي لديوان الخاتم منفرداً بعمله حتى ٢٩٦هـ / ٩٠٨ م عندما تولى أبو الحسن علي بن محمد بن الفرات وزارته الأولى، فعرض علي ابن مقلة اختيار منصب له فلم يجد ما يصلح له أن يتقلده إلا ديواني الفرض والخاتم فاخترهما^(٣). وبذلك توحدت إدارة ديوان الخاتم مع ديوان الفرض وعهد بها إلى رجل واحد كان يتسلم لقاء ذلك راتباً شهرياً قدره أربعمائة^(٤) دينار. وقد استمر توحيد هذين الديوانين بعد ذلك ففي سنة ٣١٥هـ / ٩٢٧ م قلده علي بن عيسى رئاستهما إلى أحد الكتاب^(٥).

(١) قدامة - الحراج « مخطوطة كوبريلي » ص/١٨ أ.

(٢) يقول قدامة : « وهو رسم كانت الفرس تجري أمرها عليه لأن الملك منهم إذا أمر بأمر وقعه صاحب التوقيع بين يديه، وأثبت ذلك في تذكرة عنده ثم ينفذ التوقيع إلى صاحب الزمام وإليه الختم، فينفذه إلى صاحب العمل فيكتب منه كتاباً بابتداء إثباته في ديوان الأصل، ثم ينفذ إلى صاحب الزمام ليعرضه على الملك ويقابل به ما في التذكرة ويختم بحضرة الملك .. » ولعل مما يؤيد هذا الرأي أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان لديه خاتم ختم الكتب التي كان يرسلها. أما الذي تشدد في هذا الموضوع فهو معاوية ابن أبي سفيان في أعقاب تزوير إحدى رسائله.

(٣) الصابي - الوزراء ص/١٩٧، ١٩٨.

(٤) ن. م. ص/١٩٨. (٥) مسكويه - تجارب ص/١٥٢.

فيوانه المصادرى

لم تكن المصادرة شيئاً أدخل على النظام الإدارى إبان العصر العباسى الثانى ، فقد كانت مصادرات أموال الثاثرين والمختلسين تشكل جزءاً من موارد بيت المال فى القرن الأول الهجرى (١) ، غير أنها لم تكن آنذاك عامة ومستمرة ، بل كانت وقتية تكمن وراءها عوامل سياسية وشخصية ؛ ويبدو أنها استمرت بعد ذلك ؛ إذ نجد لها ذكراً خلال العصر العباسى الأول . ففي أيام الواثق (٢) والمتوكل حصلت مصادرات (٣) بشكل متقطع ، وكانت مدفوعة بعامل الرغبة فى الحصول على الأموال .

أما فى العصر العباسى الثانى ، فقد تطورت المصادرة من ناحية الأسباب والمظاهر ، فلم تقتصر فى أسبابها على العوامل السياسية أو الشخصية كما كانت من قبل ، بل كانت هذه أقل الأسباب احتمالاً لتفسيرها .

وقد وُضع فى هذا العصر أن السبب الأساسى فيها هو الطمع فى أموال المصادرين بدافع الحاجة إلى الأموال .

ولعل نظرة سريعة إلى الحالات التى حصلت فيها المصادرات كافية للتدليل على أنها قد جرت فى ظل أزمات مالية خانقة ، كانت الدولة فيها بأمرس

-
- (١) الدورى - « مادة ديوان » دائرة المعارف الإسلامية - الطبعة الجديدة بالانكليزية ، صالح العلى - التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية فى البصرة فى القرن الأول الهجرى ص/١٢٤ . وانظر اليعقوبى - تاريخ ١٢٧/٢ . ابن الطقطقى - الفخرى ص/١١٥ .
- (٢) ابن الأثير - الكامل ٧/٧ . وانظر الدورى - دراسات ص/٤٠ .
- (٣) الطبرى - تاريخ ٢٧/١١ - ٢٩ . اليعقوبى - تاريخ ٣/٢٠٩ . وانظر الدورى - العصر العباسى الأول - فصل الضرائب .

الحاجة إلى إيجاد المال لسد نفقات الدولة ، ولكبج شُعب الجيش الذي كان دائماً يطالب بأرزاقه المتأخرة .

أما من حيث المظاهر فقد أصبحت المصادرة شائعة ، كما لم يكن يصحبها إيقاع عقوبات بدنية بالأشخاص المصادرين ، فالذين كانوا يقدمون الأموال المطلوبة كان يخلى سبيلهم ، والذين كانوا يقدمون التعهدات بالدفع لأجل كانوا يحجزون ، ويسمح لهم بمكاتبة أو مقابلة وكلائهم وأصحابهم حتى يتم تسديد الأموال التي تعهدوا بدفعها . والذين كانت تحول ظروفهم دون تقديم المال اللازم في حالة حجزهم كان يخلى سبيلهم بعد أن يقدموا تعهداً مكتوباً لتسديد المال المعين لأجل معين ويؤخذ عليهم الضمائم^(١) . أما الذين كانوا يمتنعون عن دفع الأموال ، ويرفضون التوقيع على تعهد بتسديدها فإنهم كانوا يتعرضون لأنواع شتى من العقوبات البدنية . كانت المراكز التي كانوا يشغلونها في الدولة قبل المصادرة . فقد تعرض الوزير علي بن عيسى مثلاً لأنواع شتى من الأذى « فألبس حبة صوف مدهونة بماء الاكارع » ، وقيد بسلسلة زنتها عشرون رطلاً ، وأمر عشرة غلمان بصفعه^(٢) ، كما أن المصادرة لم تقتصر على الوزراء والموظفين وحدهم ، بل كانت تشمل المثرين من التجار والجهابذة والملوك وغيرهم . فكانت بهذا أكبر خطر على الملكية الفردية^(٣) .

كان الخليفة يصادر الوزير متى أُلجأته الحاجة إلى أموال يعجز الوزير عن توفيرها^(٤) . وكان الرسم أنه إذا دخل الوزير على الخليفة وخدمه ألا

(١) انظر مثلاً : مسكويه - تجارب ١٤٩/٥ ، ١٥٥٠ .

(٢) مسكويه - تجارب ١١٣/٥ : الصابي الوزراء - ص/٣٢٣ ، ٣٢٤ .

(٣) الدوري - تاريخ العراق الاقتصادي ص/٢٧٥ .

(٤) مسكويه - تجارب ١١٣/٥ . الصابي - الوزراء ص/٣٣٣ .

يقبض عليه في ذلك اليوم إلا في داره أو منصرفاً من حضرته إيجاباً لحق الوصول والخدمة ، وإنما كان يقبض عليه في بعض المرات عند دخوله من قبل أن تقع عليه عينه (١) . وأصبح من المعتاد في هذه الفترة أن يتم كل وزير سلفه بسوء التصرف والظلم والحيانة ، وكانت الطريقة المتبعة أن يلقى القبض على الوزير وأعوانه وكتابه (٢) وأولاده ، ثم يبدأ الوزير الجديد ببذل المحاولات لاستخراج أموال هؤلاء ومصادرتها عن طريق الاقتناع أولاً ثم التهديد .

وكان كتاب الوزير المعزول وأعوانه يقدمون أحياناً معونة له عند مصادرته ، تضامناً معه وتخفيفاً عنه . إلا أن بعض الوزراء كانوا يرفضون ذلك ، فلم يقبل علي بن عيسى (٤) من أحد من الكتاب معونة في مصادرته ، مع ما يبذل جماعتهم له وحمل إياه ما أطاق كل واحد منهم (٥) ، ولعل ذلك يشير إلى أن معونة الكتاب لرئيسهم المعزول كانت مألوفة .

وقد أصبحت المصادرة راجحة في زمن المقتدر بالله الذي أمرف في بعثرة الأموال ، ويشير مسكويه إلى أن هذا الخليفة قد « أتلف نيفاً وسبعين ألف ألف دينار سرى ما أنفقه في موضعه وأخرجه في وجوهه (٦) » .

(١) الصائي - الوزراء ص/ ٢٩١ .

(٢) أورد التنوخي - نشوار المحاضرة ٥٣/٨ قول أحد كتاب الوزير ابن الفرات بأنه « نكب بنكيتته » وأنه سلم إلى من يجسسه . المصدر .

(٣) عريب القرطبي - صلة ص/ ٣٩ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٧٤ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٢ .

(٤) وانظر الدوري - تاريخ العراق الاقتصادي ص/ ٢٧٦ .

(٥) وكان ذلك في مصادرة علي بن عيسى من قبل ابن الفرات في وزارته

الثالثة والأخيرة .

(٥) مسكويه - تجارب ١١٢/٥ . الصائي الوزراء ص/ ٣٣٣ ، ٣٣٤ .

(٦) مسكويه - تجارب ٢٣٨/٥ .

وبما يذكر من أن عدد المصادرات في زمن هذا الخليفة بين سنتي ٢٧٦ - ٥٣١٩ كما يذكر مسكويه قد بلغت (٢٢) مصادرة^(١) ، أما مقاديرها فتختلف بحسب الكفاة المالية الأشخاص المصادرين وقد بلغت الأموال التي صادرها من الوزير ابن الفرات وكتابه وأسبابه (٤ / ٤٠٠ / ٠٠٠) ديناراً^(٢) .

ولعل أوج ما بلغت المصادرة من العنف قد حصل في فترة سيطرة « أمير الأمراء » حتى أوائل العصر البويهي ، فقد رأى أمير الأمراء وبعض الوزراء في المصادرة مورداً أساسياً للخزينة فتصرفوا على هذا الأساس^(٣) . وخلال الفترة بين سنوات ٣٢٠ - ٥٣٣٤ = ٩٣٢ - ٩٤٥ م يعدد لنا مسكويه (١٤) مصادرة مختلفة^(٤) .

ويحفظ لنا الصابي نموذجاً لمصادرة نقلها عن وثيقة رسمية صدرت عن ديوان المغرب في خلافة الراضي^(٥) ، وفيها المصادرات التي أراد ابن الفرات وولده المحسن استخراجها من المصادرين في وزارة ابن الفرات الثالثة . ومنها يمكن أن نستنتج بأن المصادرة شملت كثيراً من الكتاب والأعوان فبلغ عددهم (٤٠) شخصاً ، وأن بعض هؤلاء صودروا مرتين ، وأن

(١) ن . م . ٥ / ٨ ، ١٤ ، ٢٤ ، ٦٤ ، ٦٦ ، ٩٣ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٠٩ ، ١٢٨ ، ١٣١ ، ١٤١ ، ١٤٤ ، ١٤٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٢ ، ٢٣٩ . وانظر الدوري - تاريخ العراق الاقتصادي ص / ٢٧٩ ، ٢٨٠ .

(٢) مسكويه - تجارب ٥ / ٢٣٩ .

(٣) الدوري - تاريخ العراق الاقتصادي ص / ٢٧٩ .

(٤) مسكويه - تجارب ٥ / ٢٤٦ ، ٢٥٣ ، ٢٦٦ ، ٢٧٢ ، ٣١٩ ، ٣٢٤ ،

٣٣١ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٦١ / ٦ ، ٨٠ ، ٨٨ .

(٥) الصابي - الوزراء ص / ٤٤ وما بعدها .

مجموع المبالغ المصادرة هذه قد بلغ أكثر من ثمانية ملايين دينار^(١). وربما يعكس هذا المثل أهمية المصادرة كمورد أساسي للخزينة .

ومع أن المصادرات قد سببت ارتباكاً في إدارة الدولة ، إلا أنها لم تكن تخلو من بعض الفائدة ، إذ أنها منعت تراكم الثروة المفرط لدى بعض الأشخاص ، وقللت من التباين الاقتصادي ، وعمل ذهاب أموال المصادرة للخزينة على إعادة توزيعها على الموظفين في الرواتب من جهة ، واستفادة الشعب منها في بعض الأحيان عن طريق الخدمات التي تقدمها الدولة لهم ، وأخيراً فإنها مثلت مورداً مهماً من موارد بيت المال^(٢) .

لقد انشئ ديوان المصادرين للإشراف على استيفاء أموال المصادرات التي كانت تقرر بعد أن يتعهد الأشخاص المصادرون بدفعها . وقد جرت العادة على أن تودع « خطوط المصادرين والكفالات وضمائم الضمان » في خزائن الوزراء^(٣) . وقد شذ عن هذا التقليد الوزير علي بن عيسى ، حيث أودعها عند صاحب ديوان المصادرات . غير أن ابن الفرات في وزارته الثالثة استغرب عند مناقشته لعلي بن عيسى هذا التصرف وقال : « ما سبقك أحد إلى تسليم خطوط المصادرين إلى صاحب ديوان المصادرات ، لأن سبيل الخطوط أن تكون في خزائن ديوان الوزراء محفوظة يتسلمها وزير بعد وزير ، فلما أجابه علي بن عيسى بأنه عمل ذلك رغبة في عمارة الديوان ، رد ابن الفرات عليه « إن كنت أردت عمارة الديوان فكان ينبغي أن تأخذ الخطوط على نسختين ، نسخة للديوان ونسخة تكون عندك ، فلو باع

(١) الدوري - تاريخ العراق الاقتصادي ص/٢٨٢ .

(٢) ن ٢٠٠ ص/٢٧٩ . (٣) مسكويه - تجارب ص/١٥٥ .

صاحب الديوان رقاع المصادرين والكفالات وضمانات الضمناه . هل كان على السلطان مضرة في هذا المال أعظم منك؟ (١) .

أما أموال المصادرة التي كان يجري استلامها من قبل ديوان المصادرة فإنها كانت توجه الى احد بيتي الأموال الخاصة أو العامة ، حسب رأي الخليفة ، أو الوزير لحفظها فيه (٢) . ولم يشذ عن اتباع هذا الأسلوب إلا ابن الفرات في وزارته الأولى (٣) ، اذ انه نصب شخصين وكل اليها استلام أموال المصادرين (٤) ، دون صاحبي بيت المال ، كما لم يعهد بمحاسبتهما الى أحد من الدواوين ، بل رد ذلك إلى أحد كتابه ؛ ثم عمل بعد ذلك خلاصة بما ورد من الأموال ، وما صرف منها « وأمر بيت مال العامة بقبض الباقي (٥) » .

ومن الطبيعي أن تكون صاحب ديوان المصادرين من المقربين إلى الوزير ومن كان يثق بهم ، وهم لذلك كانوا يتبدلون عادة بتبديل الوزير ، وقد جرت مصادرتهم أحياناً (٦) فمثلاً كان المحسن بن الوزير أبي الحسن بن الفرات يتولى ديوان المصادرين في وزارة أبيه (٧) .

(١) مسكويه - تجارب ١٥٥/٥ .

(٢) يرى الدوري - تاريخ العراق الاقتصادي ص/٢٧٩ بأن ذهب أموال المصادرة للخزينة يعني إعادة توزيعها على الموظفين في الرواتب . وهذا يشير إلى أنها كانت توجه في الغالب الى بيت مال العامة « أي خزينة الدولة » .

(٣) انظر قائمة الوزراء الملحقه بالمبحث الثاني من هذه الرسالة .

(٤) وهما يوسف بن ثنجاس وهارون بن عمران الجهبذيين . انظر التنوخي -

نشوار ٢٤/٨ .

(٥) ن . م . ٢٤/٨ . (٦) مسكويه - تجارب ٢١/٥ .

(٧) الصابي - الوزراء ص/٣٣٢ .

ديوان الموارث

لقد كان النظر في أمور الموارث وتقسيمها موكل في الدولة الإسلامية إلى القضاة؛ ومن الناحية الشرعية - من وجهة نظر الفقهاء - لم يرد ما يسوغ فرض أية ضريبة على التركات^(١)، إلا أنه في حالة وفاة شخص لا وراث له كان « السلطان ولي من لا ولي له يرثه ويعقل عنه ». وقد اعتبر قدماء ابن جعفر « ما يؤخذ من موارث من يموت ولا يخلف وارثاً » من جملة الأموال الشرعية التي يسوغ ضمها إلى بيت المال^(٢).

وقد وضعت ضريبة الإرث، كما يظهر، لأول مرة في خلافة المعتمد على الله (٢٥٥ - ٢٧٩ هـ / ٨٧٠ - ٨٩٢ م^(٣))، ولعل إنشاء ديوان الموارث قد تم في أعقاب وضع الضريبة.

وعند تولي الخليفة المعتضد الخلافة عمل الوزير عبيد الله بن سليمان^(٤)

(١) اختلف الفقهاء في رد ما يبقى من التركة إذا بقيت فيها فصلة لم تستوفها العرائض، ولم يكن هناك من يعصب، ويرى القرطبي في بداية المجتهد ٦/٣٤ بأن « جل الصحابة قالوا بارداً على ذوي الفروض ما عدا الزوج والزوجة، وإن كانوا قد اختلفوا في كيفية ذلك، وبه قال فقهاء العراق من الكوفيين والبصريين. وأجمع هؤلاء الفقهاء على أن الرد يكون لهم بمقدار سهامهم... وعمدتهم أن قرابة الدم والنسب أول من قرابة الدين»، أما زيد بن ثابت فلا يقول بارداً، ويجعل الفاضل في بيت مال المسلمين، وبه قال الإمام مالك والشافعي، وعلى هذا الرأي استند المعتمد كما يبدو في تشريعه لضريبة الإرث.

(٢) قدماء - الحراج « مخطوطة كوبريلي » ص/٨٠.

(٣) الصانعي - الوزراء ص/٢٧٠. وانظر عريب - صلة ص/١١٨ إذ يقول: « وإن تقليد العمال أمر الموارث دون القضاة شيء لم يكن إلا في خلافة المعتمد على الله، فإنه خلط في ذلك ».

(٤) وزير المعتضد من سنة ٢٧٩ هـ إلى سنة ٢٨٨ هـ.

على إقناعه بضرورة إلغاء هذا الديوان ، فقد شرح له « حال المتقلدين لأعمال
المواريث ، وما يجري على الرعية من مطالبتهم بإيهم بأحكام لم ينزل بها كتاب
الله عز وجل ، ولا جرت به سنة رسوله ﷺ ، ولا أجمع أئمة الهدى عليها (١) .
فكتب المعتضد الى القاضيين يوسف بن يعقوب ، وعبد الحميد بن عبد العزيز (٢)
يسألها « عن الحالة عندهما في مواريث أهل الملة والذمة (٣) » ، فكتب القاضي
عبد الحميد بن عبد العزيز كتاباً في مواريث أهل الملة نص فيه على « أن
يرد على أصحاب السهام من القرابة ما يفضل عن السهام المفترضة في كتاب
الله تبارك وتعالى من المواريث ، إذا لم يكن المتوفى عصبة تحوز باقي ميراثه ،
كما أنه جعل من يتوفى ولا عصبة له لذوي رحمه إن لم يكن له وارث
سواهم ، مستنداً في حكمه إلى ما جاء في القرآن الكريم من قوله تعالى :
(وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إن الله بكل شيء
عليم (٤) » ، وسنة الرسول ﷺ (٥) في توريثه من لافرض له في كتاب الله
من الخال وابن الأخت والجدة (٦) . وكتب القاضي يوسف بن يعقوب
إليه كتاباً في مواريث أهل الذمة استند فيه إلى ما ورد عن النبي ﷺ من
أن المسلم لا يرث الكافر ، وأن الكافر لا يرث المسلم ، وأنه لا يتوارث أهل
ملتين (٨) ، وقال يوسف في كتابه : « إن السنة جرت بأن أهل كل ملة

(١) الصابي - الوزراء - ص/٢٦٩ . (٢) كانوا قاضيين في بغداد وما إليها .

(٣) الصابي - الوزراء - ص/٢٦٩ . (٤) القرآن الكريم - الأنفال : الآية «٧٥» .

(٥) البخاري - الصحيح : كتاب الفرائض م/١٦ . أبو داود - الفرائض

١٩:٨/م . ابن ماجه - الفرائض م/٩ . الدارمي - الفرائض م/٢٧ ، ٣٢ ، ٣٨ .

القرطبي - بداية المجتهد ٢/٣٤٠ وما بعدها .

(٦) الصابي - الوزراء - ص/٢٦٩ . (٧) القرطبي - بداية المجتهد ٢/٣٤٦ .

تورث من هو منهم إذا لم يكن له وارث من ذوي رحمه (١) . وبعد أن اطلع المعتضد على الكتابين ، استجاب إلى طلب وزيره ، فأصدر سنة ٥٢٨٣ منشوراً عممه إلى جميع الأطراف ، أمر فيه بأن يرد الفاضل من سهام المواريث إلى ذوي الأرحام ، ويأبطل ديوان المواريث (٢) ، ومن المحتمل أن يكون المكتفي بالله (٣٨٩ - ٢٩٥ هـ / ٩٠٠ - ٩٠٧ م) قد أكد الأمر نفسه برفع ضريبة المواريث وإزالة الديوان (٣) .

وفي عهد المقتدر لم يقدر لتلك الأوامر التنفيذ ، إذ كثرت مطالبات عمال المواريث ، وازداد تصفهم ، وقد عبر عن ذلك ابن المعتز في أرجوزته التي يقول فيها (٤) :

وويل من مات أبوه موصراً	أليس هذا محكماً مشهراً
وطال في دار البلاء سجنه	وقيل من يدري بأنك ابنه ؟
فقال جيرانه ومن يعرفني	فتتقوا سباله حتى فني
وأمرقوا في لئكمه ودفعه	وانطلقت أكفهم في صفعه
ولم يزل في أضيقت الجبوس	حتى رمى لهم بالكييس

ولو كانت الأوامر السابقة سارية خلال السنوات الأولى من حكم المقتدر بالله ، لما أصدر المقتدر أمراً جديداً ألغى فيه ضريبة المواريث ، وأمر فيه برفع مطالبة المواريث عن الناس ، وأن يورث ذوو الأرحام ولا يعرض لأحد

(١) الصابي - الوزراء ص/٢٧٠ .

(٢) الطبري - تاريخ ٣/٣١٥١ « ط ٠ لايدن » . ابن الأثير - الكامل ٧/١٧٢ .

(٣) قال ابن الفرات مخاطباً المقتدر بالله « وقد كان المعتضد بالله والمكتفي بالله

قد رفعوا المواريث وأزالوها » الصابي - الوزراء ص/٢٦٨ .

(٤) ديوان ابن المعتز - ١/١٣١ . نشرة لوين - استانبول سنة ١٩٥٠ م .

في ميراث إلا لمن صح أنه غير وارث (١) .

ثم أعاد الوزير حامد بن العباس (٢) ضريبة المواريث إلى سابق عهدها « وقرر الأمر بتتبع المواريث وقلد جبايتها عمالاً يجرون مجرى الخراج » ، وأطلق يد جباة المواريث « وتناول على الرعية بما لم يرض الله عز وجل فيه (٣) » ، وعندما توفي يانس الموفقي أمر المقتدر المحسن بن علي بن الفرات (ابن الوزير وشريكه في تصريف أمور الوزارة) بتحصيل تركته (٤) وإضافتها إلى بيت المال .

وفي سنة ٣١١ هـ توفي أحد شيوخ الكتاب وخلف ورثة أحدًا قاصرين فأمر المقتدر بالتوكيل على داره وخزائنه ، ولكن بعض الورثة اتصلوا بالمحسن بن الوزير وضمنوا له مالاً كثيراً إن استطاع أن يزيل التوكيل الذي أمر به المقتدر (٥) . وتمكن المحسن ووالده من اقناع المقتدر بإلغاء ضريبة المواريث بعد أن استعرض له تاريخ نشأتها وتطورها خلال الفترة السابقة ، واستطاعا أن يستصدرا من المقتدر منشوراً عاماً بتاريخ ١٩ رجب سنة ٣١١ هـ استعرض فيه تاريخ هذه الضريبة وجاء فيه « .. ورأى أمير المؤمنين أن من حق الله عليه فيما قلده من خلافته وألبسه من جلباب

(١) عريب القرطبي - صلة ص/٣٨ ، ويضيف إلى ذلك قوله « وكان الناس من قبل ذلك في بلاء وتعمل متصل من المستخرجين والعاملين » مما يشير إلى أن الضريبة كانت تجبى قبل هذا التاريخ وإن أصحاب المواريث قد عانوا كثيراً من هذه الضريبة .

(٢) وزير المقتدر بالله خلال الفترة ٢٠٦ - ٣١١ هـ / ٩١٨ - ٩٢٣ م .

(٣) الصايي - الوزراء ص/٢٧٠ .

(٤) عريب القرطبي - صلة ص/١١٥ ، ١١٦ .

(٥) عريب القرطبي - صلة ص/١١٦ .

كرامته ، وألزمه من رعاية عباده في بلاده الدانية والقاصية أن يعم جميعهم
بعده وإنصافه ويتناولهم بفضله وإحسانه فأمر أمير المؤمنين بأن يرد
على ذوي الأرحام ما أوجب الله عز وجل ورسوله ﷺ رده من
الموارث عليهم ، وأن ترد تركة من مات من أهل الذمة ، ولم يخلف وارثاً
على أهل ملته ، وأن يصرف جميع عمال الموارث في سائر النواحي ويبطل
أمرهم ، ويرد النظر في أعمال الموارث الى الحكام على ما لم يزل يجري عليه
قبل أيام المعتمد على الله (١) ؛ ولما صدر كتاب المقتدر هذا سلمت
تركة الكاتب المذكور (٢) إلى الورثة (٣) ، ولكن المحسن بن الوزير وجه
إليهم فأخذ جميع ما لهم وأمر بجسهم ، وهكذا فإن أول من اخترق أمر
المقتدر كان هو شخصاً بشارك في مسؤولية الوزير (٤) .

وعلى أي حال فإن المسألة من الناحية القانونية على الأقل ، قد أصبحت
متفقة مع أحكام الشريعة الإسلامية ، واتضح أن ضريبة الإرث وأعمال
ديوان الموارث لم تكن مشروعة ، وأنها كانت تأول لرواية انفرد بها
زيد بن ثابت (٥) .

-
- (١) الصايي - الوزراء/ص ٢٦٨ ، ٢٧١ . عريب القرطبي - صلة/ص ١١٧ .
(٢) وهو أحمد بن محمد بن خالد الكاتب المعروف بـ « أخيه أبي صخرة » .
(٣) الصايي - الوزراء/ص ٢٦٨ حيث أصدر الوزير علي بن الفرات أمراً نص فيه
على وجوب « ازالة التوكيد عن داره ، والاهتراض عما خلفه وبتسليم جميعه الى الورثة » .
(٤) عريب القرطبي - صلة/ص ١١٨ .
(٥) أورد الصايي في كتابه الوزراء/ص ٢٧١ نص الجواب الذي أجاب به الفقيه
أبو خازم على سؤال بدر المعتضدي ، رئيس الحرس ، وحاول بعد مناقشة طويلة أن
يقود رأيه المستمد من رأي عموم الصحابة ، في رد الأثر الى القرابة ، ان لم يكن هناك
وارث في العصابة ، ورفض الفقيه قبول رأي زيد بن ثابت .

أما من الناحية العملية فليس بالإمكان التعرف على مدى تطبيق هذا الأمر خلال الفترة التالية من عهد المقتدر ، أو الفترة التي تلت ذلك وكل ما وصلنا ان العروضي - وهو شخص وصفه الصولي بأنه كان ثقة - كان يلي المواريث على عهد الراضي .

وبما أن أمر المواريث كان يعود للقضاة عادة ، فإن الافتراض المنطقي لتعيين « والي المواريث » هذا يشير إلى استمرار ضريبة الارث ، وعلى أية حال فقد تمكن الراضي من أن يكسب شهوة الاستيلاء على المواريث لدى الامراء ، إذ أنكروا على ابن « رائق » سلبه لتركة شخص ، له من يرثه ، وأمره برد جميع ما أخذ إلى موضعه وتسليمه لورثته فاستجاب للأمر (١) .

ديوان البر

انشىء هذا الديوان في سنة ٣٠١ هـ / ٩١٣ م خلال وزارة علي بن عيسى للمقتدر بالله (٢) . ويعتبر استحداث هذا الديوان من جملة الأعمال الإصلاحية التي قام بها هذا الوزير ، فقد استطاع أن يقنع الخليفة « بوقف (٣) المستغلات بمدينة السلام (وكانت غلتها السنوية حوالي ١٣ ألف ديناراً) والضياح الموروثة بالسواد الجارية في ديوان الخاصة (وكانت غلتها السنوية أكثر من ٨٠ ألف دينار) على الحرمين والشعور (٤) » .

وكان لابد من انشاء ديوان خاص لاستثمار هذه الاملاك الموقوفة ،

(١) الصولي - الأوراق ص/١٠٤ .

(٢) وزارة علي بن عيسى الأولى . انظر قائمة الوزراء الملحقه بالمبحث الثاني .

(٣) أي يجعلها موقوفة عليها . (٤) الصائي - الوزراء ص/٣١٠ ، ٣١١ .

والإشراف على توزيع وارداتها ، والصرف على الأراضي المقدسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة ، وعلى الثغور في حدود الدولة البيزنطية^(١) . ويشير الصابي إلى توفر المياه العذبة في مكة نتيجة ذلك من جراء حفر بئر في محلة الحنطين فيها عرفت فيما بعد بالجراحة^(٢) ، وابتاع عين غزيرة بألف دينار^(٣) .

لقد تقلد رئاسة ديوان البر أحد الكتاب الثقات^(٤) طيبة وزارة علي ابن عيسى هذه ، وعندما تولى علي بن الفرات الوزارة^(٥) : قلد ديوان البر إلى ولده حيث استمر في توليه لهذا الديوان ، بالإضافة إلى الأعمال التي أوكلت إليه طول فترة وزارة أبيه الثانية هذه^(٦) .

وفي وزارة علي بن عيسى الثانية^(٧) ، قلد ديوان البر لأبي أحمد عبد الوهاب بن الحسن الكاتب ، مما يشير إلى استمراره ، غير أن هذا الكاتب قلد ديوان البر وديوان الصدقات^(٨) ، ولعل ذلك يشير إلى توسع اختصاصات هذا الديوان . أما عن تنظيمات هذا الديوان وكتابه فلم يردنا ما يوضح ذلك .

(١) انظر الدوري - مادة « ديوان » في دائرة المعارف الإسلامية - الطبعة الجديدة .

(٢) نسبة إلى الوزير علي بن عيسى بن الجراح . (٣) الصابي - الوزراء ص/٣١١ .

(٤) وهو أبو شجاع الكاتب ، انظر المصدر السابق ص/٣١١ .

(٥) وزارته الثانية . انظر قائمة الوزراء الملحقه بالمبحث الثاني من هذه الرسالة .

(٦) هذا ما ذكره ناشر كتاب مسكويه « التجارب » في الحاشية الثانية ١/٥ ؛ نقلًا عن كتاب العيون .

(٧) وزارته الثانية هذه من ذي القعدة ٣١٤ هـ - ربيع الأول ٣١٦ هـ / ٩٢٦ -

٩٢٨ م . انظر قائمة الوزراء الملحقه بالمبحث الثاني .

(٨) مسكويه - تجارب ١٥٢/٥ .

ديوان المرافق

أنشئ هذا الديوان في بداية وزارة علي بن محمد بن الفوات^(١) للمقتدر بالله. ويبدو أن ذلك كان إجراءً مؤقتاً تطلبت طبيعة الأوضاع التي كانت سائدة ، خلال هذه الفترة ، فقد قبض على الوزير السابق^(٢) ، وعلى إخوته وأغلب عماله^(٣) وكتابه ، فصادرهم^(٤) ، ثم طالب العمال المصادرين ، ومن كان لهم تصرف في الأمور ؛ خلال وزارة علي بن عيسى ؛ بأن يظهروا المرافق التي عندهم ، ونصب لذلك ديواناً خاصاً عرف باسم « ديوان المرافق » ، لكي يؤديها إليه ، وعهد برئاسته إلى هارون بن عمران^(٥) الذي قام باستيفائها منهم كما كانت تستوفى الحقوق^(٦) .

-
- (١) وكانت وزارته هذه هي الثانية ، في ٨ ذي الحجة سنة ٣٠٤ هـ / ٩١٦ م ، انظر قائمة الوزراء الملحقه بالمبحث الثاني من هذا الكتاب .
- (٢) علي بن عيسى بن الجراح ، انظر قائمة الوزراء .
- (٣) استثنى من العمال أبنا أبي البغل « أبو الحسين وأبو الحسن » ، وكانا يتقلدان أعمال البصرة وأصبهان ، ولم يكونا على علاقة طيبة بالوزير السابق ، إلا أنه أبقاهما لمنابة أختها القهرمانة أم موسى بها ، مسكويه - تجارب ٤٢/٥ .
- (٤) يذكر مسكويه - تجارب ٢٤٠/٥ بأن مجموع ما أخذ من هلي بن عيسى ، وابن الحواري وسائر الكتاب ووجوه العمال المصادرين « ٢٦٠٠٠٠٠٠٠٠ » دينار .
- (٥) الصابي - الوزراء ص/٣٨ .
- (٦) مسكويه - تجارب : ١٠٨ ، ٤٢/٥ . الصابي - الوزراء ص/٣٧ ، ٢٨ ، ٩٢ . وانظر الدوري - مادة « ديوان » دائرة المعارف الإسلامية . الطبعة الجديدة بالانكليزية .

ديوان المقبوضات

كان ديواناً مؤقتاً ، أنشأه علي بن عيسى في خلافته للوزير حامد بن العباس على الدواوين والأعمال (١) . وكان الغرض من إنشائه استلام وإدارة أملاك وضياع أم موسى القهرمانة وأختها وأخيها ، ولعل ذلك ما يسوغ تسمية هذا الديوان بديوان « المقبوضات عن أم موسى وأسبابها » (٢) . أما السبب في ذلك فهو أن أم موسى القهرمانة زوجت بنت أخيها أبي بكر ان العباس من أبي العباس بن محمد بن إسحاق بن المتوكل على الله (٣) ، وأسرفت « فيما نثرت من المال وفيما أنفقت على دعوات دعت فيها الصغير والكبير من أهل المملكة » (٤) ، وقد تمكن أعداؤها من السعي عليها عند الخليفة وأمه ، واتهموها بالعمل على تنحية المقتدر بالله عن الخلافة لكي تنصب فيها صهرها ابن المتوكل ، « فتمت النكبة عليها وسلمت إلى مثل القهرمانة مع أختها وأخيها » (٥) ، فاستخرجت منهم أموالاً كثيرة وجواهر نفيسة ومن الثياب والكسوة والفروش والطيب ما يعظم مقداره حتى بلغ مجموع ما أخذ منهم مليون دينار (٦) .

-
- (١) وزارته من جمادى الآخرة سنة ٣٠٦ - ربيع الثاني ٣١١/٩١٨-٩٢٣ . وانظر قائمة الوزراء الملحقة بالمبحث الثاني .
- (٢) مسكويه - تجارب ٨٣/٥ ، ٨٤ ، .
- (٣) يصفه مسكويه بأنه كان من أولاد الخلفاء النجباء ، وكانت له نعمة حسنة ظاهرة ، حسن المروءة واللبسة والدواب والمراكب ، وكان صديقاً لعلي بن عيسى حتى قيل أنه كان يرشحه للخلافة « تجارب ٨٣/٥ ، ٨٤ » .
- (٤) مسكويه - تجارب ٨٤/٥ . (٥) ن.م. ٨٤/٥ (٦) ن.م. ٧٤/٥ .

وقد قلد أمر هذا الديوان أبو شجاع الكاتب^(٧) ، وقد الزمام عليه أبو عبد الله اليمصفي الكاتب .

ولا بد أن هذا الديوان قد انتهى بانتهاه الغرض من إنشائه ، ولعل الأملاك التي كانت بعهدته قد انتقلت إلى أحد بيوت الأموال عن طريق ديوان المصارين .

ديوان المرجعة

وكان ديواناً مؤقتاً أيضاً ، أنشئ في أعقاب عودة المقتدر بالله إلى الخلافة بعد خلعها سنة ٥٣١٧ / ٩٢٩ م . وكان المقتدر قد وقع على كتاب أعلن فيه تنازله عن حقه في الخلافة وأشهد على نفسه^(٨) ، فلما أعيد كان لا بد له من أن يطلق « مال البيعة » لتجديد العهد . غير أن أموال المقتدر وما كان موجوداً في الخزائن لم يف بأرزاق الجند ومال البيعة ، وعند ذلك أصدر الخليفة أمره بارتجاع ما كان أقطعه للناس من الأموال والضياع والمستغلات ، وأفرد لذلك ديواناً خاصاً سمي بـ « ديوان المرجعة » .

ويبدو أن تصريف أمور هذا الديوان قد عهد بها إلى الوزير ابن مقلة .

(١) وهو نفس الشخص الذي أوكل إليه أمر ديوان البر أول إنشائه . انظر مسكويه ٨٤/٥ ، وكذلك الصابي الوزراء / ٣١١ .

(٢) حصل ذلك خلال أحداث الفتن التي قام بها أبو الهيجاء ونازوك والتي نصبوا خلالها القاهرة بالله سنة ٥٣١٧ / ٩٢٨ م . انظر مسكويه - تجارب / ٥ ، ٦٦٤ ، ١٩٥ القرطبي - صلة ص / ١٤٤ ، ابن الأثير - الكامل / ٨ ، ٧٠ .

فبالرغم من تقليد رئاسة هذا الديوان الى أحد الكتاب^(١) ، فإن الوزير قد بقي فترة طويلة لايشغله إلا تصريف أعمال هذا الديوان والتوقيع للجنود بالأموال^(٢) . بل لقد شغل أصحاب الدواوين الأخرى بتسيير مهمة ديوان المرجعة هذا ، كإخراج الأوراق الثبوتية للأراضي أو الأملاك التي تباع ، والتي عهد بأمر بيعها إلى علي بن العباس النوبختي^(٣) ، ومع ذلك فإن كثيراً من البيوع كان فيها غبن فاحش ضد مصلحة بيت المال^(٤) .

وبما هو جدير بالذكر أن استرجاع الاقطاعات المقطعة للناس في عهد المقتدر بالله لم يكن الأول من نوعه ، فقد سبق أن طواب الناس في أيام المعتمد على الله برد الاقطاعات التي كانت في أيدي الناس ، أما التي جرى التصرف بها فقد قسّطت أمانها عليهم^(٥) . غير أنه لم ينشأ حينذاك ديوان خاص بذلك كما حدث في هذه الفترة^(٦) .

(١) قلد أمر هذا الديوان أول الأمر إلى عبد الله بن محمد بن روح في آخر شهر

محرم سنة ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م ، ثم عسف عليه الجنود بالمطالبة بالأموال فاستعفى فأعفي وعين مكانه الحسين بن أحمد بن كردي الماذراني ، انظر القرطبي - ص ١٤٥ .

(٢) أطلق للجنود البيعة أما للرجال فست نواب وزيادة دينار لكل راجل ، وأما

الفرسان فثلث رزق وزيادة ثلاث دنانير لكل فارس انظر مسكويه - تجارب ١٩٩/٥

- ٢٠٠ . (٣) مسكويه - تجارب ٢٠٠/٥ ، ياقوت - ارشاد ٢٢٩/٥ .

(٤) أورد مسكويه مثلاً لذلك ، فقد اطلع علي بن عيسى على معاملة بيع ضياع

جبريل والد بنخيشوع المتطيب ففجّب من أمر بيعها بنزر يسير وقال انها تساوي «بضعة

عشر ألف درم وآل أمرها إلى أن تباع بهذا القدر والنزر» تجارب ٢٠٠/٥ .

(٥) المعتمد على الله أحمد بن المتوكل بويغ سنة ٢٥٦ هـ / ٨٦٩ م ، انظر المسعودي

مروج ٤٤١/٢ ، ابن الأثير - الكامل ٥٨/٥ ، ابن الطقطقي - الفخري ص ١٨٦ .

(٦) الصولي - أخبار البحري ص ١٠٩ .

ديوان المخالفين

كان ديواناً مؤقتاً ، أنشئ في أعقاب تأزم العلاقات بين المقتدر ومؤنس المظفر سنة ٥٣١٩ / ٩٣١ م ، فقد شكوا مؤنس من دسائس الوزير حسين ابن القاسم ^(١) ، وطلب من المقتدر عزله ونفيه ، ولما لم يستجب الخليفة لهذا الطلب خرج مؤنس من بغداد إلى الموصل مغاضباً للخليفة ^(٢) . وعند ذلك أصدر الوزير أوامره « بقبض أملاك مؤنس وضياعه وضياع أسبابه ^(٣) » ، ومن كان يرسمه من قواده وأصحابه ، وأفرد لذلك ديواناً سماه (ديوان المخالفين) ، وعهد بأمر إدارته إلى أحد الكتاب ^(٤) ، ولعل إقدام الوزير على ذلك كان بمواطأة الخليفة ، إذ ارتفعت منزلة الوزير عنده فأصدر أمره بتكنيته ، وأن يلقب بـ « عميد الدولة » ، وأنفذ إليه طعاماً من مائدته تشريفاً له وتكريماً ، وأمر أن يضرب لقبه على الدنانير والدرهم ، ثم خلع عليه خلعة ثانية ، وكتب بكل ذلك منشوراً عمه إلى الدواوين والأطراف ^(٥) . ولعل هذا الديوان قد ألغي بعد ذلك بفترة وجيزة بعد أن أقصي الحسين بن القاسم عن الوزارة نتيجة سوء تصرفه وركاكته عند

(١) عميد الدولة ولي الوزارة في ٢٩ رمضان ٥٣١٩ / ٦ تشرين ثاني ٩٢١ م راجع الفصل الثاني من البحث الثاني . وكذلك قائمة الوزراء الملحقة بنفس البحث ، وانظر مسكويه - تجارب ٥ / ٢١٤ ، ابن الأثير - الكامل ٨ / ٨٧ .

(٢) مسكويه - تجارب ٥ / ٢٢٢ ، الهمداني - تكملة ١ / ٨٣ .

(٣) مسكويه - تجارب ٥ / ٢٢٣ ، الهمداني - تكملة ١ / ٨٣ .

(٤) وهو محمد بن جني الكاتب . انظر مسكويه ٥ / ٢٢٣ .

(٥) مسكويه - تجارب ٥ / ٢٢٣ .

مناقشته لسلفه (١) بمحضر الخليفة ، أو في أعقاب انتصار مؤنس على جيش الخليفة في ٢٦ شوال ٣٢٠ هـ / ٣٠ كانون أول ٩٣٢ م .

أما عن مقدار الأموال التي جمعت من قبل الديوان فلم تشر المصادر إلى ذلك ، كما أن مسكويه لم يشر إليه عند حديثه عن الأموال التي أتلفها المقتدر بالله (٢) .

(١) الوزير الحصيني - انظر قائمة الوزراء الملحقة ، وكذلك الفصل الثاني من المبحث الثاني .

(٢) مسكويه - تجارب ٢٣٨/٥ - ٢٤١ .

المبحث الرابع

الحسبة

- ١ - الأصل التاريخي للحسبة
- ٢ - وظيفة المحتسب
- ٣ - الشروط التي كان يجب توفرها فيه
- ٤ - أعوانه
- ٥ - عدته
- ٦ - عمله اليومي
- ٧ - ملحق بأسماء المهتسين خلال العصر العباسي الثاني

الوصول التاريخي للحسبة

الحسبة مؤسسة إدارية (١) ، حاول البعض إرجاع فكرة وجودها إلى العهد اليوناني ، وقالوا بأنها قد استمرت خلال العهد الروماني والبيزنطي ، وأن العرب قد اقتبسوها دون تبديل أو تغيير ، وذلك لأنه « لم يكن لهم ما يمكن أن يقدموه بديلاً عنها » (٢) .

إن وجود أصناف صناعية وتجارية في العصر البيزنطي في الأناضول وسورية ومصر أمر معترف به ، بل لقد كانت هذه الأصناف خاضعة لرقابة مشددة من الدولة ، وكان القصد من تنظيمها والتشدد في رقابتها ، هو ضمان سيطرة السلطة الحاكمة على الحياة الاقتصادية ، وبالتالي خدمة الدولة والمستهلك ، لذلك كانت الحكومة هي التي تعين رؤساء الأصناف ، كما كانت تستعين بموظفين خاصين للنظر في أمورهم (٣) .

ومن المحتمل وجود التنظيمات الحرفية لدى الساسانيين ، ولكننا لم نجد معلومات تشير إليها (٤) . وعند البحث عن الجذور الحضارية لهذه التنظيمات ، فإن قلة المعلومات عنها يجعل القول بأنما ساسانية أو بيزنطية الأصل

(١) دائرة المعارف الإسلامية - الترجمة العربية - ج ٧ مادة حسبة .

(٢) نيقولا زيادة - الحسبة والمحتسب في الإسلام - ص ٤ / ٥ .

(٣) الدوري - نشوء الأصناف والحرف في الإسلام ، مجلة كلية الآداب -

(٤) ن. م. ص : ١٣٣ - ١٣٥ .

حزيران ١٩٥٩ م .

أمراً لا يخرج عن إطار الفروضيات^(١). وليس هناك ما يحتم إرجاع تنظيحات
الصناع في المجتمع الإسلامي، وبالتالي (نظام الحسبة) إلى جذور حضارية
أجنبية، لأن ما وردنا من معلومات - كما سنرى - يشير إلى أن الفكرة
قد نمت وتطورت بطبيعتها في إطار الظروف والحاجات التي عاشها
المجتمع الإسلامي، بالإضافة إلى أن ظهور عناصر حضارية متشابهة في مجتمعات
مختلفة ومنعزلة، أمر مقبول.

وعلى الرغم من أن أول إشارة صريحة إلى « الحسبة » و « المحتسب »
ترجع إلى أواخر النصف الأول من القرن الثاني الهجري^(٢). فإن ذلك
لا يعني أن هذه المؤسسة قد ظهرت فجأة، وابتداء من هذا التاريخ،
فالثابت أن وظيفة « العامل على السوق » و « العريف » قد وجدت
في صدر الإسلام^(٣) واستمرت طيلة العصر الأموي^(٤)، وهي التي مهدت دون
ريب لظهور وظيفة « المحتسب »، حيث بدأ استعمال هذه التسمية في
المشرق، منذ بداية العصر العباسي، في حين استمر استعمال اسم « العامل
على السوق » في الأندلس وشمال إفريقيا حتى فترة متأخرة^(٥).

(١) ن.م. ص : ١٣٤.

(٢) ابن سعد - الطبقات ج ٧ ق ٢ ص : ٦٥.

(٣) البلاذري - أنساب ج ٥ ص ٤٣، ابن سلام - الأموال ص ٥٣٣.

(٤) وكيع - أخبار القضاة ج ١ : ٣٥٣.

(٥) الظفر كتاب ابن بشكوال - الصلة (ت ٩٧٥ هـ) ص ٣٠٢، حيث يذكر

عند ترجمته لابن المشاط الرعيبي القرطبي (ت ٣٩٧ هـ) أنه تولى « أحكام الحسبة المدعوة
عندنا بولاية السوق »، غير أن ابن فرحون - تبصرة الحكام ج ٢ ص ١١٤ - يذكر أن
ابن عاصم القرطبي (ت ٥٢٥ هـ) كان « محسباً بالأندلس »، والراجح أن ابن فرحون قد
استعمل هذا الاصطلاح المتأخر لشيوعه في عصره.

إن دراسة ظهور وتطور المؤلفات عن « الحسبة » أمر في غاية الأهمية ،
 إذا ما أردنا القيام بدراسة مفصلة عن نشأة هذه المؤسسة وتطورها . والمتأمل
 لما وصل إلينا ألف في هذا المجال ، يلاحظ أن التأليف فيه مر عبر مرحلتين ،
 يمكن التمييز بينها بعامية ، وإن كان الفصل بينها يعتبر أمراً من الصعوبة
 بمكان . والمشكلة التي تجابهنا هنا هي أن التأليف في المرحلة الأولى لم
 يفرد بالكتابة لذاته ، بل ورد مختلطاً بالمباحث الفقهية العامة ، على شكل
 إشارات أو فصول في كتب الفقه ، التي كان ظهورها نتيجة تساؤلات
 ملحة وخبرة عملية وتفاعل وتطور في إطار الظروف المحيطة بالمجتمع (١) ،
 فالصورة التي تعكسها ، وإن كانت في غالبيتها تعبيراً عن الواقع باعتبار
 أنها حلول عملية ، لكنها قد تكون أحياناً فقهية نظرية صرفة .

المد شملت كتب الفقه هذه أموراً تتصل مباشرة بحياة الناس ومعاملاتهم
 وأموالهم ؛ كالبيوع الصحيحة والفاصلة ، والكراء والسلم ، والاستقراض ،
 وأداء الديون والاستحقاق ، والغش والتدليس ، والوكالات والقضاء ،
 وهي أمور نجدها تدخل فيما بعد ضمن اختصاصات متولي « الحسبة » إضافة
 إلى مجموعة كبيرة من الآراء والفتاوى المتصلة بالعبادات والأحوال الشخصية ،
 والتي تكون مع ما سبقها عماد الحياة التشريعية في المجتمع الإسلامي (٢) .
 إن أول إشارة إلى « الحسبة » و « المحتسب » في مصادرنا التاريخية

(١) الامام مالك - الموطأ : البيوع ، القراض ، الكراء ، الأثرية ، اللباس المدونة
 ج ٩ : السلم ، البيوع الفاسدة ، بيع الحيار ، للتجارة ، التدليس ؛ الكراء ، الحوائج ،
 الشركة ، القراض ، القضاء ، الرهائن ، الاستحقاق ، الشفعة ، البخاري - صحيح : ج
 ٢ كتاب البيوع ، السلم ، الشفعة ، الإجارة ، الوكالة ، الاستقراض ، أداء الديون .
 السنن - سنن : كتاب البيوع .
 (٢) الإمام مالك - الموطأ ، المدونة ج ٩ مثلاً ، وانظر الهامش رقم (٥) في
 الصفحة السابقة .

ترد في ابن سعد^(١) في ترجمته لعاصم بن سليمان الأحول (ت ١٤١ / ١٤٢ هـ)^(٢) والذي كان يتولى الولايات فكان بالكوفة على الحسبة في المكايل والأرزاق ، وكان قاضياً بالمدائن في خلافة أبي جعفر^(٣) ، ومن المحتمل أن يكون توليه لهذا المنصب « المحتسب » قد جرى في خلافة أبي العباس السفاح^(٤) .

وفي خلافة المنصور تولى يحيى بن زكرياء « الحسبة » في بغداد ، غير أنه « استغوى العامة ، وزين لهم الجموع فقتله أبو جعفر بباب الذهب^(٥) » . ومع أن هذه الروايات تشير إلى أن وظيفة المحتسب قد ظهرت منذ بداية العصر العباسي الأول ، إلا أن وضع كتب خاصة بموضوع الحسبة ، والشروط التي يجب توفرها في المحتسب وواجباته وأعوانه قد تأخر حتى النصف الثاني من القرن الثالث الهجري ، حيث بدأت المؤلفات عن هذا الموضوع تظهر مستقلة عن مباحث الفقه العامة ، وسارت في طريق التطور الطبيعي .

إن أقدم ما وصلنا من كتب الحسبة هو كتاب « أحكام السيوف »

(١) ابن سعد = الطبقات ج ٧ ق ٧ ص ٦٥ .

(٢) أبو عبد الرحمن عاصم بن سليمان هو بن يحيى ، انظر ترجمته في ابن سعد =

الطبقات ج ٧ ق ٧ ص ٦٥ ، والخطيب - تاريخ بغداد ج ١٢ ص ٢٤٣ - ٢٤٤ ، وأبو نعيم - حلية ج ٣ ص ١٢٠ ، وابن حجر - تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٤٢ .

(٣) ابن سعد - الطبقات ج ٧ ق ٧ ص ٦٥ .

(٤) يشير الخطيب - تاريخ بغداد ج ١٢ ص ٢٤٤ إلى أن عاصماً كان « علي الموازين

والمكايل بالمداين » ويعلق على ذلك بقوله : « كأنه كان محتسباً » وهذا خلاف ما أورده ابن سعد عن أنه كان بالكوفة .

(٥) الخطيب - تاريخ بغداد ج ١ ص ٧٩ - ٨٠ .

ليحيى بن عمر الاندلسي (ت ٢٨٩ هـ / ٩٠١ م) (١) والمرجح أنه قد ألفه بعد أن استقر في مدينة سوسة ، بدليل أن كثيراً من فقراته كانت إجابة عما كان يعرض لأهل هذه المدينة ، أو للقائين على تصريف الأمور فيها من مشاكل (٢) . وقد ظهر في المشرق ، وربما في نفس الفترة « كتاب الاحتساب » للإمام « الناطق بالحق الناصر للحق » الأطروش (٣) ، وهو من أئمة الزيدية ، وقد ألفه في أواخر القرن الثالث الهجري (٤) ، ولهذا الكتاب أهمية خاصة باعتباره أول مؤلف مستقل وصلنا يرد فيه اصطلاح « الحسبة » و « المحتسب » ، فعلى الرغم من أن كتاب « أحكام السوق » ليحيى بن عمر أقدم من « كتاب الاحتساب » للناصر الأطروش ، وأنه قد تعرض لأعمال المحتسب ، إلا أنه لم ترد في ثناياه هذه الألفاظ . ومع ذلك فإن قارنا كتاب « أحكام السوق » (٥) ، بكتب الحسبة

(١) ترجمته في ابن الفرضي - تاريخ علماء الأندلس من ١٥١٦ ، الحميدي - جذوة المغنيس ، الترجمة : ٨٩٩ ، الضبي - بغية الملتبس - الترجمة : ١٤٨٤ ، المالكي - رياض الندوس ج ١ ص : ٣٩٦ - ٤٠٦ ، ابن فرحون - الديباج المذهب ص : ٣٥١ - ٣٥٣ ، الدباغ - معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ط. تونس ١٣٢٢ هـ ح ٢ ص ١٥٦ ، ابن حجر - لسان الميزان ترجمة ٩٥٠ .

(٢) انظر كتاب أحكام السوق فقره (٤٠) حيث ورد فيها : « سأل يحيى بن عمر صاحب السوق بسوسة عن الضرب يبيع الزيت ... »

(٣) الإمام الناصر هو الحسن بن علي الأطروش ، ولد بالمدينة ، توفي حوالي سنة ٣٠٤ هـ / ٩١٧ م .

(٤) نشره مع مقدمة : SERJEANT, R. B.

RIVISTA DEGLI STUDI ORIENTAL,

Vol. xxv 141 PP. 41 - 32, ROME

في مجلة :

(٥) نشره الأستاذ محمود محمد مكِّي مع دراسة وافية عنه في صحيفة المعهد المصري

للدراستات الإسلامية في مدريد ، المجلد الرابع العدد ١-٢ سنة ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٦ م .

المتأخرة ، فسجد شيوخ المباحث الفقهية فيه بشكل لانراه في غيره - باستثناء كتاب الناصر الأطروش - وهي ظاهرة ندلنا على قرب عهد استقلال الكتابة في الحسبة عن الفقه ، كما يمكن أن نستدل منها تطور الحسبة ، باعتبارها نظاماً إدارياً إسلامياً ، ونحن نجد أن الفصل والتعديد بين مباحث الفقه العامة وبين الحسبة بشكل أوضح وأدق في الكتب المتأخرة ، بعد أن استقرت أوضاعها بشكل نهائي .

وظهرت في وقت متأخر كتب تناولت « الحسبة » بالتفصيل ، فبحثت كل ما يتصل بها من شروط المحتسب وواجباته ، ويبدو أنها وضعت لمساعدة المحتسب في قيامه بأعماله على أتم وجه ، أو إجابة لتساؤل البعض منهم عن طبيعة أعمالهم ، أو ما يعترضهم من مشاكل ^(١) ، وهي وإن كانت متأخرة عن الفترة التي نحن بصدد البحث فيها ، لكنها تكشف جوانب شيقة من الحياة الاجتماعية والاقتصادية ، وأثر المحتسب ، وأعوانه في ضمان مصلحة الشعب إزاء غش وتدليس التجار والصناع ، وموقفه من البيوع والاتفاقات غير الشرعية ، ليس فقط عن هذه الفترة التي تم تأليف تلك الكتب فيها ، إذ لا يمكن القول بأن هذا التوسع في أعمال المحتسب قد ظهر فجأة ، والزاجح أن ذلك قد حصل تدريجياً خلال الفترات السابقة لظهورها ، ومنها الفترة التي ندرسها ، ومن هذه الكتب كتاب [نهاية الرتبة في طلب الحسبة ^(٢)] لجلال الدين عبد الرحمن بن نصر بن

(١) كتاب الاحتساب - الناصر الأطروش ص ١١ - مجلة رفرنسا ، نشر: ا. ر. ب.

سيرجنت .

(٢) ويرد اسم الكتاب في كشف الظنون ٦ / ٤٠٠ ط . فلوجل كما يلي : « نهاية

الرتبة الظريفة في طلب الحسبة الشريفة » .

عبد الله الشيزري الشافعي (ت ٥٨٩ هـ / ١٩٣ م^(١)) ، والذي جمع فيه مناهج الحسبة وأحكامها ، ويبدو أنه وضعه بناء على طلب أحد المحنسين^(٢) ، ثم كتاب « معالم القوية في أحكام الحسبة »^(٣) ، لمحمد بن محمد بن أحمد القرشي المعروف بابن الإخوة (ت ٧٢٩ هـ / ٣٢٧ م^(٤)) وهو من أجلّ التصانيف الموضوعة في الحسبة ، ويشير حاجي خليفة إلى كتاب « نصاب الاحتساب » للإمام القاضي ضياء الدين البرني ، وقد قال حاجي خليفة بصدده : إن مؤلفه ذكر فيه إن الحسبة في الشريعة تتناول كل مشروع بقول الله سبحانه وتعالى كالأذان ، والإقامة وأداء الشهادة ، مع كثرة تعدادها ولهذا قيل : القضاء باب من أبواب الحسبة ، وفي العرف يختص بأمور ، فذكرها إلى قيام خمسين^(٥) ، غير أن هذا الكتاب لم ينشر بعد ، وكتاب « نصاب الاحتساب » لعمر بن محمد بن عوض السنامي^(٦)

(١) نشره السيد الباز العريفي سنة ١٩٤٦ م في القاهرة .

(٢) الشيزري - نهاية الرتبة - ص ١ .

(٣) نشره الدكتور رويين ليوي في لندن مع مقدمة سنة ١٩٣٨ م .

(٤) ترجمته في ابن حجر - الدرر الكامنة ج ٤ ص ١٦٨ رقم ٤٤٦ .

(٥) حاجي خليفة = كشف الظنون ١ ج ١ ص ١٦ .

(٦) لا يعرف بالضبط تاريخ وفاة مؤلف الكتاب ، إلا أن أقدم مصدر نقل عنه

يعود إلى سنة ٦٣٧ هـ ، كما أن أحدث نسخة وصلت إلينا من هذا الكتاب

مؤرخة في ٥٩١٢ هـ ، ومن هنا نستطيع القول بأنه عاش بين هذين التاريخين ،

ولدينا إشارات من الكتاب ، نعلم منها أن المؤلف عاش في منطقة ماوراءالنهر ،

ومن هذا الكتاب (٢٢) نسخة موزعة في خزائن الكتب العالمية . منها نسخة

بالمتحف العراقي ، وأخرى في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد ، وثالثة في مكتبة

معهد الدراسات الإسلامية العليا بجامعة بغداد ، وعن معلومات أوسع انظر

مقالة الأستاذ كوركيس عواد في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق المجلد السابع

عشر ص : ٩٤٢ م ص ٤٣٨٠ .

الذي لم ينشر مع توفر أكثر من عشرين نسخة خطية منه (١) .
 وكتاب « نهاية الرتبة في طلب الحسبة » لمحمد بن أحمد بن إسحاق المحتسب (٢) .
 هذا في المشرق أما في المغرب فقد وضع محمد بن أحمد بن عبدون
 التجيبي الأندلسي (٣) « رسالة في الحسبة (٤) » في أواخر القرن الخامس
 الهجري ، كما وضع عمر بن عثمان بن العباس الجرسيفي رسالة « في الحسبة (٥) » ،
 وأحمد بن عبد الله بن عبد الرؤوف رسالة « في آداب الحسبة والمحتسب (٦) » .

(١) ن . م . م . ص . ٤٣٣ - ٤٤٤ .

(٢) ذكر لويس شيخو في مجلة المشرق - المجلد العاشر العدد (٢١) لسنة ١٩٠٧ م
 وجود نسختين من هذا الكتاب إحداهما في المتحف البريطاني ، والثانية في
 القاهرة ، وقد عثرت في مكتبة أحمد الثالث باستانبول على نسخة ثالثة من هذا
 الكتاب تتألف من (١١٩) فصلاً ، ويبدو أن هذه النسخة أكبر من النسختين
 التي ذكرهما الأب لويس في مقالته ، إذ أن نسخة المتحف البريطاني تتألف من
 (١١٨) فصلاً ، ونسخة القاهرة تتألف من (١١٤) فصلاً ولم يترك ابن
 إسحاق في كتابه هذا ، حسبما يظهر لي ، صناعة من صناعات عصره دون أن
 يشير إليها . وقد صورت نسخة مكتبة أحمد الثالث ، كما حصلت على مصورة
 كاملة لنسخة القاهرة . واستطعت بعون الله نشر هذا الكتاب القديم عبقاً
 في بغداد عام ١٩٦٨ م .

(٣) انظر ترجمته في ابن الأبار - تكملة الصلة ص ١١٧ - ١١٨ ، كحالة - معجم
 ج ٨ ص ٢٧٥ ، فقد تولى الحسبة في مدينة وشقه بالأندلس وتوفي سنة ٤١٩هـ / ١٠٢٨ م .
 (٤) نشر ليفي بروفنسال الرسالة لأول مرة في المجلة الآسيوية - عدد ٢٤ / سنة
 ١٩٣٤ م ص : ١٧٧ - ٢٩٩ ، ثم أعاد نشرها مع رسالتين أندلسيتين في مؤلف واحد
 تحت اسم « ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب » القاهرة سنة ١٩٥٥ م .
 (٥) ن . م . م . ص : ١١٧ وما بعدها . (٦) ن . م . م . ص : ٦٧ - ١١٤ .

وألف محمد بن أحمد السقطي^(١) « كتاب الحسبة » الذي عالج فيه المشاكل التي اعترضت سبيله عند توليه الحسبة في مدينة مالقة في الأندلس . وهناك فصول وإشارات إلى الحسبة ضمن مؤلفات قديمة ككتاب « الأحكام السلطانية » للموردي^(٢) ، و « الأحكام السلطانية » لأبي يعلى الفراء الحنبلي^(٣) ، وكتاب « إحياء علوم الدين » للغزالي^(٤) ، و « المثل السائر » لابن الأثير^(٥) ، و « كتاب الحسبة » لابن تيمية ، و « الحسبة والسكة » في كتاب العبر لابن خلدون^(٦) ، « وصبح الأعشى » للقلقشندي^(٧) ، و « ذكر الحسبة ودار العيار » في كتاب الخطط للمقريزي^(٨) ، و « خطة الاحتساب » في كتاب « نفح الطيب »

(١) أبو عبد الله محمد بن أحمد السقطي، الفقيه العالم الرحالة من مالقة في الأندلس ، تولى الحسبة فيها ، ألف كتابه ، وهو يتولى هذا المنصب ، نشر الكتاب الأستاذان ليفي بروفنسال وكولان ، طبع باريس بعنوان :

Un Manuel Hispanique de Hisba Traité d'Abu Abd Allah M. as-sakati sur la surveillance des corporations et la répression des fraudes en Espagne Musulmane, Paris 1931 .

(٢) الماوردي - الأحكام السلطانية ص ٢٠٨ - ٢٢٤ ، ط . القاهرة ١٩٠٩ م .

(٣) أبو يعلى الفراء الحنبلي (ت . ٤٥٨ هـ) - الأحكام السلطانية - ص

٢٦٨ - ٢٩٢ .

(٤) الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد (ت ٥٠٥ هـ) - إحياء علوم الدين ٢/٢١٠

(٥) ابن الأثير (ت ٦٣٧ هـ) - المثل السائر في أدب السالكين والشاعر ص :

٣٤٦ - ٣٥٤ .

(٦) ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) - المقدمة ط . بيروت ص : ٢٢٥ - ٢٢٦ .

(٧) القلقشندي (ت ٨٢٠ هـ) - صبح الأعشى : ٤٨٧/٣ ، ٤٥١/٥ ، ٣٧/٤ ، ٤٧٢

٢٠٩/١١ - ٢١٦ ، ٣٣٧/١٢ ، ٤٧٢ ، ضوء الصبح : ٢٥٠/٠ .

(٨) المقريزي (ت ٨٤٥ هـ) - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار :

ج ٢ ص ٣٤٢ - ٣٤٣ ، ط . القاهرة ١٣٢٤ هـ .

للمقري^(١) . وفي غير ذلك من الكتب^(٢) .

إن كثرة التأليف في موضوع الحسبة يشير إلى أهميتها ، وإلى الدور الذي قامت به في الحياة الاقتصادية والاجتماعية في المجتمع الإسلامي ، كما أن وضع كتب خاصة بالحسبة يشير إلى استقرار هذه المؤسسة ، ووضوح خطوطها بشكل متميز بعيد عن التفصيل الفقهي ، ويشير ظهورها في زمن متقارب في المشرق والمغرب الإسلامي إلى أن التطور الذي حصل في المجتمع الإسلامي - في كافة أجزائه - سار في خطوط عامة واحدة ، وكانت الخطوات في كل مرحلة من مراحل تطوره ونضجه متقاربة من ناحية الزمن إضافة إلى الناحية الشكلية .

٢ - وظيفة المحتسب

يبدو أن المحتسب كان يتولى سلطات واسعة لها اتصال مباشر ومستمر بحياة العامة ، ولكن الذي يهمننا في هذا المجال هو الاختصاصات التي كان المحتسب يمارسها فعلاً ، كما جاءتنا في كتب التاريخ أو التراجم أو الحسبة . وقبل أن أبدأ بمناقشة هذه الواجبات ، أود أن أشير إلى أن ما يلاحظ في كتب الحسبة التي نشرت حتى الآن من الاختلافات بين أعمال المحتسب في المشرق الإسلامي عن أعماله في المغرب والأندلس ، ليست اختلافات أساسية ، وإنما هي اختلافات تفصيلية تعكس أثر الأوضاع الخاصة للمجتمع

(١) انظر خطة الاحتساب في الأندلس - نفح الطيب ١/١ - ١٠٢ .

(٢) انظر عن الحسبة والاحتساب مثلاً ، كشاف مصطلح العلوم والفنون

للتهانوي ١/٢٧٧ - ٢٧٨ ، تاج العروس للزبيدي ١/٢٩٣ ، والعقد الفريد للقرشي

ص ١٧٩ - ١٨٢ .

الإسلامي في كل من هذه الأجزاء على وظيفة المحتسب ، إذ ليس من المنتظر أن يبقى هذا المجتمع سائراً على نسق واحد في مختلف شؤونه ، وذلك لأن طبيعة المحيط المؤثر في المجتمع اختلفت في المشرق عنها في المغرب ، كما أن التطور الذاتي الذي حصل في كل من هذه الأجزاء كل على حدة ، وطبيعة عوامل التحدي الخاصة ، لا بد وأن أثرت في ظهور استجابات خاصة ، اختلفت بين جزء وآخر ، وقد بدا هذا جلياً في الاختلافات الظاهرية ، في طبيعة أعمال المحتسب .

كانت الواجبات الرئيسية للمحتسب متشابهة إلى حد كبير في كل جزء من أجزاء المجتمع الإسلامي ، ولعل في الاختلافات التي أشرنا إليها آنفاً ما يسوغ القول بأن كتب الحسبة كانت تعبيراً عن الواقع إلى حد كبير ، ولم تكن مجرد بحوث فقهية نظرية (١) .

كان على المحتسب أن يتفقد أحوال السوق باستمرار ، وكذلك الطرقات العامة ، وأن يلازمها في أوقات الغفلة ، ويتخذ له عيوناً يوصلون إليه الأخبار وأحوال السوق (٢) ، ولم يكن المسؤولون يتهاونون مع المحتسب

(١) أوضحت ذلك مقدمات كتب الطبيعة، فالشيزري مثلاً يقول في نهاية الرعية ص : ٣ « سألني من استند لمنصب الحسبة » . وعند حديث ابن الإخوة - معالم ص ٧ أكد على أن من واجب المحتسب هو « النظر في أحوال الرعية » وهذا يشير إلى أن هؤلاء المؤلفين قد بحثوا أموراً عملية ، كان لها مساس مباشر بحياة الناس ومصالحهم .

(٢) يحيى الأندلسي - أحكام ص ١٠٣ - ١٠٤ ، الأطروش - الاحتساب R. S. O. p. 41 الشيزري - نهاية ، ص ١٢ ، ابن بسام - نهاية ، مخطوطة مكتبة أحمد الثالث : ص ١٦ أ ، عمر بن عثمان - رسالة ص ١٢٥ (- عن ثلاث رسائل أندلسية في الحسبة) .

إذا قصر في ذلك ، فقد أقدم المنصور على قتل محتسب بغداد بجي بن
 زكرياء لسوء تصرفه (١) . وقد بلغ علياً بن عيسى الوزير أن محتسب
 بغداد كان يكثر الجلوس في داره ، فكتب له توفيقاً جاء فيه : « الحسبة
 لا تحتل الحجة ، فطف بالأسواق تدرك الأرزاق ، وإن لزمت دارك
 صار الأمر كله عليك السلام » (٢) . وكان على المحتسب أن يتأكد من صحة
 المكييل والمقاييس والأوزان المستعملة في السوق ، لكي يجري التعامل
 بها من غير غبن على الوجه الشرعي (٣) ، ولضمان ذلك ، فإنه كان يلزم التجار
 أن يتخذوا الأبطال من الحديد أو المعادن ، بعد أن يثبت عليها ختم
 المحتسب (٤) ، كما كان عليه أن يتفقد عيار المئاقيل والصنج والحبات على
 حين غفلة من أصحابها (٥) ، ويذهب البعض إلى القول بأنه لا ينبغي
 لحواضر المسلمين أن تكون أسواقها مختلفة المقاييس والمكييل ، وأن على
 المحتسب أن يوحد بينها (٦) .

لم يكن من حق المحتسب أن يلزم أرباب البضائع بيعها بسعر معلوم ،
 ولم يكن له أن يتدخل في تحديد الأسعار : « لأن السعر هو الله » (٧) .

(١) الخطيب - تاريخ بغداد ج ١ ص ٧٩ .

(٢) ابن بسام - نهاية ، ص ١٦ آ - ١٦ ب (مخطوط) .

(٣) الشيزري - نهاية : ص ١٥ ، ١٩ .

(٤) ابن الإخوة - معالم ص ٨٥ .

(٥) الشيزري - نهاية ص ١٩ ، الناصر الأطروش - الاحتساب ص ١٣ ،

ابن الإخوة - معالم ص ٨٥ ، المقرئ - خطط ج ١ ص ٤٦٣ - ٤٦٤ .

(٦) بجي الأندلسي - أحكام ص ١٠ ، وقد كتب السقطي في الحسبة ص

١٣ بحثاً ممتعاً عن هذه المسألة ، ووضع لها نظماً دقيقاً .

(٧) الناصر الأطروش - الاحتساب ص ١٤ ، الشيزري - نهاية ص ١٢

ابن الإخوة - معالم ص ٦٤ .

ومع ذلك فقد كان من واجب المحتسب أن يتدخل لمنع الارتفاع الفاحش في أسعار البضائع التي كان يحتاجها الناس ، ففي حالة اختفائها من السوق كان من واجبه التحريم عنها ، وإظهارها ^(١) ، ومنع بيع ما يرد منها إلا في الأسواق ^(٢) . وفي حالة تواطؤ التجار واحتكارهم لأصناف الطعام المختلفة كانت من واجبه التدخل لإجبار المخترين على البيع ، وذلك لأن الاحتكار حرام ، والمنع من فعل الحرام واجب ^(٣) .

وكان على المحتسب أن ينهي عن قسم اليمين عند البيع ، وعند النداء على السلعة ^(٤) ، وأن يأمر السامرة ، إذا اشتروا السلعة بدنانير ، ألا يدفعوا إلى البائع دراهم إلا برضاه وعلى صرف يومه ^(٥) .

وكان المحتسب يتدخل أحيانا في شؤون النقد ، وهناك إشارة إلى قيام هارون ابن إبراهيم الهاشمي المحتسب بذلك إذ أنه أمر أهل بغداد أن يتعاملوا بالفلوس ، فتعاملوا بها على كره منهم ، ثم تركوها ^(٦) . وكان عليه أن يأمر الصيارفة بتسوية الموازين والصبجات ^(٧) ، وأن ينههم عن أن يكحلوا الدنانير ^(٨) ، وألا يبيعوا الذهب بالفضة ، ولا الفضة بالذهب ^(٩) ، وأن

(١) الناصر الأطروش - الاحتساب ص ١٤ « مجلة رفاستا » .

(٢) يحيى الأندلسي - أحكام ص ١٣٩ ، الناصر الأطروش - الاحتساب ص ١٤ .

(٣) الشيرزي نهاية ص ١٢ ، ابن الإخوة - معالم ص ٦٥ .

(٤) الناصر الأطروش - الاحتساب ص ١٤ . (٥) ف.م. ص ١٥ .

(٦) السيوطي - تاريخ ص ٣٦٦ ، وقد كان هارون يتولى الحسبة ببغداد

سنة ٢٧١ هـ .

(٧) الناصر الأطروش - الاحتساب ص ٣١ « مجلة رفاستا » .

(٨) ف.م. ص ٢٤ . (٩) ف.م. ص ٢٤ .

يأمر الصاغة بأن لا يبيعوا تراجمهم إلا بعد أن يُعلم ما فيه ويميز^(١) . ولقد كان من واجب المحتسب أن يتدخل ويشرف على كافة الحرف والأصناف وأرباب الصناعة في المدينة ، ويكفي أن نلقي نظرة سريعة على أي كتاب من كتب الحسبة ، لنتعرف على مدى تدخل المحتسب وإشرافه على الحرف والأصناف^(٢) .

إن نمو الحياة المدنية وتطورها وتعقدتها أدى إلى ازدياد تماسك أهل الحرف وتكتلهم في أسواق خاصة بهم ، كما أن تطور الحياة الاقتصادية ، قد قوى من تماسكهم ، وجعلهم يزيدون من تنظيمهم^(٣) . ولدينا إشارات عديدة عن حوادث وقعت في العراق ، تجلّى فيها تماسك أصحاب الحرف ؛ ففي سنة ١٩٧ هـ وأثناء حصار بغداد - في الفتنة التي وقعت بين الأمين والمأمون - نسمع عن اشتراك بعض الأصناف في الدفاع عنها^(٤) ، وفي سنة ٣٠٧ هـ حصلت فتنة في الموصل بين أصحاب الطعام وبين الأساكفة ، كان من نتائجها احتراق سوق الأساكفة ، وما فيه^(٥) . وفي سنة ٣١٧ هـ حصلت فتنة بالموصل أيضاً بين « أصحاب الطعام » و « البزازين » و « الأساكفة » أدت إلى احتراق « أسواق أهل الطعام » ثم « سوق الأساكفة »^(٦) .

(١) ن ٢٠٠ ص ٢٥٠ .

(٢) استعرض ابن بسام مثلاً في كتابه نهاية الرتبة «مخطوط» ١١٩ فصلاً عن الحرف.

(٣) الدوري - نشوء الحرف والأصناف في الاسلام ، مجلة كلية الآداب ، العبد

الأول ص ١٤١ .

(٤) الطبري - تاريخ : ط . حسينية : ١٧٥/١٠ - ١٧٦ .

(٥) ابن الأثير - الكامل : ٤٢/٨ . (٦) ن ٢٠٠ : ٧٣/٨ .

ولقد أسهبت كتب الحسبة في وصف أعمال المحتسب ، وذكرت أن له أعواناً يقومون بمعاونته في الحسبة على كل صنعة من الصنائع ، وأفردت لكل منها فصلاً خاصاً في بيان كفيته ، مع وصف دقيق لأعمال كل صنف من أصناف الصنائع والعمال ، وطرق غشهم وتدليسهم . فعند كلامهم مثلاً عن الحسبة على الفرانين والحجازين ، ذكروا أنه ينبغي للمحتسب أن يأمر الفرانين والحجازين برفع سقائف أفرانهم ، وضممان حسن تهويتها ، ونظافتها ، وحفظ العجين من أن يتلوث ، أو أن يسقط فيه شيء من شعورهم أو عرقهم ، أو أن تسقط فيه ساقطة ، وملاحظة أوزان الخبز ، وأن يوزع الخباز في محلات القرية أو البلدة توزيعاً عادلاً ، يضمن فيه توفر الخبز للناس في جميع أطرافها بيسر وسهولة ، كما يجب عليه أن يخصص مقادير الحبوب أو الدقيق الكافية لكل منها عن طريق أصحاب الحبوب والدقيق ، وأن يكون في كل محل من محلاتهم فرن خاص لشيء السمك وما شاكله معزولاً عن أفران الخبز ، وأن يلتزموا في معاملاتهم مع الناس بالحدود التي أوجها الشرع^(١) .

وبالإضافة إلى واجبات المحتسب الآتفة الذكر في الأسواق ، فقد كان يقوم بواجبات أخرى في مجال الخدمة الاجتماعية والصحية ، فقد كان يطلب منه ملاحظة نظافة الأسواق والطرق ، ومنع كل ما من شأنه مضايقة المارة فيها^(٢) ، كإلزام أصحاب المباني المتداعية بهدمها^(٣) ، وأصحاب الميازيب

(١) الناصر الأطروش - الاحتساب ص ١٥ ، ابن بسام - نهاية « مخطوط » :

الفصل الرابع . (٢) الشيزري - نهاية ص ٢٩ ، ٣٧ ، ٤٢ ، ٥٨ ، ٦٥ ، ٦٧ .

(٣) ابن الإخوة - معالم : ٧٩ ، ٩٩ . الشيزري - نهاية ص ١٤ .

المتفوحة على الطرق أن يجعلوا عوضها مجرى « محنوراً في الحائط مكلساً
يجري فيه ماء السطح »^(١) ، حتى لا يصيب المارة أذى منها في مواسم
الأمطار . وأن يمنع أحمال الحطب ، وأعدال التبن والحلفاء ، وروايا الماء ،
وأحمال الشوك والرماد من الدخول في الأسواق لما فيها من الضرر بالنظافة
وبلباس الناس^(٢) . وكان عليه أن يتخذ لباعة الأسماك مكاناً ، يكون فيه سوقهم
بعزل عن الطريق ، لكي لا يصيب الناس أذى منهم^(٣) ، وأت يمنع
التبول أو طرح الأوساخ في الماء ، ومنع البصاق في المساجد والمحلات
العامة الأخرى^(٤) .

ومن ناحية أخرى ، فإنه كان يجب على المحتسب أن ينظر في أمر الوعاظ ،
وأن لا يمكن أحداً من أن يتصدى للوعظ إلا من اشتهر بين الناس بالدين
والخير والفضيلة^(٥) . وقد ذكر ابن الأثير أنه في سنة ٢٧٩ هـ نودي في
بغداد « أن لا يقعد على الطريق ، ولا في المسجد الجامع ، قاض ، ولا منجم ،
ولا زاجر ، وحلف الوراقون أن لا يبيعوا كتب الكلام والجدل^(٦) » .
وكان المحتسب يراقب الطرق ، ويمنع الناس من الجلوس فيها^(٧) .

(١) الشبزي - نهاية ص ١٤ .

(٢) ابن الإخوة - معالم : ٧٩ ، ابن بسام - نهاية « مخطوط » ١٨ ب .

(٣) أحمد بن عبد الله - آداب الحسبة « ضمن ثلاث رسائل أفدلسية » ص ٩٦ .

(٤) الناصر الأطروش - الاحتساب : ص ١٦ « مجلة ريفستا » .

(٥) الناصر الأطروش - الاحتساب ص ١٥ ، ٢٩ . ابن الإخوة - معالم ص ١٧٩ .

(٦) ابن الأثير - الكامل : ج ١٦٢/٧ .

(٧) الشبزي - نهاية ص ١٤ ، أحمد بن عبد الله - آداب الحسبة ص ١١٠ .

ويمنع حفر الآبار على الطرق^(١) ، ويتعهد القناطر والمعابر^(٢) ، و « يمنع طرح الأزبال والجيف فيها ، فإن ذلك يضر بالديار^(٣) » . كما كان يحفظ المقابر ، ويمنع الدواب عنها^(٤) .

وكانت على المحتسب الاهتمام بأمر المساجد ، بأن يأمر بنظافتها وحفظها ، وأن يمنع الناس من الاجتماع فيها لغير الصلاة والذكر^(٥) ، ولذلك كان يمنع القضاة والحكام من الجلوس في الجوامع والمساجد للحكم بين الناس ، « فربما دخل الرجل جنب والامراة الحائض ، والصبي الحافي ، ومن لا يجتوز من النجاسة^(٦) » . وأن يمنع إنشاء المساجد أو الجوامع إلا بإذن من الإمام^(٧) ، وأن يمنع البيع والشراء فيها ، ويمنع عمل الصور في جدرانها ، أو تعليق الستائر أو استعمال الذهب فيها^(٨) . وألا يؤذن في المنارة إلا عدل ثقة أمين عارف بأوقات الصلاة ، وأن ينهى عن النعي في الآذان ، ويأمر أهل القرآن بقراءته مرتلاً ، وألا يتولى إمامة الصلاة إلا من ارتضته الجماعة^(٩) . وأن يمنع خروج الناس من المسجد قبل خطبة

(١) الناصر الأطروش - الاحتساب ص ٢٨ . (٢) ن . م . م . ص ٢٨ .

(٣) أحمد بن عبد الله - آداب الحسبة ص ١١١ .

(٤) الناصر الأطروش - الاحتساب ص ١٨ .

(٥) ن . م . م . ص ١٥ ، ٢٨ . الشيزري - نهاية ص ١٢٤ .

(٦) الشيزري - نهاية ص ١٣ . ابن بسام - نهاية ص ١١٩ ب « مخطوط أحد الثالث » .

ابن هبدون - رسالة ص ٢٤ « ضمن ثلاث رسائل أندلسية في الحسبة » .

(٧) الناصر الأطروش - الاحتساب ص ٢٨ ، ولعل هذا انعكاساً لوجهة

نظر زيدية . (٨) ن . م . م . ص ١٥ .

(٩) الناصر الأطروش - الاحتساب ص ٢٠ ، الشيزري - نهاية ص ١١٣ .

الإمام في أيام الأعياد^(١) . ويجب عليه أن لا يترك في رحاب الجامع دابة ، بل يجب أن يخرج خارج الأسواق حتى تتم الصلاة^(٢) . وأن يمنع المشعوذين والحواة الذين يجمعون الناس ويعرضون لهم الأفاعي^(٣) .

وفي مجال المحافظة على الأخلاق والآداب العامة كان المحتسب يقوم بمنع الناس « من مواقف الريب ومظنات التهم^(٤) » . ويقوم كذلك بمنع اختلاط النساء بالرجال^(٥) ، وكان عليه أن يتفقد المواضع التي يجتمع فيها النساء ؛ كالأسواق وشواطئ الأنهار وأبواب حمامات النساء^(٦) ، وأن يمنع من ارتياد المقابر للنوح أو الزبارة^(٧) . وأن يمنع التطلع إلى الجيران من الأسطحة أو النوافذ ، وجالوس الرجال في طرقات النساء من غير حاجة تضطروهم إلى ذلك^(٨) . وكان على « المحتسب أن يتفقد الحمام في كل يوم مراراً . . . وإن رأى أحداً قد كشف عورته عزّره على كشفها^(٩) » ، وأن يأمر صاحب الحمام بمنع دخول أي شخص بدون مئزر . ويذهب الناصر الأطروش الزيدي

(١) الناصر الأطروش - الاحتساب ص ٢٠ - ٢١ .

(٢) ابن عبدون - رسالة ص ٢٤ .

(٣) الناصر الأطروش - الاحتساب ص ٢٩ ، ويذكر ابن قيمية « وهو في فترة متأخرة » بأن على المحتسب أن يعزر من أظهر الخزعبلات السحرية والشعبذة قولاً أو

فعلاً ، انظر ابن قيمية - الحسبة ص ٤٦ . (٤) ابن الإخوة - معالم ص ٣٠ .

(٥) الناصر الأطروش - الاحتساب ص ١٨ .

(٦) ابن الإخوة - معالم ص ٣١ .

(٧) الناصر الأطروش - الاحتساب ص ١٥ : الشيرزي - نهاية ص ١١٣ .

(٨) الشيرزي - نهاية ص ١٤ ، ولم تذكر كتب الحسبة كيف كان المحتسب يضمن ذلك .

(٩) الشيرزي - نهاية ص ٨٨ .

إلى القول بأنه « يجب على المحتسب أن ينفي الخنثين من البلد ، وأن يمنع النخاسين من بيع المغني والمغنية ، وألا يفرقوا بين الولد والديه عند بيعهم للعبيد ، إذا كان الأولاد صغاراً ، وعلى المحتسب أن يأخذ اللقيط إذا وضع ، أو علم به ، وأن يعلم القاضي ليكتب حليته ، وبسلمه إلى ثقة ، وتخرج نفقته من بيت المال ... وأن يمنع بيعه ، فإن اللقيط حر (١) . »

كما كان من واجب المحتسب إلزام أهل الذمة من اليهود والنصارى بشد الزنار ، ولبس ملابس مغايرة لما كان يلبس المسلمون ، تفريقاً لهم عنهم (٢) . وأن يعاقب من يخالف ذلك بالحبس والضرب والتشهير (٣) ، كما كان يمنعهم من إظهار الشرك في طقوسهم وشعائرهم (٤) وأعيادهم ، ويمنع المسلمين من مزاركتهم فيها (٥) .

ومن ناحية أخرى كان على المحتسب أن « يتعاهد أبناء الجند الذين قتل آباؤهم في سبيل الله وأهاليهم (٦) » . وأن يتفقد أحوال دار المرضى (٧) . وكان عليه الإشراف على تعليم الصبيان والفتيات ، وضمان فائدتهم ، وعدم إرهابهم أو إيذائهم ، والمحافظة على أخلاقهم (٨) .

وكان من واجبات المحتسب التي كان لها علاقة بأمن الدولة ومصالحها الحربية

(١) الناصر الأطروش - الاحتساب ص ٢٢ ، ٢٧ ، ٣٢ .

(٢) الناصر الأطروش - الاحتساب ٢٩ ، يحيى الأندلسي أحكام ١٢٨ ، الشيزري ١٢٤ .

(٣) يحيى الأندلسي - أحكام ص ١٢٨ .

(٤) الناصر الأطروش - الاحتساب ص ٢٩ . (٥) ن . م . ص ٢٨ .

(٦) ن . م . ص ١٧ . (٧) ن . م . ص ٣٠ .

(٨) ابن بسام - نهاية - « مخطوطة أحمد الثالث » الفصل الرابع والثلاثون .

« أن يمنع حمل الأسلحة ، وما يستفاد منه لتقوية عسكر البغي ، مصنوعاً
أو غير مصنوع (١) » .

وبما بلغت النظر أن أعمال المحتسب قد تطورت تطوراً هاماً خلال
النصف الثاني من القرن الثالث الهجري ، فلم تعد تقتصر على ما تقدم
ذكره من الإشراف على الأسواق وأرباب الحرف والأصناف وبيعهم
ومعاملاتهم مع الناس ، وملاحظة الآداب الإسلامية العامة ، ومراقبة
الأخلاق ، وتنفيذ الحدود الشرعية بحق من يخرفها ، بل لقد شملت الحسبة
على الولاة والأمراء والقضاة (٢) . فكان على المحتسب أن يقصد مجالس
هؤلاء ، ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويعظهم ويذكروهم ، ويأمرهم
بالشفقة على الرعية والإحسان إليهم (٣) . وقد روى ابن عساكر أن أبا الحسين
النوري حطم دنان خمر كانت مرسلة إلى الخليفة المعتضد بالله ، وعندما
أوقف بين يديه وسأله عن عمله قال : « أنا المحتسب ، قال : من ولاك الحسبة ؟
قال : من ولاك الخلافة يا أمير المؤمنين . فأطرق الخليفة قليلاً ثم قال :
اذهب فقد أطلقت يدك فغير ما أحببت أن تغيره من المنكر (٤) » .

أما بالنسبة للقضاة والحكام فقد كان « ينبغي للمحتسب أن يتورد على الدوام
إلى مجالس القضاة والحكام ، فيمنعهم من اتخاذ المساجد والجوامع مقراً

(١) الناصر الأطروش - الاحتساب ص ٣١ .

(٢) يرى الماوردي في الأحكام السلطانية ص ٢٤١ بأن الحسبة « واسطة بين أحكام
القضاء وأحكام المظالم » : أما ابن الإخوة فإنه يرى بأنه « كانت من عادات السلف الحسبة
على القضاة قاطعاً بإجماعهم على الاستغناء عن التفويض . معالم ص ٢١ .

(٣) الشيرازي - نهاية ص ١١٥ ، ابن بسام - نهاية « مخطوط » ص ١١٩ ، ١٢١ ، آ .

(٤) ابن كثير - البداية : ٨٩/١١ . ابن الإخوة - معالم ص ١٩ ، ٢٠ .

لهم للحكم فيه^(١) . وكان عليه أن يردع القاضي إن رآه قد غضب على متهم ، أو شتمه أو احتد عليه في كلامه ، فإن القاضي لا يجوز له أن يحكم وهو غضبان^(٢) ، وكان عليه أن يعاقب من يسفه في مجلس الحكم ، أو يطعن على الحاكم في حكمه ، أو لا ينقاد إلى الحكم بعقوبة مناسبة^(٣) . ويرى الناصر الأطروش الزيدي « إن من يهرب من الإمام العادل يتوجب على المحتسب أن يهدم داره^(٤) » ولعل هذا الأمر انعكاس لوجهة نظر زيدية .

الشروط التي يجب توافرها في المحتسب

إن اتساع اختصاصات المحتسب وتشعبها وارتباطها بالأمر الشرعية ارتباطاً وثيقاً ، جعل الفقهاء يوجبون توفر صفات خاصة في من يراد توليته هذا المنصب^(٥) . كما أثبت مؤلفو كتب الحسبة الشروط التي يجب توافرها في المحتسب ، ويبدو من مقارنتها بشروط الفقهاء أنهم اعتمدوا في تحديد تلك الشروط والصفات على آراء الفقهاء إلى درجة كبيرة . فقد اشترطوا

(١) الشيزري - نهاية : ١١٥ . ابن بسام - نهاية « مخطوط » ص ١١٩ أ .

(٢) الشيزري - نهاية : ١١٥ . ابن بسام - نهاية : ١٢١ أ « مخطوط » .

(٣) ن . ٢٠ . (٤) الناصر الأطروش - الاحتساب ص ٢٣ .

(٥) عكس الناصر الأطروش الزيدي آراء الزيدية في أن يأخذ المحتسب شعار أهل البيت ، وألا يولى منصب الحسبة إلا عالم محرب : انظر الاحتساب ص ١١ . أما الماوردي فقد ميز بدقة بين المنتوع والمكاف ، وأثبت تسعة أوجه بينها ، انظر الأحكام السلطانية : ٢٤٠ ، ٢٤١ . وقد اشترط أبو حامد الغزالي توافر ثلاثة شروط في المحتسب : التكليف ، والإسلام ، والقدرة . انظر تفصيل ذلك في الإحياء : ٣٠٨/٢ .

أن يكون مسلماً حراً بالغا عدلاً^(١)، وأن « لا يولاها إلا عالم مجرب^(٢) » ،
 فقيه عارف بأحكام الشريعة الإسلامية ، ليعلم ما يأمر به وينهى عنه ،
 « فإن الحسن ما حسنه الشرع ، والقبیح ما قبحه الشرع ، ولا مدخل للعقول^(٣)
 في معرفة المعروف والمنكر إلا بكتاب الله عز وجل^(٤) » ، وأن يعمل بما
 يعلم ، وأن لا يكون قوله مخالفاً لفعله^(٥) ، وأن يكون عفيفاً عن
 أموال الناس « متورعاً عن قبول الهدية فان ذلك رشوة^(٦) » .

كما ينبغي أن يكون ذا رأي وخشونة^(٧) ، وأن يوطن نفسه على
 الصبر^(٨) . وأن يقصد بقوله وفعله وجه الله وطلب مرضاته ، خالص
 النية ، لا يشوبه في طوبته رثاء ولا مرأء^(٩) ، وأن يكون عارفاً « بالموازين

(١) ابن الإخوة - معالم القريبى ص ٧ .

(٢) الناصر الأطروش - الاحتساب ص ١٣ .

(٣) الشرع هنا يعني استنباط الأحكام العقلية ، وهو ما ينتهى إليه قادة الفكر
 الإسلامى الذين ثبت ورعهم وصلاتهم ومعرفتهم الكاملة بأحوال المجتمع وبالكتاب والسنة
 النبوية ، وعليه يمكن القول بأن معنى هذا النص هو أن الحسن في حكم الشرع حسن بحكم
 الكتاب والسنة والعقل جميعاً ، وبهذا ينتفى ما قد بظن البعض من أن الإسلام يهمل رعاية
 صالح الجماعة ، ويعتمد في التشريع على الكتاب والسنة وحدهما ، دون أن يترك للعقل
 مجال العمل ، كما أن هذا النص يعني أنه ليس للتفكير المجرد الذي يهمل حكم الكتاب والسنة
 أن يحكم على أمر بأنه حسن أو قبيح .

(٤) الشينيرى - نهاية ص ٦ ، ابن الإخوة - معالم ص ٨ .

(٥) الشينيرى - نهاية ص ٧ ، ابن الإخوة - معالم ص ١١ .

(٦) الشينيرى - نهاية ص ١٠ ، ابن الإخوة - معالم ص ١٥ ، ابن عبدون - رسالة

ص ٢٠ ، أبو سالم - العقد ص ١٧٩ .

(٧) ابن الإخوة - معالم ص ٨ ، أبو سالم - العقد ص ١٧٩ .

(٨) ابن الإخوة ص ١٨ .

(٩) الناصر الأطروش - الاحتساب ص ١١ ، ابن الإخوة - معالم ص ١٣ .

والمسكيبيل والأرطال والمثاقيل والدرام ، وتحقيق كميتهما ، . وذلك لكي
تجري معاملات الناس بها دون غبن أو تطفيف (١) ، وأن يكون مواظباً
على سنن رسول الله ﷺ (٢) .

وانفرد الناصر الأطروش الزبيدي بالقول بأن علي المحتسب أن يأخذ
شعار أهل البيت ، وأن لا بد من محتسب في كل مصر من أمصار المسلمين (٣) .
إن تعيين المحتسب كان يجري من قبل الخليفة أو الأمير (٤) . ويبدو
أن الشروط التي كان يجب توفرها في المحتسب كانت تهمل أحياناً خلال الفترة
التي ندرسها ، وتردنا إشارتان تؤكدان على أن قاعدة الانتقاء من ذوي
الكفاءة قد جرى تجاوزها ، وبدأ منصب المحتسب يلازم بعض الأفراد
طوال حياتهم ، ثم ينتقل إلى أبنائهم ، وكأنه منصب وراثي ، فقد كان
محمد بن أحمد بن عبد الباقي قد ولي الحسبة هو وأبوه وجدته بالتتابع (٥) .
ونفس الأمر حصل لمحمد بن عبد الله الهاشمي الذي خلف أباه على الحسبة
حتى وفاته (٦) .

إن مدة تولي هذا المنصب غير محدودة - كغيرها من الولايات -
ومع ذلك فإن أغلب من وصلتنا ترجمة حياتهم من المحتسبين قد احتفظوا
بمناصبهم حتى وفاتهم (٧) .

-
- (١) الشيزري - نهاية ص ١٠ ، ابن الإخوة معالم ص ١٤ .
 - (٢) الناصر الأطروش - الاحتساب ص ١٥ ، ابن الإخوة - معالم ص ١٣ .
 - (٣) الناصر الأطروش - الاحتساب ص ٣١ ، ٣٢ .
 - (٤) القرطبي - صلة : ص ١٤٧ ، مسكويه - تجارب : ٢٠٩/٥ .
 - (٥) الخطيب - تاريخ بغداد : ٣٣٠/٢ رقم ٨٢٠ ؛ ٣٣٩/١٠ رقم ٥٤٧٦ .
 - (٦) ن . م . : ٣٣٩/١٠ . (٧) ن . م . : ٣٣٠/٢ ، ٣٣٩/١٠ .

٤ - أعوان المحتسب

لما لم يكن في مقدور المحتسب الإحاطة بكل ما تقدم من الأعمال وحده . لذا كان يتخذ من أهل كل صناعة « عريفاً من صالح أهلها خبيراً بضاعتهم ، بصيراً بغشوشهم وتدليساتهم ، مشهوراً بالثقة والأمانة ، يكون مشرفاً على أحوالهم^(١) ليطالعه بأخبارهم ، وما يجب إلى السوق من السلع والبضائع وما تستقر عليه الأسعار^(٢) . ويقوم الأمير في الولاية ، والوزير في العاصمة بتعيين هؤلاء العرفاء بعد أن يرشحهم المحتسب ، وربما عهد للقضاة إصدار أوامر تعيينهم^(٣) .

وبالإضافة إلى (العرفاء) على الأصناف وأصحاب الحرف ، فقد كان للمحتسب « نواب » على الحدود والموانئ وسواحل البحر ، وفي « الأماكن التي ترد إليها الغلة » ليعلموه بما يرد من الغلال والبضائع ، وما يخرج منها ، ويشرفوا على مخازن الغلة التي قد « يخبئونها إلى وقت الحاجة إليها^(٤) . ليكون المحتسب على اطلاع واسع على أحوال البلاد الاقتصادية ، وليتصرف على ضوء معلوماته تلك عند حلول الأزمات . وإضافة لما تقدم فقد جرت العادة أن يتخذ المحتسب « أعواناً » له

(١) يرى الدكتور الدوري بأنه يتصل بالتاسك الحرفي والشعور بالكيان لدى أهل الصناعات انتشار الانسحاب إلى المهنة ، ويستدل من ذلك على تحسن النظرة إلى الصناعات اليدوية ، انظر مقالة الدكتور الدوري « نشوء الاصناف والحرف » مجلة كلية الآداب : العدد الأول ١٩٥٩ .

(٢) الشيزري - نهاية ص ١٢ . (٣) وكيع - أخبار القضاة ١/٣٤٧ .

(٤) ابن بسام - نهاية « مخطوط » ص ١٦ ب ١٧ أ .

و « غلماناً » يتقوى بهم على المخالفين^(١) ، كما قد يكون « الشرطة »
ضمن هؤلاء الأعوان^(٢) .

٥ - هرة المحتسب

أما عدة المحتسب التي كان يعرف بها والتي كان يستعملها في إيقاع
العقوبات على المخالفين فهي « السوط » و « الدرة » و « الطرطور » ،
وهي عدة رادعة لمن تسول له نفسه الغش والتدليس أو الإضرار بالصالح
العام من أي ناحية من النواحي^(٣) . وقد جرت العادة أن يتخذ السوط
وسطاً ، لا بالغليظ ولا بالرفيق ، بل يكون بينهما ، حتى لا يآلم الجسد
إلى درجة شديدة ، يخشى معها على حياة الشخص المذنب المعاقب ،
وتكون « الدرة » من جلد البقر أو الجمل محشوة بنوى التمر . أما
« الطرطور » فيكون قلنسوة من اللباد منقوشة ، مكللة بالخرق الملونة
محاطة بالوان الحرز والودع والأجراس وأذنان الثعالب والنسائيس^(٤) .
تعلق هذه الآلات على « دكة المحتسب^(٥) » التي تكون عادة عالية
بارزة في السوق لكي يشاهدها الناس « فترتعب منها قلوب المعتدين ،
ويزجر بها أهل التدليس^(٦) » ، كما كان للمحتسب « سجل » خاص ، كان يدون

(١) الشيزري - نهاية ص ١٠ ، ابن بسام - نهاية ص ١٦ آ « مخطوط » .

(٢) الشيزري - نهاية ص ٨٠ ، ٧ .

(٣) الشيزري - نهاية ص ١٠ ، ابن بسام ص ١٧ ب .

(٤) ابن الإخوة - معالم ص ١٨٤ ، ١٨٥ ، ابن بسام - نهاية ص ١٧ آ « مخطوط » .

(٥) الشيزري - نهاية ص ١٠ ، ابن بسام - نهاية ص ١١٧ ب « مخطوط » . وبشير

المقرئزي في الخطط ص ٥٤٣ ط دار العلوم الى دكة المحتسب بالقاهرة ومكانها .

(٦) الشيزري - نهاية ص ١٠ ، ابن بسام - نهاية ص ١٦ آ .

فيه قوائم بأسماء الصناع والتجار ، وكانت يؤشر إزاء اسم كل منهم موقع محله ،
ليتمكن من الوصول إليه بسرعة عند الحاجة إلى ذلك .

٦ - العمل اليومي للمهتسب

كان على المهتسب أن يتجول مراراً كل يوم في السوق وفي الأماكن
الأخرى التي يباشر فيها اختصاصاته الواسعة ، وأن لا يبقى دائماً على دكانه
- التي كانت تعتبر بمثابة المقر الرسمي له - وكان يقوم بهذه الجولات ماشياً أو
راكباً محاطاً بأعوانه وغلماؤه^(١) . وقد جرت العادة « أن يمشي بنفسه
راكباً في الأسواق ، وأعوانه معه ، وميزانه الذي يزن به الخبز في يدي
أحد الأعوان^(٢) » .

وكان المهتسب يتفنى في إيجاد الوسائل والطرق التي تكفل كشف
المدلسين والغشاشين من الصناع والتجار ، وكلما ازدادت حيلة هؤلاء وحذرم
أوجد المهتسب ما يقابل ذلك من وسائل الكشف والتحري .

ومع أنه كان بإمكان المهتسب أن يوقع عقوبة بدنية مباشرة على
المخالفين أو المدلسين أو الغشاشين ، لكنه لم يكن يقوم بذلك عند حدوث
المخالفة من قبل أحد الأفراد لأول مرة ، بل كان يبدي النصح والإرشاد
والتحذير ، ولكن إذا تكرر ذلك من الشخص ، فإنه كان يباشر بإيقاع
العقوبة - التي استحقها - عليه^(٣) . وربما حدثت بعض المخالفات التي لم نوضح

(١) ابن الاخوة - معالم ص ٢٢٠ ، القلقشندي - صبح ٤٧١/١٢ .

(٢) الشيزري - نهاية ٨ .

(٣) الشيزري - نهاية ص ١٠٩ ، ابن الاخوة - معالم ص ١٩٥ ، الماوردي -

الأحكام السلطانية ص ٢٢٧ وما يليها ، ابن تيمية - الحسبة ص ٣٨ .

كتب الحسبة حدودها ، وفي مثل هذه الحالة كان يتروك للمحتسب قياس ذلك بموادت مشابهة لها (١) .

لقد أشرت إلى أن الخلفاء أو الأمراء كانوا يقومون بتعيين المحتسبين وكانوا يصدرون لهم عهداً بذلك . وبالرغم من أن عهداً كثيرة قد وصلتنا ، إلا أنها - بما يؤسف له - متأخرة عن الفترة التي نبحث فيها (٢) .

ويبدو أن ولاية الحسبة لم يكتفوا على درجة واحدة من الأهمية والنفوذ ، ولعل ذلك تعبير عن انعكاس أهمية ولايات لدى المركز . وقد ذكر الصابي أن « أصحاب المظالم والحسبة وأسواق الرقيق والعيار والموارث على طبقتين :

الطبقة الأولى : من يتولى مصر والأهواز أو فارس أو الري وأعمالها وأصبهان .

(١) وضع مؤلفو كتب الحسبة بعض القواعد القياسية التي كانت تتيح للمحتسب قياس الأمور التي تستجد عليها على أساس أن الضابط الرئيسي في أمور الحسبة هو أحكام الشريعة الإسلامية « فكل ما نهت الشريعة عنه يكون محظوراً ، ويجب على المحتسب إزالته والمنع من فعله ، وما أباحت الشريعة أقره على ما هو عليه » ، انظر الشيرازي - نهاية ١١٦ ، ١١٨ ، وابن بسام نهاية « مخطوط » ١١٧ ب ، ١٢١ آ .

(٢) في رسائل الصابي نسخة عهد من الخليفة المطيع لله العباسي إلى الغضنفر بن ناصر الدولة يفوض إليه الولايات ومنها الحسبة (رسائل ١١٤ ، ١٤١ ، ١٤٢) . وكتب المقرئ (نفع الطيب ٢٠٤/١) عن « خطة الاحتساب بالأندلس » ، وأفاض المقرئ في خطه (٤٦٣/١ - ٤٦٤) في شرح وظيفة المحتسب في مصر ، وكذلك في السلوك (ج ١ ق ١ ص ١٢٠) ، وثبت الشيرازي - نهاية : (١٢٤) نصاً بولاية الحسبة في عهد الدولة الأيوبية ؛ وأورد الفلقشندي (صبح ٢١٤/١١) عهداً بولاية الحسبة في إفريقية نقلاً عن كتاب التعريف لابن فضل الله العمري .

الطبقة الثانية : باقي المحتسبة والمطالبين ... إلا ابن بطحنا محتسب
الحضرة وسوق الرقيق .. فإنه يجري مجرى الطبقة
الأولى ، (١) .

أما عن راتب المحتسب فهناك ما يؤكد أن الدفع كان يجري على أساس
الشهر ، في حين أن المعلومات التي وصلتنا لاتوضح مقدار الراتب ، ومن
المحتمل أن يكون ذلك متفقاً مع التصنيف الذي أورده الصابي (٢) للمحتسبين .
وعلى ضوء ما أورده ابن مسكويه في تجاربه يمكن القول بأن راتب
محتسب بغداد كان (١٠٠) دينار ويبدو أن ذلك كان أعلى راتب يمكن
أن يدفع للمحتسب لقاء عمله ، إذ أن الدانيالي المحتسب سأل الوزير
الحسين بن القاسم زيادة على راتبه « فأجرى له مائة دينار أخرى تسبب
برسم الفقهاء (٣) » . ويذكر المقرئ في خطه عند حديثه عن المحتسب
في القاهرة أن راتبه كان « ثلاثون ديناراً في كل شهر (٤) » .

أما عن رواتب المحتسبين من الصنف الثاني فلم تردنا عنها معلومات
توضح مقاديرها ، وبالإمكان ملاحظة التمييز بين الصنفين المشار إليهما من
المحتسبين من خلال المخاطبات التي كان يوجهها إليهم الوزراء ؛ فقد كان أبو الحسن
علي بن الفرات يخاطب المحتسبين من أفراد الطبقة الأولى بالدعاء : « أكرمك
الله ، وأبقاك ، وأتم نعمته عليك ، وأدامها لك ، وبعنوان : « لأبي فلان
أبقاه الله فلان بن فلان من أبي الحسن » أما أفراد الطبقة الثانية فقد
كان دعاؤه لهم : « حفظك الله وأبقاك وأمتع بك » . أو « حفظك

(١) الصابي - الوزراء ص ١٧٦ . (٢) الصابي - الوزراء ص ١٨٦ .

(٣) مسكويه - تجارب : ٢١٧/٥ . (٤) المقرئ - الخطط ص ٣٤٠ .

الله ، وعافاك » وبعنوان : « لأبي فلان أكرمه الله ، ويشرك باقي السطور
بياضاً (١) » .

كان يفترض في المحتسب أن يقوم بواجباته على الوجه الأكمل ، وأن لا يفرط في ذلك ضماناً للمصلحة العامة ومنعاً لأي تدمير قد يؤدي إلى إرباك إدارة الدولة ، ولكن ذلك لم يكن يحدث على الدوام ، وعلى ذلك فقد كان على « أصحاب الخبر » وموظفي البريد إيصال أخبارهم إلى الخليفة ضمن ما كانوا يوصلون إليه من أخبار عن أحوال العامة . وقد نقل لنا ابن الجوزي (٢) خبراً عن أن المعتضد قد بلغه أن أحد الباعة قال متدمراً : « ليس للمسلمين من ينظر في أمورهم » ، فأمر المعتضد بإحضاره وسأله عما قصد بقوله فأجاب : « إنما أعني المحتسب علينا » فأمر المعتضد بإحضار المحتسب ، وأنكر عليه ترك النظر في أمور السوق ، وأمره بمزاولة أعماله على أتم وجه « حتى لا يبخس أحد شيئاً من حقه (٣) » . ويبدو أن الدانيالي المحتسب الذي ولي الحسبة ببغداد في وزارة الحسين بن القاسم (٤) كان يوجه إليه نفس الانتقاد السابق ، وقد ثبت لنا ذلك أحد الشعراء بقوله (٥) :

إذا كان الوزير أبا الجمال ومحتسب البلاد الدانيالي
فعدت عن البلاد فعن قليل ترى الأيام في صور الليالي
تقضت بهجة الدنيا وولت وآذن كل شيء بارتحال

(١) الضابي - الوزراء : ١٧٢ ، ١٧٦ ، ١٧٧ .

(٢) ابن الجوزي - المنتظم : ج ٥ ق ٢ ص ١٢٩ ، ١٣٠ .

(٣) ن . م . ص ١٣٠ « ج ٥ ق ٢ » .

(٤) الحسين بن القاسم عبيد الله بن سليمان وزير للمقتدر سنة ٣١٩ هـ .

(٥) ابن الطقطقي - الفخري ص ٢٧٤ .

وعلى عكس ذلك نجد أن هناك من كان يتولى الحسبة ، ويقوم بواجباته على أتم وجه ، ويعمل جهده في النصح والإرشاد ومحاربة المنكر ، مهما كانت مكانة القائم به أو منصبه . بل لم يتوان أحدهم عن إنكار المنكر حتى على الخليفة نفسه ، كما أشرنا في خبر أبي الحسن النوري المحتسب الذي كسر دنان خمر محمولة إلى دار الخلافة ، بل لقد وضع هذا المحتسب نفسه في موقف الند للند من الخليفة (١) ؛ على اعتبار أن ذلك منكر ، وأن إيقاف المنكر والنهي عنه واجب تطوعاً فكيف مع التكليف ؟

وقد يحدث أن يتولى المحتسب الشرطة ، إضافة إلى الحسبة ، فيصبح بذلك قوي الجانب ، مهماً فتستقيم الأمور على عهد ، وقد حصل ذلك في خلافة المقتدر إذ تولى الحسبة مع الشرطة محمد بن باقوت ، وضم إليه رجالاً فتقوى بهم (٢) ، وبما يشير إلى خطورة مركزه من جراء ذلك ، أن قائد الجيش مؤسناً المظفر طلب من الخليفة إقصاءه عن الحسبة ؛ بحجة أنها « منصب لا يجوز أن يتولاه غير القضاة العدول (٣) » ، والواقع أن مؤسناً أحس بأن جمع هاتين الوظيفتين في يد شخص منافس له ، سيؤدي إلى ازدياد سلطة منافسه إلى درجة كبيرة (٤) ، أما الحججة التي استند إليها مؤنس فإن الواقع يدحضها إذ أورد الصابي تقيعاً من أبي الحسن بن الفرات إلى أحد خاصته جاء فيه : « ... غير أنك تكره القضاء والعمالة ، فلا تدخل فيها ، والحسبة فلا تصلح لك (٥) » ، مما يشير إلى عدم كون المحتسب من القضاة العدول .

-
- (١) ابن كثير - البداية : ٨٩/١١ ، ابن الاخوة - معالم ص ١٩ ، ٢٠ .
(٢) ابن الأثير - الكامل : ٨٦/٨ ، مسكويه - تجارب : ٢١٠ ، ٢٠٩/٥ .
ابن كثير - البداية : ١٦٦/١١ ، القرطبي - صلة : ١٤٧ .
(٣) ابن الأثير - الكامل : ٧٦/٨ ، ابن كثير - البداية : ١٦٦/١١ .
(٤) مسكويه - تجارب : ٢١٠/٥ . (٥) الصابي - الوزراء : ٢٨٢ .

٧ - ملحق بأسماء المؤمنين خلال العصر العباسي الثاني

ليست لدينا قائمة تفصيلية بأسماء المحسنين خلال هذه الفترة ، ولكن استناداً إلى المصادر التاريخية وكتب التراجم ، يمكن إيراد قائمة أولية بأسماء الذين ولوا الحسبة ببغداد خلال الفترة التي أعقبت مقتل المتوكل حتى العهد البويهي على الشكل التالي :

١ - محمد بن أحمد بن علي بن مخلد الجوهري (ت ٢٦٤ هـ) (١) .

٢ - هارون بن إبراهيم الهاشمي : يرد ذكر ولايته للحسبة سنة ٢٧١ هـ ، وأنه أمر أهل بغداد بأن يتعاملوا بالفلوس ، فتعاملوا بها على كره منه ، ثم تركوها (٢) ، ويبدو أنه استمر في منصبه حتى سنة ٢٨٠ هـ إذ يردنا أنه أمر في سنة ٢٧٩ هـ بأن لا يقعد على الطريق ولا في المسجد قاض ولا منجم ، وأنه حلف الوراقين ألا يبيعوا كتب الكلام أو الجدل أو الفلسفة (٣) .

٣ - عبيد الله بن علي بن الحسين بن إسماعيل الهاشمي (٤) (ت سنة

٢٨٤ وهو على الحسبة ببغداد) .

(١) الخطيب البغدادي - تاريخ بغداد : ١/٣٢٠ رقم ٢١٧ .

(٢) السيوطي - تاريخ الخلفاء ص ٣٦٦ .

(٣) ابن الأثير - الكامل : ٧/١٦٢ .

(٤) الخطيب تاريخ بغداد : ١٠/٣٢٩ رقم ٥٤٧٦ .

٤ - محمد بن عبيد الله بن علي الهاشمي : تولى الحسبة عند وفاة أبيه ، واستمر في ولايته عليها حتى وفاته سنة ٣٠٠ هـ (١) .

٥ - إبراهيم بن محمد بن بطحاء (٢) : وفي ولايته هذه ارتفع سعر الخنطة والدقيق ، مما اضطره إلى تسعيرهما فسعر الكر الواحد بمخمين ديناراً .

٦ - عمر بن الحسين بن علي الشيباني (٣) ، وقد عزل عن الحسبة سنة ٣١٠ هـ .

٧ - عن الفترة المحصورة بين سنتي ٣١٠ - ٣١٨ هـ لم أعتز على ما يشير إلى من تولى الحسبة خلالها في بغداد .

٨ - الداني (٤) تولى الحسبة في وزارة الحسين بن القاسم للمقتدر (٤) بالله .

٩ - محمد بن ياقوت ، كان أميراً للشرطة وأضاف المقتدر بالله له ولاية الحسبة ، ثم عزل عن كليهما سنة ٣١٩ هـ وهي نفس السنة التي ولي فيها (٥) .

(١) وكان يتولى هو وأبوه إضافة إلى الحسبة ، الصلاة في المسجد الجامع بالرفافة ،

انظر ترجمته في الخطيب - تاريخ بغداد : ٣٣٠/٢ رقم ٨٢٠ .

(٢) الهداني - تكله ٣١/١ وقد كان معه عند التسعير هارون بن خال المقتدر .

(٣) ابن كثير - البداية : ١٤٥/١١ ، ابن الجوزي - المنتظم : ١٦٦/٦ .

(٤) مسكويه - تجارب : ٢١٥/٥ ، ابن الطقطقي الفخري : ٢٧٤ ، وقد تولى

الحسين بن القاسم وزارة المقتدر في ٢٩ رمضان سنة ٣١٩ هـ .

(٥) ابن الأثير - الكامل : ٧٦/٨ ، مسكويه - تجارب : ٢٠٩/٥ - ٢١٠ ،

ابن كثير - البداية : ١٦٦/١١ ، القرطبي - صلة : ١٤٧ .

١٠ - إبراهيم بن محمد بن بطحاء^(١) (ولي الحسبة للمرة الثانية ، وكانت ولايته الأولى قبل عمر بن الحسين بن علي الشيباني) : تولى الحسبة ببغداد سنة ٥٣١٩ خلفاً لمحمد بن ياقوت ، وبقي في ولايته هذه حتى وفاته سنة ٥٣٣٢ .

١١ - المعروف بالأسمر من أصحاب الأمير توزون : استمر في ولايته للحسبة حتى سنة ٥٣٣٣^(٢) .

(١) مسكويه - تجارب : ٢٠٩/٥ : القرطبي - صلة : ١٥٧ .

(٢) الخطيب - تاريخ بغداد : ٥١/٦ - ٥٢ برقم ١٦٤/٦٢٠٧٦ برقم ٣٢١٢ .

(٣) الصولي - أخبار الراضي والمنتقى : ٢٨٤ ، وقد أورده ضمن القائمة التي

ثبتها بأسماء عماله « عند زوال أمره » سنة ٣٣٣ .

المصادر

المخطوطات

ابن بسام : محمد بن أحمد بن بسام المحتسب ، « نهاية الوثبة في طلب الحسبة » مخطوطة أحمد الثالث باستانبول رقم عمومي أدبيات رقم (٢٠) ، (طبع في بغداد عام ١٩٦٨)

الأزدي : أبو زكريا بن محمد ، « تاريخ الموصل ج ٢ » مصورة عن نسخة كتبت سنة ٦٢٣ هـ / ١٢٢٦ م دار الكتب المصرية ٢٤٧٥ تاريخ . (طبع في القاهرة عام ١٩٦٧)

الأنصاري : جمال الدين علي بن الحسن الخزرجي « المسجد المسبوك في سيرة الخلفاء والملوك » مصورة عن مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ٣٨٦٣ تاريخ ، محفوظة في خزانة المخطوطات في المجمع العلمي العراقي ببغداد تحت رقم ٧٢ تاريخ .

السنامي : عمر بن محمد بن عوض السنامي « نصاب الاحتساب » نسخة محفوظة في خزانة المخطوطات في مكتبة معهد الدراسات الإسلامية العليا بجامعة بغداد تحت رقم ١٨٩ عموميات .

العمري : محمد أمين بن خير الدين « تاريخ الموصل » مخطوطة

مصورة عن نسخة المتحف البريطاني تحت رقم . p 6523
O,2429 والمحفوطة في خزانة المخطوطات في المجمع

العلمي العراقي تحت رقم ٤٨ .

جواب الدولة : أبو العباس أحمد بن محمد بن علويه الشجري « ترويح

الأرواح ومفتاح السرور والأفراح » مصورة عن

نسخة الخزانة الوطنية بباريس تحت رقم ٣٥٢٧ عربيات

محفوطة في خزانة المخطوطات بمكتبة معهد الدراسات

الإسلامية العليا بجامعة بغداد تحت رقم ٥٧٣ عمومات .

أبو الفرج الحافظ قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي ،

« كتاب الخراج وصنعة الكتابة » نسخة مصورة عن

مخطوطة مكتبة كوبريلي باستانبول تحت رقم ١٠٧٢

أدبيات عام .

المصادر القديمة

ابن الأبار : أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القاضي

(ت ٦٥٨ هـ) « إعتاب الكتاب » تحقيق صالح

الأشتر ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق (١٣٨٠ هـ)

(م ١٩٦١) .

« التكملة لكتاب الصلة » (جزآن) نشره عزت

العتار الحسيني القاهرة (١٣٧٥ هـ / ١٩٥٦ م) .

ابن الأثير : عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم

الشيبياني (ت ٦٣٠ هـ) « السكامل في التأريخ ١٢

جزءاً » دار الطباعة ، القاهرة (١٢٩٠ هـ / ١٨٧١ م) .

ابن الأثير : ضياء الدين أبو الفتح نصر الله محمد بن محمد بن عبد الكريم
الشباني (٥٦٣٧) « المثل السائر في أدب الكاتب
والشاعر » . القاهرة - ١٩٥٤ .

ابن الاخوة : محمد بن محمد بن أحمد القرشي (ت ٧٢٩ هـ) « معالم
القوبة في أحكام الحسبة » روين ليفي ، مجموعة نذكر
جب ، لندن ١٩٣٨ .

ابن البطريق : سعيد بن الطريق البطريرك الرومي (ت ٣٢٨ هـ)
« كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق »
جزءان . بيروت ، مطبعة الآباء اليسوعيين (١٩٥٥ م) .

ابن بشكوال : أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال
الجزرجي الأنصاري الأندلسي (ت ٥٧٨ هـ) .
« كتاب الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم
وفقهاءهم وأدبائهم » .

الناشر: عزت العطار الحسيني، القاهرة (١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥ م)
ابن تغري بردي : أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي البشغاوي
الظاهري الحنفي (ت ٨٧٤ هـ) .
« النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة » ١٢ جزءاً .
دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٤٨ - ١٣٧٥ هـ / ١٩٢٩ م
١٩٥٥ م .

ابن تيمية : شيخ الإسلام أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم
الحراني النميري (ت ٧٢٨ هـ) .
« الحسبة في الإسلام » .

الناشر : المكتبة العلمية - المدينة المنورة ، مطبعة دار الزيني
للطباعة والنشر ، القاهرة (١٣٧٦ هـ / ١٩٥٧ م) .

ابن الجوزي : أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي الجوزي القرشي
البغدادي الحنبلي (ت ٥٥٩٧ هـ) .

« المنتظم في تاريخ الملوك والأمم » (الاجزاء ٥ - ١٠) .

حيدر آباد - الدكن ١٣٥٧ - ١٣٥٨ هـ / ١٩٣٨ - ١٩٣٩ م .

« مناقب بغداد » نشرة محمد بهجة الأثري ، مطبعة دار

السلام بغداد (١٣٤٢ هـ / ١٩٢٣ م) .

ابن حنين : شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن أحمد الكنعاني

العسقلاني المصري الشافعي (ت ٨٥٢ هـ) «تهذيب التهذيب»

(١٤) جزء آ حيدر آباد الدكن ١٣٢٥ - ١٣٢٧ هـ / ١٩٠٧ م .

١٩٠٩ م «لسان الميزان» حيدر آباد الدكن ١٣٣٠ هـ /

١٩١١ م «الدرر الكامنة» حيدر آباد الدكن ١٣٣٢ هـ /

١٩١٣ م .

ابن حزم : أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري الأندلسي

(ت ٤٥٦ هـ) «جمهرة أنساب العرب» تحقيق عبد السلام

هرون ، دار المعارف ، القاهرة ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢ م .

ابن حنبل : «تفضيل الأتراك على سائر الاجناد» باعثناء عباس

الغزاوي المحامي ، استانبول ١٩٤٠ م .

ابن خلكان : شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر

ابن خلكان البرمكي الإريثلي الشافعي الأشعري (ت ٦٨١ هـ)

«وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان» (٦) أجزاء باعثناء

محمد يحيى الدين عبد الحميد ، مكتبة النهضة المصرية - مطبعة

السعادة ، القاهرة ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨ م .

ابن خرداذبه : أبو القاسم عبيد الله بن أحمد بن عبد الله بن خرداذبه الخراساني
(ت نحو ٥٣٠٠) « المسالك والممالك » باعتناه دي خويه
لايدن ١٨٨٩ م .

ابن خلدون : ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون
التونسي الحضرمي الإشبيلي المالكي (ت ٥٨٠٨) « كتاب
العبر وديوان المبتدأ والظهير » (المقدمة) دار الكتاب
البناني - بيروت ١٩٥٦ - ١٩٦١ م .

ابن الديهي : محمد بن سعيد بن محمد (ت ٥٦٣٧)
« المختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ الديهي » باعتناه
مصطفى جواد ، مطبوعات الجمع العلمي العراقي ، مطبعة
المعارف - بغداد ١٣٧١ هـ / ١٩٥١ م .

ابن الرومي : أبو الحسن علي بن عباس بن جريج (ت ٥٢٨٤) .
« ديوان ابن الرومي » (٣) أجزاء ، باعتناه كامل الكيلاني
المكتبة التجارية ، مطبعة التوفيق الأدبية - القاهرة ١٩٢٤ م
ابن رسته : أبو علي أحمد بن عمر (ت بعد ٥٢٩٠) « الأعلام النفيسة »
باعتناه دي خويه - مطبعة بريل ، ليدن ١٨٩٢ م .

ابن سعد : أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الزهري البصري
(ت ٥٢٣٠) .

« الطبقات الكبرى » ، (٨) أجزاء ، ط . سخاو . ليدن
ليدن ١٩٠٥ - ١٩٢١ م .

ابن سعيد المغربي : نور الدين أبو الحسن علي بن محمد عبد الملك بن سعيد المغربي
الغرناطي الأندلسي (ت ٥٦٨٥) .
« المغرب في حلى المغرب » (جزءان) تحقيق الدكتور
شوقي خيف ، دار المعارف بمصر - القاهرة ١٩٥٣ م .

ابن سلام : أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي الأزدي الخزاعي البغدادي
(ت ٥٢٢٤) .

« كتاب الاموال » صححه وعاق عليه محمد حامد الفقي ،
مطبعة عبد اللطيف حجازي - القاهرة ١٣٥٣ هـ .

ابن سيده : أبو الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي (ت ٥٤٥٨) .
« المخصص » (١٧) جزء ، المطبعة الأميرية - بولاق
١٣١٦ هـ .

ابن الصيرفي : أمين الدين أبو القاسم علي بن منجب سليمان (ت ٥٥٤٢) .
« قانون ديوان الرسائل » القاهرة - ١٩٥٢ م .

ابن الطقطقي : محمد بن علي بن طباطبا العلوي (ت ٥٧٠٩) .
« الفخوري في الآداب السلطانية » (تاريخ الدولة الإسلامية)
دار صادر - بيروت ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م .

ابن طيفور : أبو الفضل أحمد بن طاهر بن طيفور الكاتب الخراساني
(ت ٥٢٨٠) .

« تاريخ بغداد » باعتناء عزت العطار الحسيني ، القاهرة
١٣٦٨ هـ / ١٩٤٩ م .

ابن عبد ربه : أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه بن عجيب بن حيدر بن سالم
القرطبي الأندلسي المالكي (ت ٥٣٢٨) .

« العقد الفريد » (٧) أجزاء تحقيق محمد سعيد العرياني
القاهرة ١٣٥٩ هـ / ١٩٤٠ م .

ابن العبري : أبو الفرج غريغوريوس بن هارون الملطي (ت ٥٦٧٥) .
« تاريخ مختصر الدول » تحقيق أنطوان صالحان اليسوعي
المطبعة الكاثوليكية - بيروت (١٩٥٨ م) .

- ابن العماد : أبو الفلاح عبد الحي بن العماد (ت ١٠٨٩ هـ) .
 « شذرات الذهب في أخبار من ذهب » ، (٨) أجزاء .
 مطبعة القدسي - القاهرة ١٣٥٠ / ١٩٣١ .
- ابن فرحون : برهان الدين أبو الوفاء إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون
 اليعمرى (ت ٧٩٩ هـ) .
 « تبصرة الاحكام ، القاهرة - ١٣٥٠ هـ / ١٩٣١ م .
 « الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب » ، القاهرة -
 ١٣٥١ هـ / ١٩٣٢ م .
- ابن الفرضي : أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي (ت ٤٠٣ هـ)
 « تاريخ علماء الاندلس » ، مطبعة بلاغرنلده - مجريط ١٨٩٠ م
- ابن قتيبة : أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ)
 « المعارف » ، تحقيق ثروة عكاشه ، مطبعة دار الكتب -
 القاهرة ١٩٦٠ م .
- ابن كثير : عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير القوشي البصري
 ثم الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) .
 « البداية والنهاية في التواريخ » ، (١٤) جزوا . مطبعة
 السعادة - القاهرة ١٣٤٨ - ١٣٥٨ هـ / ١٩٢٩ - ١٩٣٩ م .
- ابن ماجه : أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه الربيعي القزويني (ت ٢٧٣ هـ)
 « السنن » ، (جزاء) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، مطبعة
 السعادة القاهرة ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٢ م .
- ابن المعتز : أبو العباس عبد الله المرتضى بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم
 العباسي الهاشمي (ت ٢٩٦ هـ) .
 « ديوان ابن المعتز » ، (٤) أجزاء ، تصنيف أبي بكر
 الصولي باعتناء ب . لوين ، النشرىات الإسلامية ، مطبعة
 المعارف ، استانبول ١٩٥٠ م .

ابن ماتي : أبو المكارم أسعد بن الخطير أبي سعد مهذب بن مينا بن
زكريا بن أبي قدامة بن أبي مليح ماتي المصري (ت ٨٦٠٦)
« قوانين الدواوين ، جمع وتحقيق عزيز سوربال عطية ،
الجمعية الزراعية المصرية الملكية ، مطبعة مصر - القاهرة
١٩٤٣ م .

ابن مسكويه : أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب المعروف بمسكويه :
(ت ٤٢١ هـ)
« كتاب تجارب الامم » (المجلدان الخامس والسادس)
مطبعة التمدن الصناعية بصر - القاهرة ١٣٣٢ - ١٣٣٣ هـ /
١٩١٤ - ١٩١٥ م .

ابن منظور : جمال الدين أبو الفضل محمد بن جلال الدين أبو العزم مكرم بن
نجيب الدين أبو الحسن علي بن أحمد بن أبي القاسم بن حبة
ابن منظور الأنصاري الإفريقي المصري (ت ٥٧١١ هـ) .
« لسان العرب » (٢٠) جزءاً الطبعة الأولى المطبعة
الإميرية بصر - بولاق ١٣٠١ هـ / ١٨٨٣ م .

ابن النديم : أبو الفرج محمد بن إسحاق بن أبي يعقوب النديم الوراق
البغدادي (ت ٥٣٨٣ هـ) .

« الفهرست » باعثناء غوستاف فلوجل ، لايبزك ١٨٧١ م
ابن الوردي : أبو حفص زين الدين عمرو بن مظفر بن مر بن محمد بن أبي
الفوارس بن علي الشهير بابن الوردي الشافعي (ت ٥٧٤٩ هـ) .
« تمة المختصر في تاريخ البشر » (جزآن) المطبعة
الوهبية - القاهرة ١٢٨٥ هـ / ١٨٦٨ م .

أبو سالم : محمد بن طلحة الوزير (ت ٥٦٥٢) .

« العقد الفريد للملك السعيد » .

أبو الفداء : الملك المؤيد عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن علي بن محمود بن

محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب الشافعي (ت ٥٧٣٢) .

« المختصر في أخبار البشر » (تاريخ أبي الفداء) دار
الكتاب اللبناني - بيروت .

أبو الوليد : محب الدين أبو الوليد محمد بن الشحنة (ت ٥٥١٨) .

« روضة المناظر في أخبار الأوائل والأواخر » (علي

حاشية الجزء التاسع من كتاب الكامل في التاريخ لابن

الأثير المؤرخ) مطبعة دار الطباعة القاهرة ١٢٩٠م / ١٨٧١م

أبونعيم الأصفهاني : أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران

الأصفهاني الصوفي (ت ٥٤٣٠) .

« حلية الأولياء » (١٠) أجزاء ، مكتبة الخانجي ، مطبعة

السعادة ، القاهرة ١٩٣٨ .

أبو يوسف : القاضي أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم (ت ٥١٨٢) .

« كتاب الخراج » المطبعة السلفية ، القاهرة ١٣٥٢م /

١٩٣٣م .

أبو يعلى : أبو الحسين محمد بن يعلى « الأحكام السلطانية » القاهرة

١٣٧١م / ١٩٥٢م .

الأصفهاني : أبو الفرج علي بن الحسين (ت ٥٣٥٦) « الأغاني » (٢١)

جزءاً طبعه الساسي ، القاهرة ١٢٣٢م « مقاتل الطالبين »

شرح وتحقيق أحمد ضقر ، دار إحياء الكتب العربية ،

القاهرة ١٣٦٨م / ١٩٤٨م .

الاصطخري : أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري الكرخي
(ق ٥٤٠ .) « مسالك الممالك » باعتهاء دي خويه ،
لايدن ، مطبعة أبريل ١٩٢٧ .

البحثري : أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي البحتري (ت ٢٨٤هـ)
« ديوان البحتري » (مجلدان) ، الأول تحقيق حسن كامل
الصيرفي دار المعارف - القاهرة ١٩٦٣ م ، والثاني دار صادر
١٣٨١ هـ / ١٩٦٢ م .

البخاري : أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة
البخاري (ت ٢٥٦ هـ) « الجامع الصحيح » (٤) أجزاء ،
مطبعة دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة .

البلاذري : أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري البغدادي
(ت ٢٧٩ هـ) « أنساب الأشراف » الجزء الأول تحقيق
محمد حميد الله ، مصر ١٩٥٩ م ، الجزء الخامس باعتهاء
كوتين ، القدس ١٩٣٩ م .

التنوشي : أبو علي المحسن بن أبي القاسم علي بن محمد بن أبي الفهم داود بن
ابراهيم بن تميم التنوشي (ت ٣٨٤ هـ) « جامع التواريخ
المسمى نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة » :
الجزء الأول باعتهاء مرجليوث ، مطبعة أمين هندية ، القاهرة ،
الجزء الثامن من مطبوعات الجمع العلمي العربي بدمشق ،
مطبعة ابن زيدون - دمشق ١٩٣٠ م والجزء الثاني ن .
مرجليوث دمشق ١٩٣٢ م « المستجاد من فعلات الاجواد »
عني بنشره وتحقيقه محمد كرد علي ، مطبوعات الجمع العلمي

العربي بدمشق ، مطبعة الترقى - دمشق ١٣٦٥ هـ / ١٩٤٦ م
« الفرج بعد الشدة » (جزوان) الطبعة الأولى : دار
الطباعة المحمدية - القاهرة ١٩٥٥ م .

التوحيدي : أبو حيان علي بن محمد بن علي بن العباس الصوفي (ت ٤٠٠ هـ)
« الامتاع والمؤانسة » (٣) أجزاء صححه أحمد أمين وأحمد
الزين ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٣٩ م .

التهانوي : محمد بن علي بن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي
التهانوي الهندي الحنفي (ت بعد ١١٥٨ هـ) « كشف
مصطلح العلوم والفنون » .

الثعالبي : المنصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي النيسابوري
(ت ٤٢٩ هـ) « لطائف المعارف » تحقيق إبراهيم الأبياري
وحسن كامل الصيرفي ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة
١٣٧٩ هـ / ١٩٦٠ م .

الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن فزارة الكنتاني البصري
(ت ٢٥٥ هـ) « البيان والتبيين » (٤) أجزاء ، تحقيق
عبد السلام محمد هارون ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
القاهرة ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨ م « الحيوان » (٧) أجزاء ،
تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مطبعة مصطفى البابي وأولاده
القاهرة ١٣٥٦ هـ / ١٩٣٨ م « التاج في أخلاق الملوك » ،
تحقيق أحمد زكي باشا ، المطبعة الاميرية القاهرة ١٣٢٢ هـ /
١٩١٤ م « التبصرة بالتجارة » نشره حسن حسني عبد الوهاب
التونسي ، المطبعة الرحمانية ، القاهرة ١٣٥٤ هـ / ١٩٣٥ م .
« ثلاث رسائل (الرد على النصارى) ، في ذم أخلاق

الكتاب ، في القيان) ، نشره يوسف فنكل ، المطبعة
السلفية - القاهرة ١٣٨٢ هـ « كتاب مفاخرة الجوارى
والغلمان » تحقيق وتعليق شارل بلا .

الجرجاني : علي بن محمد (ت ٨١٦ هـ) . « التعريفات » تصحيح
بدر الدين النعساني ، القاهرة ، مطبعة السعادة ١٣٢٥ هـ .

الجهشياري : أبو عبدالله محمد بن عبدوس بن عبدالله الجهشياري (ت ٨٣١ هـ)
« الوزراء والكتاب » الطبعة الأولى ، تحقيق مصطفى السقا
وآخرون ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، القاهرة
١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨ م .

حاجي خليفة : مصطفى بن عبدالله كاتب حلبي القسطنطينية (ت ١٠٦٧ هـ) .
« كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون » مجلدان ،
صححه محمد شرف الدين ، طبع بعناية وكالة المعارف ،
المطبعة البهية ، استانبول ١٩٤١ م .

الحوري : أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحوري البصري
(ت ٥١٦ هـ) « مقامات الحوري » : باريس ١٨٤٧ م .

الحسن بن عبدالله : « آثار الاول ... ؟ » .

حمزة الاصفهاني : حمزة بن الحسن (ت ٨٣٦٠ هـ) « تاريخ سني ملوك الارض
والانبياء » : منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت .

الحميدي : زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن علي الحميدي شيخ أهل
« الوراق بمصر » (ت ١٠٠٥ هـ) « جذوة المقتبس في
ذكر ولادة الاندلس » : مكتب نشر الثقافة الاسلامية
القاهرة - ١٣٧١ هـ .

الخطيب البغدادي : أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي البغدادي
الشافعي (ت ٤٦٣ هـ) « تاريخ بغداد أو مدينة السلام ،
(١٤) جزءاً ، مكتبة الخانجي ، مطبعة السعادة ، القاهرة
١٩٣١ م .

الخوارزمي : محمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي الكاتب (ت ٣٨٧ هـ)
« مفاتيح العلوم » : صحبته إدارة الطباعة المنيرية ، مطبعة
الشرق القاهرة ١٣٤٢ هـ .

الخوانساري : محمد باقر الموسوي الخوانساري (ت ١١٥٨) .
« روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات » ، الطبعة
الثانية طهران ١٣٦٧ هـ .

الدارمي : أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن مهران بن
عبد الصمد الدارمي التيمي السمرقندي (ت ٢٥٥ هـ) .
« سنن الدارمي » (جزءان في مجلد واحد) ، مطبعة
الاعتدال دمشق ١٣٤٩ هـ .

الدباغ : أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن علي الأنصاري الأسدي
الدباغ (ت ٦٩٩ هـ) .
« معالم الايمان في معرفة أهل القبور » ، تونس ١٣٢٢ هـ .

الدينوري : أبو حنيفة أحمد بن داود بن وند الدينوري (ت ٢٨٢ هـ)
« الاخبار الطوال » ، باعتهاء كوتشوفسكي ، بريل ، لايدن
١٩١٢ م .

الذهبي : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي
الدمشقي الفارقي الشافعي (ت ٧٤٧ هـ) .

« دول الاسلام » جزءان . الطبعة الثانية ، مطبعة دار
المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن ١٣٦٤ - ١٣٦٥ .
« العبر في خبر من غير » صدر منه (٤) أجزاء حتى الآن
الجزء الثاني تحقيق فؤاد السيد - الكويت ١٩٦١ م ، والرابع
تحقيق صلاح الدين المنجد - الكويت ١٩٦٣ م .

الروذراوري : أبو شجاع ظهير الدين محمد بن الحسين (ت ٥٣٨٩) .
« ذيل تجارب الامم » باعثناء ٥ . ف . آمد روز ، مطبعة
التمدن الصناعية القاهرة ١٣٣٤ هـ / ١٩١٦ م .

السيوطي : جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن
سابق الدين الحضيري السيوطي (ت ٥٩١١) .
« تاريخ الخلفاء » تحقيق : محمد يحيى الدين عبد الحميد
مطبعة السعادة القاهرة ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٩ م .

الشيذوري : عبد الرحمن بن نصر (ت ٥٧٧٤) .
« كتاب نهاية الرتبة في طلب الحسبة » ، نشره السيد الباز
العربي القاهرة ١٩٤٦ م .

الصابي : أبو إسحاق إبراهيم بن هلال بن زهرون (ت ٥٣٨٤) .
« رسائل الصابي » نقحه وعلق عليه الأمير شكيب أرسلان
المطبعة العثمانية - بيروت ١٨٩٨ م .

الصابي : أبو الحسن الهلال بن المحسن بن إبراهيم بن هلال بن إبراهيم
بن زهرون الصابي الحاراني (ت ٥٤٤٨) .
« الوزراء أو تحفة الامراء في تاريخ الوزراء » تحقيق
عبد الستار أحمد فراج ، دار احياء الكتب العربية - القاهرة
١٩٥٨ م .

« رسوم دار الخلافة » تحقيق ميخائيل عواد ، مطبعة العاني
بغداد ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٤ م .

الصولي : أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس بن محمد الصولي
البغدادى (ت ٥٣٣٥) .

« أخبار الراضى والمتقى » (تاريخ الدولة العباسية من سنة
٣٢٢ - ٥٣٣٣) نشره ج . هيات دن ، منشورات مدرسة
اللغات الشرقية بلندن مطبعة الصاوي - القاهرة .

« أخبار البحري » تحقيق صالح الأستر ، مطبوعات المجمع
العلمي العربي - دمشق ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٨ م .

« أخبار أبي تمام » ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ،
القاهرة - ١٩٣٧ م .

« أدب الكاتب » (٣) أجزاء مجلد واحد ، المطبعة السلفية
القاهرة ١٣٤١ هـ .

الضبي : أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي (ت ٥٥٩٩) .

« بغية المنتس في رجال أهل الأندلس » مطبعة روخس
- مجريط ١٨٨٤ م .

الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير بن زيد بن خالد الطبري الآملي
(ت ٥٣١٠) .

« تاريخ الأهم والملوك » (٣) سلاسل ، باعتناء دي خويه
بريل لايدن ١٨٧٩ .

عريب القرطبي : عريب بن سعد ، الكاتب القرطبي (ت ٥٣٦٩) .

« صلة تاريخ الطبري » ، بريل - لايدن ١٨٩٧ م .

الغزالي : أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي
(ت ٥٥٥) .

« إحياء علوم الدين » (٥) أجزاء ، القاهرة المكتبة التجارية

الفاسي الكتاني : ابو المفاخر محمد الحسين الإدريسي الكتاني الفاسي .

« كتاب التراتيب الادارية ، المطبعة الأهلية ، المغرب -
الرباط ١٣٤٦ هـ .

قدامة : ابو الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي
(ت ٥٣٣٧ هـ) .

« نبذة من كتاب اطحراج وصنعة الكتابة ، باعتناء دي
خويه ، بريل - لندن ١٨٨٩ م .

القرطبي : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح
الأنصاري الحزرجي الأندلسي القرطبي (٥٦٧١ هـ) .
« بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، (جزآن) مطبعة
الاستقامة - القاهرة : ١٣٧١ هـ / ١٩٥٢ م .

القرماني : أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد بن سنان القرماني
الدمشقي (ت ١٠١٩ هـ) « أخبار الأول وآثار الدول ،
طبع محمد أمين أفندي ، مطبعة عباس التبريزي ١٢٨٢ هـ .

القلقشندي : أبو العباس أحمد (ت ٥٨٢١ هـ) « صبح الأعشى ، (١٤)
جزءاً ، طبع الجزءان الأول والثاني في دارالكتب المصرية
القاهرة (١٩٢٢ - ١٩٢٨ م) والأجزاء الباقية في المطبعة
الأميرية - القاهرة ١٩١٤ - ١٩١٨ م .

القمي : حسن بن محمد بن حسن القمي (ت ٥٣٧٨ هـ) « تاريخ قم ،
(باللغة الفارسية) ترجمة حسن بن علي بن حسن بن عبد الملك
القمي ، صححه جلال الدين الطهراني ، مطبعة مجلس
١٣٥٣ طهران .

القيرواني : أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني (ت ٨٤٥٣) .
« زهر الآداب وثمر الألباب » (٤) أجزاء : تحقيق محمد
محي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية ، مطبعة السعادة -
القاهرة ١٣٧٢ هـ .

الكاتب : أبو جعفر أحمد بن يوسف (ت ٨٢١٣) « المكافأة » ،
المطبعة الأميرية ، بولاق ١٩٤١ م .

الكندي : أبو عمر محمد بن يوسف الكندي المصري (ت ٨٣٥٠) .
« كتاب الولاة وكتاب القضاة » تحقيق رفن كست ،
مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت - ١٩٠٨ م .

الكرديزي : أبو سعيد عبد الحي بن الضحاك بن محمود كرديزي
(ت ٨٤٤٠) .

« كتاب زين الاخبار » تحقيق محمد كاظم ، مطبعة اوانشهر
برلين ١٣٤٧ هـ / ١٩٢٨ م .

المالكي : « رياض النفوس » .

مالك : أبو عبد الله مالك بن انس بن مالك بن أبي عمار التيمي
الأصبحي الحميري (ت ١٧٩ هـ) .

« الموطأ » (جزءان) تحقيق وتصحيح وترقيم محمد فؤاد عبد
الباقي دار إحياء الكتب العربية ، مطبعة الحلبي ، القاهرة
١٣٧٠ هـ / ١٩٥١ م .

« المدونة » (١٦) جزءا في ثمانية مجلدات ، طبعة سامي ،
مطبعة السعادة - القاهرة ١٣٢٣ هـ .

الماوردي : أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الفقيه الشافعي (ت ٤٥٠ هـ) .

« الأحكام السلطانية والولايات الدينية » ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر - القاهرة ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م .

المسعودي : أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي الشافعي (ت ٣٤٦ هـ) « مروج الذهب ومعادن الجوهر » ، (٩) أجزاء - باريس ١٨٧٦ - ١٨٧٦ م .

« التنبيه والاشراف » ، بريل - لايدن ١٨٩٣ م .

الموزباني : أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى الموزباني (ت ٣٨٤ هـ) « معجم الشعراء » تحقيق عبد السلام أحمد فواج ، دار إحياء الكتب العربية - القاهرة ١٣٧٩ هـ / ١٩٦٠ م .

المقدمي : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء المقدمي الحنفي المعروف بالبشاري (ت ٣٨٠ هـ) . « أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم » ، باعتناء دي خويبه ط ٢ بريل لايدن ١٩٠٦ م .

المقري : أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى عبد الرحمن بن أبي العيش بن محمد المقري التلمساني المالكي الأشعري (ت ١٠٤ هـ) « نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب » ، حققه محمد يحيى الدين عبد الحميد (٨) أجزاء مطبعة دار السعادة - القاهرة ١٣٦٧ هـ .

المقرئزي : تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد
الحسني العبيدي (ت ٥٨٤٥) .

« إخاتة الأمة بكشف الغمة » ، نشره محمد مصطفى زياده
وجمال الدين الشيال ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
القاهرة ١٣٥٩ هـ / ١٩٤٠ م .

« المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار » ، (٤)
أجزاء مطبعة النيل القاهرة ١٣٢٤ هـ - ١٣٢٦ هـ .
« السلوك لمعرفة دول الملوك » ، نشره محمد مصطفى زياده ،
مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة ١٩٣٤ م .

النسائي : أبو عبد الرحمن أحمد بن علي بن شعيب بن علي بن سنان بن
بجر بن دينار (ت ٥٣٠٣) .

« سنن النسائي » ، (٨) أجزاء ، تحقيق محمد المسعودي ،
المكتبة التجارية الكبرى ، المطبعة المصرية بالأزهر .

وكيع : محمد بن خلف (ت ٥٣٠٦) .

« أخبار القضاة » ، تحقيق عبد العزيز مصطفى المراغي (٣)
أجزاء مطبعة الاستقامة - القاهرة ١٩٤٧ - ١٩٥٠ م .

الهمداني : محمد بن عبد الملك الهمداني (ت ٥٥٢١) .

« تكملة تاريخ الطبري » ، (الجزء الأول) تحقيق البرت
كنعان ، بيروت - المطبعة الكاثوليكية ١٩٥٩ م .

ياقوت الحموي : شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي
البغدادى (ت ٥٦٢٦) .

« مصجم البلدان » (٦) أجزاء ، باعتهاء وستفولد ، لايبزج
١٨٦٦ - ١٨٧٠ م .

« مصجم الأدباء » (الإرشاد) ط ٢ ، (٧) أجزاء باعتهاء
مربليوث المطبعة الهندية ، القاهرة ١٩٢٣ - ١٩٣٠ م .

يحيى بن آدم : القرشي (ت ٢٠٣ هـ) .
« الخراج » حقه و وضع فهارسه أحمد محمد شاكر ، المطبعة
السلفية ومكبتها ، القاهرة ١٣٤٧ هـ .

يحيى بن حمزة : يحيى بن عمرو بن يحيى الأندلسي (ت ٢٨٩ هـ) .
« أحكام السوق » نشره الأستاذ محمود محمد مسكي ، صحيفة
المعهد المصري للدراسات الإسلامية - مدريد ١٩٥٦ م .

اليقوي : أحمد بن واضح (ت ٢٨٤ هـ) « التاريخ الكبير أو تاريخ
اليقوي » (جزءان) باعتهاء دي خويه بريل - لايدن
١٨٨٣ م .

« كتاب البلدان » نشره دي خويه ، بريل - لايدن ١٨٩٢ م

المراجع الحديثة

برونفسال ليفي :

« ثلاث وسائل أندلسية في آداب الحسبة والمختب »
مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية - القاهرة ١٩٥٥ م

بلا شارل :

« الجاحظ » ترجمة إبراهيم الكيلاني ، دار البيقظة العربية
للتأليف والترجمة والنشر - دمشق ١٩٦١ م .

حسن باشا :

« الالقاب الاسلامية في التاريخ والوثائق والآثار ، القاهرة

١٩٥٧ م .

الدوري : عبد العزيز عبد الكريم .

« تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري ،

مطبعة المعارف - بغداد ١٩٤٨ م .

« العصر العباسي الاول ، مطبعة التقيض بغداد ١٩٤٥ م .

« دراسات في العصور العباسية المتأخرة ، مطبعة السريان

بغداد ١٩٤٥ م .

« النظم الاسلامية ، مطبعة المعارف - بغداد ١٩٥٠ م .

« الجذور التاريخية للشعبوية » دار الطليعة بيروت ١٩٦٢ م

« بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب » المطبعة الكاثوليكية

بيروت ١٩٦٠ م .

دوزي :

« تكملة المعجمات العربية »

زامبارو إدوارد فون :

« معجم الانساب والاسمات الحاكمة في التاريخ الاسلامي »

ترجمة وإخراج زكي محمد حسن وزفاقه ، مطبعة جامعة فؤاد

الأول القاهرة ١٩٥١ م .

الزركلي : خير الدين الزركلي .

« الاعلام » (١٠) أجزاء ، مطبعة كوستانتوس - القاهرة

١٩٥٤ م / ٥١٣٥٩ .

زياده ليقولا :

« الحسبة والمحاسب في الاسلام » ، المطبعة الكاثوليكية -
بيروت ١٩٦٢ م .

زيدان جرجي :

« تاريخ التمدن الاسلامي » ، (٥) أجزاء القاهرة ١٩٥٨ م

سعداوي نظير حسان :

« نظام البريد في الدولة الاسلامية » ، دار مصر للطباعة ،
القاهرة ١٩٥٣ م .

العلي ، صالح أحمد :

« التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة » ، في القرن
الأول الهجري ، بغداد ١٩٥٣ م .

عواد ، ميخائيل :

« أقسام ضائعة من كتاب تحفة الامراء في تاريخ
الوزراء » ، مطبعة المعارف - بغداد ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨ م .

كحاله : حمير رضا كحالة .

« معجم المؤلفين » ، (١٥) جزءا ، مطبعة الترقى دمشق -
١٣٧٦ هـ / ١٩٥٧ م .

متز ، آدم :

« الحضارة الاسلامية في القرون الرابع الهجري » ، (جزءان)
ترجمة محمد عبد الهادي أبو زيدة ، الطبعة الثالثة ، مطبعة لجنة
التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ١٩٥٧ م .

الفرائسي

- الفيروز آبادي: مجد الدين الفيروز آبادي .
« القاموس المحيط » (٤) أجزاء ، المطبعة التجارية - القاهرة .
ابن منظور : جمال الدين أبو الفضل محمد بن جلال الدين الأنصاري
(ت ٧١١ هـ) .
« لسان العرب » (٢٠) جزءا الطبعة الأولى ، المطبعة
الاميرية - بولاق ١٣٠٠ هـ .
الزبيدي : محب الدين أبي الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي
(ت ١٢٠٥ هـ) .
« تاج العروس في جواهر القاموس » (١٠) أجزاء ،
الطبعة الأولى المطبعة الخيرية - القاهرة ١٣٠٦ هـ .
ابن سيده : أبو الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي (ت ٤٥٨ هـ) .
« المختص » (١٧) جزءاً ، المطبعة الإمبرية - بولاق
١٣١٦ هـ .

المجهرات

- « صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية » ، مدريد
١٩٥٦ .
« كتاب أحكام السوق » ، للأستاذ محمود محمد مكي .
مجلة المشرق : المجلد العاشر ، العدد (٢١) لسنة ١٩٠٧ م .
« كتاب نهاية الرتبة في طلب الحسبة » ، للأب لويس شيخو
« مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق » : المجلد (١٧) الجزءان الأول والثاني

« جامع التواريخ أو نشوار المحاضرة للقاضي التنوخي »
تحقيق المستشرق د. س. مرجليوث .

مجلة كلية الآداب : العدد الأول ، حزيران ١٩٥٩ م .
« نشوء الاصناف والحرف في الاسلام ، للدكتور الدوري مجلة :

Rivista Degli Studi Orientali, Vol. XXVIII, Roma 1958

« كتاب الاحتساب للامام الناطق بالحق الناصر لبحق المعتمد

على الله الامام يحيى ، بقلم : Sergeant, R. B.

المراجع العربية

BOWEN, H. : The life and times of ali ibn isa « The god
visier » , Cambridge, 1928

Encyclopaedia of islam (first and new.ed.) .

KABIR, M. : The buwayhid dynasty of baghdad,
Iran society, calcutta, 1964

ROSENTHAL, F: Ibn khaladun, the muqadimah, 3 vols .

Bollingen series XL 111, pantheon books,
London, 1958

SOURDEL, D. : Le visirat' abbaside de 749 A 936

(132 a 324 de l'hegiere) , 3 vols .

Darnas 1959

أعلام الأفراد

أحمد بن محمد الطائي : ٤٤ .
 أحمد بن محمد بن الفرات : ٩٠ ،
 ١٥٥ ، ١٩٩ .
 أبو أحمد بن المتوكل : ٢١ ، ٢٣ ،
 ٢٤ ، ٢٧ .
 أحمد بن محمد بن المعتصم = المستعين بالله
 أحمد بن محمد بن ميمون : ١٠١ ، ١٤٣ ،
 ١٧٦ ، ١٩٠ ، ١٣٤ .
 أحمد بن الموفق طلحة = المعتضد بالله
 أحمد بن نصر الساماني : ١٧٦ .
 اسحاق الفرغاني : ٤٧ .
 أبو اسحاق القراريطي : ١٤٥ .
 اسحاق بن علي القناني : ١٣٥ .
 إسماعيل بن أحمد : ٤٨ ، ١١٠ .
 إسماعيل بن بلبل : ٨٩ ، ١٨٦ ، ٢٧٠ .
 الأسمر المحتسب : ٣٣٨ .
 ابن الأخوة = محمد بن محمد بن أحمد القرشي
 الأمين : ٢٠٧ .

إبراهيم بن عيسى : ١١٩
 إبراهيم بن محمد بن بطحاء : ٣٣٧ ، ٣٣٨
 إبراهيم بن المقدر = المتقي لله .
 ابن الأثير المؤرخ : ٢٨ .
 أحمد بن إسرائيل الأنباري : ٨٦ ،
 ١٠٥ ، ١٨٥ .
 أحمد بن الحبيب : ١٥ ، ١٦ ، ٨٠ ،
 ٨١ ، ٨٥ ، ١٠٣ ، ١٥٢ ، ١٨٥ .
 أحمد بن صالح بن شيرزاد : ٨٩ ، ١٨٦
 أحمد بن طولون : ٣٨ .
 أحمد بن عبيد الله بن سليمان : ٩٨ ،
 ١٢٨ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٨٨ ، ١٨٩ .
 أحمد بن علي بن بويه : ٧٧ ، ٦٩ .
 أحمد بن علي بن خيران : ٢٧٧ .
 أحمد بن علي الكوفي : ١٧٧ .
 أحمد بن المتوكل = المعتمد على الله .
 أحمد بن محمد البريدي : ١٨٩ ، ١٩٠ .
 أحمد بن محمد بن رستم : ١٧٣ .

جعفر بن المعتد : ٣٩ ، ٤٠

أبو جعفر المنصور : ٣٠٩

الجهشياري : ٢٠٧

ابن الجوزي : ٢٧٠

* * *

حامد بن العباس : ٩٣ ، ١١٩ ، ١٢٠

١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٧٣

١٨٧ ، ٢٢٨ ، ٢٩٥

الحسن بن الأفشين : ٢٢

الحسن بن عبدالله الحمداني = ناصر الدولة

الحمداني .

الحسن بن مخلد : ٢٦ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ١٨٦

الحسين بن حمدان : ١١٨

الحسين بن القاسم : ٩٦ ، ١٣٣ ، ١٥٠

١٦٠ ، ١٨٨ ، ٣٠٣ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤

٣٣٧

أبو الحسين بن المتوكل : ٤٩

الحسين بن أبي الهيثم : ٧١

حمدان بن حمدون : ٤٢

ابن أبي الحواري : ١١٩ ، ١٧٤

* * *

ابن خرداذبة : ٢٠٨ ، ٢٢٩ ، ٢٢٣

٢٧٣

أولامش : ١٢ ، ١٨ ، ٨٥ ، ١٠٣

١٥٢ ، ١٨٥ .

* * *

بابك الحرمي : ١١

بارس الحاجب : ١١٠

باغر : ١٨ ، ١٩

بيكم : ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ١٤٢ ، ١٧٦

بدر المعتضدي : ٤٣ ، ٤٥ ، ١٠٦

١٠٧ ، ١٥٥

ابن بسطام : ١١٩

بغا الصغير : ١٦ ، ١٨ ، ٨٥ ، ٨٦

بغا الكبير : ١٦ ، ٨٥ ، ٨٦

ابن أبي البغل : ١١٩

بوون (المستشرق) : ١٣ ، ٣٢

توزون : ٧٦ ، ٧٧ ، ٣٣٨

* * *

فل الخادم : ٩٤

* * *

جعفر بن الفرات : ٢٠١

جعفر بن محمود الاسكافي : ٨٦ ، ٨٧

١٠٤ ، ١٨٥

جعفر بن المعتضد = المعتز بالله

سيف الدولة الحمداني = علي بن هداثة
الحمداني .

سيما الشرايبي : ١٦٣

* * *

شاهك الخادم : ١٧

شجاع بن القاسم : ١٧

شعب أم المقتدر : ٢٥٢

شفيع المقتدري : ١٢٤

شفيع اللؤلؤي : ١٥٧

ابن شيزاد الكاتب : ٧٥

* * *

صاحب الزنج : ٣٣ ، ٣٢

صالح بن وصيف : ٨٦ ، ٨٧ ، ١٠٥ ، ١٥٢

* * *

ضياء الدين البرني : ٣١٢

* * *

الطبري (المؤرخ) : ١٤ ، ٢٠١

طريف السبكري : ٦٧ ، ٦٩

* * *

عاصم بن سليمان الأحول : ٣٠٩

العباسي بن الحسن : ٤٩ ، ٥٢ ، ٩١

١٠٩ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١٤٩ ، ١٨٧

ابن خلدون : ٢٠٧

خارويه بن أحمد : ٣٨ ، ٤٢ ، ٤٣

* * *

الدانيالي : ٣٣٧

* * *

أبو ذنوب المادرائي : ٩٥

* * *

الراضي (الخليفة) : ٤٥٣ ، ٤٦٤ ، ٧٠

٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠

١٠١ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠

١٤٢ ، ١٦٣ ، ١٦٩ ، ١٧٥

رائق الكبير : ١٥٧

الرشيد : ٢٠٧

* * *

ابن أبي الساج : ١١٨ ، ١٦٨ ، ١٦٩

١٧٠

سعيد بن حمدان : ٧١

سليمان بن الحسن الوزير : ٦٢ ، ٧٢

٧٤ ، ٩٦ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١١٩

١٣١ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٤٣

١٧٦ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ٢٤٩

سليمان بن وهب : ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩

١٠٥ ، ١٣٥ ، ١٨٦ ، ٢٠٢

عبد الوهاب بن الحسن الكاتب : ٢٩٨

عبد الوهاب بن عبد الله : ١٣٥

عبيد الله بن سليمان بن وهب : ٩٠

١٠٥ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٨٧ ، ١٩٩

٢٥٩ ، ٢٩٢

عبيد الله بن علي بن الحسين : ٣٣٦

عبيد الله بن محمد الخاقاني : ٥٤ ، ٥٥

٩٣ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١٧١

١٨٨

عبيد الله بن محمد الكلوذاني : ١٨٨

عبيد الله بن يحيى بن خاقان : ٨٨ ، ١٨٦

عثمان بن عفان : ٥٨

علي بن بويه : ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١

علي بن طاهر : ٢٠٨

علي بن عبد الله الحمداني : ٧٥

علي بن عيسى الوزير : ٥٠ ، ٥٥ ، ٥٦

٥٩ ، ٦٥ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٩٣

٩٤ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ١١٠ ، ١١٥ ، ١١٦

١١٧ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢

١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣١

١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٤٤ ، ١٥٧

العباسي بن المأمون : ١١

أبو العباس بن المقتدر = الرازي :

عبد الحميد بن عبد العزيز : ٢٩٣

عبد الرحمن بن عيسى : ٧١ ، ٧٢ ، ٩٨

١٣٨ ، ١٤٤ ، ١٦٤ ، ١٨٩

عبد الرحمن بن محمد (الحليفة الناصر) :

١٧٥

عبد الرحمن بن نصر الشيزري : ٣١١

أبو عبد الله البريدي : ١٤١ ، ١٤٢

١٤٣ ، ١٩٠

عبد الله بن بغا : ٢٢

عبد الله بن حمدان : ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠

عبد الله بن علي البغوي : ١٤١

أبو عبد الله الكوفي : ١٤٦

عبد الله بن محمد بن يزيد : ١٨ ، ٨٥

٨٨ ، ١٠٤ ، ١٨٥ ، ١٨٦

عبد الله بن المعتز : ٤٩ ، ٥٠ ، ٤٩ م

٥٠ م ، ٥١ م ، ٩٢ ، ١٠٩ ، ١١١

١١٢ ، ١٤٩ ، ١٥٦ ، ٢٤٩

عبد الله بن المكتفي = المستكفي

عبد الواحد بن المتقي : ١٤٣

مهرو بن الليث الصفار : ١٠٨ ، ١٠٧

عيسى بن إبراهيم : ٢٦

عيسى بن فرخان شاه : ٨٦ ، ٨٨

١٨٦ ، ١٨٥ ، ١٠٥

* * *

فاتك مولى المكتفي : ٤٦

فاتك المعتضي : ٤٩

الفتح بن خاقان : ٨٠

الفضل بن جعفر الوزير : ٦٣ ، ٩٤

١٤١ ، ١٣٦ ، ١٣٣ ، ١٠٠ ، ٩٧

٢٠٥ ، ١٨٩ ، ١٨٨

فون كبرير : ٢١٦

* * *

أبو القاسم الخاقاني : ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨

القاسم بن عبيد الله : ٤٣ ، ٤٤

٩٠ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١٤٩

١٨٢ ، ١٥٥

أبو القاسم الكلوزاني : ٦٥

القاهر (الخليفة) : ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٤

٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩

٩٥ ، ٩٧ ، ١٣٠ ، ١٣٣ ، ١٣٤

١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٥٠ ، ١٥١

١٦٢ ، ١٦٣

١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٨

١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٨٢ ، ١٨٧

١٨٨ ، ٢٠٠ ، ٢٠٧ ، ٢١٦ ، ٢٢٤

٢٢٦ ، ٢٤٢ ، ٢٤٦ ، ٢٥١ ، ٢٦٣

٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٨٢ ، ٢٩٠ ، ٢٩٧

٢٩٨ ، ٣٠٠ ، ٣١٧

علي بن محمد بن الفرات : ٥٠ ، ٥١ م

٥٥ ، ٩٢ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١

١١٢ ، ١١٥ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩

١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧

١٤٩ ، ١٥٦ ، ١٥٨ ، ١٨٧ ، ١٩٩

٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٤٩ ، ٢٦٢ ، ٢٨٢

٢٨٥ ، ٢٨٩ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٣٥

علي بن المعتض = المكتفي

علي بن المعتصم : ١٨

علي بن محمد بن مقله : ١٣٧ ، ١٤٨

١٩٠ ، ١٦٣

علي بن يلبق : ٦٧ ، ٦٨

مهرو بن الحسين : ٣٣٧

مهرو بن الخطاب : ١٩٤ ، ٢٥٥

مهرو بن عبد العزيز بن أبي دلف : ١٥٥

مهرو بن محمد بن عوض : ٣١٢

مهرو بن العباس : ٣١٣

محمد بن خلف النيرماني : ٩٤
محمد بن داود : ٤٩ ، ١٠٩ ، ١٥٦ ،
محمد بن رائق : ٧١ ، ٧٢ ، ٩٩ ، ١٢٥ ،
١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ،
١٦٤ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ، ١٨٣ ، ٢٠٢

محمد بن طاهر : ٣٤
محمد بن طعج : ١٧٥
محمد بن عبد الله بن طاهر : ٢١ ،
٢٣ ، ٢٤ ، ١٠٤

محمد بن عبد الله الهاشمي : ٣٢٨
محمد بن عبدون : ٤٩
محمد بن عبيد الله بن علي : ٣٣٧
محمد بن عبيد الله بن يحيى : ٩٢ ، ١٨٧ ،
محمد بن علي بن الحسن بن مقله : ٥٧ ،
٦٥ ، ٦٦ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ،
٧١ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ،
٩٨ ، ١١٨ ، ١٢٩ ، ١٣٣ ،
١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٤٧ ، ١٥٠ ،
١٥١ ، ١٥٩ ، ١٦٢ ، ١٧٤ ،
١٨٨ ، ١٨٩

محمد بن علي السامري : ١٧٩ ، ١٩٠ ،
محمد بن الفضل الجرجواني : ٨٦ ،
١٠٤ ، ١٨٥

القائم بأمر الله الفاطمي : ١٧٥
قدامة بن جعفر : ٢١٦ ، ٢١٨ ،
٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٣٢ ،
٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٦٨

* * *

الكرخي الوزير : ٧٢
كورتكين الديلمي : ١٤٥ ، ١٧٦ ،
* * *

المأمون : ١١ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ،
المتقي لله : ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ،
١٠١ ، ١٤٢ ، ١٤٤ ، ١٤٨ ، ١٧٨ ،
المتوكل : ١٣ ، ١٤ ، ٨٠ ، ١٠٢ ،
١٤٨ ، ١٥١

الحسن بن الفرات : ٩٣ ، ١٢٣ ،
١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ،
٢٩١ ، ٢٩٥

محمد بن أحمد الاسكافي : ١٩٠
محمد بن أحمد بن بسام : ٣١٣
محمد بن أحمد السقطي : ٣١٤
محمد بن أحمد بن عبد الباقي : ٣٢٨
محمد بن أحمد بن علي بن مخلد : ٣٣٦
محمد بن إسحاق بن كنداج : ١١٦ ،
١٧٢

المسعودي المؤرخ: ١٠٥، ٤٥، ٢٨، ١٩

معاوية بن أبي سفيان : ١٠٥

المعتز (الخليفة) : ٢٠، ١٦، ١٤

٢٦، ٢٥، ٢٤، ٢٣، ٢١

١٠٤، ٨٧، ٨٦، ٢٩، ٢٧

١٥٢، ١٠٥

أم المعتز : ٢٧

المعتصم (الخليفة) : ١١

المعتضد (الخليفة) : ٣٨، ٣٣

٤٣، ٤٢، ٤١، ٤٠، ٣٩

٤٩، ٤٨، ٤٧، ٤٥، ٤٤

١٠٧، ١٠٦، ١٠٥، ٩٠

١٨٢، ١٥٥، ١٥٤، ١٢٩

٢٣٨، ٢٣٥، ٢٢٨، ١٩٩

٢٩٢، ٢٥٩، ٢٥٨، ٢٤١

المعتد (الخليفة) : ٣٢، ٣١

٤٠، ٣٩، ٣٨، ٣٧، ٣٣

١٥٣، ٩٠، ٨٩، ٨٨، ٤١

٢٧٠، ٢٢٨

مفلح الأسود : ٩٣

محمد بن القاسم الوزير : ٩٧، ٦٨

١٨٨، ١٧٥، ١٤٥، ١٣٤

١٩٠، ١٨٩

محمد بن محمد بن أحمد القرشي : ٣١٢

محمد بن المعتضد : ٦٤

محمد بن المعتد : ٥٢، ٤٩

محمد بن المكتفي : ٦٩، ٦٨، ٦٤

محمد بن الواثق = المهدي بالله

محمد بن باقوت : ٦٦، ٦٢، ٦١

٣٣٧، ١٣٧، ١٣٦، ٦٧

محمد بن يحيى بن شيزاد : ١٧٧، ١٤٥

محمد بن يزداد : ١٥٢، ٨٧

محمد بن يوسف القاضي : ٥٨

المستعين (الخليفة) : ١٦، ١٤

٢٢، ٢١، ٢٠، ١٩، ١٧

٨٦، ٨٥، ٢٩، ٢٤، ٢٣

١٥٢، ١٠٤، ١٠٣

أم المستعين : ١٧

المستكفي : ١٧٩، ١٤٨، ٧٦

أبو مسرور البلخي : ٣٦

موسى بن بغا : ٢٢ ، ٢٩ ، ٣٠ ،

٣٢ ، ٣٩ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ١٥٣

أم موسى الهاشمية القهرمانة : ٥٢ م ،

٩٣ ، ٩٤ ، ١١٣ ، ١١٧ ، ١٧١

١٧٢ ، ٣٠٠

الموفق طلحة : ٩ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥

٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤١ ،

٨٩ ، ١٥٣ ، ٢٤٩

مؤنس المظفر : ٥٠ م ، ٥١ م ، ٥٤

٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠

٦١ ، ٦٢ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٩٣ ، ٩٢

٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ١١٣ ، ١١٥ ،

١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ،

١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٥٠ ،

١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ،

١٦١ ، ١٦٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ،

٣٣٥

المؤيد بن التوكل : ١٤ ، ١٦ ، ٢٧

* * *

فازوك : ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ١٢٦ ،

١٢٧

الناصر الأطروشي : ٣١٠ ، ٣٢٣ ،

٣٢٦ ، ٣٢٨

المقتدر (الخليفة) : ٤٩ ، ٥٠ ،

٥٢ ، ٥٩ م ، ٥٠ م ، ٥١ م ،

٥٢ م ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ،

٥٧ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٦٣ ،

٦٤ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ٩٦ ،

٩٧ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ،

١١٧ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢٣ ،

١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ،

١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ،

١٥٦ ، ١٥٩ ، ١٦٨ ، ١٧٢ ،

١٧٤ ، ١٨٢ ، ٢٠٠ ، ٢٠٧ ،

٢٤٢ ، ٢٥٣ ، ٢٦٧ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥

ابن مقلة الوزير = محمد بن علي بن

الحسن بن مقلة

المكتفي (الخليفة) : ٤٦ ، ٤٧ ،

٤٨ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٩١ ،

١٠٦ ، ١٠٨ ، ١١٠ ، ١١٢ ،

١٤٩ ، ٢٢٨ ، ٣٣٠

المنتصر (الخليفة) : ١٣ ، ١٤ ،

١٥ ، ٢٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ١٠٣ ،

المهتدي (الخليفة) : ١٤ ، ٢٧ ،

٢٨ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٨٧ ، ١٠٥ ،

١٤٩ ، ١٨١

الوائق (الخليفة) : ١٢ ، ١٥

وصيف : ١٢ ، ١٨ ، ١٩

* * *

ياقوت الحاجب : ٦١ ، ٦٢

ياقوت الحموي : ٢٧٧

يحيى بن زكريا : ٣٠٩

يحيى بن عمر الأندلسي : ٣٢٠

يعقوب بن الليث : ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦

البعقوبي المؤرخ : ١٠٣

يليق : ٦٥ ، ٦٧ ، ٦٨

يوسف بن يعقوب القاضي : ٢٩٣

ناصر الدولة الحمداني : ٧٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧

١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٧٨

نصر الحاجب : ٩٤ ، ٩٥ ، ١١٨

١٢٤ ، ١٢٦

* * *

هارون بن إبراهيم : ٣١٨ ، ٣٣٦

هارون بن خمارويه : ٤٧

هارون الشاوي : ٤٢

هارون بن عمران : ٢٩٩

هارون بن غريب : ٥٧ ، ٥٨ ، ٩٥

أبو الهيجاء الحمداني = عبدالله بن حمدان

أعلام الجماعات

الشاكرية : ١٧

بنو شيان : ٤١

الصفاريون : ٣٤ ، ٤٣

العيارون : ٢١

آل الفرات : ١٤٩

الفراخنة : ١٧ ، ٢٥ ، ٢٥ ، ٢٦

القراسبي : ٤٢ ، ٤٧ ، ٥٢ ، ٩٤

١١٦ ، ١٥٦ ، ١٥٩ ، ١٧٣

بنو هاشم : ٨

الأفروسنية : ١٦

البريديون : ٧٠

البويهيون : ١٣ ، ٧٠ ، ٧٧ ، ١٧٥

آل الجراح : ١٤٩ ، ١٥٦

بنو حمدان : ٧٥ ، ٧٦ ، ٢٢٨

آل أبي دلف : ٤٣

السامانيون : ٤٣

بنو سهل : ١١

أعلام الأماكن

بوشنج : ٣٤	أجر : ٢١١ ، ١٦٩
* * *	أذربيجان : ٠٧٠ ، ١٦٩ ، ١١٨
جرجان : ٣٦	أصبهان : ٢١١ ، ١٧٣ ، ١٢١
الجزيرة : ٤٢	إفريقية : ١٧٥
جند يسابور : ٣٦	أرمينية : ١١٨
* * *	الأناضول : ٣٠٦
الحجاز : ١٧٣	الأنبار : ٢١
* * *	الأندلس : ١٧٥
خراسان : ١٧٥	الأهواز : ١٧٠ ، ١٢١ ، ٣٧
خوزستان : ٧١	* * *
* * *	بادوريا : ٢٣٠ ، ٢١
دمشق : ٣٨	البصرة : ١٧٢ ، ١٣٨ ، ٣٣ ، ٢٧
ديار بكر : ١٧٥	بغداد : ٢٢٢ ، ٢١ ، ٢٠ ، ١٩ ، ٩
ديار ربيعة : ١٧٥	٢٣ ، ٢٧ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٥٨
ديار مضر : ١٧٥	٧٢ ، ٧٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩١ ، ٩٦
دير العاقول : ٣٥	١٠٤ ، ١٠٨ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣
دياوند : ١٦٩	١٢٥ ، ١٢٨ ، ١٣٩ ، ١٤٦ ، ١٤٧
* * *	١٦١ ، ١٦٢ ، ١٧٨ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨
	٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٣٠٣ ، ٣١٩

القادسية : ٢٥
 قزوين : ١٦٩ ، ٢١١
 قم : ١٦٩
 * * *
 كرمان : ٣٤ ، ١٧٠
 الكوفة : ٤٢ ، ١٧٢
 * * *
 ماسبدان : ٢١٢
 مالقه : ٣١٤
 مرو : ١١
 مصر : ٣٨ ، ٤٣ ، ٤٧ ، ٤٠ ، ١٤٠ ، ١٧٥
 مكة : ٢٣
 الموصل : ٢١ ، ٤٢ ، ٦٢ ، ٧١
 ١٧٧ ، ١٧٥ ، ١٦١ ، ٧٦
 ٣١٩ ، ٣٠٣
 * * *
 همدان : ٢١٢
 هيراة : ٣٢
 * * *
 واسط : ٢٤ ، ٧٣ ، ١١٩ ، ١٣٨
 ١٤٥

الرقه : ٧٦ ، ٩٣ ، ١٠٦ ، ١٢٤
 ١٢٥
 الري : ٣٥ ، ١٥٤ ، ١٦٩ ، ١٧٥
 * * *
 زنجان : ١٦٩ ، ٢١١
 * * *
 سامراء : ٩ ، ١٢ ، ١٩ ، ٢٠ ، ١١١
 ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٥١ ، ٨٨
 ٨٩ ، ١٠٤ ، ١٠٨
 سحستان : ٣٤
 سحياط : ٥٦
 سورية : ٣٨ ، ٤٧
 سوسة : ٣١٠
 * * *
 بلاد الشام : ٣٧ ، ٤٣ ، ١٤٠
 ١٤١ ، ١٧٥
 شيراز : ١٦٩
 * * *
 طبرستان : ٣٤ ، ٣٥
 طرسوس : ٤٨
 * * *
 فلوس : ٧٠ ، ١٧٠ ، ١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٧٩
 * * *

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
تقديم الدكتور عبد العزيز الدوري	ج
مقدمة المؤلف	٥
المبحث الأول	
اخلافة العباسية	٧ - ٧٧
مقدمة	٨ - ١٣
فترة فوضى الأتراك	١٤ - ٣٢
فترة الاستقرار والهدوء النسب	٣٢ - ٥١
فترة حكم المقتدر بالله	٥١ - ٦٣
فترة أمراء الأمراء	٦٤ - ٧٧
المبحث الثاني	
الوزارة	٧٨ - ١٩٠
اختيار الوزراء	٨٠ - ١٠١
مسؤوليات الوزير: علاقة الوزير بالخليفة	١٠٢ - ١٥١
علاقة الوزير بالجيش	١٥١ - ١٦٤
تولية العمال وعزلهم	١٦٤ - ١٧٩
المسؤوليات المالية للوزير	١٧٩ - ١٨٤
ملحق بأسماء الوزراء خلال فترة البحث	١٨٥ - ١٩٠

المجلد الثالث

٣٠٤ - ١٩١

الدواوين

١٩٥ - ١٩٣

مقدمة

٢٩١ - ١٩٥

الدواوين المركزية الدائمة

٢٣٠ - ١٩٥

ديوان الحراج

٢٤٣ - ٢٣٠

ديوان النفقات

٢٥٠ - ٢٤٤

ديوان بيت المال

٢٥٤ - ٢٥١

ديوان الجبهذة

٢٦٣ - ٢٥٤

ديوان الجيش

٢٦٧ - ٢٦٣

ديوان المظالم

٢٧٥ - ٢٦٧

ديوان البريد والسكك والطرق

٢٨١ - ٢٧٥

ديوان الرسائل والإنشاء

٢٨٣ - ٢٨١

ديوان الفض

٢٨٤ - ٢٨٣

ديوان التوقيع

٢٨٥ - ٢٨٤

ديوان الخاتم

٢٩١ - ٢٨٦

ديوان المصادرين

٣٠٤ - ٢٩٢

الدواوين الموقفة

٢٩٧ - ٢٩٢

ديوان الموارد

٢٩٨ - ٢٩٧

ديوان البر

٢٩٩

ديوان المواقف

٣٠١ - ٣٠٠

ديوان المقبوضات

٣٠٢ - ٣٠١

ديوان المرتجعة

٣٠٤ - ٣٠٣

ديوان المخالفين

المبحث الرابع

٣٠٥ - ٣٣٨	الحسبة
٣٠٦ - ٣١٥	الأصل التاريخي للحسبة
٣١٥ - ٣٢٦	وظيفة المحتسب
٣٢٦ - ٣٢٨	الشروط التي يجب توفرها في المحتسب
٣٢٩	أعوان المحتسب
٣٣٠ - ٣٣١	عدة المحتسب
٣٣١ - ٣٣٥	العمل اليومي للمحتسب
٣٣٦ - ٣٣٨	ملحق بأسماء المحتسبين خلال العصر العباسي الثاني
٣٣٩ - ٣٦٢	المصادر
٣٣٩ - ٣٤٠	المخطوطات
٣٤٠ - ٣٥٨	المصادر القديمة
٣٥٨ - ٣٦١	المراجع الحديثة
٣٦١ - ٣٦٢	المجلات
٣٦٢	المراجع الأجنبية

* * *

٣٦٣ - ٣٧١	أعلام الأفراد
٣٧٢	أعلام الجماعات
٣٧٣	أعلام الأماكن

رَفَعُ

عبد الرحمن البخاري

أسكنها الفردوس

www.moswarat.com

www.moswarat.com



هذا المؤلف

- ولد المؤلف الأستاذ الدكتور حسام الدين السامرائي في بصر من رأى من العراق عام ١٩٣٩ م من أسرة شريفة النسب عرفت بالعلم والورع .
- اكمل دراسته الأولية في مسقط رأسه .
- التحق عام ١٩٥٤ م بدار المعلمين العالية - كلية التربية - قسم التاريخ ، وتخرج بدرجة الشرفا الاولى .
- اكمل دراسته العليا - الماجستير في معهد الدراسات العليا بجامعة بغداد تحت اشراف الأستاذ الدكتور عبد العزيز الدوري .
- ارتحل الى لندن والتحق بجامعة لندن في مدرسة الدراسات الشرقية والانثروبولوجية عام ١٩٦٦ م حيث أنجز الدكتوراة باشراف المستشرق الانكليزي البروفسور برنارد لويس .
- اشترك في عدد كبير من المؤتمرات والندوات العلمية منها مؤتمر التاريخ الاقتصادي في جامعة لندن ، ومؤتمر التاريخ الدولي الاول ببغداد ، ومؤتمر الادباء العرب الاول ببغداد ، والندوة الخاصة بالساوردي في القاهرة ، وندوة اليوبيل الذهبي للدراسات الانثروبولوجية في القاهرة ، والمؤتمر الاول للمجمع الملكي لبحوث الحضارة الاسلامية في عمان .
- عضو في لجنة الادارة المالية في الاسلام في المجمع الملكي لبحوث الحضارة الاسلامية ، وعضو في مشروع موسوعة الادارة العربية الاسلامية في المنظمة العربية للعلوم الادارية بجامعة الدول العربية .
- تخرج على يديه مجموعة من الباحثين والمحققين ، وهو يشرف حاليا على عدد من طلاب الدراسات العليا للماجستير والدكتوراة في قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية بكلية الشريعة والدراسات الاسلامية بجامعة ام القرى بمكة المكرمة في مواضيع التاريخ والنظم الاسلامية وتحقيق التراث الاسلامي .
- نشر العديد من المؤلفات والمقالات منها :
 - * كتاب المؤسسات الادارية في الدولة العباسية (تأليف) .
 - * كتاب نهاية الرتبة في طلب الحسبة لابن بسام المحتسب التنيسي (تحقيق) .
 - * Agriculture in IRAQ During the 3rd — 9th century
 - * هشام بن محمد الكلبي (تحقيق ودراسة) .
- اضافة الى عدد كبير من المقالات والبحوث في اطار الدراسات الادارية والاقتصادية للدولة الاسلامية خلال القرن الثالث الهجري .